

# السخرة في حفر قناة السويس

د. عبد العزيز الشناوى



المدينة المصرية  
القاهرة للكتاب





## ● تاريخ المصريين

---

رئيس مجلس الإدارة:

**د. سمير سرحان**

رئيس التحرير:

**د. عبد العظيم رمضان**

مدير التحرير:

**محمود الجزار**

تصحر من  
الجنة المصرية العامة للكتاب



# السخرة فى حفر قناة السويس

د. عبد العزيز محمد الشناوى



الهيئة العامة للكتاب

٢٠٠٢



تقديم

---

بقلم الدكتور  
عبد العظيم رمضان

رئيس التحرير





### تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «السخرة في حفر قناة السويس» الذي كتبه مؤرخ كبير هو المرحوم الدكتور «عبدالعزیز الشناوى». وكان الدكتور الشناوى قد كتب هذا الكتاب كرسالة أعدها للحصول على الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول عام ١٩٤٨ تحت إشراف أستاذ قدير هو المرحوم الأستاذ شفيق شربال. وقد أصبحت منذ ذلك الحين أشهر عمل علمي أعد عن السخرة في حفر قناة السويس.

والكتاب مقسم إلى خمسة عشر فصلاً مهد فيها المؤلف لموضوعه بالحدث عن عهد السلطان القنصل في مصر، وانتقل إلى حصول فردينان دى ليسبس من الوالي محمد سعيد باشا على عقدى الامتياز الأول والثاني لشركة قناة السويس، ومواجهة الشركة لمشكلة الأيدي العاملة التي تحفر القناة، ودعاية الشركة في مصر لجمع العمال، وفشل

هذه الدعاية. ثم دعاية الشركة في الشام لجمع العمال وفشلها أيضا، ثم تدخل الحكومة المصرية لإكراه العمال المصريين على الاشتراك في عمليات الحفر بشكل خفى في البداية ، خفية معارضة الحكومتين الإنجليزية والتركية.

كذلك يتحدث الكاتب عن السخرة المقنعة، والسخرة السافرة في حفر قناة السويس، وتقش الأوتنة والأمراض في العمال في ساحات الحفر، كما يتحدث عن أجور العمال وتدنيتها، وجناية محمد سعيد باشا وشركة قناة السويس على الاقتصاد المصري.

وقد أرفق المؤلف بالكتاب ثمانية ملاحق مهمة، تعزز من قيمة البحث، كما أرفق عددا من الخرائط المهمة.

والكتاب على هذا النحو يمثل عملا علميا على جانب كبير من الأهمية ، نأمل أن يستمتع به القارئ المثقف والباحث المتخصص.

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

### تصدير

عندما طلب منى الزميل العزيز الأستاذ/ خالد القاضي  
رئيس المحكمة عضو المكتب الفنى لحكمة النقض - تقديم  
هذه الطبعة من مؤلف «السخرة فى حفر قناة السويس» ،  
انعابتى حيرة بالغة ..بماذا أبدأ ؟ هل بالكتاب...أم بمؤلفه  
- أبى رحمه الله - على أن حيرتى لم تطل ، فإذا كان  
الكاتب يتناول تاريخ كفاح الشعب المصرى فى حفر قناة  
السويس ، ويعرض لأول مرة فى بحث علمى مجرد ،  
تضحيات الأجداد فى حفر القناة ، ويكشف المشرعما  
لاقوه حتى تم افتتاحها للملاحة ، فلا بد أن يكون هو  
الجدير بالبند .

يتناول الكتاب بين دفتيه تفاصيل لم تنشر من قبل عن إسهام مصر بأعظم نصيب في تكلفة تنفيذ مشروع حفر قناة السويس، وذلك من أرواح ودماء ابنائها التي جرت في مسرى القناة قبل أن تنساب إليه مياه البحرين وكيف استنزفت القناة موارد مصر الاقتصادية، فكان هذا المشروع العامل الرئيسى فى الأزمة الاقتصادية التي تعرضت لها البلاد وقتذاك، وأصيب الاقتصاد المصرى بأفدح الأضرار جراء استخدام السخرة فى حفر القناة، فقد كلن يتم شهرياً حشد عشرين ألف عامل من المزارعين يساقون إلى ساحات الحفر زمراً موثقين بالحبال، وهم عمدة الزراعة التي كانت تمثل عصب الحياة الاقتصادية، مخلفين حقولهم خاوية، مما أدى إلى تدهور الإنتاج المصرى من القطن فى الوقت الذى ارتفعت أسعاره دولياً وأعاق بالتالى التقدم الإقتصادى الذى كانت الظروف الدولية تساعد على تحقيقه، بل أنه تم تخفيض القوات المسلحة المصرية إلى ثمانية آلاف جندى، بعد أن كان عددهم يربو على الستين ألفاً حتى يمكن الاستفادة من الباقين فى حفر القناة.

وتأتى أهمية هذا الكتاب من أن المكتبة العربية لم تكن تهتم منذ ما يزيد على نصف قرن بقناة السويس وتضحيات الشعب المصرى فى حفرها، فى الوقت الذى نالت فيه المؤلفات الفرنسية والإنجليزية والأمريكية تبحر وتلقب فى كل ما يتصل بالقناة، إلا أن كل هذه المؤلفات حرصت على تناول تاريخ القناة من الزاوية الأوروبية وأغفلت التضحيات الجسام التى قدمها الشعب المصرى لإنشاء القناة حتى غدت بفضل هذه التضحيات حقيقة ماثلة وعصراً بارزاً فى ازدهار الحضارة البشرية.

ويعتبر كتاب «السخرة فى حفر قناة السويس» كما وصفه المؤرخون والنقاد - أهم الكتب التى تناولت بالدراسة المتخصصة موضوع السخرة، فقد اعتمد على الوثائق والمراجع والمراسلات والمضابط سواء المصرية منها أم الأجنبية، ومد فراعها حقيقياً فى المكتبة كدراسة تاريخية تخضع لمنهج البحث التاريخى العلمى، وليستعيد للذاكرة أصحاب الفضل الأول فى تنفيذ

مشروع قناة السويس، أصحاب القناة، وأصحاب الأرض  
التي تمر فيها القناة.

هذا في عجالة عن أمر الكتاب، أما مؤلفه... أبي  
رحمه الله - فإلى ودون شبهة الإنحراف العاطفي، أعز عن  
أن أرفيه بعضاً مما يستحقه، ويكفي ما سطره عنه  
المؤرخون والباحثون في الكتب التي تناولت سيرته الذاتية  
والأبحاث التي صدرت عن مؤلفاته، فلقد كان يتمتع -  
رحمه الله - بثقافة عميقة متعددة الجوانب وقراءات  
واسعة تناولت العلوم المساعدة للتاريخ، واستطاع بذهنه  
المتوهج أن يغوص إلى أعماقها، وامتازت مؤلفاته بالعمق  
والأصالة والشمول، فاثرت الفكر العربي بالوان من  
الدراسات التاريخية الجادة، عرضها في أسلوب ناصع  
مشرق وعلى نحو علمي دقيق، وظل طيلة حياته عزوفاً  
عن تولي المناصب الإدارية لم يهره بريقها، وكان دائماً  
يردد في أحاديثه أن المجد العلمي هو قمة الأمجاد، لأنه  
مجد لا يبلى، بل يطاول الزمن وجوداً، وقد توافر في

تواضع وإخلاص على البحوث التاريخية وعاش في  
 رهبانية علمية مثلاً أعلى شامخاً للأستاذ الجامعي علماً  
 وغلقاً، وهو أشبه ما يكون بالشجرة الطيبة المثقلة بالثمار  
 تعطى ولا تحس أنها أعطت ويستظل الباحثون والدارسون  
 بها دون أن تضيق بهم لأنها شجرة وارفة الظلال أصلها  
 ثابت..

وبعد...إذا كان التاريخ السياسي سوف يذكر جمال  
 عبد الناصر تأميمه قناة السويس، وللرئيس محمد أنور  
 السادات حرصه على إعادة افتتاح القناة للملاحة عقب  
 حرب أكتوبر المجيدة، فإن التاريخ سوف يذكر أنه في  
 عهد الرئيس حسنى مبارك تمت استعادة الوثائق المتعلقة  
 بقناة السويس كافة من الحكومة الفرنسية مما سيكون له  
 أثره البالغ فى إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بالقناة.

ولا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر للدكتور سمير  
 سرحان - رئيس هيئة الكتاب وأحد رموز الفكر والثقافة  
 فى مصرنا الغالية - لتوجيهه بإعادة طباعة هذا الكتاب

في إطار حملة التنوير التي تقودها السيدة الفاضلة سوزان  
مبارك، وشكري اخلص للزميل الأستاذ خالد القاضي  
لجهده الوافر في إصدار هذه الطبعة.

والله الموفق

القاهرة ٩ رمضان ١٤٢٢

٢٤ نوفمبر سنة ٢٠٠٩

مستشار

محمد عبد العزيز الشناوي

نائب رئيس المحكمة الدستورية العليا







## محتويات الكتاب

صفحة	
٨-٥	الإهداء إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر
٥-٣	مقدمة المؤلف
١٨-١	الفصل الأول : عهد القملط القنصل في مصر
٤٣-١٩	الفصل الثاني : الصديقان بماجلان مشكلة الأبنى العامة
٧١-٤٤	الفصل الثالث : البدء في تنفيذ المشروع وتحليل لائحة العمال
٩١-٧٢	الفصل الرابع : دعاية الشركة في مصر لجمع العمال وفشلها
١٠٥-٩٢	الفصل الخامس : دعاية الشركة في الشام لجمع العمال وفشلها
١١٩-١٠٦	الفصل السادس : السخرة المقتنعة
١٥٣-١٢٠	الفصل السابع : السخرة السائرة
١٨٢-١٥٤	الفصل الثامن : الإصراف في استخدام السخرة
١٩٦-١٨٢	الفصل التاسع : التعااق الإنجليزي
٢٢٥-١٩٧	الفصل العاشر : القلاح المصري في مجلس العموم
٢٥٩-٢٢٦	الفصل الحادي عشر : موت العمال عطشا في ساحات الحفر
٢٨٤-٢٦٠	الفصل الثاني عشر : نفشى الأوبئة والأمراض بين العمال في ساحات الحفر
٢٩٩-٢٨٥	الفصل الثالث عشر : أجور العمال
٣١٦-٣٠٠	الفصل الرابع عشر : جناية سعيد والشركة على الاقتصاد المصري
٣٤٥-٣١٧	الفصل الخامس عشر : الشركة مدينة بحفر القناة لنظام السخرة

## الملاحق

صفحة	
٣٤٩-٣٤٦	ملحق رقم ١ : لائحة استغلال العمال المصريين في أشغال قناة السويس الصادرة في ٢٠ من يوليو ١٨٥٦
٣٥٠	ملحق رقم ٢ : اعلان وزعته الشركة على المصريين للعمل في حفر القناة
٣٥١	ملحق رقم ٣ : إحدى عرائض عمال السخرة يشون فيها على شركة القناة . .
٣٥٢	ملحق رقم ٤ : مذ موعد إنهاء السخرة في حصر القناة شهرين للمرة الثانية
٣٥٣	ملحق رقم ٥ : الحكومة المصرية تكف من تقديم عمال السخرة لحفر القناة
٣٥٥-٣٥٤	ملحق رقم ٦ : بيان الوزارة الإنجليزية في مجلس العموم بمجلسة ١٦ مايو ١٨٦٢ من البؤس الذي فشا بين المصريين بسبب تسخيرهم في حفر قناة السويس .
٣٥٦	ملحق رقم ٧ : الشركة تطالع إلى نظام السخرة بعد إنفصاله ونحصر من الحكومة المصرية على تفصيل الرأي العام
٣٥٧	ملحق رقم ٨ : نفس موضوع الوثيقة السابقة .

## المصادر

٣٦٥-٣٥٨	: وثائق قصر عابدين	أولاً
٣٦٥	: كتب المراجع	ثانياً
٣٧١-٣٦٦	: المراجع غير العربية مرتبة أجدباً	ثالثاً
٣٧٢-٣٧١	: تقارير	رابعاً
٣٧٢	: مذكرات	خامساً
٣٧٣-٣٧٢	: وثائق رسمية مطبوعة	سادساً
٣٧٤-٣٧٣	: ملف عن قناة السويس	سابعاً

- ٣٧٥-٣٧٤ { : المحاضر الرسمية لجلسات مجلس العموم البريطاني الذي  
أثير فيها موضوع تسخير الشعب المصرى فى حفر القناة
- ٣٧٥ : دوريات : ثلثا
- ٣٧٦ : المصادر العربية : عاشر
- ٣٧٦ : حادى عشر : ثلث

### الحفائر

- ٣ : قناة السويس
- ١٤٤ : طرق المواصلات إلى ساحات الحفر على عهد محمد سعيد
- ٢٣١ : أبار المساء فى ساحات حفر القناة



## الإهداء

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد ، يتناول هذا الكتاب الصفحة الأولى لتاريخ شركة قناة السويس في مصر. وشركة القناة صورة مرئية للاستثمار الأوربي . فقد قامت منذ تأسيسها على استقلال البلاد ، شعبا وحكومة ، بخدمة مصالحها . وما أحسب أن شعبا بذلك من الدم والسمع والبرق في إنشاء قناة كما بلل الشعب المصري في حفر قناة السويس . فمن أجلها توسعت الحكومة في فرض نظام السخرة بشكل لم تشهد له البلاد من قبل مثيلا ، وربط المصريون بعضهم إلى بعض بالخيال في أيديهم ، ليقطعوا الصحراء من القرازيق إلى القناة سيرا على الأقدام ، وهناك سيقوا إلى ساحات الحفر زمرا ليتلقفهم الموت من العطش أو الإعياء أو الجوع أو الأوبئة . وسخرت الحكومة مواردها المالية والطبيعية في خدمة الشركة . ولكنها لم تنقح بهذا كله . أرادت أن تجعل من نفسها حكومة فوق الحكومة المصرية يجب أن تعونها الجباه . ألم تطلب من محافظ القناة أن يحصل رسميا بعيد ميلاد نابليون الثالث امبراطور فرنسا وأن يقيم الزينات ويرفع الأعلام ؟ ألم تصدر طوايح برية تحمل اسمها ؟ ألم تصدر عملة خاصة بها تتناول في منطقة القناة ؟ ألم تسع جاهدة للتمجيد أمير عربي حاكما على الأراضي الشاسعة التي كانت تمتلكها تمهيدا لسلطتها من مصر ؟

حدث كل ذلك وأكثر منه والشركة لا تزال وليدة ، لم تكن قد بدأت بعد في استقلال مرفق القناة ، ثم توالى المصغحات القاعة على مصر ، وتحدثت

الشعور القومي في الأوقات العصيبة التي مرت بالشعب المصري : هنا  
 دى ليس الملكة ليكتوريا حين باع الخديو اسماعيل ، في نوفمبر ١٨٧٥ ،  
 أسهم مصر في الشركة إلى انجلترا ، وأبدى ارتياحه العميق حين باع الخديو  
 توفيق ، في مارس ١٨٨٠ ، نصيب مصر المقرر في أرباح الشركة إلى البنك العقاري  
 الفرنسي ، ولعب دورا غير كريم أثناء العمليات الحريية التي انتهت  
 باحتلال بريطانيا الثالث لمصر في سنة ١٨٨٢ .

وبعض الأيام لم تصبح الشركة ظلا طليلا للحكومة الفرنسية فحسب ،  
 بل غدت ركيزة قوية للاستعمار الإنجليزي ، إلى أن قضى الله لبلاد قائدا ، مثالا  
 في شخصكم ، مصريا عريقا في مصرته ، حكيما في سياسته ، بارعا في  
 خطته ، ففاجأتم العالم في مساء ٢٦ من يوليو ١٩٥٦ بقراركم الحازم بتأميم  
 شركة القناة ، وهكذا طويتم صفحاتها الأخيرة إلى غير بحث ، وقضيت على  
 آخر مقل للاستعمار في مصر .

وسيلذكر لكم التاريخ السياسي في صفحاته المشرقة صرياناتكم الثلاث  
 الموقرة : إلغاء النظام الملكي وإنهاء حكم أسرة محمد علي ، وإجلاء الإنجليز  
 عن أرض الوطن ، وتأميم شركة قناة السويس . وهي الجهات الثلاث التي  
 كانت تربط برباط من المصلحة المشتركة وثيق .

سدد الله خطاكم وزادكم توفيقاً في خدمة الوطن .

وإلى إذ أهدي إلى سيادتكم هذا الكتاب ، ثمرة مجهود مضمّن طويل  
 صامت ، أرجو أن تتقبلوا كل تقدير واحتلاص وإجلال .

دكتور

عبد العزيز محمد السنهوري

مصر الجديدة / ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧  
 ١٠ من يناير سنة ١٩٥٨



## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى سائر رسله وأنبيائه وأصفيائه

تجمعت في سنة ١٩٣٨ نذر الحرب العالمية الثانية ، وانقسمت أوروبا إلى معسكرين ، تزعمت انجلترا وفرنسا المعسكر الأول ، وتصدت الآخر ألمانيا وإيطاليا . وقد سبقت تلك النذر وصحبها ثم لحقتها دعاية عريضة من الحائزين للتحرير . وانطلقت الدعاية الإيطالية تندد بالسياسة الإنجليزية في الشرق ، ومن خلال تلك الدعاية وضعت تماما مقاصد إيطاليا الفاشية : كانت تروم بميث الإمبراطورية الرومانية المتبدلة ، وأن تحصل من البحر المتوسط بحيرة إيطالية ، وتطلعت إلى لون من ألوان السيطرة على قناة السويس ، فطالبت بأن تشترك اشراكا فعليا وينصيب موعود في إدارة القناة ، كما طالبت بتخفيض رسوم المرور فيها بصد أن ازداد عدد السفن الإيطالية حل إثر استيلائها على الحبشة . ولم تقف إيطاليا عند هذا الحد ، بل طالبت بتولية القناة .

واستعانت الدعاية الإيطالية الفاشية برجال التاريخ كي يثبتوا أن إيطاليا ليست متجنبة أو مغالية في مطالبتها الخاصة بقناة السويس . فقرروا أن العنصرية الإيطالية قد أسهمت بصيب موفور في الأبحاث الخاصة بعشروع القناة ، وأن الإيطاليين قد أسعدوا معاونة جليلة وصعالة في ميدان التنفيذ للعمل : لأن مهندسا إيطاليا يسمى اخوارد جويو Gioi تولى إدارة أعمال حفر القناة في منطقة مرتفعات حبة البحر شمالى بحيرة النجاش ، وكانت تلك

المرتفعات أكبر عقبة طبيعية تتعرض مير القناة ، إذ كانت ترتفع ١٩,١٠ متراً عن سطح البحر ، ولأن أفواجاً عديدة من الإيطاليين قد قتلوا إلى مصر منذ سنة ١٨٦٤ للعمل في تنفيذ المشروع بعد إلقاء السخرة في حفر القناة ، وأن أولئك الإيطاليين امتازوا بفضائل عدة منها الصبر وتحمل الشدائد والكناية التي اشتهروا بها . .

وليس هنا مجال الرد على تلك الدعاية، ولكن حسبنا أن نذكر أن أولئك الإيطاليين كانوا من المتصلين في بلادهم ، بل ومن ذوى الخلق السيء . وقد ضج محافظ الإسكندرية بالشكوى من تصرفاتهم ، وقال إنهم لا يحلون المأوى يلجأون إليه ، ولا المأكل يقيم أودهم ، وإنهم قد أصبحوا مصدر خطر داهم على أهالي المدينة ، وإن اتصال إيطاليا أبدى رجاء حاراً في أن يسير المحافظ لهم ميئاً بالبحان في أحد المائى الحكومية ، ربما يتم إيجاد عمل لهم لدى مفاوى شركة القناة ، ومن ثم يرحلون عن الاسكندرية . ولكن غشى المحافظ إذا سمع هم بالمبيت بالبحان أن يعجز عن إحراجهم من المائى الحكومية (١) . أما القول بأن مهندسا إيطاليا قد أدار بمهارة عمليات الحفر في منطقة حبة الحمر ، فقد تامت الدعاية الفاششية تضخيمات الشعب المصرى في مجال التنفيذ العملى ، ونجاءه أن ١٧٦٧٨٠ مصرى قد سخروا في هذه المنطقة وحدها لإزالة هذه المرتفعات وحفر مجرى لقناة الحرية مكانها .

وقد ردت الدعاية الإنجليزية بدعاية مضادة تسامر السياسة الإنجليزية ، وبين هاتين الدعايتين المتعارضتين كاد الناس ينسون أصحاب الفضل الأول في تنفيذ مشروع قناة السويس . وأصحاب القناة ، وأصحاب الأرض التي تجر فيها القناة .

. . .

في ذلك الوقت كان اسمى مقيدا بقسم الماجستير في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، إذ كان المزم قد صبح منى على أن أعد رسالة في التاريخ الحديث

٢٥ عن قناة السويس ، تحت إشراف الأستاذ محمد شفيق غربال أستاذ التاريخ الحديث بالكلية ووكيلها وتحت . وكنت أسافر كل أسبوع من السويس إلى القاهرة لحضور المحاضرات التي كان يلقيها الأستاذ شفيق على طلبة الدكتوراه والماجستير . ولم يكن موضوع البحث قد حدد تحديداً واضحاً دقيقاً ، فقد سبقني إلى الكتابة في تاريخ القناة إلى سنة ١٩٣٨ جمهرة من المؤرخين والمباحثين ، ولكن ما كانت كثرتهم لتحول دون تناول جديد في موضوع القناة .

وطالب مني الأستاذ شفيق أن أقرأ مجموعة حددتها لي من المراجع الفرنسية والإنجليزية والأمريكية التي كتبت في تاريخ القناة . ولما ناقشني فيما غرأت بعد عدة شهور لم ترقه أية إجابة من إجاباتي الجديدة ، وبعبارة أدق لم تكن من بينها الإجابة التي كان ينتظرها ، ثم ألتصم من رأيه فقال إن المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ القناة قد تناولوه من زوايا واحدة سبغت هي الزاوية الأوروبية ، فكتبوا عن تاريخ القناة باعتباره جزءاً من تاريخ أوروبا ، ومظهراً من مظاهر الصراع السياسي بين فرنسا وإنجلترا في القرن التاسع عشر ، وتركوا الناحية المصرية وهي الناحية الأصلية في الموضوع ، فأغفلوا التوضيحات الحسنة المتعددة الألوان والأشكال ، والتي غرست لدى الشعب المصري لإنشاء القناة ، حتى غدت القناة بفضل هذه التوضيحات حقيقة ماثلة وعصراً بارزاً في ازدهار الحضارة في أوروبا . واقترح أن أتناول في البحث جهود الشعب المصري في تنفيذ مشروع القناة ، فأعرض لمشكلة الأيدي العاملة في حفر القناة ، وجمع العمال المصريين ، وترحيلهم إلى منطقة القناة ، والأخطار التي تعرضوا لها في ساحات الحفر من الموت عطشا ونقص الأوتة بينهم . وهكذا بدأت تبين بعض معالم البحث وتبلو فيه اتفاق جديدة ، وتحديد موضوع البحث فقالوا «المسخرة في حفر قناة السويس - عصر الوال محمد سعيد» .

ولا أنكر أنني تهيئت أول الأمر للكتابة في هذا الموضوع لتبيين :  
أولا الشدة العلمية التي تميز بها الأستاذ محمد شفيق غربال بالنسبة لمعلم

أسئلة الكلية ، فهو بصير على مستوى رفيع جداً للرسائل التي تعد تحت إشرافه ، ولذلك لا يدخل في حسابه أى اعتبار للزمن الذى يستغرقه إنجاز البحث . وإذا كانت لائحة الكلية - وقتئذ قد حددت مستين لإعداد رسالة الماجستير ، فلا بأس لديه إطلاقاً - بل إن هذا مبلوّه - أن يتم البحث سنين عددا حتى يستكمل مقوماته ويستوفى عناصره وتتوفر جلته . وإلى لأذكر أن سنوات طولا كانت تمر على كلية الآداب دون أن تناقش فيها رسالة واحدة في التاريخ الحديث في قسم الماجستير أو في قسم الدكتوراه ، وذلك في الوقت الذى كانت تتوالى مناقشة الرسائل الجامعية الأخرى . ولكن سرعان ما أدركت أنه ما كان لى أن أجزع طالما أنى أترضيت الأستاذ خفيق مشرفا على الرسالة ، وتعاضل مشكورا قبل هذا الإشراف ، وإن شئت لقول : هذا العيب . أما السبب الثانى فكان صعوبة الموضوع من حيث تثبت مادته وبصرتها في مصادر متباينة متباعدة من ناحية ، وصعوبة الوصول إلى بعضها من ناحية ثانية . وقد لمست طرفا من بعض تلك الصعوبات منذ أن تمحمد موضوع البحث ، فمظم للراجع الأجنبية لا نشر إليه إلا نادرا ، وفى سياق موضوعات لا تمت إليه بصلة مباشرة . ولم يخف الأستاذ خفيق على صعوبة الموضوع ، وكثيرا ما وجه نظرى إلى ذلك .

وبدأت أتردد على محفوظات قصر عابدين منذ سنة ١٩٤٠ ولشد ما دهشت أنه لم يكن في محفوظات القصر إلى ذلك الوقت ملف واحد خاص بقتاة السويس . وكانت وثائقها وأوراقها منذ أن نقلت من القلعة ، بعثرة مختلطة بغيرها . ولذلك لم يكن العمل أمامى في محفوظات القصر سهلا ميسرا . وكان يتبين على أن أبحث في مجموعات هائلة من « محافظ المية السنية » وفى دفاترها ، الصادرة والواردة ، وكان عدد تلك الدفاتر وحدها يزيد على مائة وعشرين دفترا . وفى دفاتر الأقاليم الصادرة والواردة كذلك ، وفى دفاتر البرقيات التي كان يتلقاها قصر عابدين ، والبرقيات التي كانت تصدر عنه ، وفى مصدر هام آخر يسمى « محافظ عابدين » تضم المكاتبات التي تبودلت بين الحكومة التركية وولاية مصر من أسرة محمد على في شتون

الحكم والسياسة والإدارة . وكان عدد لا يستهان به من الوثائق والأوراق  
ملونا باللغة التركية ، وكان على أن أخطر ريثاً يعربها المترجمون الأتراك  
في القصر . وقد اقتضى كل ذلك مني جهداً ووقفاً امتد سنوات طويلاً .

وكان النظام المتبع في محفوظات القصر هو أن تكتب نسختان من الوثائق  
والأوراق التي يعثر عليها الباحث ، فيأخذ نسخة منها لنفسه وتودع النسخة  
الأخرى ملفاً يخص الموضوع الذي يبحثه . وهكذا وعلى مر السنوات  
التي قضيتها في البحث في محفوظات القصر ، منذ سنة ١٩٤٠ إلى سنة ١٩٥٢  
في إعداد رسالتي الماجستير والدكتوراه ، كونت في محفوظات قصر عابدين  
عدة ملفات ضخمة ممتدة خاصة بموضوع القناة كانت مرجعاً استقى منه  
الباحثون بعد ذلك .

وكان من أهم ما استحدثت في محفوظات قصر عابدين - مجموعات  
كاملة من صور المكاتبات التي كان يرسلها قناصل الدول في مصر ، تارة  
إلى حكوماتهم ، وتارة إلى معراء دولهم في القسطنطينية . وكانت هذه  
الصور قد نسخت على الآلة الكاتبة في وزارات خارجية تلك الدول يأذن  
من رؤساء حكوماتها ، وقلت الصور إلى قصر عابدين تمهيداً لإنشاء دار  
للمحفوظات التاريخية في مصر . ولا يخفى أن مصر كانت محرومة في ذلك  
لوقت من التمثيل السياسي ، وكان قناصل الدول الأجنبية في مصر يمارسون  
سلطات واسعة ، ويوافقون حكوماتهم بتقارير ضافية عن الأوضاع القائمة  
وقتش في مصر ، محاولين إعطاء صورة حقيقية عن الحالة السائدة في تلك  
الولاية النامية المهمة ، إذ لم يكبد يبدأ النصف الثاني من القرن التاسع عشر  
حتى اشتد اتصال مصر بالسياسة الأوروبية من ناحية ، وشرعت أوروبا  
تنشئ لها في مصر مصالح مباشرة من ناحية ثانية . فهذه التقارير تلقى ضوئاً  
على فترة حافلة بالأحداث الحسام في تاريخ مصر الحديث . وهي في مجموعها  
تعبر عن وجهات النظر المختلفة في شتى المسائل المصرية . ولم يسمح لي  
بالاطلاع إلا على المكاتبات التي كان يعث بها قناصل الولايات المتحدة  
إلى وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن وإلا على جزء يسير من تقارير

قتصل فرنسا في مصر . ولم أستطع أن أثبت الحجة في حجب بقية التقارير من الباحثين المصريين ، ووضعها بأكلها تحت تصرف باحثين اثنين من الأجانب . وإذا افترضنا أن عمليات نسخ هذه المكاتبات قد تمت تحت إشرافهما في أوروبا ، فإن الأموال المصرية هي التي أنفقت بسخاء على هذا العمل الذي كان من أهدافه تيسير وسائل البحث العلمي أمام المصريين والأجانب على السواء . ولا تريب على موظفي المحفوظات التاريخية في هذا المنع ، لأنهم كانوا يفضلون عمليات كسار موظفي ديوان الملك السابق . ولعل هؤلاء السادة اعتقدوا أن هذين الباحثين هما المورخان الرسميان للقصر ، وأن ما يعطى لهما لا يجوز أن يحد إلى غيرهما . وقد ظل هذا الحجاب الكثيف مضروباً على تلك المكاتبات حتى قامت ثورة مصر المباركة في سنة ١٩٥٢ فتفتحت الأبواب المنقطة على مصاريحها .

كتب هذان المورخان في تاريخ مصر الحديث وتعرضا بطبيعة الحال إلى تاريخ القناة . وكان أحدهما هو المؤرخ الإيطالي الفاشستي أنجلو ساماركو Angelo Sammarco ، عهد إليه الملك فؤاد بوضع كتاب باللغة الفرنسية في أربعة أجزاء عن تاريخ مصر الحديث منذ عهد محمد علي إلى بدء الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ لقاء ثلاثة آلاف جنيه (١) . وكان هذا المؤرخ يقسم في مؤلفاته إقحاماً أثيراً إيطاليا في بناء مصر الحديثة ، ويرر العلاقات الوثيقة التي ربطت بين الأسرتين المالكتين السابقتين في مصر وإيطاليا . وبعد أن قامت الحرب العالمية الثانية أبعد عن مصر فرحل إلى

---

(١) أتيج ل. بدمتيام الفرقة في سنة ١٩٥٢ أن أشر في محفوظات القصر على نفس الانقسام وقد وقع عليه محمد زكي الأراشي ( بنش ) تاجر الحاشية الملكية سابقاً وساماركو . وكان من أغرب ما بنفسه هذا الاعتقاد أنه أعطى القصر الحق في حلف الفصول أو الصفحات أو الفقرات التي لا تروق له . وهكذا كان يكتب لتاريخ مصر . . ولم يظهر من هذا الكتاب إلا الجزء الثالث في سنة ١٩٣٧ باسم *Histoire de l'Egypte Moderne. t. III Le Règne* ١٩٣٧ إلى ١٩٧٥ *du Khédive Ismail de 1863 à 1875* وجمعه في مجموعته *Précis de l'Histoire d'Egypte par divers historiens et archéologues. t. IV, Roue, 1935.* الأول والثاني والراجح ظم تظهر لولاة ساماركو .

إيطاليا وهناك انتقل إلى ربه . ورأى القصر أن الأوراق التي كان يبحثها إنما  
هي منطقة محرمة يجب ألا يصل إليها الباحثون المصريون .

أما المؤرخ الآخر فكان فرنسيا وهو جورج دوا George Douin  
كان من ضباط البحرية الفرنسية ، ثم اشتغل في شركة القناة مديرا لإدارة  
التحركات Service du Transit التي تشرف على تنظيم مرور السفن  
في القناة . وكان أكبر موظف في الشركة . جمع بين منصبه فيها وبين  
الكتابة في تاريخ مصر الحديث ، ووضح فيه ثلاثة عشر مرجعا عاما بفضل  
ما أسبقه عليه القصر من أسباب المتعة وتوفير وسائل البحث وأدواته : أعد له  
دارا لخدمة في القاهرة يقيم فيها عند حضوره من الإسهابية ، ووضع تحت  
تصرله أقدر مترجمي القصر في اللغات الفرنسية والتركية والعربية ، وكانت  
تنقل إلى داره القحمة في القاهرة ، وبدون حساب ، الوثائق التي يطلبها والتي  
هي خاصة بتاريخ مصر الحديث ليتمكن من بحثها في أوقات فراغه . وكان  
يعطي الأفضلية في البحث وفي تنفيذ رغباته . وقد استمرت منه في إحدى  
المرات عن الصورة الأصلية لخطاب أرسلته الحكومة التركية إلى والي مصر محمد  
صبيح خاص بموضوع القناة ، وكان ذلك أمام يوسف جلال ( باشا ) مدير  
الإدارة الأوربية بديوان الملك السابق . وكنت قد علمت أن هذا الخطاب  
قد نقل ضمن الأوراق التي طلبها إلى داره . فخلص بلهافة قائلا : إنه نشر  
ملخصا كافيا له في الفصل الثاني من الجزء الأول من كتابه الذي عين لي  
اسمه . وما كنت أبجل ذلك بطيئة الحال ، وما كانت إجابته لتضيق ، ولكن  
مدير الإدارة الأوربية ألوما برأسه إلى كسي أكفى بهذه الإجابة عن المطالبة  
بالإطلاع على الأصل أو بصورة كاملة منه . ولأن أسوق هذه الحادثة  
لأوضح الفكرة التي سيطرت على كبار رجال القصر من الفكرة الصارخة  
في المعاملة بين الباحثين المصريين والأجانب . وكان من نتائج هذه المعاملة  
أن ظل الباحثون المصريون عنأى عن الأوراق التي كان يبحثها هذان المؤرخان  
الأجنيبان . غير أني لم أحمل بالأوراق التي كانت في حوزتهما ، لأنني  
أعلم أنهما تناولوا موضوع القناة من ناحية تختلف عن الناحية التي كنت أبحثها .  
ولما جاز هذا المؤرخ إلى ربه في ديسمبر ١٩٤٤ انتقلت إلى داره بالقاهرة لخدمته

موظفي قصر عابدين ، وأعادت إلى القصر مجموعات هائلة من الأوراق التي كان يجمعها ، وقد تكونت من تلك الأوراق مجموعات ضخمة ظلت مودعة لهاظها لم يمسها أحد - فيما أعلم - إلى أن تركت في سبتمبر ١٩٥٥ العمل الذي كنت متدبلا له في قصر عابدين .

. . .

ولا أنكر أن الشدة العلمية التي تميز بها الأستاذ شفيق قد أوهقني من أمرى عسرا ، فكنت لا أكاد أنهي من البحث في إحدى الجملات أو لدى إحدى الجملات - وقد اعتقلت أني قاربت إنجاز الرسالة - حتى يوجهني الأستاذ شفيق وجهة أخرى . حدث ذلك في محفوظات قصر عابدين وفي دراسة المحاضر الرسمية لجلسات مجلس العموم البريطاني التي أثير فيها موضوع تسخير الشعب المصري في حفر القناة ، وحدث ذلك عند توجيهه إياي ثابعا نحو ذخائر المراجع الأجنبية التي عاصرت سنوات حفر القناة والتي تزخر بها مكتبات المعهد الفرنسي بالقاهرة والجمعية الجغرافية بها ومكتبة الأمير السابق عمر طوسون بعد أن ضمت إلى مكتبة بلدية الإسكندرية في سنة ١٩٤٥ ، ومكتبة قصر عابدين والمكتبة العامة بجامعة القاهرة فضلا عن دار الكتب المصرية ومكتبة بلدية الإسكندرية التي تعد من أغنى المكتبات المصرية في الكتب التاريخية الإفرنجية (١) ، وحدث ذلك أيضا في دراسة البحرية التي كانت تصدرها شركة القناة ، ولم يطلب الأستاذ شفيق مني أن أدرسها حثا عثدا ، أو صفحة صفحة لحسب ، بل سطرا سطرا أيضا ، وعند أن ظهر المجلد الأول منها بتاريخ ٢٥ يونيو ١٨٥٦ إلى أن تم حفر القناة سنة ١٨٦٩ ، وكانت السخرة قد أُنيت في حفرها منذ سنوات . وكان يرى ألا أقف في دراساتى وإطلاعى عند حدود الفترة التي هي موضوع البحث ، بل فرض عليّ أن أتجاوزها إلى السنوات السابقة لإياها والملاحقة بها . وهكذا كان الأستاذ شفيق لا يعرف لقناعة العلمية حثا ، كما لم تصرفه من

(١) لعل من أسباب ثرائها في الكتب التاريخية النادرة أن الذين تولوا الإشراف على القسم الأوروبي فيها كانوا من العلماء الأجانب المتخصصين في دراسة التاريخ .



متابعة أبحاث طلابه وعن توجيههم المناصب التي تخرج فيها خلال تلك الفترة من وكيل كلية الآداب إلى عميد لما فوكيل مساعد لوزارة التربية والتعليم فاستلزم من فوكيل لما ، وقد كان يجمع بطلابه ثلثة في مكتبه بالوزارة وفارة أخرى في مكتبه بكلية الآداب حيث ظل أستاذا متدبرا للتاريخ الحديث بها . وأخيرا التي في المظاف في فبراير ١٩٤٨ حين أقر الرسالة ونوقشت في يونيو ١٩٤٨ وأحرزت مع امتحان تحريرى للدرجة الماجستير بتقدير جيد جدا .

• • •

ولم يستهدف هذا الكتاب أغراضا سياسية ، فلم تكن الفكرة التي أوحى باختيار موضوعه في سنة ١٩٣٨ هي الرد على الدعاية الأجنبية الممرضة ، ولكن كان الباحث على اختيار موضوعه هو نشر صفحة مطوية من تاريخ مصر الحديث . فالكتاب بحث علمي يشهد الحقيقة المبردة ، فلا يمكن أن ينهم بالتحامل على شركة للقناة التي أتمت ولا بالهابة للشعب المصرى ، فالبحت يستقى مادته العلمية من مصبرين أساسيين هما : وثائق قصر حابدين ، وهي وثائق لا يرى إليها الشك في قيمتها العلمية ، ومراجع أجنبية وهي في مجموعها تستهدف دعم المصالح الأوربية في مصر ، أو ما يسمى بلغة المحاكم المختلطة البائدة ، نظرية الصالح المختلط .

ولا يختلف هذا الكتاب في صورته الراهنة عن رسالة الماجستير إلا في بعض النواحي . فقد حلفت الفصل الأول ، وكنت قد تناولت فيه نشأة نظام السخرة في مصر ، وتطور هذا النظام في عهود القراينة والبطالة والرومان والحرب والأكرام الميانيين ومصر الحديثة إلى أن بنى في حفر القناة في سنة ١٨٥٩ . وحلفت أيضا فصلا آخر عن طرق المواصلات إلى ساحات الحفر خلال سنوات تنفيذ المشروع ، والقصب الذي كان يلقاه عمال السخرة في سمرهم . كما حلفت فصلا ثالثا عن مشكلات تموين عمال السخرة في ساحات الحفر . وأحرلت الكلام عن الأزمئين العنيفتين اللتين تمرضت لهما الشركة في يونيو وأكتوبر من عام ١٨٥٩ . وقد دفعني إلى ذلك الحلف وهذا الاختزال الرعية في ألا يمس الكتاب على شاكلة



# الفصل الأول

## عهد التسلط القنصلى فى مصر

مصدور عقد الامتياز الأول - موجز لأهم مواد - امبراطور فرنسا يمنح سعيد  
وسام الشرف - أسباب معارضة انجلترا للمشروع - مشكلة الأيدى  
العامة فى تنفيذ المشروع - الجانب السياسى للمشكلة - عهد التسلط  
القنصلى - ضغط القناصل على الحكومة - بعض حوادث  
الاحتياط - وباء التعويضات - لتفق الآفاقين وأرباب  
السوابق من أوروبا على مصر - تقريرهم إلى  
سعيد - دى لىس يتفكر الوضع القائم  
فى مصر ويطمح فى وضع عبء  
حفر القناة على المصريين -  
صعوبة استخدام العمال  
الأجانب فى حفر القناة -  
واجب سعيد

١٠٠٠

ظفر فرديناند دى لىس فى ٣٠ من نوفمبر ١٨٥٤ من صديقه محمد سعيد  
باشا والى مصر بقصد امتياز لإنشاء قناة السويس . وقد انطوى هذا العقد -  
ويطلق عليه فرمان الأول - على امتيازات بحفنة حقوق مصر ، كان  
من بينها ، الترخيص للى لىس فى إنشاء وإدارة شركة تقوم بحفر قناة  
السويس ثم استغلالها لمدة تسعة وتسعين عاماً تبدأ من تاريخ افتتاحها  
للملاحة . كما تتمتع الشركة بحق الإعفاء الجمركى على جميع الآلات والمعدات  
التي تستورد من الخارج بقصد استغلال الامتياز الممنوح لها ، وأن يمدى  
لشركة الحق فى أن تستخرج بلون مقابل جميع المواد اللازمة لأعمال القناة  
والمباني التي ستكون نامة لها من التلجج والمهاجر المملوكة للحكومة ،  
وأن تتقاضى الحكومة ١٥٪ سنوياً من صافي أرباح القناة ، أما الشرط الأكبر

من الأرباح أو نصيب الأمد - لموزع بين الأعضاء المؤسسين وبين حصة الأسهم بنسبة ١٠٪ للأوليين و ٧٥٪ للآخرين . وأعطى العقد للشركة أيضاً الحق في أن تتحد ، بالاتفاق مع والى مصر ، قبة رسوم مرور السفن في القناة وأن يقوم مستخدمو الشركة بتحصيلها على أساس المساواة في المعاملة بين جميع الأمم .

وكان من أخطر الامتيازات التي خلفت بها الشركة في هذا العقد أن منحها سعيد باشا بدون مقابل مساحات شاسعة من الأراضي في منطقة القناة بحجة تنفيذ المشروع . ولم يقف سعيد على تعاضد عن مصلحة البلاد عند هذا الحد ، بل قرر أنه إذا رأت ، الشركة لمصلحة المشروع حفر ترعة للماء العذب تصل بين النيل وبين قناة السويس فإن الحكومة المصرية لتتنازل للشركة عن الأراضي الأميرية الواقعة على طول جانبي التربة والتي لا تكون مزروعة وقتئذ وتقوم الشركة بريها وزراعتها واستغلالها مع إعفائها من دفع الضرائب عنها لمدة عشر سنوات تبدأ من تاريخ فتح القناة . وأما في السنة الثمانين عاما الباقية إلى نهاية أجل الامتياز فتدفع عنها المهور للحكومة المصرية . وتستمر الشركة بعد انقضاء مدة الامتياز في استغلال هذه الأراضي بشرط أن تدفع للحكومة ضريبة مساوية للضريبة التي تفرض على الأراضي المماثلة لها . وأعجب من هذا كله ، أن سعيداً أذن للشركة في أن تبيع مياه النيل إلى الفلاحين ، فأوجب على الأفراد الذين يملكون أراضي ويرغون في ريها مستقبلا من ترعة الماء العذب أن يدفعوا للشركة إتاوة نظير استعمالهم ماء التربة . وهكذا دلّ امتياز الأراضي على أن دى لميس لم يكن يرمى إلى إنشاء قناة السويس فحسب بل كان يستهدف أغراضا سياسية استعمارية .

وتضمن عقد الامتياز كذلك أنه عند انتهاء أجل الامتياز تحمل الحكومة المصرية تحمل الشركة وتمتع بجميع حقوق الشركة بدون أى تحفظ وتستولي استيلاء تاما على قناة السويس والمنشآت التابعة لها ، ويحدد بانفاق ودى أو بطريق التحكيم السويس الذى يمنح الشركة مقابل ترك أدواتها وأموالها

المقولة les objets mobiliers (١) واحتمُ سعيد باشا العقد بشرط حتمى هو ضرورة مواقة سلطان تركيا على هذا العقد ولا يبدأ بالأعمال الخاصة بخفر قناة السويس إلا بعد الحصول على ترخيص الباب العالى (٢) .

وقد علق دى روسنى de Rossetti قنصل توسكانا فى مصر على الامتيازات التى وردت فى هذا العقد، فقال فى تقرير أرسله إلى وزير خارجية فلورنسا بتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٨٥٤، وأرفق به نسخة من عقد الامتياز الأول، ولسه فى حاجة لأن أظهر لمعاليكم مقدار الامتيازات التى منحها سمو الولى فإنها عظيمة القائلة للسيد دى لسنس وللشركة المزمع تأسيسها، فلم يحدث مطلقاً أن خسر أى شخص مثل هذه الميزات العظيمة ومثل هذا السخاء من أية

حكومة كانت - ١٠٠ (٣)

أما كراينس Crahen المستشار السابق لمحكمة الاستئناف المختلطة السابقة بالإسكندرية فيقول فى شيء من التكم المريد من الغريب أن سعيداً لم يطالب صديقه بأى ثمن مقابل الامتيازات التى منحها إياه - بل باع إرث الفراعنة لرجل فرنسى وقبض الثمن ابتسامة زائلة (٤) .

(١) حديث المفرة التالية المادة من (١٦) من عقد الامتياز العالى الصادر فى ٥ يناير ١٨٤٦ المقصود بالأموال المنقولة وإلى تنفع الحكومة المصرية مما تنويعاً بأنها و الهبات الخمسة الجديدة البحرية فى هذا المذروح .

(٢) De Tetta Recueil des traités de la Porte Ottomane avec les Puissances étrangères, Paris, 1901, 10 vols, t. 11, p. 93 et suiv

Géral Philippe Hey Répertoire général de la législation et de l'administration égyptiennes, (1840-1910). Alexandrie 1911, 8 vols, avec une table alphabétique analytique, t. 1 p. 442 et suiv.

Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez, Recueil chronologique et annoté des actes constitutifs de la Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez et des conventions conclues avec le Gouvernement égyptien. Le Caire, Imprimerie Nationale. 1930, pp. 2-4

(٣) Samonaro Angelo Précis de l'histoire d'Egypte, t. IV Les Règnes d'Abbas, de Saïd et d'Ismaïl (1848-1879) avec un aperçu de l'histoire du Canal de Suez, Rome, 1935, pp. 93-94.

(٤) E. L. Pierre, Ismaïl The Malignant Khedive, p. 12 .

ولم تحضر ثلاثة أسابيع على صدور عقد الامتياز حتى أهدى الإمبراطور نابليون الثالث الوشاح الأكبر من وسام الشرف Légion d' honneur إلى سعيد باشا (١). وأقيم في ٢٢ ديسمبر ١٨٥٤ حفل كبير بالقلمة قدم به قنصل فرنسا العام في مصر الوشاح إلى سعيد باشا وألقى القنصل خطابا امتدح فيه الوالي الذي رد عليه بخطبة أخرى (٢) ودل هذا التكريم السريع على تقدير الإمبراطور نابليون الثالث لقرار سعيد باشا بمنح عقد الامتياز لـدي ليس. ولكن آثار مع هذا الوسام ، من ناحية أخرى ، شكوك إنجلترا حول مشروع القناة (٣).

وفي الحق عارضت إنجلترا مشروع قناة السويس من أول الأمر ، إذ اعتقدت أنه مشروع سيامي يهدف إلى امتلاك مصر ثم ضرب الممتلكات البريطانية في الهند وغيرها (٤) وكانت إنجلترا تؤثر على مشروع القناة المشروع البري ، وقوامه إنشاء خط حديدي يمتد من الإسكندرية إلى القاهرة فالسويس. وكان قد بدء له في أواخر عام ١٨٥١. معرفة وإشراف المهندس الإنجليزي روبرت استيفنسن Robert Stephenson فلما صدر عقد الامتياز ورأت إنجلترا أن مشروع القناة وشيك التعميل اشتدت معارضتها له ، وهاتها الامتيازات الضخمة التي ظفريها دي ليس في عقد الامتياز حتى اعتقدت

---

(١) مغرولت نصر عابدين : حفلة « مية تركي » وثيقة رقم ٢٩٢ في ملية ربيع الأول ١٢٧١ هـ (٢٩ ديسمبر ١٨٥١)

(٢) محمد وصيف الاحضان بتقليه سعيد باشا الوسام وخطة قنصل فرنسا ورد سعيد عليها و De Lasseps F - Origines du Canal de Suez, Paris 1890, pp. 85-84.

(٣) Hamoui Hamei , Le Canal de Suez et la Politique Egyptienne, Montpellier, 1923, p. 289.

(٤) Ibrahim Nornie Seif-el-Dean - England's Opposition to the Suez Canal Project, Liverpool 1934, p. 45.

و كانت المباراة الثالثة في فرنسا بعد صدور عقد الامتياز الأول :

en peignant l'édifice de Suez, nous peignons le point faible de la cuirasse anglaise.

لأن هذا العقد سيجعل من دى ليسبس الحاكم الحقيقى لمصر (١) . ولم يخرج المشروع فى نظر إنجلترا عن كونه فكرة نابليونية عداوية لإنجلترا انحدرت إلى ورثة نابليون ، وزاد من هذا الاعتقاد أن بتولاه دبلوماسى فرنسى يظهر بسطف الإمبراطور نابليون الثالث وتأييد الحكومة الفرنسية (٢) حتى عدا دى ليسبس ظلالا . وفى الحقيقة كان مطمح نابليون الثالث أن يجعل تنفيذ المشروع فى عهد «وعلى يد فرنسى من متأخر حكمه (٣)

والذلك سيطرت على عقول رجال الحكم فى إنجلترا فى ذلك الوقت الفكرة القائلة بأن حفر القناة إنما هى عملية ظاهرها الغرض للتجسارى ، وباطنها الاستعمار الفرنسى . ينشر لواءه على مناطق حساسة بالنسبة للمصالح البريطانية . وما هو جدير بالذكر أن نابليون بونابرت قد ذكر فى مذكراته التى وصعها فى متاهة جزيرة سانت هيلانة ما يلى : « إن الإنجليز تسخف قلوبهم حولاً إذا رأوا فرنسا تحتل مصر . ونحن جعلنا الإحتلال نوضح لأوروبا الوسيلة الفعالة لحرمان الإنجليز من الهند » . وقد ذهبوا فى اعتناق هذا للرأى إلى القول بأنه إذا أيدت إنجلترا المشروع كان هذا بمثابة انتحار لها (٤) . لأن الضمن الفرنسية

(١) ذكر هذه العبارة اللورد رسل Lord Russell وزير الخارجية البريطانية فى حديث له مع الحكومة ابونى Apponyi مغير النمسا فى لندن . انظر

Hallberg Charles : The Suez Canal. Its History and Diplomatic Importance, New York 1931, pp. 180-181.

(٢) صرح مغير إنجلترا فى القسطنطينية أنه س أبرز مكاسب الخطر من مشروع القناة أن بتولاه فرنسى إذ يذهب هذا بمثابة إحتلال لمصر على يد فرنسا ، انظر

Hussein Husni, *ouvr. cit.*, p. 293.

(3) Charles-Roux F. L'Egypte de 1801 à 1882. Mohamed Aly et sa Dynastie jusqu'à l'occupation anglaise, t. VI Paris, 1938. (Histoire de la Nation Egyptienne par Gabriel Hanotaux, sept volumes). t. VI pp. 268-269.

(4) Ibrahim Nassef Seif-el-Din, *ouvr. cit.*, p. 48.

رسالة من وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨ يوليو ١٨٠٠ إلى اللورد Cowley مغير إنجلترا إلى باريس .

تستطيع اجتياح الهند قبل أن تصل أخبار الفزو إلى إنجلترا (١). ولعل خير ما يوصف به موقف إنجلترا حيال هذا المشروع ما قاله اللورد Ellenborough في مجلس اللوردات مجلة ٦ مايو ١٨٦١ «إن بوسعونا واحداً كان مبعث متاعب جمّة لنا . وإنّي أعتقد أن هذا المشروع الذي نحن بصيده إنما هو محاولة لإنشاء بوسفر آخر ووضعه في أبهى القرنين » (٢)

٠ ٠ ٠

أثارت إنجلترا — من بين ما أثارتها — مشكلة العمال الذين كان لابد من استخدامهم في تنفيذ المشروع ، إذ كان يتطلب تنفيذ عددًا هائلاً من العمال مهما كان عدد الآلات الميكانيكية التي تستخدم في القيام به نظراً لضعفاته وتعدد نواحيه . (٣) وقد أبدت إنجلترا مخاوفها من أن تستقدم شركة القناة جموعاً هائلة من الفرنسيين يستقرون في منطقة القناة بحجة تنفيذ المشروع ، ثم يصبحون ، وقد تم حفر القناة ، أداة قوية تستفيد منها حكومة باريس

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) أنظر محضر تلك الجلسة في المجلد ١٦٢٠ ص ١٠٥٢ - ١٠٥٣ في

Humard's Parliamentary Debates

وما يذكر أن الحكومة الإنجليزية قدمت مذكرة إلى الحكومة الفرنسية فسبها الأسس التي تقوم عليها مشروعاتها لقناة . واسم هذه المذكرة :

Insurmountable Objections of Her Majesty's Government

to the Projected Suez Canal

ومشور معظم أجزائها في كل من :

Hussein Husni, *ouvr.*, cit. pp. 260-261

Haliberg, *ouvr.*, cit. pp. 181-183.

(٣) تبدو هذه الفكرة واضحة جليّة بعد تقرير إلنا، المسيرة في حفر لقناة سنة ١٨٦٤ لقد حدثت الشركة إل عدد من كبار الماثلين في أوروبا وبسفر الشركات الكبرى [عام سفر القناة واستمعوا جداً كبيراً من مختلف آلات الحفر للضخمة القوية وصممت أجزاءها خصيصاً لهذه الأعمال وأصبح جيل أمتادهم على القوة الميكانيكية . ومع ذلك فقد بلغ عدد العمال في البروج والذين كانوا يؤدون شئ الأعمال المسماة بحفر القناة ٢٠٧٩٣ عاملاً منهم ١٢٨٩٤ مصريين والبقون من البها الأجنبي .

أنظر عقودات قصر جاليز : عتقة رقم ٥٥ معه تقرير رقم ٥٢ من عبد القادر محاطل القناة إل المية .



في تنفيذ خططها القديمة وهي امتلاك مصر وتبديد الممتلكات البريطانية في آسيا (١)  
 برز الجانب السياسي لمشكلة الأيدي العاملة بروزاً واضحاً قوياً من أول  
 الأمر ، فإن تدفق عمال أجناب في بلد له ظروفه السياسية والاقتصادية الخاصة  
 وموقعه الجغرافي الهام ، ويقوم فيه ويكتد نظام الامتيازات الأجنبية ، بالإضافة  
 إلى الأراضي المترامية الأطراف التي منحها سعيد باشا للشركة في منطقة القناة  
 ومديرتي الشرقية والقليوبية ، كل هذه وتلك تثير مشكلات سياسية خطيرة ،  
 يستطيع العمال الأجانب أن يمثثوا في طلب ذويهم للإقامة معهم بعد أن تنتظم  
 سبل المعيشة في منطقة البروخ . وهذه الهجرات الإضافية التي تنشأ عن لحاق  
 الأقارب وغيرهم بدويهم تزيد من عدد أفراد الجاليات الأجنبية التي تعيش  
 في أراضي الشركة المشاحة ، فتصبح تلك الأراضي بمثابة مستعمرات فرنسية  
 تقوم داخل البلاد المصرية ، وتصل لحساب فرنسا ، وتتمتع بفضل نظام  
 الامتيازات الأجنبية باستقلال في التشريع والقضاء والإدارة وغير ذلك ،  
 ثم لا تلبث أن يكون لهذه الحالة بأراضيها وامتيازاتها شأن  
 كبير في البلاد ، وهي حالة تؤدي في النهاية إلى قيام حكومة داخل الحكومة  
 المصرية أو ما يسمى *Imperium in Imperio* (٢)

(1) Rassegnal L. M. Le Canal de Suez, Etude historique, juridique  
 et politique. Paris, 1898, p. 21.

وكذلك

Fernan E. Elbert - Egypt and its Hetrayal. New York, 1908, pp. 201.  
 207.

وكذلك رسالة من بيزا Pizani إلى استراتفورد Stradford بتاريخ ٢ يوليو ١٨٥٥ في  
 Ibrahim Nemeir Self-ou-Deau, ouvr. cit., p. 43.

(٢) كبيراً ما ردد فنصل إنجلترا في مصر في مكاتبتهم إلى ردالة (المصرية البريطانية) القول بأن  
 فرنسا ترى في إقامة مستعمرة فرنسية في البروخ . وقد جاء في تقرير أربل وال Walne فنصل  
 إنجلترا في مصر إلى رسل Rassegnal ووزير الخارجية البريطانية A French colony established  
 there might in the course of a few years become sufficiently strong to  
 domineer over the weak rulers of Egypt, and, supported from without,  
 prove a permanent menace to our communications with India.

والدستور مستعمرة فرنسية هناك لأنها تهتدي خلال سنوات قليلة من القوة التي تكفي = ٧

ولم يعرب عن بال إنجلترا أن الإمبراطورية البريطانية في الهند قد قامت على أكتاف التجار ولم تهم على أكتاف المسكرين . فقد نزل الإنجليز في الهند أول الأمر تجاراً ، ثم اكتسبوا امتيازات تجارية وتطور موقعهم ، فامتلكوا الأراضي وأشرفوا على الإيرادات ، وانتهى بهم الأمر إلى أن غدوا سادة حكماً (١) . ولم تكن السياسة الإنجليزية لتسمح بتكرار مثل هذا الدور في مصر لصالح فرنسا على يد دى لابس أو غيره .

ومصر تقع على طريق المواصلات البريطانية إلى الهند - دولة ممتلكات إنجلترا في ذلك الوقت - وقد ازدادت أهمية مصر في نظر إنجلترا وفرنسا وغيرهما منذ قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ . واتخذت السياسة الخارجية لإنجلترا مبدأ لها في القرن التاسع عشر حتى سنة ١٨٧٥ هو المحافظة على سلامة الدولة العثمانية وممتلكاتها وذلك حرصاً على سلامة الإمبراطورية البريطانية نفسها بتأمين الطرق الموصلة إلى الهند . فإنجلترا كانت تفضل أن يظل الشرق الإسلامي خاضعاً للدولة العثمانية الضعيفة في ذلك الوقت على أن يقع في يد دولة قوية منافسة تناهض إنجلترا العلاء وتكون خطراً على الممتلكات الإنجليزية في الهند . فإذا حدث أن اضطرت في مصر - وعلى الأخص في الجزء السلي - يسيطر على الطريق إلى الهند وهو برزخ السويس - جالية كثيفة العدد من المهتمسين والعمال وغيرهم ينتمون إلى دولة أوروبية كفرنسا كان هذا سلاحاً خطيراً في يدها تهدد به إنجلترا (٢) .

• • •

= لتسيطر على حكم مصر الضعيف . لهذا ما ظهرت سياسة خارجية أصبحت مصدر تهديد دائم لمواصلات مع الهند .

Hallberg, *op. cit.*, p. 166.

أنظر

(1) Arnold Wilson: The Suez Canal. Its Past, Present and Future, London. First Edition, 1933, p. 17.

(2) Hoskins Halford Lancaster: British Routes to India, New York 1928, p. 355.

وكانت مصر في ذلك الوقت تتجاز فترة ميامية أطلق عليها عهد  
 «السلط القنصل» . كان معظم قناصل الدول في مصر لا يحسبون حسابا  
 كثيرا للحكومة المصرية نظراً للمركز الذي وضعت فيه مصر عقب تسوية  
 ١٨٤٠ - ١٨٤١ من ناحية ، ولضعف شخصية ولاية مصر بعد وفاة محمد  
 علي من ناحية أخرى . فتدخل قناصل الدول في جميع الشؤون الداخلية للحكومة  
 المصرية ، وابتغوا حياتها ميسرة تقوم على التصف والظلم والجشع . وساعدتهم  
 على ذلك قيام نظام الامتيازات الأجنبية وقتئذ ، ثم التأيد الذي كان معظم  
 القناصل يمنونه من حكوماتهم في هذه السياسة .

وقد برزت هذه الظاهرة بصورة واضحة على عهدى سعيد وإسماعيل .  
 وكان من مظاهر هذه السياسة مطالبة الحكومة بتصاريضات مالية ضخمة عن  
 خصال وأضرار حقيقية حيث ، ووهية أحيانا كثيرة ، يزعمون أنها لحقت  
 بهم أو برعايا دولهم نتيجة لإجراء أعمالته الحكومة المصرية أو تصرف أحد  
 المصريين ، وكان يفصل في تلك المطالبات بالطرق الدبلوماسية بين الحكومة  
 المصرية وبين القنصل . وكان زملاؤه أعضاء السلك القنصلي يساعدونه في  
 موقفه . وينتهي الأمر بإذعان السلطات المصرية لمطالب القنصل الذي كان  
 يقتسم في معظم الحالات مع صاحب الشكوى التفاوض الذي يتقرر له . وقد  
 فشت هذه الظاهرة في عهد الأجانب وأطلق عليها البعض «وباء التصاريضات»  
 وقرروا أن ذلك الوباء قد اعصر الخزانة المصرية (١) .

من الأمثلة الصارخة على جشع القناصل وضغطهم على الحكومة المصرية  
 لايتبراز أموالها والإثراء على حساب مصالح البلاد نذكر ريزنيا Zizania  
 قنصل بلجيكا العام في مصر . جمع في وقت واحد بين اشتغاله بالتجارة  
 وبين العمل في السلك القنصلي سرياً على العادة المتبعة غالباً في ذلك الوقت .  
 وقد كان هذا الرجل أحد الرعايا اليونانيين ثم اكتسب الجنسية الفرنسية واشغل  
 قنصلاً عاماً بلجيكا في مصر . وظفر بمحكم وتلفته من ناحية « وجنسيته

(١) Bertrand, E. Nubar Pacha, 1825-1899. Notes et Impressions.  
 Le Caire, 1904, p. 40.

الفرنسية من ناحية ثانية ، بتأييد زميله قنصل فرنسا العام في مصر في مواقفه  
 الشائنة من الحكومة المصرية . وقد لمس زيزنيا ضعف سعيد باشا وصخاءه  
 وتقديره العميق للأجانب ، فقول له جشمة أن يدعى أن محمد علي كان قد  
 وعدته وعداً شفوياً بأن يمنحه امتياز الإشراف على إدارة مرور البضائع في  
 مصر . ولكن لم يتعد محمد علي ولا أحد من خلفائه ذلك الوعد . ومن أجل  
 ذلك طالب سعيداً بتعويض قدره ثلاثة ملايين من الجنيهات . وأيده في موقفه  
 قنصل فرنسا ، وقد عرض سعيد عليه تخفيض التعويض إلى ثلاثين ألف جنيه  
 ولكنه رفض العرض . وإزاء الإلحاح والضغط استبدل سعيد امتيازاً حقيقياً  
 بامتياز وهمي ، لإدماحه جناية رسم مرور السفن عند المرسى المنشأ  
 عند اتصال ترعة المحمودية بميناء الإسكندرية . وكان هذا الامتياز الجديد يدور  
 على القنصل أرباحاً سنوية بلغت ثمانية آلاف جنيه . ولأمر ما اضطر سعيد  
 إلى سحب هذا الامتياز من القنصل بعد أن دفع له ١٣٠ ألف جنيه عدداً وقد

(د) بخصوص عهد القنصل القنصل في مصر انظر كلام

Sabry M. : L'Empire égyptien sous Ismaïl et l'ingérence anglo-fran-  
 çaise. (1863-1879). Paris, 1933.

تحت عنوان :

Origins de l'ère consulaire en Egypte, pp. 16-31.

وتحت عنوان :

La conquête diplomatique et consulaire, pp. 37-43.

وانظر أيضاً :

(Charles Roux T. : L'Egypte de 1801 etc., ouvr., cit., t. VI.

تحت عنوان

Abus d'ingérence consulaire, pp. 254-256.

كما أناس ناض مولاندي ساين في المحاكم المختلطة السابقة بمصر في شرح استغلال قنصل الدول  
 لولاية مصر استغلالاً شاملاً جميعاً من الدالة والأمة والترف ، انظر ،

Van Ben Volen L'Egypte et l'Europe par un ancien juge mixte.  
 Juge hollandais aux Tribunaux Mixtes de 1875-1880; London 1884-2 vols.  
 t. I, pp. 116-133.

تحت عنوان



وكان في صفوف أولئك القادمين عدد كبير من المخاطرين والأفاقيين ومن إليهم أحاطوا سعيد باشا يبحثون عن الأرباح الفخمة بأيامر الواسائل المشروعة وغير المشروعة . ولمس قنصل فرنسا المصام هذه الحالة الجديدة، فسجلها في تقرير أرسله إلى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٧ أكتوبر ١٨٥٤ ، ولما تمس على حكم سعيد ثلاثة أشهر ، وقد قال في ذلك التقرير إنه لم يكن يناع نياً وفاة عباس باشا حتى حصلت على مصر من كافة أنحاء أوروبا مجموع غزيرة للعند من القامرين والباحثين عن الذهب التوا بالوالي آناء الليل والنهار ، وكان مصر قد هدت كاليغورنيا جديدة تزخر بالذهب . وقدما إليه مشروعات خيالية لا تستقيم مع منطق أو عقل ، ثم أبدى القنصل أسفه لأن الوالي ينفق وقته في دراستها مع أولئك الأفاقيين الذين يرددون على مسامحه في كل حين وأن العبارات الرنانة التي تستهويه ويغرب لها إلى حد بعيد (١) . وقد ندد أحد أطباء شركة القناة — وهو فرنسوا شارل رو — في سنة ١٩٣٦ بتلك الروح غير الكريمة فقال : وهكذا المخذ الأجانب في مصر حاسة التمييز بين العدالة وبين التمسك والظلم (٢) . وسرعان ما أصاب كثير من الطبليين ثروات عريضة أصبحوا بها على رأس البطاليات الأجنبية في مصر .

ولما فإن قلدوم عمال الأجانب في جماعات كبيرة جدا لتضيد مشروع القناة ، بالإضافة إلى تلك الهجرة التي شهنتها مصر وقتئذ ، كان يثير مشكلات معقدة أمام الحكومة المصرية ويفتح بابا واسعا أمام قتاضل الدول ، ويهيئ حديد الفرص أمام دى لبس للضغط على سعيد والتقدم بمزيد من المطالب متلرها بمجة أو أخرى لتحقيق أماعه التي لم تكن تقف عند حد . يضاف إلى ذلك أن التطور الذي حدث في ذلك الوقت في وسائل النقل بظهور السكك الحديدية واستعمال السمن البخارية كان كفيلا بإغراء الآف من جماعات المخاطرين على العمل في الشركة إفا لم يوضع قيد خاص يحدد عدد المال الأجانب

(1) Sabry M., *ouvr. cit.*, pp. 37-38.

(2) Charles Roux F., *ouvr. cit.*, t. VI p. 255.

فيها . وكان سعيد قد تلقى في الأيام الأولى من شهر إبريل ١٨٥٥ خطابا من  
 صهره كامل باشا في القسطنطينية يحمله عواقب تأييده لمشروع القناة والمير  
 وراء مرسا ودى لبسب . وقد حرص كامل باشا على أن يوضح لسعيد  
 مضار هذا المشروع . وكان أظها في رأيه تدفق عدد كبير من الأجانب على  
 مصر (١) .

يتضح من هذا العرض السريع أنه كان من المصلحة العامة - من جوانبها  
 المتعددة - أن يكون استخدام العمال الأجانب في أضيق نطاق ومقصورا على  
 الأعمال الفنية الدقيقة التي لا يكون للمصريين بها دراية .

• • •

ولا شك أن دى لبسب قد استفاد من هذا الوضع الذي أحدثته مشكلة  
 الأيدي العاملة بل إنه رحب به أيما ترحيب وبالغ في تصوير خطورته لسعيد  
 باشا طالما في أن يقوم الشعب المصري وحده بمهمة حفر القناة . وقد أيد  
 أنصار المشروع هذه الفكرة في مقال ضاف نشرته جريدة *L'Asiatic*  
 بعنوان « كلمة بخصوص استخدام العمال الفلاحين دون سواهم في تنفيذ أعمال  
 قناة السويس » . وكان مما جاء فيه أنه لم يفكر جلبا أحد من رجال الشركة ولا  
 صيد باشا نفسه في استخدام عمال أجانب من أوروبا ، وأنه قد انشقت  
 آراؤهم جميعا على وجوب تجنب هذا التصرف ونحاشي المتاعب  
 الجديدة التي تسبب عنه (٢) .

(١) Sabry M., *op. cit.*, p. 57.

(٢) العدد ١٤ الصادر في ١٠ يناير ١٨٥٧ مجموعة السة الثانية وهران المجلد

*De l'emploi exclusif des ouvriers fellahs dans l'exécution du Canal de Suez.*

و١٤ هو جدير بذلك لأنه لما عرض مترنيخ ودير النمسا الأول مشروع قناة السويس سنة ١٨٤٧  
 حل وادى مصر محمد علي اشترط الأخير تنفيذ المشروع عدة إجراءات كان من بينها أن  
 تقوم مصر بحفر القناة وأن تستعمل الحكومة المصرية المهتمين وغيرهم من الفنيين الأوربيين وأن  
 يتشاركونا مرتباتهم بها . وفي حثيث مايو ٣٠ يناير ١٨٤٥ مع مخلوب جيسية ليزوج مصر -

وفي الواقع كان استخدام العمال الأوروبيين في أول الأمر وعلى نطاق واسع ضرباً من المستحيلات بالنسبة للشركة بعد تأسيسها . فالأجور التي يطاضها العمال الأوروبيون في سبيل الاغتراب والعمل في الصحراء أجور عالية ترفع ميزانيتها المتواضعة وقت تنفيذ المشروع . كما أن أجورهم تزيد على أجور العمال المصريين بينما يكون إنتاجهم ضئيلاً إذا قيس بإنتاج المصريين (١) .

والعمال الأوروبيون لم يألفوا الجو الحار ويترصصون للأمراس التي تصيبهم من شدة الحر فضحك بهم . وجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الجنود الإنجليز والفرنسيين قد لقوا حتفهم في شبه جزيرة القرم في صيف وخريف ١٨٥٥ بسبب اختلاف الجو (٢) .

ويمتاز العمال المصريون بالخلد وقوة الاحتمال والصبر والمقدرة على متابعة العمل المضني في الجبل والصحراء والحر (٣) . وتختلف عادات العمال المصريين عن عادات العمال الأوروبيين . فبينما نجد في الأولين تعوداً على الاختيشان والتشف والتفانعة نجد في الآخرين ميلاً إلى الإفراط في الخمور (٤) ونزوها

---

م. جسيمة تأملت العناية بشروع القناة - صرح بحبه على بقوله « إن مصر لا يسرها الرجل وفي اصطلاح أن استخدم جميع أفراد جيشي في هذا العمل » انظر فضلاً عنون

Metteerich makes an offer.

ج

Hallberg, *ouvr., cit.*, pag. 86-92

(١) انظر مقالاً في هذا الصدد نشر في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٠ الصادر في ٢٥ أغسطس ١٨٨٦ ص ١٩ مجموعة قسمة الأول .

(2) Charles Lamb Kenney The Gates of the East. Ten Chapters on the Isthmus of Suez Canal, London, 1857, p. 25.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ - ٢٧ . وانظر أيضاً مقالاً عن الفضائل التي روت بين العمال المصريين في سفر القناة ، بقلم E.T Baidieron وقد نشر في جريدة L'Isthme de Suez العدد ٩٨ الصادر في ١٠ يوليو ١٨٦٠ ص ٢٢٢ مجموعة قسمة الخامسة .

(٤) عقوبات قسمة عابدين : دفتر رقم ٢ للقرقيات الواردة برقية ٣٢٦ من هانظا الرئيس إلى وياض باشا في ١٨ شوال ١٢٨٢ وكذلك بمحظة رقم ٣٢ وثيقة رقم ١٢٢ .



إلى المللات والنسائيات وانكبوا على لعب الميسر (١) . وقد وصحت لهم تلك الرقائل زيان حكم اسماعيل على أثر إلقاء السخرة اسماً في حجر القنساء وجرى عمال أجنب بكثرة إلى مصر للارتزاق بالعمل لدى مقاولي الشركة . زد على ذلك أن العمال الذين يقبلون الرحيل إلى مصر والعمل في الحفر يكون معظمهم من ذوى الخلق السيء ويكونون مصدر متاعب للحكومة المصرية والشركة . وقد حدث هذا فعلاً بعد أن ألغيت السخرة وضعت الشركة أبواب العمل أمام المرتزقة من الأوروبيين . فقد كتب محافظ الإسكندرية تقريراً جاء فيه : « قدم الإسكندرية جمع غفير من أهل كالابريا بايطاليا ، وأغلوا بيوتون هنا وهناك وفي الشوارع . وقد علمنا أن أربعة آلاف آخرين قادمون . ولما كان هؤلاء سفلة الناس فن التوقع أن تصلو منهم حوادث مكروهة ، وقد كلمنا قنصل إيطاليا في شأنهم فأبلغنا أن هؤلاء قد قدموا ليذهبوا إلى القناة للعمل فيها . . . ولما كان في بيت هؤلاء هنا وهناك ما يحجم عنه خلوث مايجل بالنظام فقد طلب القنصل إسكان أمثال هؤلاء عند قدمهم في غرف ثكنة الباب الشرق دروا لهذا المملور ربنا ثم ساءت بهم مع وكيل الشركة . إلا أننا لو سمحنا بذلك فإنه يكون من الصعب إخراجهم من الثكنة في المستقبل . فارعوا أمرهم إلى الاعتات وتكرموا بإبلاغها الإرادة السنية التي تستصدر فيه » (٢) .

(١) محفوظات قصر حابدين : دفتر البرقيات رقم ١ - برقية رقم ٨٠٤ .  
والظفر أيضاً محفوظة رقم ٣٥ وثيقة رقم ٢٨٧ .

يقول أحد الأجانب في خطاب أرسله من القاهرة في سبتمبر ١٨٦٧ إلى جميع الأوروبيين تقريباً للذين قدموا مصر إنما جاءوا لتكوين ثروات بالطرق المشروعة وغير المشروعة ولكن التي تحدث في معظم الأحوال أنهم ملأوا إلى الكسب غير المشروع . وكانت لما بينهم من ذوى الخلق السيء وأعد الكاتب بعد أن أقرأهم وصفاتهم والخطاب وصف مؤثر لطيفان الأجانب واعتدائهم المنكرة دون أدنى مذهب على المصريين في الطرقات . انظر :

Eugène Gellion Danglar . *Lettres sur l'Egypte Contemporaine*  
1896-1875, Paris 1876, pp. 70-73.

وكان العمال الأوروبيون الذين استغلّتهم الشركة على عهد إسماعيل يزعمون إلى أعمال العنف لأتفه الأسباب . ويتحلّون الإضراب عن العمل وسيلة لتحقيق مطالبهم كرفع الأجور أو مد مواعيد السهر في الحانات وعدم غلقها وقت القيلولة . وكثيراً ما وقعت عصابات دموية بينهم وبين زملائهم العمال المصريين الذين كانوا يرفضون مشاركتهم في الإضراب عن العمل . وكان يسهم عن ذلك وقوع صحابيا من المصريين ويسارع بعض قناصل الدول في الحضور من القاهرة أو الإسكندرية إلى ساحات الحفر لهذه المواقف (١) .

يضاف إلى ذلك اعتبار آخر له أهمية وهو وجود المنطقة التي تخضع فيها القنطرة في جهة صحراوية تصعب الإقامة فيها خلال السنوات الأولى قبل تنظيم وسائل المواصلات إليها وتوفير ماء الشرب ومواد القويين فيها وإعداد المساكن وغير ذلك . فالصحراء كانت عتقة كبيرة في اجنبال العال الأوروبي في

— الاسكندرية إلى رياضات باشا برقم ٦٢٥ بتاريخ ١١ من جيلدى الأخيرة ١٢٨٦. وانظر أيضاً  
مخطوطة ٣٥ سيرة تركي وثيقة رقم ٢٦٨ من محمد شريف باشا لظاهر الخارجية إلى العمدة السليمة. وانظر  
كذلك دفتر رقم ١ البرقيات الواردة برقية رقم ٢٨٢.

(١) مجموعات تسعة حاويات ، مجموعة رقم ١٢ ولوحة رقم ٥١١ - ومجموعة ٣٦ ولوحة رقم ١٩١ ومجموعة ٣٩ ولوحة رقم ٩١ ، ٢٨٣ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٣١٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٨٨ ، انظر أيضا ،

دفتر رقم ۶ البرقيات - برقيات رسم ۷۸۸ ، ۷۷۱ ، ۷۷۴ ، ۷۷۳ ، ۷۷۵ ، ۷۸۱  
، ۷۸۲ ، ۷۸۸ .

دفتر رقم ۹ الوقتيات - برقيات رقم ۱۳۰، ۹۸۷، ۷۵۵، ۷۵۱، ۷۶۸، ۸۰۱  
 ۸۰۱، ۸۰۷، ۸۷۲، ۸۶۴، ۸۸۲، ۹۰۱ الإحتداء على رجال البوليس والاستنجاد بنظاره  
 الداعية - برقيات رقم ۹۳۶، ۹۳۱، ۹۵۲.

دفعہ رقم ۱: برقیات رقم ۱۳۰۸ + ۱۱۱۷ + ۵۱۴ + ۱۰۲۱ + ۹۹۸  
 انڈر ایضا خصوصاً سو: سلو مال الاجامہ فی الشرفہ .

Erckmann Chatriaux-Souvenirs d'un ancien chef de chantier à l'Esthime  
de Suez. 5ème édition. Paris, pp. 272-273.

وانظر كذلك

L'Isthme de Suez - العدد ٢٧٠ الصادر في ١٥ أكتوبر ١٩٦٧ من ٧٥٧ مجموعة الف

تلك الفترة . ولم يكن في مقدور الشركة أن تجد علدا كافياً من العناصر الطبية بين العمال الأجانب على اعتماد العمل في الصحراء .

• • •

وإذا كانت المعارضة الإنجليزية لمشروع القناة هي التي أدت إلى التذكير في الحد من استخدام العمال الأجانب في تنفيذ المشروع ، واتفق ذلك عرضاً مع المصالح المصرية ثم المصلحة المادية الموثقة للشركة ، فقد كان من الضروري أن تراعى في مسألة الأيدي العاملة أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية حتى لا يكون حشد العمال المصريين سبباً في الإضرار بتلك المصالح . فصر بلد زراعي ، كانت ولا تزال الزراعة فيه تعتمد على سواعد الفلاحين أكثر من اعتمادها على الآلات الحث الميكانيكية وما إليها ، ولم يتجاوز عدد سكان مصر وقت حصر القناة خمسة ملايين نسمة . ومن المسلم به أمام هذه الحقائق الثلاث أن استخدام المصريين على نطاق واسع في حفر القناة مأجور باهظ ، تدفع لهم حيناً ونحبس عنهم أحياناً ، يصيب الإنتاج الزراعي بأضرار بليغة . وكان يجدر بسعيد باشا أن يتنبه لهذه الناحية الحيوية فلا يعرض الاقتصاد المصري لمخازن هينة . ولكن مشروع القناة كان أكبر من أن يواجهه بعقلية المتوسطة وذكائه المحدود . فشركة القناة لم تبد اهتماماً جدياً باستخدام الآلات لحفر القناة تغنيها عن استخدام المصريين بكثرة عديدة وفيرة . فالتأيت أنه لم تكن لديها كراكة واحدة عند ما شرعت في حفر القناة في ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ، على الرغم من أنه كان قد انتفى إلى ذلك الوقت أكثر من أربع سنوات من صدق عقد الامتياز الأول . وكل ما قامت به الشركة في هذا المصد أنها عقدت ، قبل بدء عمليات الحفر بشهر واحد ، اتفاقاً في ٢١ مارس ١٨٥٩ مع شركة كومبـ Combe في مدينة ليون لتوريد كراكتين بقوة كل منهما عشرون حصاناً (١) ومع ذلك فإن مصانع تلك الشركة لم تبدأ في شحن أجزاء

---

(١) أنظر نصوص الإتفاق في

الكراكتين إلا على فترات متباعدة في غضون عام ١٨٦٠ . وكانت هاتان الكراكتان على قعر كبير من الصخر (١) . ومن الطبيعي أن شق قناة السويس بمثل طولها واتساعها وعمقها كان أخطر من أن تواجهه الشركة بمثل هاتين الكراكتين المزيقتين مما يدل على أن نيتها كانت مبيتة على استغلال الشعب المصري يستخير في خطر القناة .

## الفصل الثاني

### الصديقان يعالجان مشكلة الأيدي العاملة

الملايسات التي أدت إلى إصدار عقد الامتياز الثاني - دى لسبس يدعو الأصدقاء  
للزخمة في مصر على حساب الوالي - أطيب الخمرور والمأكولات - فتحت اعتماد  
إضافي للتضيوف - تمثيلية بارعة - موحر لمواد العقد - الوضع الذي أخففته  
مشكلة الأيدي العاملة بعد صدور العقد الثاني - دى لسبس  
يخلق سببا لاستصدار لائحة العمال -  
الفوارق بين عقليتي الرجلين -  
نقد وتحليل اللائحة - استغلال  
دى لسبس لللائحة .

جاء عقد الامتياز الأول خلوا من أية إشارة إلى وسائل تنفيذ المشروع أو  
مشكلة الأيدي العاملة . فاقصر على مواد تبين أهداف المشروع وامتيازات  
الشركة إلى غير ذلك ، غير أن المادة الأخيرة منه نصت على تعهد سعيد باشا بأن  
يقوم هو وجميع موظفي الحكومة المصرية بتقديم المساعدة عند تنفيذ عقد  
الامتياز واستغلاله .

ولم يكف يداع العقد حتى قامت الحكومة الانجليزية تعارض المشروع .  
وسرعان ما أثارت مشكلة الأيدي العاملة التي نستخدم في تنميته على النحو  
الذي يسطناه في الفصل السابق ، وقد رأيت الحكومة الانجليزية في إبراز هذه  
المشكلة دعامة قوية تركز عليها في سياستها العدائية نحو المشروع ، وفي إثارة  
خاوف الحكومة التركية منه .

وقد رغب محمد سعيد ودى لسبس في إمكانات صوت المعارضة الإنجليزية  
من ناحية العمال الأجانب ، وفي تبديد الشكوك التي تثيرها إنجلترا في عي  
الحكومة التركية حول أهداف فرنسا السياسية من تنفيذ المشروع تارة ، أو

أطاع سعيد في الاستقلال بمصر ثارة أخرى . كما كان دى لسبس حريصا على أن يخفف عن كاهل الشركة عبء استخدام العمال الأجانب في نطاق واسع . فاستعمل لمصلحته الوضع السياسي الذي أخذته مشكلة الأيدى العاملة ، ولاحظ له الفرصة حين نجح على عادته في أن يستصلر من سعيد باشا عقد امتياز ثان ، يكون أوفى وأتم تفصيلا من العقد الأول ويزيد عليه في الامتيازات التي أضحت على الشركة إغداقا .

ولا نريد أن نغض في الحديث عن أهمية الوضع الجديد الذي أخذته مشكلة الأيدى العاملة عقب صدور العقد الثاني قبل أن نعرض في إيجاز شديد للملابسات التي أدت إلى صدور هذا العقد

كان دى لسبس قد قام في قافله كبيرة ، عقب صدور عقد الامتياز الأول ، برحلة ارتاد فيها منطقة برونخ السويس ، ورافقه فيها ليسان بك Linant Bey وموجل بك Mongi Bey كبيراً مهندسى الحكومة المصرية في ذلك الوقت (١) . وكان الغرض من هذه الرحلة — وقد تحملت الحكومة

---

(١) كان ليسان بك أحد الخبراء في موضوع قناة السويس اشترك اثنا اثنى عشر في معظم الدراسات التي تمت في النصف الأول من القرن التاسع عشر لإكمال البحرين . وكان قد وضع منذ ١٨٣٣ مشروعاً لفرع ملاحية تربط البحرين ، وقدم نسخة منه إلى ميرو Kimaullتفصل فرنسا النام في مصر كما أسهم وأعمال مهندسى جمعية أبحاث قناة السويس حين قاموا مصر سنة ١٨٤٧ . أنظر شرحا الدراسات التي قام بها ليسان في منطقة برونخ السويس على عهد محمد عبد ربهاس وسيسه .

Linant de Bellefonds Bey Mémoires sur les principaux travaux d'utilité publique exécutés en Egypte depuis la plus haute antiquité jusqu'à nos jours. Paris. 1872, pp. 213-263.

أما موجل بك فقد قرره إليه دى لسبس وجيت كبيراً مهندسى الشركة ومديرأ حاما للإشغال بها . وصادق مجلس إدارة الشركة على هذا التعيين بجلسته ١٥ يناير ١٨٥٩ وأسهم في أعمال المجلس لأعمال للأشغال بالشركة في غضون عامي ١٨٥٩ و ١٨٦٠ وقد استقال من منصبه في ٢١ أكتوبر ١٨٦١ إذ لم يستطع الإقامة بصفا مستديرة في صحراء البروخ وعظفه في مصب فواران بك أنظر

المصرية فقائها (١) - دراسة المشروع على الطبيعة وإقرار مبدأ حفر القناة على خط مستقيم مباشر بين البحرين (٢)

ولما انتهت الرحلة في ١٥ يناير ١٨٥٥ بعد أن استمرت ثمانية أسابيع (٣) ترك دى ليسبس كبيرى المهتمين بصفان تقريرهما وأحمر من الإسكندرية في ٢٧ يناير إلى القسطنطينية بالتمس تطبيق السلطان عبد المجيد على عقد الامتياز، ولكنه لم ينجح بسبب المعارضة الإنجليزية لمشروع القناة، وقد حمل لواعها في القسطنطينية السير مترادفورد دى ردكليف Sir Stratford de Redcliffe سفير إنجلترا هناك، فعاد إلى مصر.

وفي تلك الأثناء كان ليتان بك وموجل بك قد مرغا في ٢٠ مارس ١٨٥٥ من إعداد تقريرهما الذى عرف باسم «المشروع الابتدائى لشق برزخ السويس من إحداد تقريرهما الذى عرف باسم «المشروع الابتدائى لشق برزخ السويس القناة على خط مستقيم بين البحرين المتوسط والأحمر، ووضع مواصفة لآرعة الماء العذب تخرج من البسل إلى منطقة القناة نستعمل في أغراض الملاحة البحرية وشفون الرى». وقلنا المدة اللازمة لإنجاز المشروع بست سنوات ونفقات تنبئها بمبلغ مائتى مليون فرنك (٤).

وانفق دى ليسبس مع سعيد على تكوين لجنة علمية دولية تتكون من أساطين

---

(١) يوميات ١٨ ديسمبر ١٨٥٤ في الجزء الأول.

De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents pour servir à l'histoire du Canal de Suez, Paris (5 vols.) (1875-1881)

(2) Desplaces Ernest : Le Canal de Suez, Épisode de l'histoire du 19ème siècle, Deuxième édition, Paris, 1859, p. 24. Voir aussi

Bertrand Alphonse et Emile Ferrier Ferdinand de Lesseps. Sa vie. Son oeuvre, Paris, 1887, p. 68.

(٣) نجد يوميات من عام الرحلة في

De Lesseps F. : Origines etc., ouvr., cit., pp. 65-84.

(4) De Lesseps F. : Percement de l'Isthme de Suez Exposé et Documents Officiels. Paris, 1856, t. II, pp. 67-214.

المنظمة في دول أوروبا لدراسة تقرير لبنان بك وموجل بك (١) . وأقنع  
 دي لسبس إلى فرنسا بتمس تأييد الإمبراطور وحكومته ، ثم ذهب إلى  
 إنجلترا محاولا التغلب على معارضة الحكومة الإنجليزية لمشروع القناة . وانهز  
 فرصة وجوده في أوروبا فكوّن اللجنة العلمية وصممت أعضاؤه يمثلون سبع  
 دول (٢) قامت حكوماتهم باختيارهم (٣) ، عدا إنجلترا التي رفضت تلبية  
 نداء دي لسبس فقام بنفسه باختيار الأعضاء الإنجليز

وجاء خمسة من أعضاء اللجنة إلى مصر بحجة دراسة المشروع على الطبيعة  
 وجمع المعلومات اللازمة . وانضم إليهم لبنان بك وموجل بك وبارتلي  
 سانت إيلير Barthelemy Saint-Hilaire عضو المعهد وقد عين سكرتيرا عاما  
 لشركة القناة فيما بعد . ومن الغريب أن دي لسبس دعا كثيرا من أصدقائه  
 بمعارفه إلى السفر إلى مصر مع أعضاء اللجنة حتى ضاقت بهم السفينة أوزيريس  
 Osiris التي أفلتهم إلى مصر . ويقول ليسان بك إنه لو استجاب جميع  
 الذين وجهت إليهم الدعوة لطلب الأمر استئجار عدة سفن يجرون عليها  
 إلى مصر ولازدحمت بهم جميع فتادق مصر (٤) . ولم يكن دي لسبس من  
 رجال المال حتى يستطيع استضافة هذا العدد الضخم من المدعوين . ولكنه  
 كان يعتمد على كرم صديقه سعيد باشا ، وكان يعلم أنهم سيزلزون في رحاب  
 الوالي ، وأن مصر هي التي تتحمل نفقات هذه الزهرة ، فخزانة الوالي في ذلك  
 الوقت هي خزانة الحكومة . وما أن بلغ المركب مصر في ٨ نوفمبر ١٨٥٥ حتى  
 أضفى عليهم سعيد الكثير من مظاهر التقدير والتكريم فوضع تحت تصرفهم

(١) أنظر تقرير أرسله دي لسبس إلى سعيد باشا بتاريخ ٣٠ أبريل ١٨٥٥ في

Voisin Bey, ouvr., cit., t. I, pp. 30-33.

وقد جاءه الرمن سعيد في ١٩ مايو ١٨٥٥ بالمرافقة عليه .

(٢) فرنسا وإنجلترا والهند وأستراليا وإيطاليا (سربيليا) وهولندا وبروسيا .

(٣) أنظر طريقة تأليف تلك اللجنة وإسما أعضائها والوظائف التي كانوا يشغلونها في

Desplacés Ernest, ouvr., cit., pp. 55-57.

(٤) Liguat de Bellefonds Bey, ouvr., cit., pp. 241-242.



كل ما يطلبونه من سمن نيلية وقطر حديدية وموظفين وحكم (١) لأنهم  
 « أناس مريحو الحاضر » (٢) ومنح لهم أعياداً إضافية قدر « ثلاثمائة ألف  
 فرنك (٣) أى ما يقرب من اثني عشر ألف جنيه، وهو مبلغ جسيم بالنسبة لقبعة  
 النقد في ذلك الوقت . واستقبل أعضاء اللجنة في القلعة السعيدية بالفتيات  
 الخيرية استقبالا رافعا، وقال له دى لسبس «إنكم تعاملون هؤلاء السادة كأنهم  
 رموس متوجة » فأجابته سعيد « نعم بلاشك . إن هؤلاء السادة رؤوس  
 توجها العالم » (٤) ودعاهم سعيد إلى الرحلة التقليدية لزيارة آثار مصر في  
 الوجه القبلي على سفن الحكومة ولقضاء شطر من الشتاء في صعيد مصر (٥). وانتقد

(١) محفوظات قصر حايين دفتر رقم ٥٠٢ ص ٢٢ من ٦٧ بند محافظة الاسكندرية  
 المادة رقم ٦٨٩ مسلسل و ٢٠ أصل في ٩ ربيع أول ١٢٧٢ (١٩ نوفمبر ١٨١٤) وردت في ١٠  
 منه - وكذلك نفس القدر من ٦٠ بند التهورات . المادة رقم ٦٢٧ مسلسل في مرة ربيع أول  
 ١٢٧٢ وكذلك من ٧٤ نفس القدر بند محافظة اسكندرية المادة رقم ٧٦ مسلسل و ١٤ أصل في  
 ١٧ ربيع أول ١٢٧٢ وكذلك من ٦٧ نفس القدر بند محافظة اسكندرية المادة رقم ٦٩١ مسلسل  
 و ٣٥ أصل في ١٠ ربيع أول ١٢٧٢ وردت في ١٤ منه . وكذلك من ٨٠ نفس القدر بند  
 محافظة اسكندرية المادة رقم ٨٢٨ مسلسل و ٥٩ أصل بتاريخ ٢٩ ربيع أول ١٢٧٢ وردت في  
 مرة ربيع آخر ١٢٧٢ (١١ ديسمبر ١٨٥٥)

(٢) محفوظات قصر حايين دفتر رقم ٥٠٤ ص ٢٦ من ١٦ أمر رقم ١٠١ مسلسل  
 و ١٥ أصل في ٢٩ صفر ١٢٧٢ .

(٣) بحاضرة ألقاما هي ليس في ٢٦ يناير ١٨٦١ في لائحة شارع La Palix بأريس نشرت  
 في جريدته L'Isthme de Suez العدد ١٩ الصادر في ١٥ مايو ١٨٦١ مجموعة الستة الخامسة.

(٤) بحاضرة ألقاما هي ليس في ٢٢ يونيو ١٨٦٢ في ملوج كلية الطب بأريس ونشرت  
 في جريدته L'Isthme de Suez العدد ١٤ الصادر في أول يوليو ١٨٦٢ مجموعة الستة الخامسة  
 (٥) تذكر بعض المراجع الفرنسية تبريرا لرحلة أعضاء اللجنة في الصعيد أهم قنارها بسا  
 استجابة لرغبة سعيد باشا في دراسة شؤون الري والتوسع في الاستفادة من مياه النيل . انظر .

Ernest Desplaces, ouvr., cit., p. 59.

Marius Fontane, Le Canal Maritime de Suez. Histoire du Canal  
 et des Travaux Paris, 1869, pp. 15-18.

وقد تحيط مصدر فرنسي آخر في ذكره بواحد تلك الرحلة فقال (إنهم ذهبوا إما لدراسة بعض المسائل  
 التي تحصل بخلاف قناة السويس المستقلة وإما لدراسة نظام الري في مصر .

لبيان بك هذا التصرف وتساءل عن الفائدة التي عادت على مصر من هذه الزمة التي راقهم فيها وقال عنها : إن الموائد التي منبت للصيوف طوال الرحلة قد حوت أطيب أنواع الخمور وأشهى المأكولات بكيات وفيرة (١) وبعد مضي أكثر من شهر على قفومهم بنأوا في المهمة التي من أجلها حضروا ، فزاروا منطقة القناة زيارة عابرة من السويس متجهين شمالا إلى البحر المتوسط (٢) . ثم استقلوا الباخرة المصرية « النيل » إلى الإسكندرية فبلغوها في أول يناير ١٨٥٦ . وفي اليوم التالي قدموا إلى الوالي تقريراً موجزاً ضمنوه النتائج العامة لرحلتهم ، وقرروا أن سفر القناة على خط مستقيم هو الحل الوحيد للموضوع وأن تنفيذها سهل ونجاحها مؤكد وأن تكاليف إنشاء القناة والأعمال المتصلة بها لا تتجاوز ٢٠٠ مليون فرنك على ما ذهب إليه كبار مهندسي الحكومة المصرية في تقريرها (٣) .

ولم تمض ثلاثة أيام حتى استصدر دي ليس من سعيد باشا في ٥ من يناير ١٨٥٦ وثيقتين هامتين هما عقد الامتياز الثاني وقانون الشركة الأساسي ، مما يدل دلالة قاطعة على أن هاتين الوثيقتين كانتا معدتين لتوقيع سعيد باشا عليهما قبل أن تقدم اللجنة تقريرها الموجز إليه . (٤) لا يغفل أن يوضع عقد الامتياز التالي متضمنا ٢٣ مادة (٥) وقانون الشركة الأساسي حاسوبا ٧٨

(١) Linsat de Nelfonds, ouvr., cit., p. 243.

(٢) انظر وصفا تفصيليا لتلك الرحلة في

Ernest Desplaces, ouvr., cit., pp. 61-73.

(٣) انظر نص تقرير اللجنة التشريعية في كل من

De Lesseps J. Percement etc., ouvr., cit., t. II, pp. 139-141.

Charles Roux J. L'Isthme et le Canal de Suez. Historique. Etat actuel. 2 volumes. Paris, 1901, t. I pp. 445-448.

Marius Fontane, ouvr., cit., pp. 15-18.

Vahia Bey, ouvr., cit., t. I, pp. 54-55.

(٤) انظر نص عقد الامتياز الثاني في

De Testa, ouvr., cit., t. II, p. 93 et suiv.

-Gelat Bey, ouvr., cit., t. I, p. 448 et suiv.

Charles Roux J., ouvr., cit., t. I, p. 442 et suiv.

مادة (١١) في خلال يومين . وللمحظ الثاني الذي نسجله هنا هو أن دى لبس كان على علم تام بقرار اللجنة قبل إصداره بل وقبل قدوم أعضائها إلى مصر وزيارة منطقة القناة . لهذا التسلسل السريع للحوادث منذ قدوم بعض أعضاء اللجنة إلى مصر وزيارتهم العابرة لمنطقة البرزخ وتقديم تقرير موجز لفائدة متضمنة نتائج دراسة خاطفة ثم مبلور عقد الامتياز الثاني وقانون الشركة الاساسى كل ذلك أبلغ في الدلالة على أن الأمر لم يكن سوى تخيلية أعدتها دى لبس مع أعضاء اللجنة في أوروبا للتمويه على سعيد . وأن النية كانت مبيتة على اغتيال حقوق مصر وأموالها وجهود شبابها والإستيلاء على مساحات شاسعة من أراضيها الزراعية والصحراوية .

١ . ٠ . ٠

ويلاحظ على عقد الامتياز الثاني من الناحية الشكلية أنه ينقسم إلى قسمين : القسم الأول وأطلق عليه الالتزامات ويتكون من تسع مواد ، والقسم الثاني ورسمى الامتيازات ، ويتكون من أربع عشرة مادة وكانت امتيازات الشركة ترجع بطبيعة الحال التزاماتها وتفوقها كما وكيفا .

وقد نص في باب الالتزامات على أن تقوم الشركة على نفقها وبمحت مسؤوليتها بكافة الأعمال والمنشآت اللازمة لحفر قناة للملاحة البحرية الكبرى . وحفر ترعة للماء للربط النيل بالقناة الملاحية وتستعمل في أغراض الري والملاحة النهرية ، وتضرع قبيل وصولها إلى بحيرة القنساس إلى فرعين

Voinin Bey ouvr., cit., t. I, p. 56 et suiv.

Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez . (Notice et Renseignements Généraux (2ème partie) Paris. 1886, p. 7 et suiv.

Murrau Paul . L'Egypte Contemporaine, p. 272 et suiv

(١) أنظر لى قانون الشركة الاساسى في

De Laseps F . Perceement de l'isthme etc. ouvr., cit., t. II. p. 291 et suiv

٢٠ Compagnie du Canal de Suez. Notice etc. ouvr. cit., p. 18 et suiv.

رى والتفدية ، ويوجه أحدهما شمالا إلى القرما والثاني جنوبا إلى السويس .  
 وحددت المدة اللازمة لإنجاز هذه الأعمال بست سنوات مالم تحدث قوة القاهرة  
 تحول دون ذلك . وكانت المادة الثانية في هذا العقد من أهم المواد إذ نصت  
 على أن عمد العمال المصريين الذين تستحلهم الشركة يجب أن يكون على الأقل  
 أربعة أخماس مجموع العمال . وستكلم عن أهمية هذه المادة عقب هذا العرض  
 السريع لبقية مواد العقد . والتمت الشركة بتحويل بحيرة النضاح إلى ميناء  
 داخلي صالح لاستقبال أكبر السفن حجما ، وإنشاء ميناء لوقاية السفن عنتمخل  
 القناة في البحر المتوسط ومحسين ميناء السويس وممراسها حتى تستطيع السفن  
 الاحتماء فيها . كما أكد العقد حق الشركة الذي منح لها في العقد الأول وهو أن  
 تبيع مياه النيل لأصحاب الأراضي الواقعة على حافتي ترع الماء العذب التي  
 ستقوم الشركة بحفرها ويرغبون في رى أراضيهم بواسطة مآخذ مياه من هذه  
 الترع . هذه هي أهم الالتزامات التي تقيدت بها الشركة في عقد الامتياز  
 الثاني . أما باقي الالتزامات فتتناول مسائل هنية وإدارية كتعيين خط سير  
 قناة السويس وترعة الماء العذب وتعيين منسوب للحكومة المصرية لدى إدارة  
 الشركة بمحافظ على حقوق الحكومة وتمتعها بالشركة مرتبه .

وكان أول امتياز ورد في العقد في باب الامتيازات هو الأراضي الشاسعة  
 التي منحها الحكومة المصرية للشركة بدون مقابل (١) ، وكللك الحق في

---

(١) جمعت هذه الأراضي على نوعين : النوع الأول ويشمل الأراضي التي تمنحها الحكومة من أجل إنشاء قناة السويس وترعة الماء الطيب بفرعها ، وتمتلك الشركة بحق استغلال جميع الأراضي اللازمة لذلك والتي لا تكون ملوكة للأفراد وذلك بدون أن تدفع بها فرائب أو إتاوات . أما النوع الثاني فنص العقد على أن تترك لها الحكومة حق استغلال جميع الأراضي غير المزروعة وتنتد والتي لا تكون ملوكة للأفراد ويصير دينا ووزارعتها بحرفة الشركة وعلى نفقتها ، على أن تدفع هذه الأراضي من أية ضريبة لمدة عشر سنوات تبدأ من تاريخ استغلالها ثم تخضع طيلة تسع وعشرين سنة ، وهي المدة الباقية على انتهاء الامتياز ، للالتزامات والفرائب التي تخضع لها في ظروف مماثلة لأراضي المديرية الأخرى في مصر . فإذا انقضى أجل الامتياز احتضنت الشركة ، هي واللى ينطقون حقوقهم بها ، بحق استغلال هذه الأراضي ومآخذ المياه اللازمة لإحصائها بشرط أن يعلموا بها الحكومة المصرية لفرائب المفروضة على الأراضي الأخرى الموجودة في نفس هذه الظروف .

استخراج جميع المواد اللازمة لعمليات وصيانة المبانى والمنشآت التابعة للمشروع من المناجم والهياجر الأميرية طوال مدة الامتياز وذلك بدون أن تدفع أية صرية أو رسم أو تمويض . كما تستع الشركة بحق الإعفاء الجمركى على جميع ما تستورده الشركة من الخارج من الآت ومواد أيا كانت بما يلزم لمصالحها المختلفة وأثناء إقامة المبانى أو الاستغلال وقرر معيد باشا عن نفسه وعن خلفائه أن يحكم مصر أن تكون قناة السويس بموانئها التابعة لها طريقاً مفتوحاً دائماً ومحلياً لجميع السفن التجارية التى تحتاز القناة من بحر إلى بحر بدون أى تمييز أو تفضيل للأشخاص أو الجنسيات في مقابل دفع الرسوم وتفيذ الواجبات التى تضعها الشركة لاستخدام القناة وتوابعها .

ونص أيضا على أن مدة الامتياز هى ٩٩ سنة تبدأ من تاريخ افتتاح القناة للملاحة البحرية الكبرى ، وعند انتهاء أجل الامتياز تستولى الحكومة المصرية على قناة السويس وأن تسلم أيضا جميع المواد والمهمات المخصصة للخلاصة البحرية في هذه المؤسسة على أن تدفع قيمة ذلك للشركة بعد تقديرها بمواء بالطرق الودية أو بواسطة خبراء على أنه إذا احتفظت الشركة بالامتياز لمدة متتالية كل منها تسعة وتسعون عاما فإن حصة الحكومة في صافي الأرباح وهى ١٥٪ ترتفع عن المدة الثانية إلى ٢٠٪ وعن المدة التالية إلى ٢٥٪ وهكذا ترتفع هذه الحصة بمقدار ٥٪ عن كل مدة على ألا تتجاوز هذه الحصة بأية حال من الأحوال ٣٥٪ من أرباح الشركة الصافية

وأذنت الحكومة للشركة ، بمنجبة تمويصها عن نفقات البناء والصيانة والاستغلال ، في أن تقرر وتتحصل طوال مدة امتيازها رسوما على مرور السفن ولإرشادها ومسحها وجرها ووقوفها عند مرورها في القنوات والموانئ

وقد نص أيضا على أن تسلم الحكومة لشركة عند الإقتضاء الإراضى المملوكة للأفراد التى تكون هناك ضرورة لجيازتها من أجل تغطية الأعمال والاستغلال الامتياز ، على أن تدفع الشركة تمويضات عادلة لأصحاب هذه الأراضى بالطرق الودية فإذا نشأ راج حول قيمة التمويضات تشكل هيئة تحكم من ثلاثة أعضاء يختار الشركة أحدهم ، ويختار دور المصلحة ثلثهم ، وتعين الحكومة ثالثهم ، وتكون اجراءات هذه الهيئة مستمرة وقراراتها نافذة في الحال وغير قابلة للطعن .

الخاصة لها ، و ذلك على أساس تعريفه يكون للشركة حق تعديلها في كل وقت  
 بشرط أن تحصل الرسوم من جميع السفن بدون أى استثناء أو تفضيل ، وأن  
 تعلن التعريفه قبل تنفيذها بثلاثة أشهر في عواصم الدول التى يهملها الأمر وفى  
 أهم ثغورها التجارية ، وألا تتجاوز فيما يخص برسم الملاحة الخاص هذا أقصى  
 هو عشرة فراكات من كل طن بحرى من حمولة السفينة ومن كل فرد  
 من الركاب . وترك العقد توزيع الأرباح بنفس النسبة التى وردت في العقد  
 الأول سواء بالنسبة للحكومة المصرية أو الأعضاء المؤسسين أو حملة الأسهم .  
 ونص العقد على أن يعين دى لميس رئيساً ومديراً لشركة القناة لمدة عشر  
 سنوات تبدأ من يوم سريان مدة الامتياز . وفى المادة الأخيرة وهى الثالثة  
 والعشرون نص على أن تلغى جميع النصوص الواردة في عقد الامتياز الأول  
 والتى تتعارض مع مواد العقد الثانى الذى يصبح أساس العلاقة بين الحكومة  
 المصرية والشركة .

وفى نهاية العقد احتفظ سعيد بنفس الشرط الحتمى الذى ورد في عقد  
 الامتياز الأول وهو ضرورة تصديق سلطان تركيا على عقد الامتياز ، وعلى الرغم  
 من أن سعيداً قد أذن لدى لميس في سياق هذا الشرط الحتمى في أن يباشر  
 إنشاء الشركة المالية إلا أنه نص وقرر صراحة أن الشركة تباشر الأعمال الخاصة  
 بحفر برزخ السويس عند ما يصدر تصريح بها من الباب العالى إلى سعيد باشا

• • •

بعد أن أثبتنا على موجز لعقد الامتياز الثانى تعود إلى الوصي الذى أخذته  
 مشكلة الأيدى للعامة بصور هذا العقد ، فنقول إن المادة الثانية منه تعرضت  
 لتلك المشكلة فنصت على أنه : « للشركة الحق في تنفيذ الأعمال المنوطة بها  
 بمفرقها أو بواسطة مقاولين تعطى لهم هذه الأعمال بالمناقصة العامة أو بالممارسة .  
 وفى جميع هذه الحالات يكون على الأقل أربعة أخماس العمال الذين يستخدمون  
 في هذه الأعمال من المصريين » .

وقد يظن البعض أن الهدف من وضع هذه المادة هو حماية العمال المصريين ٢٨

على حساب المال الفرنسيين ، ومن إليهم من الأجانب ، وذلك بفتح آفاق رحبة أمام الشعب المصري للعمل في تنفيذ المشروع ، ولكن كان هذا آخر شيء يفكر فيه مستعمر أوروبي من الطراز الأول على شاكلة دي لمبس ، ويزيد في توة هذا الظن الخاصي ، أن هذه المادة وردت في عقد الامتياز تحت عنوان التزامات الشركة . وكانت هذه براءة طائفة من دي لمبس ، لأنه وضعها في غير مكانها الحقيقي من العقد ، ولأن ظاهرها غير باطنها . فالفرص الخفي من هذه المادة هو خدمة الشركة أولا وآخرها ، إذ كان يتملذر على الشركة أن تستقدم أقواجا هائلة من المال الأوروبيين يقيمون في صحراء البروخ لتنفيذ المشروع في مراحله الأولى ، وذلك للأسباب التي أوردناها في الفصل السابق . وقد ذكر أحد رجال القانون الإنجليز أن هذه المادة ولو أنها جاءت في باب الالتزامات إلا أنها تعتبر في الحقيقة امتيازاً سخياً للشركة ، إذ لولا وجود هذه المادة لكان تنفيذ المشروع صعباً إذ لم يكن مستحيلاً (١)

والواقع أن هذه المادة تهدف في حقيقتها وجوهرها إلى تحقيق أغراض سياسية ومكاسب مادية للشركة . أما الأغراض السياسية فتتلخص في القضاء على المعارضة الإنجليزية من ناحية المال الأجانب وتبديد شكوك تركيا من أهداف فرنسا وسعيها السياسية . وقد كشفت جريدة L'Estime de Suez لما بعد عن الأغراض السياسية التي استهدفت من وضع هذه المادة ، وكان مما جاء في مقالها ولا يخفى أن وضع المادة الثانية أريد به دفع الإتهامات عن سعيد باشا وتحرير مركزه . تلك الاتهامات التي بروجها البعض من أنه يرمي إلى حركة استقلالية أو تعريض أملاك الدولة العثمانية لخطر الضياع (٢) .

ولكن لم تحقق المادة الثانية في الواقع أغراضها السياسية ، لأنه إذا كانت انجلترا قد كتبت بعد صلور عقد الامتياز الثاني عن معارضة المشروع على أساس مسألة المال الأجانب فلإنها مضت في سياستها العدائية نحو المشروع متلذزة

(١) Charles Lamb Kenney, Barrister at Law., ouvr., cit., pp. 24-25

بأسباب أخرى كإسراف الشركة في الاعتماد على نظام السخرة في حفر القناة أو استحالة حفرها في صهراء البرزخ بسبب الصواصف الرملية (١) ، أو خطورة الملاحة في البحر الأحمر مما يعرض للسفن التي تستخدم القناة إلى الغرق فيه (٢) ، أو أن القناة لن تدور أرباحاً مالية تذكر (٣) ، أو أن مصب القناة في البحر المتوسط سيخمره طمي النيل الذي يحى به مياه فرع دمياط فيدفعه التيار الساحلي نحو بورسعيد (٤) . هذا فضلاً عن الأسباب السياسية الأصيلة التي أوجزناها في الفصل السابق .

أما الغرض الثاني من وضع هذه المادة وهو تحقيق كسب مادي للشركة فقد كانت هذه المادة ركيزة قوية لها في تنفيذ المشروع ؛ جعل منها دى ليس أساساً لنظام السخرة في حفر القناة . ورتب عليها ، وفروع منها ، حقوقاً جديدة للشركة صاغها في لائحة سيث ؛ لائحة استخدام العمال الوطنيين ( المصريين ) في أعمال قناة السويس ، استصدرها من صديقه محمد سعيد في ٢٠ من يوليو ١٨٥٦ . وتبديلاً لهذه المادة وتطبيقاً لهذه اللائحة سيق المصريون إلى ساحات المحرق زمراً لشق قناة السويس . وقد بلغ عدد المصريين الذين أكرهوا على الحفر خلال عام ١٨٦٢ - وهي السنة التي شاعلت أكبر حشد آدمي في تاريخ الشركة - ربع مليون مصري ، وهو عدد رهيب بالنسبة لتعداد مصر الذي بلغ في تلك السنة ١,٨٤٣,٠٠٠ نسمة (٥) .

(١) L'Isthme de Suez العدد ٩٥ الصادر في أول يونيو ١٨٦٠ من مجموعة السنة الخامسة .

(٢) غرقت الباعرة Alma من بواخر شركة P.O على مقبره من جده في أواخر عام ١٨٦٠ . أنظر L'Isthme de Suez العدد ١٠٥ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦٠ من مجموعة السنة الخامسة .

(٣) L'Isthme de Suez العدد ٨٥ الصادر في أول يناير ١٨٦٠ من ص ١ - ٢ مجموعة السنة الخامسة .

(٤) L'Isthme de Suez العدد ٨٩ الصادر في أول ١٨٦٠ من ص ٦٦ - ٦٩ مجموعة السنة الخامسة .

(٥) De Makulie Baron Egypt, Native Rulers and Foreign Interference, 1882, p. 144.



وكانت الشركة عند تنفيذ المشروع تنظر إلى هذه المادة بمثابة رأس مال آخر لها ، فإنه لما اُجتمعت النزاع في سنة ١٨٦٣ . ١٨٦٤ بين الحكومة المصرية وبينها حول إلغاء السخرة في حصر القناة ومساكن أخرى ، قبلت الشركة بعد لأي مبدئياً إلغاء السخرة ، ولكنها طالبت في مقابل إلغاء اللائحة التي تفرعت عن المادة الثانية تعويضاً مالياً قدره سبعة وخمسون مليون فرنك (١) في حين أن رأس مالها كان مائتي مليون فرنك . وقد حكم لها امبراطور فرنسا بمبلغ ٢٢,٥ مليون فرنك (٢) . وهكذا كانت المادة الثانية حيزاً وبركة على الشركة - فقد أتاحت لها ، عند تنفيذها ، مورداً هائلاً استطاعت به الحصول على مشات الألوف من العمال المصريين ، كما كانت السع الذي استقت منه ملايين الفرنكات عند إلغائها .

وفيما عدا المادة الثانية لم يصرح العقد الثاني في شيء لمشكلة الأيدي العاملة سوى أن المادة الثانية والعشرين منه أكدت العهد الذي جاء في عقد الامتياز الأول والذي ينصب على وجوب مساعدة الحكومة المصرية في تنفيذ المشروع . فجاء في هذه المادة مايل : كدليل على الأهمية التي نعلقها على نجاح المشروع بعد الشركة بمساعدة الحكومة المصرية مساعدة تقوم على الإخلاص ، ويدعو بهذا مواطني ومندوبي جميع المصالح الحكومية لإعطاء هذه الشركة كل مايمكن من مساعدة وحماية ، ويكون لمهندسينا لبنان بك وموجل بك اللذين نضعهما تحت تصرف الشركة للإشراف وإدارة الأعمال التي تقوم بها هذه الشركة الحق في المراقبة العليا على العمال ، وعليهما أن يسهرا على تنفيذ الواجبات الخاصة بمحسن سير العمل .

• • •

(١) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc. ouvr., cit. I. IV, pp. 447-471.

(٢) يقع في سلاً معظم المذكرتين والكتابتين كتيوا في تلويخ القناة إذ يقررون أن لجنة الحكماء قد حكمت بثمانية وعشرين مليون فرنك في مقابل إلغاء السخرة في حصر القناة والواقع أنها قدرت بـ ٢٢,٥ مليون فرنك تعويضاً للشركة في مقابل ذلك الإلغاء . انظر شرح هذه المسألة في الفصل الخاص بأجر العمال .

لم يقنع دى لسبس بهذا الكسب الذى أصابه فى عقد الامتياز الثانى وأراد أن يظفر بكسب جديد تفريعا على المادة الثانية ، إذ كان قد وطد العزم على أعمال استخدام آلات ميكانيكية فى عمليات الحفر على الجبال ، علافا لما كان يصرح به فى مذكراته وخطبه ، وعول على الاستعانة بألاف مؤلفة من المصريين يسخرهم فى شق القناة بأجور زهيدة للغاية يدفعها لبعضهم حينما ويمتدح عى دمهنا أحيانا . والشركة لا تستطيع أن تحصل على ما يتبعه من تمجير أفراج غريبة العاد من للشعب المصرى دون أن تنال مساعدة من الحكومة المصرية بتدخلها فى جميع الأعمال

وكان تدخل الحكومة بلطم المال أمرا مألوفا فى ذلك الوقت وكثيرا ما جرى عليه العمل فى مصر ، مع طارق واحد ، هو أن الحكومة كانت تجمع المال لتنفيذ مشروعات تقوم هى بها من أجل المصلحة العامة كحصر الترع أو مد الخطوط الحديدية أو اصلاح جسور النيل درءا لأخطار فيضان عال . فالسخرة يمكن اعتبارها من هذه الناحية نوعا من الضرائب لأن الضرائب قد تؤدى نقدا أو عينا أو عملا . والحالة الاقتصادية السائدة فى أى بلد هى التى تحدد الأسلوب الذى تؤدى به الضرائب (١) .

وقد أراد دى لسبس أن تتدخل الحكومة بلطم مئآت الألوف من المال المصريين وأكرأهم على العمل فى حفر القناة وهذا هو وجه الخطأ ، لأن مشروع القناة يحضخ للقانون العام ، ويتربط على ذلك أن تكون الشركة هى المكلفة بالقيام بنفسها بتدبير وسائل تنفيذ المشروع ، فحصل على جميع العمال الذين

---

(١) قد تؤدى الضرائب فى عدة صور ثلاث مجتمعة تبعا لحالة التاجر الاقتصادى والاجتماعى ولاشك أن خير جميع هو الذى يؤدى ضرره لعدا . ولكن كانت السلطة المتعاقلة وقتئذ فى مصر قليلة وكان العمل المأجور من الحكومة غير مألوف ، وكان حفظ الترع فى مشربها الضرورى أمرا لا مراء منه إذا أريد تجنب الزواطة وهى قوام الحياة الاقتصادية فى مصر . ولذلك نرى أن السخرة فى المشروعات الحكومية كانت وقتئذ أمرا لا مراء منه فى مصر . ولكن حدث أن أسوء استخدام السخرة وخاصة فى عصور الاستعداد إذ كاد ولاة الأمور فى مصر من الحاكم إلى شيخ البلد يسفرون الفلاحين فى مرادهم الخاصة وراء منار الضرورة العامة

تطلبهم عمليات الحفر وفق الطريقة الحرة ، التي تقوم على حرض من منسوب الشركة وقوله من ناحية العامل بعد الإلتحاق على الأجر وساعات العمل وما إلى ذلك. وبتقرير هذه الحقيقة تهاوى مزاعم بعض الفرنسيين من أنصار دى ليس الذين حاولوا تبرير تدخل الحكومة لجميع العمال من أجل شركة القناة بأنه لئن من ألوان المساعدة الخاصة فلمها سعيد إلى الشركة في صورة السخرة

(1) C'était une espèce de subvention spéciale, sous forme de corvée.

وقد أراد دى ليس أن يسجل تدخل الحكومة لجميع العمال من أجل حصر القناة -- في وثيقة رسمية يستصدرها من سعيد تأمينا لمصالح الشركة .

ولم يكن عليه إلا أن يتصيد فرصة أو يخلق مبرراً لكي يظفر بالوثيقة التي يشهدها ، ولم يكن هذا بالأمر العسير على دى ليس . فقد هبط فجأة إلى مصر حيث كان محمد سعيد بصطاف في الإسكندرية ، وأبلغه أن أعضاء اللجنة العلمية الدولية قد عكفوا جميعاً ، منذ حردة زحلاتهم من مصر إلى أوروبا ، على وضع تقرير مفصّل شامل لمراحل تنفيذ مشروع القناة وتنفقاته ، ولكنهم بعد أن قطعوا شوطاً بعيداً في المهمة استحال عليهم إنجازها ، لأنهم ، وهم أساطين الهندسة في العالم ، لا يضعون تقديراتهم جزافاً ، بل على أسس علمية ثابتة . وهم لا يستطيعون أن يقدروا نفقات المشروع تقديراً دقيقاً إلا إذا عرفوا مقدماً وبطريقة أكيدة الوسائل التي تحصل بها الشركة على العمال المصريين ، والأجور التي يتناولونها من الشركة ، ووسائل إحاشتهم في الصحراء إلى غير ذلك من المسائل الوثيقة الصلة بتنفيذ المشروع .

ومرة أخرى يخدع محمد سعيد بهذه الحيلة . ولا بد أن تذكر هنا تقريراً لواقع أن العقليتين كانتا غير متكافئتين ، فمحمد سعيد كان ذا عقلية مترسطة وذكاء محدود وأفق ضيق ، يعوزه التجبر والروية

(1) Amedée Marteau : Le Canal de Suez, Sa construction. Son exploitation, Paris, 1887, p. 16.

والخبرة بالحياة والأساليب الدبلوماسية ، وكان يستهويه المنيح والثناء والحبلى  
 فى موضوع عقلته الشخصية وأن التاريخ سيخط مآثره على الإنسانية والخطابة  
 على مر الأقطاب وتغاقب الأدهار . أما دى ليس فكان ذا عقل منفتح  
 الجوانب وحب الآفاق ، أوتى نصيباً موفوراً من الذكاء والمرونة والدهاء  
 والقدرة على الخداع ، كما كان خيراً بعدادات أهل المشرق وحكامه ،  
 عرف نطق الضمير فى سعيد فأفاد منها إلى أبعد الحدود ، استجاب محمد  
 سعيد لرغبة دى-ليس وأصدر من الاسكندرية فى ٢٠ من يوليو ١٨٥٦  
 لائحة عرفت باسم اللائحة استخدام العيال الوطنيين فى أشغال قناة السويس (١)  
 وهكذا غدا سعيد باشا أداة طيعة فى يد صديقه دى ليس الذى ظفر  
 بالوثيقة الرسمية الرابعة فى أقل من عامى بعد صدور عقد الامتياز الأول  
 ثم الثانى ثم قانون الشركة الأساسى وضمت شركة القناة بهذه اللائحة  
 مورداً آدمياً هائلاً تمثل فى الشعب المصرى الذى سخره سعيد باشا فى حمر  
 القناة. ويقول كلن إن سعيداً قد جلب الشقاء على الفلاحين بل كان من أكبر  
 العاملين على إمتاسهم سبب امتياز قناة السويس الذى فرض عليهم العسكرة فى أمد  
 حالاتها وأبعدها عن المكافأة (٢) . وما يدل على أن الأمر لم يكن سوى حيلة  
 بارعة من دى ليس هو أن صدور هذه اللائحة لم يغير شيئاً من التفسير  
 الذى وضعته اللجنة العلمية الدولية لنفقات تنفيذ المشروع ، لقد صدر تقريرها  
 الإضافى فى ديسمبر سنة ١٨٥٦ (٣) وتولت فيه نفقات المشروع بمبلغ ٢٠٠  
 مليون فرنك ، وهو نفس التقدير الذى وضعه كبير المهندسين الحكومة المصرية

(1) De Testa, ouvr., cit., t. II, p. 104 et suiv.

Gelat Bey, ouvr. cit., t. I, p. 459 et suiv.

Voisin Bey, ouvr., cit., t. I, p. 100 et suiv.

(2) Colvin : The Making of Modern Egypt, London, 1906, p. 8.

(3) Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez : Rapport  
 de la Commission Scientifique Internationale, Paris, 1858.

بتاريخ ٢٠ مارس ١٨٥٥ قبل أن تصدر اللائحة وقيل أن تمهد فيها أجور العمال ، وهو أيضاً نفس التقدير الذى وضعه اعتباراً أعضاء اللجنة الفرعية الذين قلدوا مصر فى أواخر سنة ١٨٥٥ . ودل التمهيد على أن نفقات المشروع قد تجاوزت ضعف هذا المبلغ إذ بلغت ٤٣٢,٨٠٧,٨٨٢ فرنكاً (١) .

### نشر وتحليل الوثيقة

أول ما يوثق على هذه اللائحة هو التضارب الصارح بين مقلتها وبين المواد التى تضمنتها ، فقد مهد محمد سعيد باشا لها بمقدمة ذكر فيها الأغراض التى توخاها من إصدار اللائحة . وكانت ثلاثة أغراض ، وهى على حسب ترتيبه وضعها :

أولاً : ضمان تمهيد أعمال قناة السويس البحرية . فالاعتبار الأول فى نظر سعيد باشا هو ألا تتعرض عمليات الحفر للاضطراب وكان هذا هو النص الوحيد فى المقدمة الذى ظل محرماً من الحكومة المصرية ، وعلى الأخص منذ منتصف عام ١٨٦١ ونقل تمهيداً دقيقاً صارماً أساسه رعاية مصالح الشركة على حساب مصالح الشعب المصرى .

ثانياً : ضمان حسن معاملة المصريين الذين تستعملهم الشركة . وهذا الفرض قد نسخته المادة الثانية من اللائحة وللخاصة بتحديد أجور العمال كما أن الروح التى سادت تنفيذ اللائحة قد أطلحت هذه الفقرة .

ثالثاً : السهر على مصالح المزارعين والملاك المقاولين الوطنيين . وهذا الفرض قد عكفت به المادة الأولى .

وبعد ذكر هذه الأغراض الثلاثة قرر سعيد باشا أنه أصدر اللائحة بالإتفاق مع دى لبس بصفته رئيساً مؤسساً لشركة القناة . وهذه العبارة توحي بأن دى لبس قد اشترك فى وضع اللائحة بل الأرجح أنه هو الذى انفراد بوضعها جرياً على عادته مع سعيد باشا ، ولأنه سعى فى استئجارها منه . وكانت

الشركة هي صاحبة المصلحة الأولى في هذه اللائحة . وقد أظهر دى ليسبر  
براعة لا مزيد عليها في صياغة مواد هذه اللائحة لسبب واحد هو أنه يجب  
أن يضمنها لفظ السخرة إطلاقاً وإلا كانت بعض موادها تفيض بها  
معنى وروحاً . وهكذا كانت براعة دى ليسبر لا تبرز إلا في مجال الخداع  
والتدليس والتلاعب بالكلمات ليخفى وراءها ما يبيت من تسخير الشعب  
المصرى في حفر القناة . وقد قرر ثلاثة من أعضاء القانون في فرنسا (١)  
في نوفمبر ١٨٦٣ أن الإبقاء على هذه اللائحة إنما هو إبقاء للسخرة ، لأن  
اللائحة والسخرة مرتبطتان ببعضهما البعض بمروءة وثقى لا انفصام لها (٢) .

جاءت بعد هذه المقدمة مواد اللائحة وكانت إحدى عشرة مادة . نصت  
المادة الأولى على أن « تقدم الحكومة المصرية العمال الذين سيمولون في أعمال  
الشركة تبعاً للطلبات التي يتقدم بها كبير مهندسى الشركة وطبقاً لاحتياجات  
العمل » . كانت هذه أحط مادة على الإطلاق في اللائحة ، وظاهر فيها القبح  
الذى يقع على الشعب المصرى إذ كانت مادة مروءة نافلة ، لم تحدد عدد العمال  
ولم تميز حلاً أقصى لمددهم لا يجوز تجاوزه بأية حال من الأحوال ، ولم توزع  
حشد العمال على مواسم الزراعة بنسبة معينة ، بل كان تقديم الحكومة العمال  
المصريين إلى الشركة منوطاً بأمرين : رغبة كبير المهندسين في الشركة وهو  
مستلزم كبير بها يهتم بشئون عمليات الحفر ويؤثر مصالح الشركة على مصالح  
الشعب المصرى . وثانياً حاجات العمل . وقد استغل دى ليسبر مروءة هذه  
المادة وتقصها ، فلم يقنع بعشرين ألف مصرى تحصلهم الحكومة وثقى  
نظام السخرة لحفر القناة ، بل كان يسأل الحكومة لإلحاح أن تبث إلى ساحات

(1) Note consultative pour Son Altesse Ismaïl Pacha, Vice Roi  
d'Egypte, délibérée par M<sup>tres</sup>. Odilon Barrot, Dufaure et Jules Favre,  
en date du 30 novembre 1863.

(2) Le maintien du règlement impliquerait nécessairement le maintien  
de la corvée; l'un est fatalement et nécessairement lié à l'autre.

الحفر بأربعين ألفاً معتمداً على ميول سعيد باشا الطبية نحوه ونحو المشروع . وقد بلغ من استغلال الشركة لهذه المادة أن قرر كبير مهندسي الشركة أنه كان يحصل على العمال المصريين بمجرد طلب بسيط يمث إلى مدير المديرية (١) وهكذا أخضع سعيد باشا مديري المديريات ود نظارة « الداخلية لسلطة مستظلم الرئسي في شركة القنطرة .

وبما هو جدير بالذكر أنه جاءت في نهاية المادة الثالثة من هذه اللائحة فقرة نصت على وجوب مراعاة مواسم الزراعة عند تحديد عدد العمال . ولكن نل هذا النص حبراً على ورق ، ولم تكثرت الشركة بوجوده وتسامح سعيد باشا في تطبيقه ، فكان حشد العمال المصريين يتم في كافة المواسم الزراعية على السواء .

ونلاحظ أيضاً في هذه المادة ناحية هامة جداً هي وجود عنصر الإكراه وهو أهم ما يميز نظام السخرة : الإكراه في جمع العمال ، والإكراه في ترحيلهم إلى ساحات الحفر ، والإكراه في فرض عمل معين عليهم لادخل لإرادتهم في اختياره أو رفضه ، مما يقطع بأن نظام السخرة سيكون الركيزة الأولى التي يقرم عليها نظام العمل في حفر القنطرة .

أما سائر مواد اللائحة فهي في مجموعها وفي ظاهرها تعبد إلى بعض العناية بأمور العمال . حملت المادة الثانية بذكر أمور كثيرة هي أجور العمال ومسائل الطعام وإعداد ماء الشرب ومواعيد دفع الأجور كما عالجت مسألة هروب العمال من ساحات الحفر . حددت أجر العمال بمبلغ يتراوح بين قرشين ونصف قرش وبين ثلاثة قروش في اليوم . وإذا كان سن العامل يقل عن اثني عشرة سنة فيقتاضي قرشاً واحداً في اليوم . وقد ذكرت اللائحة أن هذه الأجور قد حددت على أساس متوسط الأجور التي تدفع في أعمال النير . وهذا هو وجه الخطأ ، لأنه ليس هناك مجال للمقارنة بين عمليات حفر القنطرة وبين أعمال النير . وكان يجب أن تراعى عند تحديد الأجور

ملازمات العمل في حفر القناة من حيث السفر الطويل الشاق المتنوع الوسائل  
والذي يتحمله العمال حتى يبلغوا ساحات الحفر في صحراء البرزخ ،  
والأخطار التي تحبب بهم هناك من قلة مواد التموين وتعلم إعداد أماكن  
لمبيتهم ، وأهم من ذلك ندرة ماء الشرب وتأخر وصوله إليهم ، فهذه الظروف  
المجتمعة تقطع بأن الأجور التي حددتها اللائحة إنما هي أجور بسيطة جدا بالنسبة  
للعامل المصري إذا اشتمل وسط تلك الأخطار ، كما أنها أجور تافهة بالنسبة  
للعامل الأجنبي في وطنه . وتحديد هذه الأجور تقض صريح لما جاء في مقدمة  
اللائحة من ضمان حسن معاملة العمال المصريين .

وقد التزمت الشركة بتقديم الخبز المقدد ( الجراية ) إلى كل عامل بصرف  
النظر عن عمره وقدر ثمن الجراية بقرش واحد ، ونص على أن يسكون  
تقديمها كل يومين أو ثلاثة أيام مقدما ، وكان في مقدور العمال أن يستبدلوا  
بالجراية قيمتها النقدية على شرط أن تتأكد الشركة أن في استطاعة أولئك العمال  
تدبير طعامهم . وقد نصت هذه المادة أيضا على أن تبلغ الأجور نقدا في نهاية  
كل أسبوع . واحتفظت الشركة لنفسها بحق حجز أسبوعين عشرة يوما  
من كل عامل كضمان لعدم تركه العمل ، ثم يستمر صرف الأجور له بعد ذلك  
كاملة . فإذا أجهز كافة الأعمال تناول العامل قيمة المبلغ المحفوظ له بمجازنة  
الشركة . وقد أرادت الشركة بهذا النص معالجة حالة كانت تنوقها وهي هرب  
العمال من ساحات الحفر قبل انتهاء المدة المقررة لبقائهم فيها . وسرى  
أنها قامت بنفس المحاولة للمرة الثانية في هذه اللائحة حين فرضت المادة الخامسة  
عقوبات على العمال الذين يحاولون الهرب . ونستخلص من هذا الاهتمام  
المستند في اللائحة لمنع العمال من الهرب حقيقتين الحقيقة الأولى :

هي . وجود عنصر الإكراه في استخدام المصريين في حفر القناة فهم  
لا يستطيعون ترك أعمالهم في الحفر ، بل أكثر من ذلك تفرض عليهم  
حراسة شديدة أثناء سفرهم من قراهم إلى منطقة القناة لمنهم من الهرب في  
الطريق ، ثم تفرض عليهم مراقبة دقيقة في ساحات الحفر منعا للترائي في



العمل أو الإخلال بالنظام أو الحرب من منطقة القناة (١). والحقيقة الثانية هي أن الشركة كانت تشعر من أول الأمر بأن المصريين سينفرون من العمل في حفر القناة بسبب تفاهة الأجور وقسوة الظروف التي سيعملون فيها وأنهم لن يجدوا ما يفرهم على المضي في حفر القناة .

وفي نهاية هذه المادة تمهلت الشركة بأن تقدم إلى العمال ماء الشرب والماء اللازم لاستعمالهم الخاصة ، وسرى أن الشركة قد نجحت في معالجة مشكلة ماء الشرب وحات المصريون عطشا في ساحات الحفر .

أما المادة الثالثة فقد نصت على ألا يتجاوز إنتاج العامل في الحفر - وهو ما يسمى مقطوعة - الإنتاج المحدد له بمصلحة الطرق والكبارى بمصر والذي طبق أثناء تنفيذ مشروعات الري الكبرى في السنوات الأخيرة . وهذه المادة طارها الرحمة وباعطها العذاب ، فالشركة تتظاهر بأنها حانية على العمال المصريين ولا ترهقهم من أمرهم عسراً ولا تطالبهم بأكثر مما كانوا يؤدونه منذ سنوات خلت في حفر الترع . ولكنها في الواقع كانت تزيد الاستفادة من نظام ينضج بالقسوة ويفتح بالظلم العالي حين نصت الحكومة مشروعات الري الكبرى في مصر الحديثة ابتداء من حكم محمد علي ، إذ كانت الحكومة تكوّن المصريين على حفر الترع من الفجر حتى ميب الشمس تحت وطأة الضرب بالسوط - الكراباج - وكان حفر ترعة الممبودية مثالا يساقى في هذا الصدد (٢) . ومع ذلك فالشركة لم تكثر بهذه المادة واحصت في تحديد إنتاج العمال المصريين في حفر القناة على ما ذهب اليه لبنان بك وموجل بك في تقريرهما المعروف باسم المشروع الابتدائي لحفر برزخ السويس ٢٠٥ مارس ١٨٥٥ إذ قدروا إنتاج العامل المصري في حفر قناة السويس بتر مكعب ونصف متر مكعب من الأتقاضى التي تتخلف عن عملية

(١) أنظر الفصل السابع .

(٢) جدار حفر الحفرق. عجائب الآثار في التراجم والأخبار. أربعة أجزاء. الجزء الرابع من ٣٠٤ - حوادث ٢٤ شوال ١٢٣٤ (٦ أغسطس ١٨١٩) .

الحفر في اليوم الواحد ، أما في حفر ترعة الماء العذب فإن الإنتاج اليومي يرتفع إلى مترين مكعبين من الأتقاض . وقد أخذت اللجنة العلمية الدولية بهذين التقديرين في تقريرها الذي وضعت في ديسمبر ١٩٥٦ وأصبح دستوراً للشركة ، وطلبت من الشركات الهندسية والمقاولين التقدم إليها بعروضهم لتنفيذ المشروع على أساس ما جاء في ذلك التقرير . وعلى ذلك فإن هذه المادة أصبحت حجر ذات موضوع عدد تنفيذ اللائحة .

وقد جاءت في نهاية هذه المادة الفقرة التي ظلت حبراً على ورق وسبق أن تعرضنا لها وهي الخاصة بوجوب مراعاة المواسم الزراعية عند جمع العمال لحضر القناة .

أما المادة الرابعة فقد تعرضت لمسائل الأمن العام في منطقة القناة فذكرت أن أعمال الشرطة في ساحات الحفر يقوم بها ضباط الحكومة ورجالها تحت أوامر كبير مهندسي الشركة وطبقاً لتعليماته . وهنا تكمن خطورة هذه المادة لأنها أخضعت السلطة المصرية المحلية في منطقة القناة لمستخدم فرنسي كبير في شركة القناة وظل الموقف دقيقاً شائكاً طوال حكم سعيد باشا إلى أن صدر قرار بإنشاء محافظة القناة في مارس ١٨٦٣ .

وتعرضت المادة الخامسة لفرض العقوبات على العمال بسبب الإهمال أو الحرب من العمل أو الإخلال بالنظام في ساحات الحفر . وحددت لكل حالة من هذه الحالات الثلاث عقوبة خاصة تناسبها ، فالعامل الذي يبلو منه إهمال في عمله يخصم جزء من أجره حتى ألا يتجاوز الخصم ثلث أجره اليومي ، كما أن الخصم يجب أن يكون متناسباً مع مقدار إهماله في عمله وإنتاجه . وأما العامل الذي يهرب فيفقد أجر الخمسة عشر يوماً المحفوظ له بمزاولة الشركة ، على أن تدفع الأعيارة المبالغ المتجمعة لديها بهذا السبب لحساب المستثنى المقام في البرزخ ، وكذلك يفقد العامل الذي يخل بالنظام في ساحات الحفر أجر الخمسة عشر يوماً ، كما أعطى للشركة الحق ، زيادة على ذلك ، في فرض غرامة عليه تتضاف لحساب المستثنى .

وتناولت المادة السادسة مآلتي سكنى العمال والعناية الصحية لما شرطت أن تقوم الشركة بإسكانهم سواء تحت خيام أو في عنابر أو في بيوت ملائمة، كما فرضت على الشركة إنشاء مستشفى ومراكز إسعاف وأن تتولى الشركة تجميع الأطباء والمستنقلين وأن تزود كلا من المستشفى ومراكز الإسعاف بالأدوية والأجهزة لعلاج المرضى على حسابها الخاص .

ونصت المادة السابعة على أن تتحمل الشركة مصاريف انتقال العمال وعائلاتهم من مكان سفرهم حتى وصولهم إلى ساحات العمل ، ويبدو من هذه المادة الاشارة للشركة بحقوق حودة أولئك العمال مع عائلاتهم إلى قراهم . ومع ذلك فقد أحق سعيد باشا الشركة من عبء ترحيلهم إلى ساحات الحفر وتكفلت الحكومة المصرية بنقلهم على نفقتها سواء في السفن النيلية أو في القطر الحديدية . وقد اشترطت هذه المادة أن تدفع الشركة لكل عامل مريض سواء أكان بالمستشفى أم في مركز الإسعاف ، علا مصاريف العلاج التي تتطلبها حالته ، أجراً يومياً قدره قرش ونصف قرش طوال المدة التي يكون فيها عاجزاً عن العمل .

ونصت المادة الثامنة على أن المصانع الثمين مثل الحدادين والتجارين والتحاتين وغيرهم تحدد أجورهم على أساس الأجر الذي تدفعه الحكومة لهم عن مثل تلك الأعمال في أشتغالها وذلك على الجراية أو ثمنها .

أما المادة التاسعة فقد نصت على أن تدفع الشركة أجوراً ممتازة لرجال الجيش المصري الذين في الخدمة إذا استخلصتهم الشركة في تنفيذ الأعمال .

وتعهدت الحكومة المصرية في المادة العاشرة أن تصرف لشركة جميع المقاطف والقنوس والأدوات اللازمة لنقل الأتربة والمهمات وكذا البارود لعمل الألفام في المحاجر يسر التكلفة على أن تقدم الشركة طلباً توضح به ما يلزمها من تلك الأدوات قبل الميعاد بثلاثة أشهر على الأقل .

وأخيراً عهد سعيد باشا في المادة الحادية عشرة إلى لسان بك وموجسلك بك - وقد وضمهما تحت تصرف الشركة لإدارة الأعمال وتنفيذها - بالمرتبعة ١٤

عليها على العمال وأذن لها في الإضاق مع مدير الشركة لتذليل الصعوبات التي قد تظهر في أثناء تنفيذ ما جاء بهذه اللائحة .

### استمبول دي ليسبس الموعر

كان صلور لائحة العمال كسيا كبيراً للـيسبس وسرعان ما استغلها استقلالاً واسماً تعددت صوره ، فقام بدعاية في انجلترا في ابريل ١٨٥٧ حين طاف بالمراكز الصناعية والتجارية بها داعياً لمشروع القناة . وعقد اثنين وعشرين اجتماعاً عرفت باسم « الاجتماعات الانجليزية English Meetings » (١) وقد أبان خلالها أن الشركة وقد حرم عليها استخدام العمال الأجانب إلا بنسبة ضئيلة فلن يعوزها العمال المصريون إذ ستحصل عليهم بكثرة عظيمة وأجور زهيدة بفضل صلور لائحة العمال (٢) ولما طان الوقت لطرح أسهم الشركة في الأسواق ودعوة الجماهير إلى الاكتتاب فيها كانت لائحة العمال دعامة قوية قامت على أكتافها الدعوة إلى الاكتتاب في أسهم الشركة (٣) بضاف إلى ذلك أن دي ليسبس وجه الدعوة إلى الشركات المنتمية الكبرى وكبار المقاولين في أوروبا إلى التقدم بعروضهم لتنفيذ المشروع على أساس

#### (١) بخصوص تلك الاجتماعات انظر

De Lesseps F. : Inquiry into the Opinions of the commercial Classes of Great Britain on the Suez Canal, 1857

Charles Roux J. — ouvr. cit., t. I, pp. 270-280.

Bertrand et Ferrer, ouvr. cit., pp. 110-120.

وانظر أيضاً مقالتي ظهر في ١٤ L'Estime de Suez الأول تحت عنوان

Caractère Général des Meetings Anglais en faveur du Canal de Suez.

في العدد ٢٥ الصادر في ٢٥ يونيو ١٨٥٧ مجموعة السنة الثانية . والمقال الثاني تحت عنوان

Meetings de Londres en faveur du Canal de Suez.

في العدد ٢٦ الصادر في ١٠ يوليو ١٨٥٧ مجموعة السنة الثانية

(2) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr., cit., t. IV, p. 216.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٧ .

ما جاء في تقرير اللجنة العلمية الدولية . وقد أرفق بهذا التقرير وبمقتضى  
الامتيار وثيقة ثالثة لا تقل أهمية عنها هي لائحة استخدام النبال المصريين  
في أعمال قناة السويس حتى يقبل المقاولون على الاشتراك في تنفيذ المشروع  
وهم مطمئنون إلى أن اليد العاملة المصرية لن تموزهم ولن يكون الظروف  
التي سيعمل فيها النبال والأمن التي تحسب عليها أجورهم (١) . وقد  
استطاعت الشركة بفضل هذه اللائحة أن تعقد إتفاقا مع أحد كبار المقاولين  
هو الفونس هاردن Alphonse Hardon في ١٤ فبراير ١٨٥٩ أخذ فيه  
على عاتقه تنفيذ المرحلتين الأولى من مراحل حفر القناة وفق الشروط  
والمواصفات والتكاليف التي جاءت في تقرير اللجنة العلمية الدولية (٢) .

---

(١) الموجع السابق من ص ٢١٩ - ٢١٧ .

(٢) صرحت جريدة لشركة إلى إداة ذلك الحبر نشرت في حطها الصادر في ١٥ فبراير  
١٨٥٩ مايل : قلقتنا والحريفة مائة الفط لبا الإتفاق الذي عقد في ١٤ فبراير الحاضر بين  
شركة القناة وبين الفونس هاردن المقاول في باريس . ونحن لا نعرف ودا أكثر انحاء العمل  
الذي أثير سوله التفتكك في تقدير ات المتكسمة من ترقط هذا الإتفاق .  
وأنظر أيضا

Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, pp. 11-13 et 37-39.

١٣ Fontane Maries, ouvr. cit., p. 34.

## الفصل الثالث

### البدء في تنفيذ المشروع وتعطيل لأتحة العمال

ي لنيس بفغل الشرط الأمامي في عقد الامتياز - ويصلل المسهمين - الشركة ترفد  
بلنة للبدء في المشروع - سعيد بقد لما مفاجأة صارة - بدء عمليات الحفر - اشعداد  
معارضة الحكومة الإنجليزية لتأرجيع موقف سعيد بين التأييد والمعارضة - دى لسبس  
يبدء سعيدا - سعيد يفادر مصر ويعهد إلى شريف باشا بمواجهة الموقف - الحكومة  
المصرية تأمر دى لسبس بإيقاف العمل في حفر القناة - منشورها إلى القناصل  
- الحكومة تسمح للعمال المصريين - وتلجأ إلى تدابير غير ودية - تبادل  
المكاتبات بين تركيا ومصر - تقوم الأسطول الإنجليزي إلى الإسكندرية  
- سعيد ودى لسبس يفقدان عل حل إذاصفت الشركة أعمالها - يحدد  
الأزمة في أكتوبر - تحديد أول نوفمبر ١٨٥٩ لإيقاف العمل في حفر  
القناة - تحلى الفرنسيين لقتلهم وللحكومة المصرية -  
تدخل فرنسا - نقل قنصل فرنسا مفضوبا عليه من مصر -  
سعيد يعاود بمحلو سياسته الودية نحو الشركة - دى لسبس  
يخرج سعيدا - احتلال فرنسا لسوريا وتأزم الموقف  
في الشرق - الشركة تنصرف عن عمليات الحفر  
وتتصر نشاطها على إقامة منشآت  
بحرية ومناخية في بور سعيد

...

تضمن كل من عقدى الامتياز الأول والثاني شرطا حتميا هو ضرورة  
تصديق سلطان تركيا على العقد قبل البدء في تنفيذ عمليات حفر القناة . وقد  
٤٤ بدلى دى لسبس محاولات مضنية طيلة أربع سنوات ( ١٨٥٥ - ١٨٥٨ ) في

القسطنطينية وبازيس و لندن وغيرها في سبيل صلور هذه الموافقة ، ولكنه عجز عن أن يظفر بها بسبب معارضة الحكومة الإنجليزية للمشروع وضغطها على الباب العالي لرفضه . وكانت الحكومة التركية تقدم وجلا وتؤخر أخرى في هذه المسألة ؛ فلم تجرؤ على إغضاب انجلترا بإقرار المشروع ، ولم تجرؤ على إغضاب فرنسا برفضه رفضاً باتاً . فامتنعت عن التصديق عليه . وفاز في كثير بين الرفض والامتناع . وإن كان امتناعها قد اتخذ مظهر التسويف في بحث المشروع .

وقد استقر رأى دى لسبس على أن يشرع في تأليف الشركة ويضلل الشرط الأساسي الخاص بموافقة السلطان على العقد فيبدأ في حفر القناة . وكتب بتاريخ ٢٨ يوليو ١٨٥٨ إلى الوكيل الأعلى لشركة القناة في مصر خطاباً جاء فيه : « سرفع الستار عن الفصل الأخير ، ولن نضيق الوقت في مفاوضات لا طائل منها مع الأكراد » (١)

ويطلق بعض المؤرخين على تلك الخطة سياسة الأمر الواقع (٢) ولكنها هي سياسة الاستخفاف بالقانون والتكرار المبادئ الخلقية . وقد تدرجت خطة دى لسبس في ثلاث خطوات هي طرح الأسهم للاكتتاب العام ثم تكوين الشركة ثم البدء في عمليات الحفر . واتسمت تصرفاته في تلك الخطوات الثلاث بالتفضيل والتخريب والأكاذيب والمخالفات الخطيرة والتكرار لسعيه بإثارة وتهدئة بمطالته بتعويضات ضخمة إذا هو تمسك بحرفية القانون فأثار مشكلة تصديق السلطان على المقصد أو تعرض لنشاط الشركة في مصر بسوء .

(١) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. II., p. 309.

(٢) Sammarco . Précis etc., ouvr. cit., t. IV, Q. 98.

فن ناحية الاكتاب غور دى لمبس بالجاهير حين طرح الاسهم للاكتاب العام . إذ أخفى عنها أن عقد الامتياز قد تضمن شرطاً أساسياً هو ضرورة تصديق سلطان تركيا على العقد قبل البدء في تنفيذ المشروع ، وأن تلك الموافقة لم تصدر بعد . ثم ادعى في جرة أنه يصل باسم والى مصر ويصفه وكيلاً عنه . وكان يستهل المنشورات بهذه العبارة « فرديناند دى لمبس صاحب امتياز قناة السويس بمقتضى التوكيل الصادر له من حضرة صاحب السمو والى مصر يفتتح اكتاباً عاماً . »

وقد عجزت الشركة عن بيع جميع أسهمها البالغ عددها اربعمائة ألف سهم ، وكان ثمن السهم لمساهمة فرنك تدفع على آجال متباعدة وبأنساط زهيدة . وانتهت المدة المحددة لقبول الاكتاب - وكانت من ٥ نوفمبر ١٨٥٨ إلى ٣٠ منه - وظل لديها ١١٧ ألف سهم أى أكثر من ربع مجموع عسدد الأسهم .

وقد حول دى لمبس على إخفاء هذا الفصل الذى طاق شركة الاكتاب وقرر متابعة سياسة التعمير والتفصيل وخرق القانون . فانتقل إلى المرحلة الثانية وهى تأليف الشركة تمهيداً للبدء في عمليات الحفر ، وقد انتهك في هذه الخطوة انبهاكاً صارخاً قانون الشركة الأساسى الصادر في ٥ يناير ١٨٥٦ لأن تأليف الشركة لا يتم إلا بعد تغطية رأس المال بأكمله طبقاً للمادة الرابعة من ذلك القانون . ولكن دى لمبس نجح على الحقيقة وزعم كسبها وزوراً في خطاب أرسله في ٩ ديسمبر ١٨٥٨ إلى صليبر محرير جريدة L'Isthme

de Suez للشهر في الجريدة أن جميع الأسهم قد اكْتُب بها خلال فترة الاكتاب وأن الشركة تبداً للملك قد استكملت عناصر قيامها (١) . وفي اليوم الخامس عشر من ديسمبر ١٨٥٨ أُلْف شركة القناة نهائياً بمقتضى التوكيل الشامل والعمليات المتلاحمة الصادرة إليه من حضرة صاحب السمو

(١) نشر دى لمبس هذا الخطاب أيضاً في



الوالي : (١) ثم مالبث أن كون مجلس إدارة للشركة ضم إليه شخصيات كبيرة واختار ابن عم الإمبراطور نابليون الثالث وهو الأمير جيروم نابليون، Jérôme Napoléon حاميا للشركة . وكان رجلا خليعا فاسقا عساف بإخلاصه العميق لمخيلاته وعشيقاته . ويلاحظ أن دى لسبس لم يعين مهربا واحدا في المجلس . وقد اجتمع المجلس للمرة الأولى في ٢٠ ديسمبر ١٨٥٨ وأصدر خطابا دوريا إلى حملة الأسهم يلزمهم أن جميع أسهم الشركة قد اكتب بها (٢) . ويرى كراييتس المستشار السابق محكمة الاستئناف المختلطة السابقة بالإسكندرية أن الطرف الملتوية التي انتمها دى لسبس في تأليف الشركة تؤدي به إلى المحاكاة الجنائية (٣) . ولسكن الشركة كانت تضم بعض الشخصيات الكبيرة في فرنسا وكان يهملها نجاح المشروع فتماضت عن تصرفاته غير القانونية .

أراد دى لسبس أن يخطو الخطوة التالية وهي الشروع في عمليات الحفر وقد مهد لها بخطاب ضاف للغاية أرسله في ٣١ ديسمبر ١٨٥٨ إلى سيد باشا أحطره فيه بتأسيس الشركة ، وأنه - أي سيد باشا - قد أصبح موضع التضدير العميق من رجالات السياسة في أوروبا بسبب رعايته للمشروع . وأتمم في خطابه الناحية الدينية الإسلامية فقال إن سلطان تركيا هو رئيس العالم الإسلامي وإن مشروع القناة يهدف إلى تقريب السلطان من مكة المكرمة التي هي أهم جزء في الإمبراطورية العثمانية لأنها أساس سلطته الروحية والدينية . وحاول دى لسبس أن يدلل على أنه ليست هناك ضرورة تدعو

(1) De Lesseps F. - Question sur le Canal de Suez, 1860, pp. 29-30

(2) Charles Roux J., ouvr. cit., t. I p. 293. Voir aussi :  
Voina Bey, ouvr. cit., t. I, p. 134.

(3) Crabitte Pierre . The Spoilation of Suez. London 1940, pp. 32-37.  
Voir aussi.

لي انظار صلور نصديق السلطان على عقد الامتياز . وأخيراً أخطر الوالي بأن الشركة ستواصل بنشاط الأبحاث والأعمال التمهيدية الخاصة بشق قناة السويس وعلى الوالي أن يتفق مباشرة مع الحكومة التركية على هذا الموضوع لأنه ليس من اختصاص أية دولة أجنبية أن تقيم عقبات أمام مشروع تكون من رموس أسوال أفراد يتمون إلى وكالة الدول (١) .

وبلاحظ أن هذا أول تهديد من جانب دي ليسيس لمعيد بلشا بأن الشركة أصبحت - في نظره - قوة دولية على أساس أنها تضم مسمين يقومون إلى دول عديدة . وهو تهديد حرص دي ليسيس على أن يردده على سامع الوالي سعيد ثم الخديو اسماعيل . وكان يبرز هذا التهديد في المذكرات التي يسطرها كلما لاح في البحر شبح أزمة سياسية أو مالية أو عمالية .

وكانت شركة القناة قد وجهت نداء إلى المؤسسات الفرنسية الكبرى في دول أوروبا لتقديم عطاءاتها لتنفيذ المشروع في حدود المقايضة التي أقرها مجلس الأشغال الأعلى (٢) . واختارت الشركة عطاء الفونس هاردن Alphonse Hardon وهو مقاليل قيل إن له سمعة طيبة في الأوساط الفرنسية . ففقدت منه إتفاقاً مبدئياً في ١١ فبراير ١٨٥٩ لتنفيذ المرحلتين الأولى من المراحل الخمس ، كما سبق أن ذكرنا .

وعقد مجلس إدارة الشركة اجتماعها في فبراير ١٨٥٩ اتخذ فيه قرارات

(١) De Lesseps F. , *Lettres, Journal et Documents etc.*, ouvr. cit. t. II, pp. 408-411.

(٢) مجلس الأشغال الأعلى Le Conseil Supérieur des Travaux العامة بأعمال الفنية في شركة القناة . وكان يجمع في باريس برئاسة دي ليسيس لدراسة المسائل الخاصة بأعمال التنفيذ مع أن دي ليسيس لم يكن مهتماً . وقد وضع المجلس برنامجاً ملغزاً لقناة تسمى إلى حين مراحل ثم في سنة متوالية . واستمر المجلس في أعماله بقرار اللجنة العلمية الدولية التي تولدت تكاليف الحفر يبلغ لا يتجاوز سالي مليون قرانك . أنظر .

Voisin Bay, ouvr. cit., t. I, p. 131.

Charles Roux J., ouvr. cit., t. I, pp. 292-293.

Ernest Desplaces, ouvr. cit., pp. 283-285.

عملية مربية للبلد في حفر القناة ، كان من بينها إعداد لجنة إلى مصر تتكون من أربعة أعضاء يرأسهم دي لابس ، لوضع يد الشركة على الأراضي التي حولها عقد الامتياز حتى استملاكها ، وإقامة ساحات الحفر وتنظيم إدارات الشركة في مصر والبلد فوراً في تنفيذ المشروع . وأفضحت جريفة L'athme de Suez عن الهدف الأخير فقالت وفي حلال الأمانيج القليلة المقبلة سيفرض أول محول في الأرض وسيكون له دوى في العالم أجمع . (١) .

وقابل أعضاء اللجنة سعيد باشا في لا مارس ١٨٥٩ وقدم له رئيسها مذكرة عن مهمة اللجنة ، ويخطي من يطن أن سعيد باشا كان في ذلك الوقت على خلاف مع دي لابس حول وجوب التريث في تنفيذ المشروع حتى يصدر السلطان تصديقه على عقد الامتياز . سعيد كان نواظراً إلى إجحاح المشروع وإلى الإصرار في إيجازه اعتقاداً منه أن اسمه سيقدر بأكثر مشروع نفذ في الشرق في القرن التاسع عشر مما يجلد ذكراه على صفحات التاريخ وسرى أن سعيداً بذل في تلك الفترة بالذات من المساعدات ما حصل دي لابس بنجاح في البلد في عمليات الحفر وفقاً للخطة التي وضعها مجلس إدارة الشركة في باريس ، بل لقد ذهب سعيد في مساعداته إلى أبعد من ذلك إذ أعد لأعضاء اللجنة مفاجأة سارة

أما كل الخطة التي اتخذاها سعيد باشا لإزاء تجاهل الشركة الشرط الأساسي الوارد في عقد الامتياز ، وهو تصديق السلطان على العقد ، فكانت لرجاء تنفيذ لائحة العمل بعض الوقت رجاءاً يتكشف الموقف . كما أنه طلب تغيير عبارة أعمال تمهيدية travaux préparatoires التي جاءت في مذكرة دي لابس والإكتفاء بصياغة أبحاث تمهيدية études préparatoires وهو تغيير لفظي لم يكن يفير من طبيعة الخطوة التي اتخذتها الشركة ببلده وبموافقة ، واعتقد سعيد أن هذه الخطة الشكلية ستجعله بمنجاة من غضب السلطان وسخط الحكومة الإنجليزية . وهذا دليل آخر مرفوع على أن سعيداً كانت تبرزه حصافة الرجل السياسي وبعد بصره .

سافر أعضاء اللجنة إلى القاهرة ومنها إلى منطقة البرخ وتبعوا في سفرهم الخط المقترح لسير ترعة الماء العذب فاجتازوا مديرية الشرقية حتى بلغوا بحيرة التماسح ومنها انجهموا جنوباً إلى السويس (١) . وهناك علموا أن سفينة قد قلمت دمياط من فرنسا تحمل مهمات كانت الشركة قد أوصت عليها : فعاد أعضاء اللجنة إلى القاهرة وطلبوا إلى سعيد باشا إعفاء الواردات من الرسوم الجمركية تطبيقاً للمادة ١٣ من عقد الامتياز الثاني ، فوافق سعيد على ذلك (٢) .

واستأنف دى لمبس وأعضاء اللجنة المرحلة الثانية من الرحلة ، فسافروا من القاهرة بطريق النيل إلى دمياط حيث أشرفوا على تفريغ شحنة السفينة . وكم كانت دهشة أعضاء اللجنة عظيمة حين وجدوا أن سعيد باشا قد حشد وفق نظام السخرة عشرة آلاف عامل حضروا خلال بضعة أيام وقبيل وصول أعضاء اللجنة إلى دمياط ، قناة تخرج من النيل شمالى مدينة دمياط وتصل إلى بحيرة المنزلة (٣) . وكان مرجل بك مدير عام أشغال حفر القناة وقتئذ قد عرض على مجلس الأشغال الأعلى في شركة القناة بجلسة ٢٥ يونيو ١٨٥٨ سفر هذه الرحلة حتى يمكن اتخاذها شربانا مالياً تسير فيه القوارب محملة بماء الشرب والطعام من دمياط إلى عمال الشركة في بورسعيد (٤) . وقد أزعج

(١) أنظر وصفاً تفصيلياً لهذه المرحلة من الرحلة في جريدة الشركة العدد ٦٨ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٥٩ من ص ١١٤ - ١١٥ - ١٢٣٨ مجموعة السنة الرابعة كما تجد يوميات من هذه الرحلة بقلم Meunier على مجلس إدارة الشركة نشرت في L'Isthme de Suez العدد ٧ الصادر في ١٥ مايو ١٨٥٩ من ص ١٤٧ - ١٥٠ وأنظر أيضاً العدد ٧١ الصادر في أول يوليو ١٨٥٩ من ص ١٧٣ - ١٧٦ مجموعة السنة الرابعة .

(٢) بموظفات قصر حاييم : حفظة ٢٣ ص ٢٢١ وثيقة رقم ١٦٢ في ٢٨ شباط ١٢٧٥ (٢ أبريل ١٨٥٩) وأنظر أيضاً دفتر وارد محافظة دمياط سنة ١٢٧٥ (١٨٥٩) لإدارة رقم ٤٣٤ واردة من محافظة أسكندرية في ٩ رمضان ١٢٧٥ (١٢ أبريل ١٨٥٩) .

(٣) جريدة L'Isthme de Suez العدد ٧١ الصادر في أول يونيو ١٨٥٩ من ١٦٤ بحيرة السنة الرابعة .

سعيد عن الشركة عبثاً تقيلاً بحجر تلك القرعة وكان اتساعها ١٥ متراً وأطلق عليها قاة الاتصال بين النيل وبحيرة المنزلة . وسمى فوزان هذا المسئل من جانب سعيد بأنه مفاحاة (١) . وعلقت جريدة الشركة على خبر هذه القرعة في مقال افتتاحي جاء فيه : « وهما الشركة نظراً لبديل ساطع على رعاية حضرة صاحب السمو الوالي للمشروع » ، فقد أمر سموه بمحذ عشرة آلاف عامل شقوا في خلال بضعة أيام قرعة اتصال تخرج من النيل شاطئ دمياط بقابل وتصل إلى بحيرة المنزلة (٢) .

وانجبه أعضاء اللجنة من دمياط إلى القمة التي اختيرت مبدأً لقناة من ناحية البحر المتوسط . وهناك وفي ٢٥ أبريل ١٨٥٩ أقيم حفل متواضع إيداناً بالبدء في عمليات الحفر . وقد شهد الحفل جمع من مستخلى الشركة والمقاوول العام وفريق من العمال المصريين بلغ عددهم في ذلك اليوم نحو مائة عامل جئى بهم من دمياط والمتواشى القرية منها . وألقى دى لميس الخطاب الآتى : « باسم الشركة العالمية لغساة السويس البحرية وطبقاً لقرارات مجلس إدارتها نصرب أول معل في الأرض التي ستفتح أبواب الشرق لتجارة الغرب وحضارته . إنا هنا مجتمعون نعملونا فكرة واحدة هي فكرة الإنخلاص لمسهى الشركة ولصالح مفشنها وراعها العظيم الأمير محمد سعيد .

« إن رحلة الارتياذ التي فرغنا من القيام بها لتبحث فينا الاعضاء أن المشروع الذي يبدأ تنميده اليوم لن يكون عملاً من أعمال التقدم فحسب ، بل سيزيد من قيمة رءوس الأموال التي ساعدت على تنميده زيادة هائلة » (٣)

(١) Vaisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 147

(٢) العدد ٧١ الصادر في أول يونيو ١٨٥٩ من ١٦٢ مجموعة خمسة أرقام

(٣) نشر وصفه الحفل والخطب التي أقيمت فيه في هذا صالون ذكر منها .

Charles Roux J., *ouvr. cit.*, t. I, pp. 295-296.

Fontane Meriez, *ouvr. cit.*, pp. 36-38.

Vaisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 27.

Jean d'Elbén Un conquisteur de Génie. Ferdinand de Lesseps,

ولما فرغ من إلقاء كلمته أمسك بمحول وضرب به الأرض في إحدى الحفر التي عملت على خط القناة وكان ذلك إبطانا باليد في عمليات الحفر ، ثم تبعه في ذلك الوقت أعضاء اللجنة والمهندسون ثم سائر مستحضى الشركة . وانضت دى لسبس بعد ذلك إلى العمال المصريين وألقى فيهم الكلمة الآتية :

« سيضرب كل منكم بمحوله الأرض كما فعلنا نحن الآن . وعليكم أن تذكروا أنكم لن تحفروا الأرض فقط ولكن ستجلبون بعملكم الرخاء لعائلاتكم ولبلادكم الحبيبة . يحيا أفندينا محمد سعيد باشا » (١) وقد ترجمت لهم هذه الكلمة إلى اللغة العربية ، وشرع العمال المصريون يحفرون القناة تحت إشراف المقلول. وهكذا بدأت أعمال تنفيذ المشروع التي استمرت أكثر من عشر سنوات حتى انتهت القناة للملاحة في ١٧ من نوفمبر ١٨٦٩ ويلاحظ من ملاحظات ذلك الحفل أنه لم يشهده أحد من رجال السلطات المصرية ، كما أن دى لسبس استغل عزلة ذلك المكان فاستطاع أن يعد التلاويح الأولى في شيء من الحرية .

. . .

ثارت الحكومة الإنجليزية حين علمت أن دى لسبس بدأ في تنفيذ عمليات الحفر ، فضغطت على الباب العالي لحمله على إصدار أوامر صريحة إلى سعيد باشا لإيقاف عمليات الحفر ، والتي ليست إلا ضربا من ضروب التمداع والاحتيال السياسي والشخصي ، (٢) كما أثارت مخاوف الحكومة التركية من سعيد ، فصورته بظهور الوالي للملئ ينزع نحو الاستقلال بولايته ، وذهبت إنجلترا في ذلك إلى أنها عرفت على السلطان مساعدتها الفعالة لإخضاع وال ، لاثور ، على غرار ما حدث سنة ١٨٤٠ مع

== وكذلك في جريدة الشركة العدد ٧٠ الصادر في ١٠ مايو ١٨٥٩ من ص ١١٠ - ١١٦ مجموعة الست الرابعة .

(١) المصادر السابقة

(2) Hallberg, *ouvr. cit.*, p. 163.

والده محمد علي (١). واستغلت الحكومة الإنجليزية الموقف الدولي في أوروبا  
إذ ذلك للقضاء على مشروع القناة ، فقد أثقلت ثيران الحرب بين فرنسا  
وبيلمونت من ناحية وبين النمسا من ناحية أخرى في ٢٦ أبريل ١٨٥٩ - حقداء  
الحمل الذي أقامه دى لسبس إيلانا بالبلد في حفر القناة - وانصرف معظم  
اهتمام الحكومة الفرنسية إلى المسائل الحربية . كما أن النمسا التي كانت إلى ذلك  
الوقت تناسر مشروع القناة انقلبت إلى مناهضة على أثر اشتراكها في الحرب  
ضد فرنسا ، وصمت لدى الحكومة التركية لإيقاف عمليات حفر القناة (٢)

وتعرضت للشركة لأزمعتين عنيفتين في صيف وخريف ١٨٥٩ (٣) وكادتا  
تصفان بالشركة ولما تقطع إلا أشهراً معدودات . وأرجع موقف سعيد في  
تلك الفترة بين تأييد المشروع وبين معارضته ، لأن الضغط الذي تعرض له من  
تركيا وانجلترا والنمسا كان أقوى من أن يقاومه . ولعله شعر في ذلك الوقت  
أكثر من أية فترة سابقة بخطورة اندفاعه في تأييد دى لسبس . ولكنه كان  
رجلاً سريع القلب ضميئاً أمام صديقه دى لسبس .

وقد اتخذ سعيد عدة تدابير : غير ودية : لإزاء الشركة . كان من بينها  
إصدار أوامر إلى مدير النقلية ومحافظ دمياط لمنع دى لسبس من ابتعاث  
الطعام أو استئجار قوارب ينقل عليها ماء الشرب أو الأطعمة أو غيرها  
من مواد التزوين إلى بورسعيد ، وكانت مديرية النقلية ومحافظه دمياط أقرب  
الأقاليم إلى منطقة بورسعيد : ولكنني بأن نذكر هنا وثيقة عامة تنص

(1) Charles Roux J., *ouvr. cit.*, t. I, 296.

(2) Hussein Kanan, *ouvr. cit.*, p. 285. Voir aussi :

Hallberg, *ouvr. cit.*, p. 166.

وجرى L'Isthme de Suez الصادر في أول يوليو ١٨٥٩ والصادر  
في أول أغسطس ١٨٥٩ مجموعة لجنة الرابطة .

(٣) أفرطاً صليبي بعنوان : أزمة يونيو ١٨٥٩ ، أزمة أكتوبر ١٨٥٩ ، في كتابها  
القديم : التاريخ السياسي لقناة السويس على عهد آل مصر محمدية .

عن الخطوة التي انتهجها سعيد بين الفريق المعارض للشركة والفريق المؤيد لها ، ولقد قدمت إلى مقام جناب ولي التعم ذى المكانة الرفيعة شكوى من تصرفات ذاتكم العلية ، لأنه قيل إن المسيو دى لسبس قد أعطى قوارب على الرغم من التبليغ الشفوى الذى بلغتم إياه بشأن المسيو المشار إليه حيث بقصى بعلم إعطاء شيء ما من هذا القليل مالم يحصل أمر صريح بشأنه . فأحدثت هذه التصرفات حيرة هنا لأنكم قد فهمتم تعميها شعوباً عند ما كنتم في مصر من قبل بضعة أيام ما يجب أن تعملوه حيال المسيو الموما اليه ورجاله من إعطائهم قوارب وغيرها أو عدم إعطائهم ذلك ، فلم يفهم هنا السبب الذى دفعكم إلى مخالفة ذلك حتى قلتمت شكوى عنكم . وعليه فقد كتبت لكم هذه الإمادة لإخطاركم بأنه عليكم التكرم بالعمل في هذا الشأن بموجب ذلك التبليغ الشفوى وبإشعارنا مريما بأسباب هذه الشكوى كيفما كانت حقيقتها وبالصرامة (١)

لقد الوثيقة عدة مدلولات : فكان سعيد ناشا يعتمد إلى استدعاء مديري الأقاليم إلى القاهرة حيث تلقى عليهم أوامر شغوية بتعلونها حين يمددون إلى مقر وظائفهم ، وكان يتحاشى قدر الإمكان ، وبنوع خاص إبان الأزمات السياسية ، إصدار أوامر مكتوبة إلى رجال الحكومة في موضوع القناة يسجل فيها على نفسه رأياً معيناً . وسنرى أنه التزم هذه الخطوة أكثر من مرة في موضوع السخرة في حصر القناة . كما تدل هذه الوثيقة على أن سعيداً كان حريصاً في هذه الفترة على إبقاء علاقات ودية مع دى لسبس .

ولعل دى لسبس قد أحس بعد قليل بما كان يدور في الخفاء ، فأرسل إلى الوالى بتاريخ ٨ يونيو ١٨٥٩ مذكرة صيغت في أسلوب شديد . ذكر فيها أن الشركة وقد تأسست فيجب أن تأسس حقوقها . فإذا حال الوالى بينها وبين سائرة حقوقها ، وقد انتقضت سبعة أشهر منذ تأسيسها ، فإن هذا يعرض

(١) محفوظات قصر عابدين : خطاب من نظار الداخلية إلى محافظ دمياط بتاريخ ٨ جوان ١٢٧٥ ( ١١ مايو ١٨٥٩ ) دفتر وارد محافظة دمياط ١٢٧٥ إعادة وإفادة من نظارة الداخلية



الوالى للمسئولية بالجسيمة . ثم قال : إن المسئولية تنقضى عن سموكم إذا تابعت الشركة وقد تأسست وفق القانون . أعمالها بدون عراقيل من جانبكم وعلى النقيض للمسئولية تقع على عاتق سموكم إذا كان المسهمون الذين دعاهم موكلكم وباسمكم إلى الاكتاب يطالبونه بقيمة الحسائر التي تنتجم عن عدم تنفيذ التعهدات : (١)

وهكذا ظهر دى ليس في هذه المذكرة على حقيقته : تنكر لصليقه وولى نعمته محمد سعيد ، وتجاهل المساعدات القيمة التي بلغا له وتنامى الامتيازات العظيمة التي أغدقها على الشركة في عقدى الامتياز وفي لائحة العمال ، واستأسف في وجه سعيد ، وتكلم عن المسئولية مع أنه كان يجب أن يكون آخر من يتحدث عنها . فالحظة التي بدأها منذ أن طرح الأسهم للاكتاب ليست إلا سلسلة متصلة الخلفات من التصليل والتبرير والإجراء على الحق والإشغال بنصوص العقد توقعه في مسئوليات خطيرة تنجم به إلى المحاكمة الجنائية وليست المحاكمة المدنية التي حدد بها دى ليس صديق وولى نعمته سعيداً .

وبدلاً من أن يواجه سعيد هذا التهديد فقد آثر السلامة وغادر الأراضي المصرية في رحلة بحرية قام بها تجاه ساحل الشام وعهد إلى شريف باشا ناظر الخارجية المصرية أن يواجه الموقف . فأرسل الأخير في ٩ يونيو ١٨٥٩ إلى دى ليس مذكرة صيغت في أسلوب حازم طلب فيها أن يوقف دى ليس فوراً الأعمال التي يقوم بها في الهرزخ استناداً إلى أن سلطان تركيا لم يصدر تصديقه على عقد الامتياز ولأن الأعمال التي تباشرها الشركة : ليست لها بأية

{1} De Lameze F.: Lettres, journal et Documents etc., ouvr. cit., t. III

وفي نفس اليوم - ٩ يونيو ١٨٥٩ - وجه شريف باشا منشوراً إلى أعضاء  
السلك للتوصل في مصر أبان فيه أن الوالي لا يستطيع أن يسمح لأي سبب من  
الأسباب بالبدء في حفر القناة قبل أن يصدق السلطان على العقد . وقال إن  
العمليات التي يقوم بها دي لسبس في منطقة البرزخ هي أبعد ما تكون عن  
الأبحاث التمهيدية ، ثم اعتمد ناظر الخارجية منشوره مطالبا بكل قنصل بالتفيه  
على وعايا دولته بالامتناع عن الاشتراك في تلك الأعمال ، حتى لا تقطع  
الحكومة المصرية إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان مباشرة حقوقها (٢)

وتسبقاً لخطة الحكومة المصرية في ذلك الوقت صدرت الأوامر مكتوبة  
إلى كل من مدير التمهيلة ومحافظ دمياط بأن يتوجه كل منهما إلى المنطقة  
التي تخفر فيها القناة وأن يسجيا جهازاً وعلاية جميع العمال المصريين الذين  
يعملون في الشركة وأن يعودا بهم إلى بلادهم وأن يمنع كل منهما بصد ذلك  
سفر عمال مصريين إلى منطقة البرزخ . ووضح في هذه الأوامر التحدي  
السامر للشركة فجاء فيها أيضاً أنه إذا كتب دي لسبس إلى المدير أو المحافظ  
طالباً السماح بإعادة استخدام العمال المصريين فليرفض كل منهما الطلب ويلغاه  
أنهما يتخذان تعليمات الحكومة في هذا الصدد ، وللمدير أو المحافظ أن يطلع  
دي لسبس على خطاب الحكومة الصادر في هذا الشأن (٣) .

ومضت الحكومة في سياستها غير الودية إزاء الشركة فتمتعت صيادی  
السلك في بحيرة المنزلة من التعامل مع رجال الشركة . ولولا شجاعت من

(٢) De Lesseps F.: Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,  
t. III, p. 139.

والفر بيريد الشركة العدد ٧٣ الصادر في أول يوليو ١٨٥٩ من ٢٠٧ بحسبة السنة الرابعة

(٣) Valsin Bey, ouvr. cit., t. I, p. 147.

(٢) محفوظات قصر حابدين دفتر رقم ٥٠٩ سية . أرادة إلى جعفر بك محافظ دمياط .  
دفتر رقم ٥١٠ سية . أرادة إلى اسماعيل حسين بك مدير  
التمهيلة .

دفتر رقم ٥١٦ . سية الثالثة رقم ١٠٤٨ .

الأطعمة وماء الشرب كان يجهزها دى ليس من الإسكندرية إلى بورسعيد حيثما على ظهر السفينة البخارية « صعيد » وحينما على ظهر سفينة شراعية لتعرض رجال الشركة في منطقة بورسعيد لخطر الخناقة أو الموت عطشا (١). ويقول ريت Rit: أحد مستخدمى الشركة في تلك المنطقة عن يوم ٢٠ يونيو ١٨٥٩ « لا يزال الموقف كما هو : إن الوقت يمر ببطء شديداً على اليأس . إن علاقتنا مع المصريين آخذة في التلاشي شيئاً فشيئاً . . . ليست هناك أحباب من داخل البرزخ . لقد آل الأوان لكى نتخذ قراراً » (٢)

بيد إن إخراج البقية الباقية من العمال المصريين من غلطة الشركة في ذلك التاريخ لم يؤد إلى تغيير دى بال في الموقف ، لأن عندهم كان ضليلاً جداً على أثر هجر كثير منهم لأعمالهم نتيجة السياسة غير الودية التي اتبعتها الحكومة المصرية سرا في المراحل الأولى لوقوع تلك الأزمة (٣) أما العمال الأجانب فلم يجمع فواصل الدول على سياسة موحدة لحجيم استجابة لنشور شريف باشا ، بل التزموا موقف الريث والانتظار وخاصة بعد أن أظهر بعض القناصل ميولهم للطبقة نحو الشركة . وهكذا ظل المنشور قبيحا يختص بالعمال الأجانب حبرا على ورق (٤) .

وكان البابا العالي قد أرسل خطابا إلى سعيد باشا بتاريخ ٩ شوال ١٢٧٥ ( ١٢ مايو ١٨٥٩ ) يستنصره عن حقيقة الموقف في «منطقة البرزخ» وينبه عليه بضرورة تجنب أى عمل من شأنه خلق مشكلات سياسية قد

(١) Fitzgerald Percy: The Great Canal at Suez, Its Political, Engineering and Financial History, 2 vols. London, 1878, t. I, p. 171.

والنار أيضا رسائل بتاريخ ١٤ يوليو ١٨٥٩ و ٢ يوليو ١٨٥٩ في

Rit. Olivier Histoire de L'Isthme de Suez. Paris, 1892, p. 168.

(٢) Rit., ouvr., cit., p. 171.

(٣) جريدة الشركة العدد ٧٨ الصادر في ١٥ سبتمبر ١٨٥٩ ص ٢٨٤ مجموعة السنة الرابعة .

(٤) انظر فيما يختص بالعمال الأجانب إيوان أد-ه يونيو ١٨٥٩ كلام : .

De Lensepe F. Lettres etc., ouvr. cit., t. III, pp. 181-184.

٥٧ Vaisin Day, ouvr. cit., t. I, p. 152 et t. VI, pp. 147-149.

يستعصى حلها (١) وقد تمهل سعيد في الإجابة عليه، ثم أرسلت الحكومة المصرية باسم سعيد باشا (٢) خطابا بتاريخ ١٣ ذى القعدة ١٢٧٥ ( ١٤ يونيو ١٨٥٩ ) إلى الصدر الأعظم (٣) ردا على خطاب الأخير . وفي هذا الخطاب ألقت الحكومة المصرية الثبته على دى لسبس لأنه « شرع من تلقاء نفسه في بعض الأعمال » وأنه استعان بفريق من العمال الأجانب تراوح عددهم بين ثلاثين وأربعين عاملا . واحتجت الحكومة المصرية بنظام الامتيازات الأجنبية القائم في مصر وقتئذ ، وكان هذا النظام يسلبها حق التعرض للأجانب إلا بموافقة قناصل دولهم . فقالت في خطابها إنها اتصلت بالقناصل وطلبت إليهم سحب رعايا دولهم . عل أن أبرز ما جاء في هذا الخطاب عبارة تم عن براعة سياسية فائقة أخرجت تركيا لإحراجا واضحا بصفتها دولة مستقلة وصاحبة السيادة على مصر وقتئذ، فقد طالبت للحكومة المصرية الباب العالي أن يحظرها مما إذا كان السلطان قد قرر التصديق على عقد الامتياز ، وفي هذه الحال لا يخرج على الشركة إذا هي شرعت في تنفيذ المشروع . أما إذا قرر

(١) الترجمة الفرنسية لخطاب الباب العالي مدفوعة في عدة مراجع فرنسية منها :

الجزء الثالث من ص ١٥٨ - ١٥٩ من وثائق دى لسبس .

والجزء الأول من ص ١١٩ - ١٢٠ من فواتحه بك .

(٢) لم يكن سعيد باشا قد عاد من رحلته حين أرسل هذا الخطاب إلى الباب العالي . ومن المعروف لكل باحث اختلف بنسبه في محفوظات قصر هابدين وأطلع على الوثائق الأصلية أن الوالي لم يكن يوقع الخطابات أو الأوامر باسمه بل يكتب بخطها بجانه . ولهذا يرجع أن الشريف باشا هو واضع هذا الخطاب وأنه اتفق على إرساله قبل سفر الوالي الذي ترك الشريف باشا تفضله في الوقت المناسب . ويؤكد هذا الرأي أن سعيدا بمجرد عودته من رحلته أرسل خطابا بنفس المنى إلى الباب العالي بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٢٧٥ ( ٢٢ يوليو ١٨٥٩ ) انظر محفوظات قصر هابدين : دفتر رقم ١٩ صلحو هابدين خطاب رقم ١٥٣ من الخطاب العالي إلى الباب العالي .

(٣) محفوظات قصر هابدين : سجل رقم ١٩ صادر هابدين . كتاب رقم ١٤١ بتاريخ ١٣ ذى القعدة ١٢٧٥ ( ١٤ يوليو ١٨٥٩ ) من الجانب العالي إلى الجانب العالي .

وانظر أيضا وثيقة رقم ٤٣ أصل ( ٥٣٦ ) مسجل وهي اودة إلى التبريد كخطا صادرة في قصر التاريخ . سجل رقم ١٩ .

السلطان عدم التصديق على العقد ورأى إيقاف العمل في حفر القناة ، فعلى الحكومة التركية في هذه الحال أن تتصل بسفراء الدول في القسطنطينية كي يبحثوا إلى التنازل في مصر ، بتعليقات رسمية أكيدة حتى لا يقع من ناحيتهم أي تدخل . وطبعاً ما كانت تركيا لتجروء على إغضاب فرنسا بهذه السهولة لأن سياسة الحكومة التركية لذاء المشروع كانت - كما قلنا - الامتناع عن الموافقة على المشروع لرفضه .

كان دور إنجلترا بارزاً في افتعال الأزمة ، ومع ذلك فإن قنصل إنجلترا شكاً إلى حكومته أن سعيداً قد اقتصر على سحب العمال المصريين من الشركة (١) وعاد القنصل الضحل على سعيد وطالبه بأن يسلك مسلكاً أكثر حرماً لذاء الشركة . ولكن الرأي احتسب بنظام الامتيازات الأجنبية ، وذكر القنصل أنه قام في حدود سلطته سحب جميع العمال المصريين ، أما العمال الأجانب فلا هيبة له عليهم ، وأن منهم عن العمل بدخل في اختصاص قناصل الدول التي ينتمون لها (٢) . ولما أخفق قنصل إنجلترا في سماعه أمرت عن أمه في أن يحمي فيضال النيل عالياً في ذلك العام ( ١٨٥٩ ) كي تفرق بينه الفيضان بحيرة المنزلة وماجاورها . وأن يقوم نهر النيل بما لم يقوم سعيد باشا على عمله من مطاردة مهندسي شركة القناة واستئجارها (٣) .

ولكن الحكومة الإنجليزية لم تر هذا الرأي ولم تقف عند حد الأمان ، فالتحركات خطوة علمية عنيفة . أرسلت وحدات من الأسطول الإنجليزي بقيادة مونداي Vice Admiral Monday إلى الإسكندرية في يوليو سنة ١٨٥٩ لإجبار الإنجليز على خلع سعيد من منصبه كوال على مصر وإيقاف العمل في حفر القناة بالقوة . ولم ينقذ سعيد من حرله إلا وقروح تطورات عسكرية في السوق الحربي في أوروبا جعلت الأسطول الإنجليزي يعود إلى قواعده في مملكة دون

(١) Hussein Husni, ouvr. cit., p. 286.

(٢) Halberg, ouvr. cit., p. 165.

(٣) Hussein Husni, ouvr. cit., p. 287.

## ضحية أو جلبة (١) .

وقد بلغ مركز الشركة من سوء حالها جعل دى ليس يتفق مع سعيد باشا على أنه إذا اضطرت الشركة إلى تصفية أعمالها نتيجة للمعارضة الإنجليزية فإن الحكومة المصرية تلغى لمصلحة الشركة التفضيلات التي عملوها ، على أن تستولى الحكومة على مهمات الشركة ومنشآها التي أقامتها في أراضي البربخ (٢) . وقدم هذا الاتفاق قبل أن يبرح دى ليس مصر إلى فرنسا يلتزم بمساعدة الإمبراطور وتدخل الحكومة الفرنسية لإنقاذ الشركة . ولكن الأحداث كانت أسرع منه ، إذ لم تلبث أن تجددت الأزمة في أكتوبر ١٨٥٩ . فقد أولدت الحكومة التركية مختار بك القبوكتخدا - وهو مندوب إلى مصر في القسطنطينية - بحمل خطابا وتعليقات إلى سعيد . أما الخطاب فقد صيغ في عبارات شديدة اللهجة تأمره بالعمل على ضرورة إيقاف كافة أنواع العمليات في الحال مهما كان نوعها وطبيعتها (٣) أما التعليقات التي حملها مختار بك فتتلخص في أن يوضح لسعيد باشا الأضرار التي تصيب مصالحه ومصالح الباب العالي إذا استمر إنتاج السياسة التي يسير عليها من تشجيع مشروعات يعمل من مصر في أية حرب أوروبية مصرحا للزراع ، ويؤدي بها في نهاية الأمر لا إلى فصل مصر عن تركيا فحسب ، بل إلى ضياع حكم مصر من أسرة محمد علي (٤) .

- (١) Fontane Marius, *ouvr. cit.*, p. 42, Voir aussi Ritt, *ouvr. cit.*, p. 173. Bertrand et Ferner, *ouvr. cit.*, p. 170. Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. I p. 154. Sabri M., *L'Empire etc.*, *ouvr. cit.*, p. 66.

(٢) أنظر خطابا أرسله دى ليس من الإسكندرية إلى الشرق في ١٢ مارس ١٨٥٩ في الشركة في باريس بتاريخ ٢٠ يوليو ١٨٥٩ في De Lesseps P. *Lettres etc.*, *ouvr. cit.*, t. III, pp. 189-191

(٣) ترجمة هذا الخطاب إلى الفرنسية مذكورة في

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. I, pp. 158-169.

(٤) Hallberg, *ouvr. cit.*, pp. 186-187.

وعلى أثر تلقي الخطاب دعا شريف باشا ناظر الخارجية المصرية قناصل الدول إلى الاجتماع بمكتبه في ٤ أكتوبر ١٨٥٩ وفي ذلك الموعد حضر قناصل ست عشرة دولة، وأبان لهم شريف المهمة التي من أجلها أوصلت الحكومة التركية غنفلر بك إلى مصر - وتلا عليهم ترجمة الخطاب الوارد منها ، ثم أوصح لهم رغبة الوالي في تنفيذ أوامر الباب العالي بإيقاف العمل في حجر القناة، وأبدى أمه في أن نجد الحكومة المصرية تعاوناً من القناصل في هذا الصدد ، فيشيرون حل رعايا دولهم الذين يعملون في عمليات تنفيذ المشروع بالتخل عن أعمالهم . فإذا أصر العمال على مواصلة العمل وجب على القناصل مساعدة السلطات المصرية عند اتجاهاها إلى استخدام القوة وذلك بتحميل رعايا دولهم مسئولية رفضهم تنفيذ الأمر . وقد وافق القناصل على طلب الحكومة المصرية من حيث المبدأ ، ثم دارت مناقشة طويلة حول تحديد موعد لإحلاء منطقة البرزخ من جميع المستخدمين والعمال . وأخيراً أخطوا باقتراح فصل اليونان في تحديد المهلة بأول نوفمبر ١٨٥٩ ووقع للقناصل على ذلك القرار (١) وقد استجاب الأجانب الذين يعملون في تنفيذ المشروع لأوامر قناصل دولهم وغادروا منطقة البرزخ ولم يشذ عنهم سوى المستخدمين والعمال الفرنسيين ورفضوا ترك أعمالهم على الرغم من الأوامر الصريحة المتتالية التي أصدرها اليهم ساباتييه Sabatier قنصل فرنسا العام في مصر (٢) . وأظهروا تحلياً مافراً له وللمحكومة المصرية - وترجع الحركة لاروش Larousse الفرنسي قسم بورسعيد في شركة القناة ، وقد خطب في الفرنسيين وأشاع فيهم روح

(١) خطوطات قصر عابدين : محفظة رقم ٢١ حية . وثيقة رقم ٢٢١ في ٨ ربيع الأول ١٢٧٦ ( ٥ أكتوبر ١٨٥٩ ) من محمد شريف باشا إلى الجانب المال .

(٢) أنظر الأوامر والخطابات التي أرسلها قنصل فرنسا لهم وردود لاروش عليها بحريفة الشركة العدد ٨٢ الصادر في ١٥ نوفمبر ١٨٥٩ من ٣٤٧ بموجبه تكتل الراية . وتجد تكتلها

الجهور والصاد وكان مما قاله « إن التفصل لا يستطيع أن يجعلنا على البقاء في البروخ إذا قررنا نحن مقاديرته . أما والحال هذه ، فقد صممت على البقاء ، وسأخضع بشنة على هذا العمل باسم مصالح الشركة وباسم مهابة دولتنا » .  
 تأخره الفرنسيون على رأيه وقرروا المضي في أعمالهم ومقابلة القوة بمثلها إذا حصلهم أحد على الرحيل . وعاد التفصل يحملهم « مسئولية النتائج المؤسفة التي تقع نتيجة مقاومتهم وامتناعهم عن تنفيذ أمر الحكومة المصرية » ثم أوضح لهم مرة أخرى أنه إذا استخضت الحكومة المصرية القوة في إيقاف العمل في حفر القناة ، فسيلقى هنا الإجراء التأييد التام من التفصليّة العامة لفرنسا في مصر » .

وصلت أنباء تلك الأزمة إلى دي لابس في باريس فأنزعج انزعاجا شديدا وسارع إلى الاتصال بالإمبراطورة أوجيني بنى إليها أنباء تلك الأزمة الطارئة ويصوّر لها حرج مركز الشركة . وثار الرأي العام في فرنسا عندما نقلت إليه الصحف أنباء الأزمة ، وقامت الصحافة الفرنسية بتطالب الحكومة بتأييد الشركة دلاعا عن المصالح الفرنسية المشتركة في المشروع (١) وقابل وفد من أعضاء مجلس إدارة الشركة إمبراطور فرنسا في ٢٣ أكتوبر ١٨٥٩ ونجحت المقابلة مجاحا بعيدا ، إذ استطاع دي لابس أن يؤثر على الإمبراطور الذي وعده بالتدخل لحماية الشركة . وبلغت نتائج تلك المقابلة بسرعة فأرسلت وزارة الخارجية الفرنسية إلى سوابيته تفصيل فرنسا العام في مصر وأمر بعلم اتخاذ أي اجراء ضد نشاط الشركة في البروخ وعدم التعرض للفرنسيين هناك . وحلفت على ذلك حرية الشركة فقالت « وقد وصلت هذه الأوامر لحس الخط قبل أول نوفمبر ، وهو الموعد الذي أبلغه سوابيته لرعايا دولته

(١) انظر تفصيلات واقية من أحداث أزمة أكتوبر ١٨٥٩ في كل من

De Lesseps F. : Souvenirs de 40 ans dédiés à mes enfants t. II. pp. 686-688.

——— Origines etc. ouvr. cit., pp. 188-189.

٦٢ وكذلك أعداد جريدة الشركة الصادرة في أول نوفمبر و ١٥ نوفمبر وأول ديسمبر ١٨٥٩ .



لأنه إذا كانت التدابير الشديدة التي حددتها العمال المسالين قد نفذت لوقت  
بلا شك اصطفايات خطيرة . . (١)

ولم يلبث أن أصدر الكونت ولوسكي Walewski وزير خارجية  
فرنسا قراراً في ٢٦ أكتوبر ١٨٥٩ بنقل ساباتي فنعيل فرنسا العام في مصر .  
وأمان وزير الخارجية في قرار النقل استياءه لمسلك الفعيل العام لإزاء موضوع  
القناة ولأنه لم ينجح على التدابير التي اتخذت في اجتماع فنعيل الدول في ٤  
أكتوبر ١٨٥٩ (٢) .

كان من نتائج تدخل الحكومة الفرنسية السافر ، واصلت عمليات تعيد  
المشروع في نطاق ضيق وبدون تعيد لائحة المال . فقد كان نقل فنعيل  
فرنسا العام في مصر بسبب موقفه خلال الأزمة مدعاة لأن يعاود سعيد  
باشا بحفر أول الأمر سياسته الودية نحو مشروع القناة ، والتي لم يعدل عنها  
إلا فترة وجيزة تحت الضغط السياسي الشديد . ولم تكن هذه السياسة الودية  
في تلك الفترة تسحيراً للمصريين في حفر القناة . فالعارضة الإنجليزية لم  
تخف وطأتها ، وكان سعيد لا يرغب في أن يزود تركيا أو إنجلترا بسلح  
جديد إذا هو أقدم على بذل مساعدة علنية للشركة بنسخير جموع من  
المصريين في حفر القناة تنفيذاً للائحة المال . ولما كانت هذه السياسة  
الودية تتلخص في موقف سلبي اتخذته الحكومة المصرية : فهي لم تكره  
المصريين على العمل في تعيد المشروع ، ولكنها لم تصع عراقيل أمام  
الشركة عندما امتانفت استغلالهم بل تركتها وشأنها تتعاقد مع من شاء  
منهم أن يعمل في خدمتها ، ولم تعرض الحكومة للمال سوء . فكان العمل  
في الشركة يقوم وقتئذ على عرض من جانبها وقبول من جانب العمال  
المصريين .

(١) العدد ٨٢ الصادر في ١٥ نوفمبر ١٨٥٩ ص ٣٣٨ مجموعة السنة الرابعة

واستطاعت الشركة بفضل هذه السياسة الجديدة أن تستخدم نقسرا من الفلاحين وغيرهم من دمياط ومديرية الدقهلية والإسكندرية والقاهرة وغيرها وكان يطلق عليهم « العمال المصريون » ( الوطنيون ) الأحرار (١) *Ouvriers indigènes libres* تميزا لهم عن عمسال الخرة نيا بعد كما استعانت بالبلو الذين يرتادون صحراء مديرية الشرقية . فكانت تستأجر بجاهم في نقل ماء الشرب والأقوات إلى مستخدميها الذين كانوا يقومون بالأبحاث الفنية في داخل البرزخ . وقد عمل أولئك البلو أيضا في قيادة قوافل الخمال وإقامة الخيام في مراكز الأبحاث وسط الصحراء أماالعمال الأجانب فقد استحصلت الشركة عمدا لا بأس به من الفرنسيين والنمساويين والبحارة اليونانيين . وامتار للعمال النمساويون على أقرانهم غيرتهم في الأعمال العنية الدقيقة . وقد قال ديلبس : « بلأنا العمل باستخدام العمال الأوروبيين وكانوا على جانب كبير من الذكاء والإحلاص » (٢)

وهكذا بدأت منذ منتصف شهر نوفمبر ١٨٥٩ تتوالى أفواج العمال المصريين والأجانب إلى منطقة القناة وحدثت المواصلات سهلة بين دمياط وبورسعيد وشرعت للشركة تواصل تنفيذ المشروع . ويقول ريت *Ritt* بعد انفراج أزمة يونيو وأكتوبر ١٨٥٩ : « إن عزيمتنا القوية قد شلت منذ شهر أبريل بطريقة مؤسعة للغاية . وكم من وقت ثمين ضاع سدى » (٣)

ونحن نوود هنا إحصائية عن عدد العمال المصريين والأجانب مستقاة من تقرير مدير عام الأشغال في شركة القناة . في أول ديسمبر ١٨٥٩ كان عدد العمال المصريين قد بلغ ٧٨ وقد جرى بهم من دمياط ١ وبلغ عدد العمال الأجانب ٤٩ . وفي آخر ديسمبر ١٨٥٩ كان عدد العمال المصريين

(١) *Volsin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 178.*

(٢) من مطبعة أنفا دي لبيس في اتحاد المهتمين بهاريس في ٢٢ يوليو ١٨٦٢ ونشرت في جريدة الشركة العدد ١٢٩ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٢ من ص ٢٢٥ - ٢٣١ مجموعة السطاسامة

(٣) *Ritt, ouvr. cit., p. 178.*

قد أرفغ إلى ٣٣٠ ووصل عدد العمال الأجانب إلى ٨٠ (١) وقد وزع هؤلاء  
 وأولئك على التيجر الآتى :

اسم المكان	عدد العمال الأجانب	عدد العمال المصريين
بور سعيد	٨٠	٢٢٠
القنطرة	١٧	٨
فسرفان	٨	١٦
طسوس	٣٧	٥٧
مرأيسوم	٨	١٢
جنيسه	١٨	٢٢

وإذا كان شبح الأزمة السياسية قد تولد إلى حين فإن الحاجة إلى المسال  
 ظلت قائمة متفائمة . فهذا العدد الضئيل من العمال لم يكن شيئاً مذكوراً أمام  
 ضخامة المشروع إذا علمنا أن الشركة لم تكن لديها آلات ميكانيكية قوية  
 كثيرة نسبياً إلى حد كبير أو صغير من استخدام الأيدي العاملة ، فكانت  
 الشركة تواجه استحالة مادية فى تنفيذ المشروع . ومن ثم تطلعت ، بعد انفراج  
 أزمة أكتوبر ١٨٥٩ وبداية العام الجديد - ١٨٦٠ - إلى استخدام عمال  
 السخرة تنسيقاً للاتمة العمال . يدل على ذلك أن الشركة وضعت مادة تشير  
 ضراحة إلى هذه الرغبة وذلك فى الإصاق الهائى الذى أبرمته فى ٢٠ فبراير  
 ١٨٦٠ مع القونس هاردن مقابل الشركة العام لتنفيذ بعض مراحل المشروع  
 فنصت المادة (١٥) من هذا الإصاق على أن تتعهد الشركة بأن تقدم المقاول  
 بكافة الوسائل الممكنة جميع العمال المصريين الذين وعد بهم حضرة صاحب

السمو والى مصر (٢)

ولكن كان الموقف لا يزال دقيقاً بالنسبة لسعيد باشا بوجه خاص

(١) Vissien Bey, *op. cit.*, t. VI, pp. 148-150.

(٢) أنظر تقرير هذا الإصاق والملاحق التى أرفقت به فى

Vissien Bey *op. cit.*, t. VI, pp. 43-52

فالحكومة الإنجليزية لم تكف ، بعد الإفراج أزمة أكتوبر ١٨٥٩ ، عن الضغط الشديد على الباب العالي لنذ المشروع كلية . بل قد هدته بأنها ستبحث في تحديد موقفيها من تركيا إذا الأخيرة أقرت المشروع وحفرت القناة (١) . وكان الباب العالي يقوم بدوره بضغط على سعيد لإيقاف عمليات الحفر . وتبوءت في هذا الصدد مكاتبات وتبليغات سياسية بين لندن والقسطنطينية والقاهرة . كما أمنت المعارضة الإنجليزية في مهاجمة المشروع والشركة في مجلس العموم والصحافة الإنجليزية .

وإزداد موقف سعيد باشا حرجا حين ألقى ديسبس قبلة سياسية في اجتماع الجمعية العامة لمسمى الشركة في ١٥ مايو ١٨٦٠ ، إذ أعلن في خطابه يومئذ أن سعيد باشا قد وافق على أن يضم لحسابه جميع أسهم الشركة التي عجزت عن بيعها وكان عددها ١١٧ ألف سهم بعد أن أعلن ديسبس كلفا وزورا واجترأ على الحق مقب قفل باب الاكتتاب في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٨ أن جميع الأسهم قد بيعت وأن رأس المال قد غطى بأكمله . ومن الإنصاف لسعيد أن نقرر أنه رفض هذه الصفقة ، ولكن ديسبس أراد أن يقضه أمام الأمر الواقع ، فلما انتهى اجتماع الجمعية العامة أسرع إلى مصر يرجو سعيدا ويسأله لإخفا أن يقبل الصفقة فقبل الأخير بعد لأي . وأصبح مجموع عدد الأسهم التي اكتسبت بها مصر ١٧٧٦٤٢ سهما كانت قيمتها الإسمية ١٠٠,٨٢١,٨٨٨ فرنك . وكانت نتيجة هذه الصفقة أن أعطت الحكومة الإنجليزية على الباب العالي في ١٥ يونيو ١٨٦٠ بضرورة خلق سعيد من سعيه لأنه أمر بمصالح ولايته واستخدم الأموال المصرية في تمويل المشروع وإنقاذ الشركة من انهيار محقق (٢) .

ومالئ أن نأزم الموقف في منطقة الشرق الأدنى برول قوات فرنسية في سوريا في صيف ١٨٦٠ واحتلال بعض جهات منها على أثر المذابح الدينية

(١) Hoskins, *ouv.*, cit., pp. 358-360.

(٢) *Ibid.*

التي وقعت أول الأمر بين النور و الموارنة في لبنان. وقد انضمت فرنسا  
 باحتلال سوريا دون أية دولة أوربية طبقاً لبروتوكول باريس ( ٥ أغسطس  
 ١٨٦٠ ) وقد رأى بعض المراهقين المسلمين في ذلك الوقت أن هذا الاحتلال  
 يريد من النفوذ الفرنسي في منطقة شرق البحر المتوسط . وكان من الطبيعي  
 أن يثير هذا الاحتلال قلق الحكومة التركية ويجعلها تخطي مقاصد السياسة  
 الفرنسية في الشرق وبالتالي مشروع القناة الذي ما فتئت انجلترا تصوره لتركيا  
 بأن مشروع سياسي لفرنسى . كما أن انجلترا - وهي إحدى الدول الموقعة  
 على بروتوكول باريس - أبدت مخاوفها من أهداف فرنسا في الشرق حين  
 تباطأت الحكومة الفرنسية في جلاء قواتها عن سوريا وخشيت حدوث تقارب  
 سياسى بين فرنسا وروسيا على حساب تركيا (١)

ولما هذه الظروف غير المواتية لسمتت الشركة تجمع المال المصريين  
 بوسائلها الخاصة وتزيد من عددهم فلو الاستطاعة ، وكوت لجنة هدت  
 إليها بالطوائف في قرى الوجه البحرى والعمل على استئالة المال المصريين  
 للاتحاق بخدمة الشركة . وضمت هذه اللجنة مستحدا في الشركة يتكلم  
 العربية بطلاقة هو يوسف فرنقى Vennet ومنلوبا من قبل المقاول العام  
 كما صمت عاملين بارزين من المال المصريين المساعدة في تنظيم جمع المال  
 ولواسمهم إلى منطقة البرزخ (٢)

ولم تصادف هذه اللجنة حققات في قرى الوجه البحرى إلا في منطقة بحيرة  
 المنزلة . إذ كان هناك رجل إقطاعى يعتبر السكان المقيمين على ضفاف البحيرة  
 هيدا أرقاءه وأرسل دى لسيبس إلى سعيد شكاية بخصوص تلك العقبات (٣)

(١) أنظر الفصل الخامس .

(2) Voisin l'hy, over. cit., t. VI, p. 177.

(٣) كانت تسود منطقة بحيرة المنزلة ولا تزال إلى حدا حالة اجتماعية واقتصادية تتجهجورما  
 إلى أعمال مبيدة في الخارج . فكلما تلك المنطقة يشتغلون بصيد الأسماك . وكان هم رئيس يتحكم  
 فيهم . فكلما انفسه صناعة صيد الأسماك وما يصلها في المنطقة بأسرها . وكان يقدم بقوارب  
 الصيد أدواته ويستعمل على الأسماك لقاء أجور كلفتها لقاءه فحيطه تورج الأسماك لحسابه الخاص =

وابتلع حماؤه حيلة انطلت على عقلية محمد سعيد المتواضعة ، ومستصادفا هذه الحيلة مكرورة في معظم مذكراته وخطاباته إلى سعيد باشا كلما تطلع إلى مزيد من العمال المصريين . وهي أن عظمة سعيد الشخصية وتقدير الرأي العام في أوروبا له إنما يتوقفان على زيادة عدد العمال المصريين الذين يعملون في حفر القناة .

وفي ظل التناير التي اتخذها سعيد باشا استلاعت الشركة أن تستخدم ألواحاً من سكان بحيرة المنزلة في حفر القناة البحرية الصغيرة *la rigole de service* في منطقة البحيرة . ويقول ديسبس في العمل الذي قاموا به كان مضنياً (١) لكانوا يفتقون عراة تضر المياه سقائهم يضربون القاع بالفأس فيحززون الكتل الصلبة المستقرة ثم يزعروها من القاع بأيديهم وبناولها العامل بكلتا يديه لزميله الواقف إلى جانبه وهذا يناولها لغيره حتى تصل إلى حافة القناة (٢) ويقول

بعد ذلك بدأ النظام الإقطاعي إلى اقتدار البؤس بين السكان الذين أصبحوا في حالة شبه الرق فكان من الطبيعي أن يطرأ على الرئيس الإقطاعي - معمر - ألباشا ، الذي في الشركة إذ أصبحهم يركز على حصيلته اليومية من الأسلاك وتدخل فيه في الموضوع ورأي أنه لا تناس من تغير الأسلاك التي تقوم عليه تلك الحياة الاقتصادية الحاضرة نسل السلطة من رئيس الصيادين وألبي استكان سيد الأسلاك وهو النظام الذي كانت دائما تصلح رئيس الصيادين وشجع الأملين على امتلاك قوارب الصياد مقابل دفع رسوم لها الحكومة . وقد أدت هذه التناير إلى بعض التضرر في أسواق سكان المنطقة وإل تعرض من التضرر من قبضة رئيس الصيادين . انظر محسوس هذا الموضوع كما في

De Lesseps F. Association Polytechnique. Séance du 1er juin 1882. Conférence sur les Travaux du Canal de Suez et le sort des ouvriers en Egypte. Paris, 1882, pp. 13-15.

Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 11.

جريدة *L'Isthme de Suez* العدد ١٤٤ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٩٢ من ص ١٩٢-١٩١  
الطبعة السابعة .

(١) De Lesseps F. Conférence etc., ouvr. cit., pp. 13-15.

(٢) تجد وصف هذه الطريقة البيانية لفساد التي اتبناها الشركة في كل من

Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, pp. 183 et 198-202.

Ritt, ouvr. cit., pp. 198-199.

أرنولد إنه يجب إقامة ثمنال لإوائلث المال اللذين كابدوا الأهوال في حفر القناة في تلك المنطقة بوجه خاص . (١)

ولم تصغر جهود لجنة جمع المال عن نجاح يذكر ، ففي الشهور الأخيرة من عام ١٨٩٠ بلغ عدد عمال الشركة المصريين ١٠,٧٠٠ (٢) فكان الثريادة التي استطاعت تحقيقها عبارة عن ١,٣٧٠ عاملا ، وكان هذا العدد هو الفارق بين عدد المال المصريين في آخر ديسمبر سنة ١٨٨٩ وآخر ديسمبر ١٨٩٠ .

ويلاحظ أنه لما حبل بين الشركة في هذا الوقت وبين ما كانت تشييه من تسخير أفراد الشعب المصري في عمليات حفر القناة أخطت بتأثير أعمالها لا تتطلب حشودا كبيرة من المال المصريين تصل إلى الآف مؤلفة كما حدث في السنوات التالية ، بل قصرت نشاطها على أعمال تطلب عليها في مجموعها الصبغة الفنية . ويمكن القول إن نشاطها حتى مستهل عام ١٨٩١ كان بحريا وصناعيا أكثر منه نشاطا امتد إلى عمليات حفر القناة . فالتجهت جهودها في هذا الوقت إلى جعل بورسعيد مكانا صالحا لرسو السفن التي تخدم من أوروبا والإسكندرية حاملة مواد التكوين ومهمات تضيء المشروع ، فأقامت منارة ( فتارا ) وكوبريا تمتد في البحر من الشاطئ تجاه بورسعيد حتى يصل إلى أعماق كافية تحف عندها السفن لتفريغ شحنتها . ورأت الشركة أن يكون هذا الكوبري من الخشب وبها تتمكن من نقل الأحجار من محاجر المكسي بالإسكندرية ومن ثم قسرع في بناء أرصفة للميناء وحاجزى أمواج من

---

Percy Badger A visit to the Isthmus of Suez Canal Works. London 1892, p. 38.

وانظر أيضا عامرة عامة الصفاة ليهس في ١٢ فبراير ١٨٩٥ في مدينة فيون بفرسا وكان في طريقه إلى مصر . وقد نشرت في جريدة الشركة العدد ٢٠٩ الصادر في أول مارس ١٨٩٥ بحسوة الست المباشرة

(1) William Arnold, *op. cit.*, p. 33.

(2) Du Lemepts F . *Lettres, Journal et Documents etc., op. cit.*,

الصخور القوية . ومدت على هذا الكوبرى الخشب قضباناً حديدية تسير عليها عربات تحمل ما تعرضه السفن وتسيرها إلى حيث ورش الشركة ومستودعاتها في بورسعيد . وأنشأت أيضاً حوضاً للبناء وأقامت بعض الورش الميكانيكية الصغيرة في بورسعيد من نجارة وحداقة وحراطة وسبك معادن ولحمها إلى غير ذلك من الأعمال الفنية . وشيدت مصعفاً لصفي الطوب وكانت الشركة تجدي طين بحيرة المرة السوداء مادة طيبة لعمل الطوب ثم ما لبثت أن أسست فرناً لحرق قطع الطوب . واقتربت صفقة من عملات الجيش الإنجليزي في حرب القرم ( ١٨٥٢ - ١٨٥٦ ) وكانت عبارة عن اكواخ خشبية ضخمة كان يستعملها الجنود الإنجليز فكانت وقد أخذتها الشركة لتكوفه مساكن مستخدميها وعاملها الأجنبي (١) .

أما عمليات الحفر فلم تكن في ذلك النطاق ولا تلك الأهمية . وكان أهمها حفر قناة صغيرة تصل بين منشآت مياه بورسعيد وبين بحيرة المرة لتسيلا لنقل ماء الشرب ومواد القوي إلى بورسعيد مباشرة بواسطة القوارب وقد أطلق على هذه القناة اسم Le rigole de service entre les établissements du port et le lac المرة . وبلغ طولها ٢.١٠ متراً وعمقها نصف متر واتساعها خمسة أمتار . وأعدت الشركة من أجلها صناديق تسير فيها بسهولة إذ كان الجزء الفاسد منها لا يزيد ارتفاعه على ١٢ سم (٢) . وبحول إربولك « كان العمل الذي تم لحصول السنين الأولى قليلاً وقد تم فيها مسح الأراضي وإقامة المستودعات والورش وتنظيم ساحات الحفر وشراء الكراكات والآلات والأخشاب والحديد (٣) »

(١) تجد تفصيلات وافية عن نشاط الشركة لدى البحري في ذكره

Lavalley . Extrait du compte rendu des travaux de la Société des Ingénieurs Civils. Travaux d'exécution du Canal Maritime de l'isthme de Suez. Paris, 1868, p. 8.

Voisin Bay, ouvr. cit., t. VI, pp. 134-140, 154-163, 193-198.

Fontane Marins, ouvr. cit., p. 48.

(2) Voisin Bay, ouvr. cit., t. VI, pp. 136-137.

(3) Arnold Wilson, ouvr. cit., p. 23.



وهكذا انقضت سنة ١٨٥٩ . ١٨٦٠ ولم تقطع الشركة إلا هذا الشوط المتواضع في إقامة المنشآت البحرية والصناعية وغيرها في بورسعيد وطهرت المعارضة الانجليزية حرج مركز الشركة فنشرت جريدة التايمز Times تقول إن الأعمال التي نزع من الشركة أنها تقوم بها في منطقة بورخ السويس ليست الا صريحا من الأوهام ونسجا من الخيال، وإن الشركة تخدع مساهميها وتقدم لهم الخفايا بدلا من أعمالهم ومشروع ينجر (١)

---

(١) نشرت جريدة التايمز المقال في د. و ١٨٦٠ وأعادته نشره موريا إلى السنة الثامنة جريدة Isthmus de Suez ما عطلت عليه بإسهابه ولتحت ما حواه من بيانات انظر العدد الصادر في أول يوليو ١٨٦١ مجموعة السنة السادسة

## الفصل الرابع

### دعاية الشركة في مصر لجمع المال وفشلها

انحزال عميلات الحر - أزمة بين تركيا ومصر - سعيد ينافع عن نفسه  
ويلقى التهمة على دى لبس ونظام الامتيازات الأجنبية - ويلير  
غشايوف تركيا من فرنسا - ويسجل على نفسه أنه تموزة الأنساء  
والخصافة - إتفاق سعيد ودي لبس على حل مؤقت بخصوص  
العمال - الجمع الحر - سعيد ينافر مصر إلى الحجاز -  
الشركة توزع اعلانات على المصريين للعمل في حفر  
القناة - وتتفق مع مقاولين لتقديم عمال مصريين -  
نشاط دى لبس في الحقل اللغوي - علاقته مع  
البرطريك والأقباط - ومع المسلمين -  
دى لبس يصنع مشروعه بصيغة دينية -  
فشل الشركة في جمع المال المصريين .

... .

أرادت الشركة أن تصل بعمليات الحفر ذاتها إلى نتيجة عملية سريعة ،  
وكان والدها من إتباع هذه الخطة لإحكام المعارضة الإنجليزية التي كانت تنادي  
وتتخذ باستحالة حفر القناة في أراضي البرزخ ، وإشاعة الطائفة في نفوس  
مسهي الشركة من ناحية ثانية ، وحل مشكلتي النقل والتكوين في ساحات الحفر  
من ناحية ثالثة (١) وتحقيقاً لهذه الأهداف الثلاثة بلأت الشركة إلى وسيلة  
سريعة : فلم تحفر أول الأمر قناة السويس الحقيقية التي كان مقرراً أن يكون  
عرضها ثمانين متراً وعمقها ثمانية أمتار . وهي الأبعاد التي قررتها اللجنة  
العلمية الدولية (٢) ، ولكنها عملت على شق طريق مائي صغير يتراوح عمقه

(١) أفقر تقرير موجد بله Mougel مدير عام الأشغال في الشركة بتاريخ أول مايو  
١٨٦٠ وقد نشر في جريدة الشركة العدد ٩١ الصادر في ١٨ مايو ١٨٦٠ من ص ١١٧ - ١٧٢  
مجموعة السنة الخامسة .

(2) Vaisin Boy, ouvr. cit., t. IV, p. 81.

بين متر وبين متر وعشرين حقيمترا ، ويتفاوت عرضه من ثمانية أمتار إلى اثني عشر مترا . يبدأ من بور سعيد ويتجه جنوبا إلى بحيرة التماسح فالسويس على الخط المقترح لسير لقناة السويس ذاتها بحيث تكون تلك القناة صورة معبرة لقناة السويس حتى يحين الوقت الذي يتوفر فيه لشركة الوسائل تصديقها وتأسيسها وتعدو القناة البحرية في أبعادها المقررة (١) . وقد عرف هذا الطريق المختار باسم «قناة الخدمة البحرية الصغيرة La Rigue de Service» وأطلق عليه دي لسبس في خطابه الذي ألقاه في اجتماع الجمعية العمومية للمهني الشركة الذي عقد في ١٥ مايو ١٨٦١ Le Canal Maritime de petit cabotage أي القناة البحرية التي تسير فيها سفن ذات حمولة صغيرة (٢)

وكما اتبعت الشركة سياسة الاختزال فيما يخص بقناة السويس انتهجت هذه السياسة ذاتها في حفر ترعة الماء العذب . لقد نص عقد الامتياز الثاني على أن يكون مأخذ الترعة من النيل بالقرب من القاهرة فعملت الشركة إلى إجراء سريع أطلقت عليه «الحل المؤقت» La solution provisoire وكان يقوم على الاستعادة من ترعيتين قائمتين هما ترعة الرافدين وبدأ من الرافدين إلى العاصة في مديرية الشرقية . وترعة الوادي وبدأ من العاصة إلى

(١) انظر شرح هذه الفكرة في كلام

Percy Badger, ouvr. cit., pp. 34-35

What is meant by the "Rigue?"

تحت عنوان

وانظر أيضا

Fol. M. Notice sur l'état actuel des travaux de l'Isthme de Suez.

Avril 1868, p. 9.

Fontane Marius, ouvr. cit., p. 88.

Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 126.

(٢) جريدة L'Isthme de Suez العدد ١١٨ الصادر في ١٨ مايو ١٨٦١ ص ١٤١

صورة ستة السلسلة . وانظر أيضا

De Lesseps F. . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV,

القضاة . وعندها تخفى الشركة ترعة تكون امتدادا لها وتنتج إلى تقيشة بالقرب من بحيرة القساح (١) . وكانت مدينة الزقازيق على إتصال مائى بالقاهرة عن طريق نهر موسى وهرع دمايط . كما كانت على إتصال جديدى بالإسكندرية والقاهرة وغيرها إذ كان ينهى عنها على عهد سعيد باشا . الخط الجديدى المقترح من بينها (٢) .

ولم ترع الشركة وهى فى صدد تنفيذ هذا البرنامج المزوج فى وقت واحد أن تعتمد على آلات حفر قوية تنبها عن استخدام ألواح كبيرة من العمال المصريين ، ولكنها ظلت تتطلع إلى تطبيق لائحة العمال وذلك لعدة أسباب ، منها : الوفرة الكبير الذى يحققه نظام السخرة ، وارتفاع أثمان الكراكات وصيانتها . إذ كان ثمن الكراكة الصغيرة فى ذلك الوقت يبلغ ٥٤,٩٠٠ فرنك (٣) : هذا نفقات شحنها إلى بورسعيد ونقلها إلى ساحات الحفر داخل منطقة الرزح وإعادة تركيب أجزائها هناك . يضاف إلى تلك الأسباب طمع دى لسبس فى استقلال الشعب المصرى إلى أبعد الحدود معتمدا على صنعه الشخصية بصديقه سعيد باشا .

وكان دى لسبس قد استراح من مشكلة الأسهم المتبقية لدى الشركة دون بيع عقد الإنفاق المالى مع الحكومة المصرية فى ٦ أغسطس ١٨٦٠ ونهزت مشكلة تنفيذ لائحة العمال المصريين إلى مكان الصدارة من اهتمام دى لسبس . وعول على أن يطالب سعيدا بتنفيذها . ولكن كان مركز سعيد باشا ضيقا حرجا . فإن صفقة الأسهم التى عقدتها مع الشركة قد أساءت إلى مركزه فى إنجلترا بوجه خاص وسقطته هدفا لحملة سياسية عنيفة (٤) . كان

(١) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, pp. 208-209.

(٢) Wiener L., L'Égypte et ses chemins de fer, Bruxelles, 1832.

pp. 88.

(٣) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 57.

من فيلما أن أرسل الصدر الأعظم بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٢٧٧ (١٨٦٠) خطابا إلى سعيد أبدى فيه امتياع الباب العالي من النشاط البادى في عمليات تنفيذ المشروع ، إذ أن الشائعات تردد أن عدة الآف من العمال يشتغلون في حفر القناة ، وطلب الصدر الأعظم من سعيد باشا أن يراقبه بحقيقة الموقف وأمره بعدم تجاوز قرار الحكومة التركية السابق بإيقاف العمل في حفر القناة لأن السلطان لم يصدر تصديقه بعد على عقد الامتياز (١).

وقد رد سعيد بكتاب مسهب بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٢٧٧ (٢ يناير ١٨٦١) استهله بالدفاع عن موقفه كما فعل في خطاب سابق ، وقرر أنه وضع في عقد الامتياز شرطا صريحا هو ضرورة تصديق السلطان على العقد قبل الشروع في حفر القناة ، ولكن دى لبس ه شرع من تلقاء نفسه في القيام ببعض عمليات جزئية معتبرا إياها من أعمال الاستكشاف التمهيدية ، ثم أشار إلى أحداث أرمه أكتوبر ١٨٥٩ ومساوخته إلى تنفيذ الأمر الذي حملة إليه مختار بك بإيقاف العمل في حفر القناة ، وأنه عقد اجنباها من قناصل الدول واتفقوا على أن يكون أول توفير ١٨٥٩ موعدا لتنفيذ أمر البساب العالي ، ثم قال : « ويبدأ كان هذا الأمر على وشك التنفيذ فقد عزل لهذا السبب فقط القنصل العام للحكومة الفرنسية القنخيمة و هو توب أيضا القنصل العام للحكومة النمساوية » ثم أوضح صيد استحالة إيقاف العمل في تنفيذ المشروع بسبب قيام نظام الامتيازات الأجنبية ، وأنعى باللائمة على قناصل الدول لأنهم لا يتعاونون مع الحكومة المصرية في هذا الصدد . هم يرقصون منع رعابا موهم من العمل في الشركة : « وعلى ذلك بقيت الحالة على ما هي عليه ».

وقد نرى سعيد باشا في خطابه ما كانت تردده للشائعات وكشك من

Hallberg, *ouvr. cit.*, pp. 183-184.

Hussein Husni, *ouvr. cit.*, p. 294.

Abraham Nouré Seïfed Deao, *ouvr. cit.*, p. 99.

(1) Doum George . *Histoire du Règne du Khédive Ismaïl*, t. 1 Rome

استخدام عدة الآف من المال في حفر القناة . وغرر أن عيدهم يقرب من خمسمائة عامل فحسب يقومون بأعمال اختيارية . وأنه يوجد في صفوفهم عدد قليل من المصريين المتعطلين . وأما غالبية المال من الأجانب وفيهم جماعة من الإنجليز كان فصلهم يلزم الصمت حيالهم . . وآخرها محمد سعيد إلى تصوير دقة موقف الحكومة التركية إذا أصرت على إيقاف عمليات الحفر فقال « وقد استدعيت مؤخرًا السيودى ليس الموجود هنا وأهمته في إلحاح وإصرار لزوم إيقاف ما يقوم به من تركيب آلات الحفر وإجراء التجارب عليها ، فأجاب . إذا أنتم الآن على تعطيل هذه العمليات فلا يخالفكم أى شك في أن المسبيين في الشركة والبالغ عددهم خمسة وعشرون ألف ضس يقومون بقوة واحدة مطالبين بتوصيفات ضخمة ويثيرون مشكلات . وقد جعلنى هذا القول من جانب أتوهم أن المسألة سترداد تعقيداً وأنها تؤدي في النهاية إلى مناهضة تشمل السلطة السنية بحيث في حيرة وتردد (١) »

وفي نفس اليوم وهو ٢ يناير ١٨٦١ الذي أرسل فيه سيد هذا الخطاب إلى المصادر الأعظم بحث حطفت ناك إلى مختار بك القوكتخدا - مندوب والى مصر في القسطنطينية . أعترف فيه صراحة أنه مضطرب اضطراباً لا مزيد عليه بسبب تطور المواقف في مشكلة القناة . وقال إنه ، إذا كان يعتمد . حين أصدر عقد الامتياز إلى دى ليس . أن الموضوع سيصل إلى هذه الدرجة من الخطورة والتعقيد . وأنه لو كان يعلم أن الموضوع سيثير كل تلك التخللات لما أصدر عقد الامتياز على الإطلاق . ولكنه أخطأ في إضمار المقد . وكان شأنه في الخطأ شأن سائر البشر لأنهم معرضون للخطأ في تصرفاتهم (٢) وهكذا سجل رسمياً ، على نفسه أنه كاتب مغرور صعات الحاكم من الحصافة والأناة ويحمد للتعذر .

(١) محمد طه ديس عدد ١٩ ، مصدر عدد ١٩ ، مصدر عدد ١٩ ، وثيقة رقم ١١٢ من مكتب المثل إلى السيد الحكيم بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٢٧٧ ( ٢ يناير ١٨٦١ ) .

(٢) محظوظات مصر عابدين . مصدر رقم ١٩ ، مصدر عابدين وثيقة رقم ٢١٦ / ٣٦ من المجلس العالي إلى آيات العالي بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٢٧٧ ( ٢ يناير ١٨٦١ )

اعتقد سعيد أن فرنسا لن تعتمد على نصرته أو تأييده إذا اكتمل الحسب السياسي بينه وبين تركيا أو إنجلترا (١) ، فأذا أقدم على تنحية لأخيه العمال وسخر للشركة جموعاً ماثلة من المصريين لكان من المحتمل أن يعتبر هذا التصرف تحدياً صريحاً من وإلى مصر الباب العالي . ولكن من المحتمل أيضاً في هذه الحالة أن تتجسس محاولات الحكومة الإنجليزية لدى الباب العالي على سعيد . يقول هليبرج : « كان الوالي لدمر » من المعارضة الإنجليزية يؤجل شهراً بعد شهر لإرسال العمال المصريين . وهو أمر أعاق تقدم العمل في القناة إلى حد بعيد » (٢) .

تدارس سعيد باشا الموقف من جميع جوانبه مع دى ليسبس ومدير مصالح الأشغال في شركة القناة ومقاولها العام . وقد قرر دى ليسبس « أن سعيد باشا كان مزعجاً إلى حد بعيد وبهذا الأفق السياسي متثلها بعداء ظاهر هو (٣) » واللب سعيد ألا تثير الشركة أمام الحكومة المصرية المتأرب والصعاب بمطالبها بتحويل لأخيه العمال في تلك الآونة . واعترف دى ليسبس بأن سعيد كان على حق في هذا الطلب (٤) . وقد أخذ دى ليسبس برأى سعيد في وجوب التريث فترة أخرى في تنفيذ اللائحة وأن يستمر جميع العمال وفق الطريقة الحسنة Le recrutement libre دون أن تتدخل السلطات المصرية لإكراه المصريين حل العمل في حفر القناة (٥) .

وقد رجع دى ليسبس في يناير ١٨٦٦ ملكرة إلى القنصلية الفرنسية العامة

(1) Hallberg, *ouvr. cit.*, p. 127

(2) Hallberg, *ouvr. cit.*, pp. 167-168.

وأظهر أيضاً انحرافه منه المأله

Bretrand et Ferrier, *ouvr. cit.*, pp. 228-227.

(3) Fitzgerald, *ouvr. cit.*, t. 1, pp. 261-262.

(4) *Ibid.*

(5) De Lesseps F. *Lettres, Journal et Documents etc.*, *ouvr. cit.*,

في مصر بخطرها بهذا الوصح الذي أغلخته مشكلة السخرة . وقد جاء في تلك المذكورة : أرادت الشركة أن تجنب سعيد باشا تهديدات إنجلترا والباب العالي فتخلت مؤقتا عن مطالبة الحكومة المصرية بتنفيذ اللائحة التي تعرض على الحكومة تقديم المال إلى المقاول ، واتخذت من التدابير ما يكفل قدر الإمكان جمع المياه بالطريقة الحرة . وقد قامت الشركة في بورسعيد والقنطرة وقرمان والجسر والتمساح وسرايوم وغيرها بإنشاء قرى للفلاحين الذين يفتون من الدلتا ونحوم سوريا حيث أبدوا رغبتهم في العمل بملح من المعاملة الطيبة والأجور التي ستصرف لهم وهو أمر جليل بالنسبة لهم ، وهكذا سوف يخدم المقاول العام للشركة دون خوف أو وجل على عمال مجدين يكتفون بتنفيذ الأعمال في مراحلها الأولى (١) .

وقد بلغ من حرج الموقف في مصر أنه بعد أن تم الاتفاق على هذا الحل وبعد أن أرسل سعيد خطاييه بتاريخ ٢ يناير ١٨٦١ إلى الباب العالي والقبروكية ، قام سعيد باشا برحله إلى الأنظار الحجازية . لغادر القاهرة في ٢١ يناير ١٨٦١ إلى السويس ومنها أبحر في ٢٦ يناير إلى العريضة على ساحل البحر الأحمر في طريقه إلى المدينة المنورة . ويقول أحمد النين اصطحيهم الوكيل في رحلته ، وهو القائمقام المهندس محمد صادق بك ، أن هذه الرحلة سببا سياسيا ، إذ كانت الحكومة التركية قد استدعت الوالي المصنوع إلى القسطنطينية لمعرض الذهاب إليها وأخذت من رحلته إلى الأنظار الحجازية مبررا لعدم سفره إلى العاصمة التركية (٢) ويؤيد هذا القول أن الرحلة لم تتم

(١) De Lamscept B. . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit. t. IV, pp. 5-8.

(٢) أنظر محيايخون

Mémoire il y a vingt ans. Souvenirs d'un voyage à la suite de Saïd Aïtane Saïd Pacha.

للقائم محمد صادق في مجلة الجمعية المصرية الجغرافية لسنة ٨٠٠ رقم ٨ شهر مارس ١٨٨٠ - ١٩ - ٢٢ رقم ٩ ١٠ شهر أغسطس وفبراير ١٨٨٠ من ص ٤



في موسم الحج فقد بلغ المدينة المنورة في مستهل شهر شعبان ١٢٧٧ وأقام بها خمسة أيام وعادها إلى ينبع ومنها أبحر في طريق عودته إلى القاهرة التي بلغها في ١٧ شعبان ١٢٧٧ ( ٢٨ فبراير ١٨٩١ ) . ومهما يكن من أمر استنحاء الباب العالي له فقد أراد أن يكون غيابه عن مصر كفيلا لتخفيف حدة التوتر في العلاقات المصرية التركية بسبب موضوع القناة وحتى لا يتهم الباب العالي بأنه ضالع مع شركة القناة في حشد العمال المصريين لحفر القناة .

٠ ٠ ٠

وأحدث جريدة L'Estimmo de Suva قبل انعقاد الجمعية العمومية لمساهمي الشركة والتي كان محمدا لاجتماعها ١٥ مايو ١٨٩١ تمهد الرأي العام الأوروبي عامة وحطة الأسهم خاصة لقبول الوضع الذي أخذه مؤلفا مشكلة الأيدي العاملة المصرية في حفر القناة قبل أن يملك دى لبس هم في ذلك الاجتماع ، فقالت إن الطريقة التي تتبعها الشركة في جمع العمال المصريين ، وهي تقوم على أساس الرغبة من جانب القلاح في العمل في ساحات الحفر

١٤٠٠ وانظر أيضا عصر جنة الجمعية المصرية الخيرية بتاريخ ٢ يناير ١٨٨٠ في جلتها العدد رقم ٧ شهر فبراير ١٨٨٠ من ص ١٧ - ٥٢ وجلتها بتاريخ ٩ أبريل ١٨٨٠ في جلتها العدد رقم ٨ شهر مايو ١٨٨٠ من ص ٢٧ - ٢٩ . وانظر مخطوطات قصر عابدين : دفتر ١٨٩٤ جرد أول مساهم أوامر عري وثيقة رقم ٩٥ من ٩١ وثيقة رقم ٦٤ من ٩٠ .

١٤٠١ د. هـ. جدير بالذكر أن السيد بلخا رحه مشورا إلى كبسار موظفي الحكومة المصرية أبلغهم فيه أنه يكرم الممر إلى الجبل وطلب منهم إهداء وأهم في هذه المرحلة وقد حقق كبار الموظفين أن يكون المشرور عمدة من سيد بلخا يحرص حليقة لشورهم محمودة ولم يرحبوا بغيره خوفا أن يتهمهم الزوال بأنهم يملكونه غيابه عن مصر . وقد اصطب في سفره قوة عسكرية كبيرة تشمل مختلف ألسنة الجيش كما وافقته حاشية كبيرة المندوب من أفراد أسرته ومجموعة من بلشوات مصر وكبار الموظفين والمهندسين والأطباء البشريين والبيطريين . وبلغ عدد الجميع إلى شخص عدا ثلاثمائة جنرال جنرال ماء الشرق والأصغر . وقد جعله المرحلة مثلا صارعا فتبدد سيد وتهدد أموال الشعب .

وحل قبوله الشروط التي تعرضها الشركة عليه - لاتدخ مجالا لماضى المشروع  
ليطعنوا في وسائل تنفيذه كما أن هذه الطريقة تحول في نفس الوقت دون  
وقوع أي تصادم مع الحكومة المصرية (١).

وقد نشرت جريدة Le Constitutionnel الباريسية في عددها الصغير  
في ١٠ أبريل ١٨٦٦ مقالا في هذا الصدد قالت فيه إن دى ليس كان  
يتجنب المشكلات السياسية التي يفتح إثارتها تسخير المصريين في حفر  
القناة ، ومن هنا بنيت فكرة جمع العمال المصريين وفق الطريقة الحسنة .  
ووصفت الجريدة هذه الطريقة بأنها تجديد لم تشهد له مصر من قبل نظيرا  
مما يعد انقلابا في تنفيذ المشروعات الكبرى (٢) ، والواقع أن هذه الطريقة  
كانت تحاول أن تحل ما كانت تشعر به من حرارة وألم إذ حيل بين الشركة  
في ذلك الوقت وبين استخدام السخرة في حفر القناة . فلم يكن هذا الأسلوب  
تجديدا ، بل كان طبيعيا وعاديا جدا أن تستخدم شركة في مصر عمالا هي  
في حاجة اليهم دون أن يدفع عليهم إكراه كي يعملوا في خدمتها . وإذا كانت  
الجريدة تشير إلى ما كان يحدث في مصر إلى ذلك الوقت وبعده من قيام  
الحكومة بتسخير المصريين في تنفيذ المشروعات الكبرى ذات المنفعة العامة  
مثل حفر الترع وتطهيرها ومد الخطوط الحديدية وما إلى ذلك فإن هذا الأمر  
عرف موروث وتقليد حكومي قديم لا ينبغي حل شركة القناة .

ولما اجتمعت الجمعية العمومية لمسمى الشركة في ١٥ مايو ١٨٦٦ تعرض  
دى ليس في خطابه الإضافي الذي ألقاه في ذلك الإجتماع (٣) لمشكلة الأيدي

(١) العدد ١١٦ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٦٦ ص ١١٤ - ١١٥ بحرينة السابعة.

(٢) أضافت جريدة L'Isthme de Suez نشر هذا المقال في العدد ١١٧ الصادر  
في أول مايو ١٨٦٦ ص ١٢٨ - ١٢٩ بحرينة السابعة.

(٣) De Lamoignon F. , Histoire, Journal et Documents etc., ouvrage, cit.,  
t. IV, pp. 42-63.

كانت تشرته وكنت جريدة L'Isthme de Suez في العدد ١١٨ الصادر في ١٨ مايو ١٨٦٦  
بحرينة السابعة.

الماملة المصرية في حفر القناة ، فذكر أن الشركة قد غفلت مؤثما عن المطالبة بتنفيذ لأجبة العمال المصريين ، وأنها في تلك الآونة تجمع العمال وفق الطريقة الحرة دون ضغط أو إكراه . وبرر ديسليس هذا المسك تبريرا يعطى حل التفضل والمضى على سعيد باشا إذ قال إن هذا الحل قد تم ، ورضية منا في تجنب الحكومة المصرية مضايقات مؤلمة ، وفي نفس الوقت مع عدم المساس بحقوق الشركة ومصالحها . ثم حاول في خطابه أن يشيع قوما من الطمانينة في نفوس المسهمين فزعم أن جمع العمال وفق الطريقة الحرة قد أسفر عن حشد عمال مصريين ، يكونون مطالبين الأولى ، وأبدى رجاءه في أن يستجيب أهالي مصر وسوريا لنداء الشركة فيبهرون طواعية إلى ساحات الحفر .

وفي الواقع لقد اضطر ديسليس إلى قبول هذا الحل لأنه كان يسئ بالرائى القائل إن ما لا يدرك كله لا يترك كله . فهذا الاتفاق كسب للشركة لا يمكن تجاهله إذا قورن بالأبام العصبية التي مرت بها خلال أزمة أكتوبر ١٨٥٩ وحيل بينها وبين استخدام العمال المصريين والأجانب على السواء ، فحسب الشركة أنها كانت تستطيع في ذلك الوقت أن تباشر عملية استخدام العمال المصريين بحرية تامة وأن يتسع نطاق حركة جمع العمال فيمتد إلى الوجه القبلى . وكان ديسليس يعتقد أن هذه الخطوة من جانب سعيد سكتوها خطوات إيجابية في صالح الشركة عندما تنفتح اليوم السياسية . وكان الزمن حليفا قويا للشركة ، فكلما مضت الأيام زاد مركز للشركة توطئا أسام تردد الحكومة التركية في موقفها وضعفها عن اتخاذ قرار حاسم صريح في مشروع القناة . يضاف إلى ذلك أن هذا الحل المؤقت لا بدع مجالاً لمعارضة الإنجليزية وغيرها لإتخاذ موضوع تسخير المصريين في حفر القناة فريضة لمناوأة المشروع . وكان ديسليس يحرص على ألا يزود معارضى المشروع بسلح جسد يد يتهربوه ضده . وقد قال في خطاب أرمته من الإسكندرية بتاريخ ١٤ مارس ١٨٦١ إلى اللوق دى البوفرا نائب رئيس مجلس إدارة الشركة في باريس دوائى لأهل شيئا في العمل على اجتذاب أكبر عدد ممكن من العمال الأحرار إلى ساحات الحفر . إن هذه المسألة على قدر من الأهمية عظيم

بالنسبة لنا إذ أن لفظ السخرة هو المصير الذي تلجأ حوله المناقشات الحالية عند خصوصاً لتجليل سير عمليات الحفر (١) ، ولا يغرب عن البال أن دى لسبس رجل ماكر : يرى أنه إذا عجز عن بلوغ هدفه دفعة واحدة فلا أقل من أن يعمل إليه على مراحل ، وكان أهم ما يحرص عليه أن يبلغ هدفه ويحقق مصلحه ويسخر الشعب المصرى في حفر القناة .

طلبت إقامة دى لسبس في مصر فبلغت جثة أشهر ليشراف بنفسه عمل التدابير الخاصة بمواجهة مشكلة المال (٢) . ولم يقطع هذه الإقامة إلا مغره إلى بلاد الشام لجمع عمال منها . وأخذ ينتقل بين ساحات الحفر ليكون عوناً لرواسيها ومستغنياً يملأ الصعاب التي تواجههم ويثير الحماس في نفوسهم . وقد أبدى خلال هذه الفترة الوافداً كثيرة من ضروب التشاؤم والخذل على تحمل المتاعب والمقدرة على إعداد وسائل الدعاية والتفاس العون من كبار المسلمين والأقباط في مصر ومن الهيئات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام بعد أن أضفى على مشروع القناة صبغة دينية تارة إسلامية وتارة مسيحية .

وضع دى لسبس إعلاناً باللغة الفرنسية دعا فيه المصريين إلى العمل في ساحات الحفر ووعدهم بالكسب الوفير والحياة الرقيدة . وأرقى الإعلان بخطاب أرسله من عتبة البحر في ٨ فبراير ١٨٦١ إلى رويسنرس Huyssens الوكيل الأعلى لشركة القناة في مصر يطلب إليه العمل على ترجمة هذا الإعلان إلى اللغة العربية ثم طبعه في إحدى المطابع (٣) . ولم تقع في أيدينا الترجمة

(١) De Lesseps F. : *Lettres, Journal et Documents etc.*, ouvr. cit., t. IV, pp. 28-30.

(٢) ضم دى لسبس مصر في الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر ١٨٦٠ ( أنظر جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٠٠ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦٠ ص ٢٣٢ ) وأقام في مصر حتى ١٨ أبريل ١٨٦١ حين صافى إلى باريس ليترأس الجمعية الممثلة لسبس الشركة في ١٥ مايو ١٨٦١ ولم يرجع دى لسبس مصر خلال تلك الفترة إلا عندما أرسله إل الشام استقرت له بعض الجمعيات من هناك .

(٣) De Lesseps F. : *Lettres, Journal et Documents etc.*, ouvr. cit., t. IV, pp. 18-20.

العربية لهذا الإعلان . وقد أخفاه معظم المؤلفات الفرنسية التي تناولت تاريخ القننة في شتى من الأسباب ، فلم يذكر في صورته الأصلية باللغة الفرنسية إلا في جريدة الشركة (١) . وفي بعض كتب فرنسية قليلة جدا عاصر مؤلفوها حفر القننة (٢) كما نشره دي لبس في وثائقه .

وفي هذا الإعلان دعا دي لبس المصريين للاشتراك في حفر القننة وحجبه إليهم الفصل وزينه في قلوبهم ، فذكر أن الشركة قد أنشأت قري لسكنى العمال وأنها أقامت في كل منها مسجدا يقيمون فيه شعائرهم الدينية ، وقرروا أن ماء الشرب متوفر ، وحدد لهم الأجور فجعلها على أساس إنتاجهم وليس على أساس عدد الأيام التي يقضيها العامل في الحفر ، وذهب إلى أن أجر العامل سيترأى بين ستة قروش وثمانية قروش في اليوم . كما أباى في إعلانه أن هناك فرصة أمام العمال المبدئين لزيادة أجورهم إذا ضاعفوا جهودهم في أعمال الحفر . وأوضح لهم طرق المعيشة في جهات البرزخ وترك العمال حرية شراء ما يروق لهم من مخازن القمار بالأثمان المخفضة في التسيرة أو من الباعة المجولين . واختم دي لبس الإعلان بقوله إنه حرم على الرؤساء الأوربيين مهما كانت مناصبهم أو درجاتهم ضرب الملاحين أو إساءة معاملتهم (٣) .

وقد طبع من هذا الإعلان ثلاثة آلاف نسخة وزعت في المدن والقرى ، وأصبحت نسخ منه على أبواب المساجد ومحطات السكك الحديدية وأقسام البوليس والأسواق والشوارع الآهلة بالسكان كما حلت نسخ منه في ساحات الحفر المختلفة (٤) .

(١) العدد ١٢٢ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦١ من ٢٢٧ جريدة السنة الجديدة .

(٢) Fontane Marini, *ouvr. cit.*, p. 66. Voir aussi

Volzin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, pp. 229-230.

(٣) أنظر الترجمة العربية للنص الفرنسي في الملاحق رقم ٢ .

(٤) جريدة L'Éclair de Syze العدد ١١٥ الصادر في أول أبريل ١٨٦١ من ١٠٢

جريدة السنة الجديدة .

واستكمالاً لأسباب نجاح الدعاية أنشأت الشركة مكاتب تتولى تنظيم عملية جمع المال والإشراف على سفرهم إلى ساحات الحفر . وكان مقر هذه المكاتب القاهرة والمنصورة ودمياط ولفرقايق وطعتا . أما في الوجه القبلي فقد أنشأت مكاتبين أحدهما في أسوط والآخر في قنا . وألحقت بكل مكتب مجموعة من المستخدمين المصريين أو اللبنانيين وكان يطلق على كل منهم *agent recruteur* أى المتدوب الخاص بجمع المال . ويطوف لهذا الغرض بالجهات التي لمحمدها له الشركة في المنطقة التي يتبعها المكتب. فكان إذا حل بأحد مراكز المديرية قصد منزل العملة في القرية الأولى وطلب إليه أن يبحث له عن راغب العمل في حفر القناة . فكان العملة يبحث في طلب الأشخاص الذين يأمن فيهم رغبة في العمل . وكانوا يحتمون في منزل العملة، ويشرح لهم المتدوب محتويات إعلان الشركة ويتعاقد مع الراغبين منهم على أساس ما جاء في الإعلان ويلتزم لهم مقلما جزءا من أجورهم يديرون بها أمر عائلاتهم قبل رحيلهم . وكان يطلب منهم موافاته في مركز المديرية بعد يومين أو ثلاثة أيام وكان عقد العمل يسرى لمدة شهر واحد (١) . وواضح أن العملة كان يتحمل المسؤولية الضمنية إذا أغفل أحد رجال فريقه بالاتفاق كأن يرفض السفر ولا يريد ما دفع له من مقدم الأجر . وكان المتدوب يقصد بعد ذلك القرية المجاورة ويتحدث في هذا الصدد إلى رجالها في منزل عملتها وهكذا حتى يتم طوافه بقرى المركز . وعندما يلتزم عمل المال الذين يجمعهم المتدوب بهذه الطريقة يوثقون فرقة برأسها شيخ بلد من إحدى القرى ويرافقهم في سفرهم إلى منطقة البرزخ .

وقد حدثت الشركة إلى وسيلة أخرى لجمع المال المصريين بجانب الإعلانات وللمكاتب التي أنشأتها - فأبرمت اتفاقات مع بعض القاولين أعطوا حل عائلاتهم تقديم عدد من المال المصريين لما حل أن يتقاضى القاول عن

(1) De Lesseps F. : *Lettres, Journal et Documents etc.*, ouvr. cit., t. IV, p. 28. Voir aussi Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 231.

كل رجل عشر بارات ( نصف قرش ) من كل يوم من الأيام التي يقضيها للعامل في عمليات حفر القناة (١) . وكان أولئك المقاولون — أو غالبيتهم العظمى — من الأجانب نذكر منهم اثنين على سبيل المثال هما كوستا Costa وباليدي Baidi . وقد يبدو هذا الأمر غريبا ، ولكن القراية تتلأهى إذا علمنا انه كان لإولئك المقاولين أن يطلبوا مساعدة السلطات المصرية في جمع العمال لشركة القناة (٢) . وقد وجدت الشركة أن هذه الوسيلة تساعد على زيادة عدد العمال المصريين الذين تحصل عليهم وخاصة لأن مندوبى العمال لم يكونوا من الكثرة والمقدرة بحيث كان يتوقع أن ينجحوا في جمع العدد الكبير الذي كانت تتطلبه الشركة إليه . غير أن اشتغال المقاولين بتقديم العمال لم يسلم طويلا ، إذ ما لبثت — كما سنرى — أن فعلت الحكومة لأجحة العمال ، فلم تعد هناك حاجة إلى استغلال المقاولين وبالتالي إلى تحمل التبعات التي كانت تدفعها الشركة لهم طالما أنها كانت تظفر بأفواج ضخمة العدد من أفراد الشعب المصرى بمجرد طلب بسيط تبعث به الشركة إلى مديرى المديرية .

وتقرب دى لسبس إلى الشخصيات المصرية التي يأنس فيها مقبرة عمل مساعدة المشروع من أية ناحية كانت وسواء كانت هذه المساعدة مادية أو أدبية . كانت قد دارت محادثات بين الأنبا كرلس الرابع بطريرك الأقباط الأرثوذكس وبين ساباتييه Sabatier قنصل فرنسا العام في مصر بصدد مسألة في الحفشة اهتمت بها فرنسا واتسمت بمساعدة البطريرك لدى امبراطور الحفشة لحظها (٣) . ويلاحظ أنه كانت بين الأنبا كرلس الرابع

(١) De Lencqes F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr., cit. t. IV, pp. 28-30.

(٢) الجزء الرابع من ١٩١٩ من المصدر السابق .

(٣) أرادت فرنسا أن يعمل الربندان اليونانيون الحفشة ويشاروا تساهلهم بها وعرض ساباتييه تفعل فرنسا العام في مصر على البطريرك سلطنة لدى محمد سعيد والى مصر لمادة المطيع بالأنبا بطريرك في العلاقات الكرية في مقابل أن يحصل البطريرك من تصريح من امبراطور الحفشة يستعملون الربندان اليونانيين في بلاده والتمن لها . انظر العام من القس : قساويع الكنيسة القبطية القاهرة ١٩٢٤ من ١٧٢ .

وبين الفرنسيين صلات مودة ، وانتهز دي ليسبس الفرصة ووطد علاقاته مع البطريرك كي يملك نفوذه لدى كبار الأقباط في الصعيد بوجه خاص لتشجيع الأقباط على العمل في حفر القناة . فلما وافته المنية فجأة في ٣٠ يناير ١٨٦١ لم يمكن دي ليسبس إلا في النتائج التي ترقبت على وفاته من حيث تعطيل أو تأخير حشد الأقباط لحفر القناة - فكتب من القاهرة في ٤ مارس ١٨٦١ إلى اللوق البولغا نائب رئيس مجلس إدارة الشركة في باريس خطابا جاء فيه « كنت أخشى أن تنجم عن وفاة بطريرك الأقباط التجارية عرقلة في جمع المال الأقباط ، ولكن لن يعلم الأمر إلا بعض التأخير فقط . ولأن أرسل إلى قرى مصر الوسطى وبلاد الوجه القبلي أحد رجال الأقباط المحليين لنا وهو على جانب عظيم من اللدكاء . وقد زودته بكافة التعليمات والتوصيات اللازمة . وقد أرسلته إلى أسبوط حيث يعاونه عبد المسيح ، ولأننا حيث يساعدنا بشاره جيد ، وهذان الأخيران هما مندوبا قنصلية فرنسا في هالين المدينتين ، وقد عيتهما كذلك مندوبين للشركة (١) »

ولما قرب موعد انتخاب البطريرك الجديد ألهم نفسه في المعركة الانتخابية وسعى أن يقدم معه قنصلية فرنسا محاولا أن تحيل كافة الانتخابات في صالح قائمقام البطريرك ، لأن هذا المطران معروف و بالمطف علينا وبمبولة الطيبة نخوتنا وتربطنا به علاقات طيبة جدا منذ شهور عديدة بمناسبة جمع المال الأقباط (٢) . وأشار دي ليسبس على قنصلية فرنسا أن تجمع معلومات عن هذا المطران من مترجم يشتغل عندها ويدعى « نجار » وعلى ضوء هذه المعلومات تستطيع قنصلية فرنسا « تكوين رأى واتخاذ التدابير التي تراها مناسبة (٣) » . وهكذا كان دي ليسبس لا يربط صداقاته بالمصريين إلا برباط

(١) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc.,ouvr. cit., t. IV, pp. 24-25.

(٢) تقرير أرسله دي ليسبس بتاريخ ٧ يونيو ١٨٦١ إلى دي بوفال ، محفوظ في الجزء الرابع من ص ٨٦-٨٣ من المجلد السابق .

(٣) المجلد السابق . ٨٦



المنفعة التي يجنيها ، فإذا تحققت المنفعة أو مات صاحبها تناسى دى لسيبس الماضي القريب والبعيد . وقد ضل ذلك مع سعيد بل مع مصر نفسها .

غير أنه من المراجع جدا أن الأقباط لم يجمعوا طواعية وبكثرة عديدة كثيرة إلى منطقة البرزخ للعمل في حفر القناة ، فأدوات البحث التي لدينا تقطع بأن الشركة لم تشيد في أية ساحة من ساحات الحفر في ذلك الوقت حتى في وقت استخدام نظام السخرة ككنيسة قبطية أرثوذكسية مع أنها شيدت عددا من المساجد المتواضعة للمال المسلمين وأكثر من كنيسة كاثوليكية لمستخرجيها وعمالها الأجانب . ولهذا الأمر دلائله ، فلو كان العمال الأقباط يؤثرون كثرة عديدة في ساحات الحفر لأقامت الشركة لهم كنيسة يقيمون فيها شعائرهم الدينية ، وخاصة أن الشركة كانت قد أنشأت في ١١ ديسمبر ١٨٦٠ إدارة دبية (١) . وكان دى لسيبس يحرص على أن يردد في مصر والنام أن «شروع القناة قد جاء ذكره في الإنجيل والقرآن .

وقد بذل دى لسيبس نشاطا واضحا في الحقل الإسلامي كان من مظاهره الحرص على أن يذكر في إعلانات الشركة أنها شيدت مسجدا في كل قرية من القرى التي أقامتها في ساحات الحفر . واستعان الشركة ببعض رجال الأكره ، فبادرت في سنة ١٨٦٠ إلى تعيين إمام للمسلمين في الحى العربى ببورسعيد والذي أنشأه شرق الميناء لتكون إقامته المستمرة هناك من أسباب إقبال المسلمين على ذلك المكان المتغير (٢) . ولما نظمت الشركة ساحات الحفر في منطقة عتبة الحمر شمال بحيرة التماسح جنت الشركة إماما آخر قام الشيخ رقاعة رافع الطهطاوى بتركيبته لدى دى لسيبس فبينه بمزرب شموى قلوه ١٢٥ فرنكا ، وعهد إليه فضلا عن الإمامة بالفصل في الخصومات بين العمال المسلمين في منطقة عتبة الحمر وفردان والتماسح . وقد سافر هذا الإمام إلى ساحات الحفر في النصف الأول من شهر مارس ١٨٦١ على رأس توج

(1) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 187.

(2) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 184.

من المال قوامه مائة عامل جمعهم أحد المتأولين للشركة (١) .

وكان الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى من المؤيدين لمشروع القناة والداعين له في مصر بعد أن وطئ دى ليسيس علاقته معه . ولا ينيب عن الأذهان أن الشيخ رفاعة أقام في باريس سبعين عامًا إمامًا لأعضاء البعثة التعليمية المصرية بها وحمل من الثقافة الفرنسية وقد نظم قصيدتين أمتح فيها مشروع القناة الأولى في سنة ١٨٥٦ والثانية في سنة ١٨٦٢ وقام الدكتور بيرون Perron

بترجمتها إلى اللغة الفرنسية (٢) ولعل التأيد الذي أبداه الشيخ رفاعة لمشروع القناة كان من بين الأسباب التي جعلت الشيخ رفاعة يظهر بتقدير الرجال الفرنسيين . وكان جومار بك Jonnard مدير البعثة المصرية في فرنسا قد أرسل خطابًا في ٢٥ أكتوبر ١٨٦٠ إلى محرر جريدة *Moniteur Universel* أشاد فيه بميول الشيخ رفاعة الطيبة نحو مشروع القناة (٣) .

وكانت الشركة تستكتب بعض الكتاب المصريين مقالات تهدف إلى الدعاية لمشروع القناة ودعوة الجماهير في مصر إلى الاشتراك في تنفيذه . وقد ذهب أولئك الكتاب إلى أن حفر القناة في البرزخ بين البحرين إنما هو طنين

---

(١) Do Laseptis P. : *Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.*, t. IV, pp. 28-29.

وأظن أيضًا جريدة *L'Isthme de Suez* العدد ١١٥ الصادر في أول أبريل ١٨٦١ ص ١٠٢ مجموعة تحت السابعة .

(٢) أنظر الترجمة الفرنسية للقصيدة الثانية في جريدة *L'Isthme de Suez* العدد ١٣٩ الصادر في أول أبريل ١٨٦٢ ص ١١١ - ١١٢ مجموعة تحت السابعة .

(٣) كان ما قاله جومار بك في ذلك الخطاب :

Le cheykh Refa'ha, partageant avec ses compatriotes lettrés, comme avec les principaux personnages de l'Égypte, l'impression profonde qu'a excitée partout le projet hardi de réunir les deux mers a voulu consacrer, par la poésie, le souvenir de l'entreprise. Il avait déjà célébré en vers la campagne de Crinée, où se sont illustrés les soldats et les marins de l'Égypte; une conquête pacifique sur le désert lui a paru aussi un sujet poétique et digne de parler à l'imagination.

على لما ورد في القرآن الكريم . وجريدة L'Isthme de Suez سجل  
يحمل ببعض تلك المقالات التي ترجعت إلى اللغة الفرنسية وفيها ذكر بعض  
آيات القرآن الكريم .

ودى لبس رجل يمدق من الدعاية ، وقد وضع مصباحا قويا في أعلى  
مأذنة المسجد الذي أنشأته الشركة في الساحة رقم ٥ في منطقة عتبة الجسر ،  
فغدت هذه المأذنة بمثابة منارة تشع نورا كان يجتذبه العمال القادمون ليلا  
إلى ساحات الحفر (١) وكذلك الملبو الذين يفقدون قوافل العمال المتجهة إلى  
وسط البرزخ من جهة بورسعيد والقنطرة أو من مديرية الشرقية .

وكان دى لبس يحرص على أن يشهد مفتي الديار المصرية ومن إليه من  
كبار رجال الدين الإسلامي في مصر الاحتفالات التي كانت تقيمها الشركة  
كلما صادفت نجاحا جزئيا في أعمال عمليات الحفر ، وكان يلقى أحد كبارهم  
كلمة مناسبة في الحفل يوجه فيها الكلام إلى العمال المصريين ويبارك عمل  
الشركة ويشيد بحضور فرنسا ويزجي المديح إلى سلطان تركيا ووالى مصر  
أضديتا الذي ينشر العدل ويعمل على إسعاد شعبه وعلى أن يزيل عنهم كل  
ما يضرهم ، وبعد انتهاء الحفل كان يذهب المدعوون المسلمون لأداء  
الصلاة في المسجد الذي أقيم الحفل بجواره (٢)

وسنرى أنه اتبع نفس الأسلوب حين قام بدعاية لجميع العمال المسلمين  
من ولاية الشام فقد ألقى على تلك الدعاية صبغة دينية إسلامية .

• • •

وعلى الرغم من كل هذه الجهود وتبذرها ووسائل الدعاية وتنوعها  
فلمها لم تسفر عن نجاح يذكر ، وتضاعفت عوامل الطبيعة والموانع الدينية  
الإسلامية على فشل الشركة في حركة جمع العمال المصريين وفق الطريقة الحرة

(1) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 215.

لقد طفت على ساحات الحفر خلال شهرى يناير وفبراير ١٨٦١ موجة عاتية من البرد القارس الشديد إلى حد لم يكن له مثيل في السنوات السابقة، وقامت عواصف رملية عنيفة وهطلت الأمطار بغزارة ودام هطولها دون انقطاع مدة طويلة ، وكانت النتيجة أن فشلت الشركة في اجتذاب المصريين للعمل في منطقة القناة . ولم ينته شهر فبراير ١٨٦١ حتى لم يكن في ساحات الحفر سوى بضعة مئات (١) مع أن الشركة كانت قد أعدت إحدى مناطق الحجر وهي عتبة الحجر بحيث يعمل فيها بعقده مدنية مئة آلاف عامل (٢) ، وهكذا حجز المال اللين كانوا لديها عن مواجهة عمليات الحفر المطلوبة وظلت تلك الساحات في حالة ركود . ولم يلبث بعد ذلك أن حل شهر رمضان ١٢٧٧ في ١٣ من مارس ١٨٦١ وجاءت على إثره أيام عيد الفطر . وهما قمرتان يفضل المصريون قضاءهما مع ذويهم . ولم تنته هاتان القمرتان إلا في منتصف إبريل ١٨٦١ . وهكذا ظلت ساحات الحفر إلى ذلك الوقت تعاني نقصا كبيرا في عدد المال وترشيا في عمليات الحفر . وقالت جريدة *L'Isthme de Suez* في ثانيا مقال طويل « كان من أثر عيساس العمال المسلمين في شهر رمضان أن تأخرت عمليات الحفر إلى درجة محسوسة (٣) » .

ازداد مركز الشركة نزعجا فلم يعد بأفيا أمامها سوى شهر واحد على الاجتماع الثاني للجمعية العمومية للمساهمين في ١٥ مايو ١٨٦١ حيث تقدم لهم الشركة بياناً بالأعمال التي تمت خلال العام المنصرم . وكان دى ليهس للأعمال في الاجتماع السابق بتاريخ ١٥ مايو ١٨٦٠ عن برنامج ضخيم تعزم الشركة تنفيذه . ولم يكن قد تم منه شيء ذو بال . والشركة سلطت حامين منذ شرعت في عمليات تنفيذ المشروع ولم تصل إلى نتيجة عملية حاسمة في حفر القناة . وكانت تتحاشى أن تعرض نفسها لنقد شديد يوجه إليها المساهمون

(١) *Veinle Hey, over. ed., t. VI, p. 205.*

(٢) المصدر السابق

(٣) العدد ١١٦ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٦١ ص ١١٤ - ١١٥ مجموعته

فضلا عن أمداء المشروع من جراء البطء الملحوظ في عمليات الحفر . وكان هذا البطء يدعم النظرية بالمرستونية القاطنة باستحالة حفر القناة في صحراء يروخ السويس ، كما كان ذلك لبطء يؤيد أقوال المصحفة الإنجليزية بأن الشركة تفتدح المسيحين وتقدم لهم ألقاظا وأوهاما وأن الأعمال في حفر القناة كادت تقف (١) .

ويقول بعض أنصار دي ليسبس إنه شعر في ذلك الوقت بدنو اليوم الذى يضطر فيه إلى إخطار المسيحين ببعض الشركة من متابعة عمليات الحفر إن لم يعلن فشل المشروع وسقوطه مقطوفا تماما إذا سارت الأمور على هذه الوتيرة (٢) . وكانت هذه حالة قهرية : في نظر دي ليسبس ، تستدعى تدخل الحكومة المصرية لتسخير المصريين في حفر القناة تنفيذاً للامحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ . وهو في سبيل تهيئة المشروع والمضى به قلما لا يتردد عن الأخذ بهذا الرأى بلمت ما بلغت شدة المعارضة الإنجليزية وعنفها . وكان دي ليسبس قد صارع صديقه روبيرس الوكيل الأعلى لشركة القناة في مصر بهذا الرأى إذ قال له في خطاب بتاريخ ٨ مارس ١٨٦١ : «... ولكن في اليوم الذى يكتب لى فيه رسماً المسيو هارون الخاول العام أن وسائله ووسائلى في جمع العمال لانكفى لتنفيذ البرنامج السذى أعلنه في الإجتماع الماضى لتجميع العمومية للمسيحين فساكون مضطرا في هذه الحال إلى أن أطلب مساعدا من الحكومة المصرية بأمر مسهمى الشركة الذى يوجد في مقعدهم حضرة صاحب السمو الوالى والذين يجب أن أدافع عنهم — تنفيذ لامحة لعمال . وهذه اللامحة من بين المستندات الأساسية التى تكونت على أساسها الشركة بأمر الوالى وهى لانتضمن أى نوع من التحديد وهى في نفس الوقت تفتد في كافة الأحوال (٣) »

(١) انظر على سبيل المثال جريدة L'Intrigue de Suez

العدد ٦٦ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٠ ص ١٩٨ مجموعة ستة الخامسة .

العدد ١٢١ الصادر في أول يوليو ١٨٦١ ص ٢١٨ — ٢١٩ مجموعة ستة الخامسة

(٢) Bertrand et Ferrier, ouvr. cit., p. 227.

(٣) De Lesseps, F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t.

## الفصل الخامس

### دعاية الشركة في الشام لجمع المال وفشلها

موجز للاضطرابات في الشام - تدخل الدول الأوروبية - فرنسا ترسل حملة عسكرية إليها - الأزمة الاقتصادية - هجرة اللبنانيين إلى مصر - استغلال دي لبس تلك الأحداث - جهوده لجمع المال - رحلته - اقتضار حركة جمع المال على المسيحيين ثم امتدادها إلى المسلمين - صيغ مشروع القننة بصيغة دينية - نداء لإمام مسجد عمر بيت المقدس - الشركة تباهى بفضلها على الإنسانية

• • •

في منتصف عام ١٨٦٠ وقعت في لبنان فتنة دينية بين السروز والموارنة أول الأمر (١) ، ثم مالبت أن السع نطاقها واتخذت شكل مذابح بين المسلمين عامة والمسيحيين عامة (٢) بسبب تهاون السلطات التركية في سوريا في قمع الحركة وهي في مهدها (٣) ، فبلغ عند الأهلين الذين اشرعوا فيها قرابة عشرين ألفاً (٤) وسقط في تلك المذابح ضحايا كثيرون وأحرق عند من القرى كان من بينها دير القصر وزحلة وبيت مري (٥) وعام الأهالي

(١) أنظر خلافاً في جريدة L'Estime de Soez العدد ١٠١ الصادر في أول سبتمبر ١٨٦٠ ص ٢٨٢ هجومه على القننة .

(٢) أنظر محضر جلسة مجلس المرسوم لبريطاني في ٣٠ مايو ١٨٦١ في الجزء ١٦٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

Hansard's Parliamentary Debates.

(٣) عمدة كرد علي : خطط للشام . الجزء الثالث ص ٨٢ - ٨٣ .

(٤) أنظر بيان القود جون وسيل وزير خارجية إنجلترا الذي ألقاه في مجلس السوم بجلسة ١٢ يوليو ١٨٦١ في الجزء ١٥٩ ص ١٧٧٢

Hansard's Parliamentary Debates.

(٥) عمدة كرد علي : خطط للشام ج ٢ ص ٨١ - ٨٢ . وكذلك المقال الفرنسي المشار إليه في رقم ١ في هذه الصفحة .

في الجبال وهم في حال شديدة من الحر (٢١) ولما جدد كبير مهم إلى الإسكندرية (٢٢) وقهرص واليونان والقسطنطينية وغيرها (٢٣) . ولما تمت تلك المدايع (٢٤) إلى دمشق بسبب سوء تصرف واليا (٢٥) إذ أنه وضع المسلمين في السلاسل وأكرههم على كنس الشوارع لأنهم كانوا قد ألقوا المسيحيين (٢٦) فأما حاج هذا العمل لشعور المسلمين . وقد وصفت الحكومة الإنجليزية تصرف والي دمشق بأنه إجراء تعوزه الحكمة (٢٧) . وقد هوجم بعد ظهر ٩ يوليو ١٨٦٠ منزل قنصل روسيا ثم أهل المظاهرون النار في منازل كبار التجار المسيحيين ، كما أحرقوا الحى المسيحى في المدينة (٢٨) ولما كثر من — المسيحيين إلى دار الأمير عبد القادر الجزائري (٢٩) .

(١) بيان وزير خارجية إنجلترا القاراه في روم : في الصفحة السابقة .

(٢) Poinjoulat . La verité sur la Syrie et l'Expédition française, Paris 1860, p. 308.

(٣) عهد كره ط : عطف الخارج ٣ ص ٩٣ .

(٤) بخصوص تلك المدايع للفر

Lebon G. . La Civilisation des Arabes, Paris 1862, p. 48.

(٥) عهد كره ط : عطف الخارج ٣ ص ٨٦ .

(٦) أنظر تقرير برانت Brant قنصل إنجلترا في دمشق تلام القرد سترافورد

نوروكليف Stradford de Redcliffe في مجلس اللوردات مجلة ٣ أغسطس ١٨٦٠ في الجزء ١٩٧٠ ص ٦٢٧ .

Harvard's Parliamentary Debates.

(٧) المرجع السابق .

(٨) جريدة L'estime de Suas العدد ١٠٢ الصادر في ١٥ سبتمبر ١٨٦٠ ص ٢٩٧

مجلة السنة الخامسة .

(٩) المصدر السابق . وما يذكر أن سلك الأمير عبد القادر الجزائري بأن تلك

الاضطرابات كان مرفوع التقدير فسبق من الحكومة الإنجليزية فكلفت القنصل

الإنجليزي في دمشق إبلاغه شكرها وتكريمها لوفده . أنظر مختصر جلسات ٣ أغسطس

١٨٦٠ و ٩ أغسطس ١٨٦٠ و ٢ أغسطس ١٨٦٠ مجلس العموم البريتاني في الجزء ١٦٠

ص ٦٨١ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ١٨٦٦ .

وقد رأت بعض الدول الأوروبية في تلك الاضطرابات فرصة للتدخل .  
 فرنسا تعطف على الموارنة وتلقبهم « فرنسيو لبنان » (١) وأراد نابليون الثالث امبراطور فرنسا إرسال حملة عسكرية إلى  
 لبنان بحجة حماية المسيحيين هناك ورغبة في أن يكتب حوافظ رجال الدين  
 الكاثوليك في فرنسا (٢) ولكن عاوضت إنجلترا هذا الاتجاه خشية أن  
 يكون إرسال الحملة مقدمة لانتزاع ولاية الشام من الدولة العثمانية وبسط  
 النفوذ الفرنسي في ربوعها . وكانت سياسة إنجلترا تقوم في ذلك الوقت  
 على المحافظة على أملاك الإمبراطورية العثمانية لأن في ذلك سلامة للممتلكات  
 البريطانية في الهند وغيرها . وقد أعلنت الحكومة الإنجليزية في مجلس اللوردات  
 جلسة ١٠ يوليو ١٨٦٠ تمسكها بهذه السياسة وكان مما قاله « تذكرون  
 يا حضرات اللوردات أن والي مصر (محمد علي) قد استولى على هذه البلاد  
 (الشام) في فترة سابقة وأن قوات حضرة صاحبة الجلالة الملكة قد أسهمت  
 لاعتبارات سياسية في الجهود التي بذلت لإرجاع هذه الولاية إلى تركيا .  
 وفي خلال الفترة التي دامت فيها للحكم المصري ظفرت هذه البلاد بأمن  
 وطمأنينة أكثر مما تتمتع به الآن (٣) » وكانت روسيا قد تقدمت ببعض  
 الاقتراحات (٤) وألقت بعض القاطع الحرية الرومية مراسيها أمام سواحل  
 الشام (٥) . فرأت إنجلترا أن يكون تدخل الدول في هذا الموضوع مقيداً  
 بأمن تلك الدول على وضعها .

(1) Poujoulat, ouvr. cit., p. 21.

(2) Miller William : The Ottoman Empire and its Successors. Cambridge 1927. p. 302.

(٣) انظر بيان اللورد ستراندفورد دي ردكليف Stradford de Redcliffe  
 Hansard's Parliamentary Debates في المجلد ١٠٩ ص ١٦١٨

(4) Miller W., ouvr. cit., p. 302.

(٥) مجلس جلسة ١٠ يوليو ١٨٦١ مجلس اللوردات . المجلد ١٠٩ ص ١٦٥٣



ولهذا اجتمع في يوليو ١٨٦٠ بباريس سراء الدول الخمس التي وقعت على معاهدة باريس ١٨٥٦ عدا سربيا لتحديد الظروف والطريقة التي تتدخل بها أوروبا عسكريا لإخماد الفتنة في الشام . ووقعوا في ٥ أغسطس ١٨٦٠ بروتوكولا (١) نكتفي بأن نذكر منه ثلاث مواد :

أولا : عرضت الدول على السلطان مساعدتها له لوضع حد للاضطرابات في سوريا وقد وافق السلطان على ذلك .

ثانياً . ترسل قوة حربية إلى سوريا تقوامها ١٢ ألف رجل . وقد وافق امبراطور فرنسا على أن يرسل قورا نصف هذه القوة وأن يتقدم إلى أماكن الاضطرابات دون تأخير ، وأن ترسل الدول فيما بعد - إذا تطلب الموقف ذلك - نصف القوة على أن يتم الإتفاق عليها وقتئذ .

ثالثاً : حددت مدة وجود القوات الأوروبية في سوريا بسنة أشهر (٢) .

وقيل ترول القوات الفرنسية إلى ساحل سوريا أرسلت تركيا قوات كبيرة إلى تلك الجهات كما أوغضت هودا باشا الذي اتخذ تدابير صارمة جدا لإرجاع الأمن إلى نصابه . فبعض الأتباع من دمشق وقتل ١١ مسلما ربما بالرصاص وشتق ٥٦ وصمغ لجميع المسيحيين الذين كانوا بالإسلام كرها أن يرتلوا إلى دينهم وكان عددهم يقرب من الخمسمائة (٣) ، وأعطى

(١) وضع هذا الإتفاق في أول الأمر في صيغة بروتوكول protocol = ولم يأخذ صورة إتفاق Convention إلا بعد ذلك بغير أن الوقت في خطر الدول الموقعة عليه كان لا يحتمل تأخيرا وكان وضع الإتفاق يتطلب اجراءات خاصة بغيره أعمالها وقتها طويلا . بالنظر تصريح اللورد سترايفورد في رد كليف في جلسة ٢ أغسطس ١٨٦٠ مجلس اللوردات . المجلد ١٦٠ ص ٦١٧-٦١٨ في

Hausard's Parliamentary Debates.

والنظر في هذا الصدد :

Milner W., *op. cit.*, p. 302.

(٢) للمصدر السابق .

(٣) محمد كرد علي : خطب القمام ج ٢ ص ٩٠ .

أملاك المسلمين في الحى التجارى في دمشق ككهوف للمسيحيين الذين دمرت منازلهم (١).

وكانت الحملة الفرنسية بقيادة General de Beaufort d'Hautpoul ونزلت في بيروت في أغسطس ١٨٦٠ وعسكرت في جهات متعددة في جبل لبنان (٢). وقد ماطلت فرنسا في الجلاء بعد انتهاء المهلة المحددة في بروتوكول أغسطس ١٨٦٠ وأثير هذا الموضوع في مجلس اللوردات بجلسة ٧ مارس ١٨٦١ وذكر بعض الأعضاء أن تسوية فرنسا في الجلاء إنما يرجع إلى أن الضاهم يزداد بين روسيا وفرنسا بخصوص المسائل التركية وأبدوا حشيتهم من أن تتخذ روسيا احتلال فرنسا ل سوريا ذريعة لتدخلها في بلغاريا (٣) كما أثير هذا الموضوع في مجلس العموم وصرح اللورد جون رسل John Russel أن عدد القوة الفرنسية قد زاد حقيقة من العدد للطق عليه إذ كان يتراوح ويقتد بين سبعة الآف وثمانية الآف جندي (٤).

وأخيرا استقر الرأي على أن يتم جلاء القوات الفرنسية عن سوريا في ٥ يونيو ١٨٦١ وعاد الجنود الفرنسيون إلى فرنسا بعد أن أقاموا بساحل سوريا تسعة أشهر نعموا خلالها بزيادة خيرية (٥).

وقد جاءت في أعقاب تلك المدايح الدينية أزمة اقتصادية خانقة فمرت

---

(1) Ponjonlat, *ouvr. cit.*, pp. 16-17.

(2) Hanotaux Gabriel: *Histoire de la Nation française*, t. VIII. *Histoire militaire et navale*, 2ème volume. Du Directoire à la Guerre de 1914, par le Maréchal Franchet d'Espèrey. Paris 1937, pp. 383-384.

(٣) *محضر جلسة اللوردات بتاريخ ٧ مارس ١٨٦١ من ص ١٥٢٥ - ١٥٢٦ الجزء ١٦١ من*

*Hansard's Parliamentary Debates.*

(٤) *محضر جلسة مجلس العموم بتاريخ ٧ مارس ١٨٦١ و ١٨ مارس ١٨٦١ الجزء ١٦١ من ص ١٥٤٠ - ١٥٤٦ و ١٥٤٧*

*Hansard's Parliamentary Debates.*

(5) *Müller, ouvr. cit.*, p. 302.

الانكوات إذ قصص محصول القمح في عام ١٨٦١ نقصانا خطيرا (١) ، كما  
 غلبا كثير من أهل البلاد بمصطنين ، ولم يجرؤ كثير من الناس على الخروج  
 من قراهم والذهاب على مألوف عبادتهم إلى دمشق أو بيروت لطمس  
 أسباب الرزق فيها (٢) . واتجهت أنظار كثير من أولئك اللبنانيين المسيحيين  
 إلى مصر للهجرة إليها (٣) ، وكانت كل سفينة تصل الإسكندرية قاعدة من  
 موالي سوريا أو من بيروت تقل عندها كثير منهم (٤) . وقد كتب Jules  
 Rodd أحد محرري جريدة L'Estime de Suez مقالا عن هجرة  
 السوريين واللبنانيين إلى مصر جاء في ختامه : إن مصر للكرمة المضيفة  
 لترحب بهم وتضع لهم صناديقها ، وسيجدون فيها ملافا يقبهم الانعطاف  
 والسوء (٥) .

(١) جريدة الشركة العدد ١٢٢ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦١ من مجموعة  
 السنة السادسة .

(٢) جريدة الشركة العدد ١١٦ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٦١ مجموعة السنة  
 السادسة .

(٣) محبة كرد علي خطه الخارج ٣ من ٩٢ .

(٤) جريدة الشركة العدد ٩٩ الصادر في أول أغسطس ١٨٦٠ من مجموعة  
 السنة الخامسة .

(٥) المصدر السابق . وقد بلغت حالة أولئك اللاجئين من السود مبلغا بالغ  
 القبح إلى فتح أكثاب لماعتهم . وتجمع سيد باندا وغيره من أفراد أسرته بمبالغ  
 سيئة ، كما تبرعت شركة القنصلية بمئة ألف فرنك واكتتب أجناب مصر بمبالغ  
 متفاوتة ، وأسمهم أيضا الطلبة المصريون في باريس بثلثين وستين فرنكا فوق جواز ذلك  
 Jomard أرسلها إل مدير جريدة الشركة وأرسلها خطاب بتاريخ أوله سبتمبر ١٨٦٠  
 جهده فيه ما ترجمته : إن طلبة البعثة المصرية في فرنسا قد تألموا أشد التألم  
 لتكلفت التي حلت بالسكان المسيحيين في سوريا وقد أودوا استكثاراً فمسل الذين  
 قدموا سنة ائسنتين بفسوتهم فتح اكتتب فيما بينهم لمساعدة نحيا هذه الانعطافات ،  
 وقد فقرت أسماء الطلبة المصريين والمبالغ التي تبرعوا بها وقد نشر خطاب جواز  
 في جريدة الشركة العدد ١١٢ الصادر في ١٥ سبتمبر ١٨٦٠ من مجموعة  
 السنة الخامسة . وخصوصا هؤلاء المزعوم القر أيضا جريدة الشركة العدد ٩٩  
 الصادر في أول أغسطس ١٨٦٠ من ٢٤٢ والعدد ١٠٠ الصادر في ١٥ أغسطس ١٨٦٠ من ٢٥٩  
 مجموعة السنة الخامسة .

لم تحب تلك المذاهب الدينية ولا تلك الكساد الاقتصادي في سوريا عن  
 قمن دي لسبس ، فعول من أول الأمر على استغلال الموقف لمصلحة الشركة ،  
 وكان أن حين في بيروت متلويا لما يدهي يقولوا بورتاليس Nicolas Portalis  
 وأرسل إليه دي لسبس خطابا بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٦١ جاء فيه : لقد  
 تحدثت معي كثيرا بخصوص أحوال جمع عمال مسيحيين من سوريا ، وقد  
 حان الوقت لنبحث هذا الموضوع سوريا ، وعلينا أن نعملوا بلباقة وفي  
 على الكفان في سبيل حضورهم . ويجب ألا تتفاوضوا مع الرعاه أو الرؤساء  
 أو المالكات التي لما يأس وسيطرة ، فهؤلاء جميعا يعملون على استغلال العمال .  
 عليكم أن تنهجوا إلى العمال مباشرة (١) .

وكانت العروض التي تقدمت بها الشركة لاستخدام العمال السوريين  
 في أعمال حفر القناة تقوم على الأسس الآتية :

أولا : تستخدم الشركة الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين ستة عشر عاما  
 وأربعين عاما .

ثانياً : تحبب الأجور إما على أساس أيام العمل وإما على أساس الإنتاج  
 أي المقطوعة وفق رغبة العامل . فلذا ما قبل العمل على الأساس الأول يعطى  
 أجرا يوميا قدره فرنك واحد ويمنح يوما واحدا لإجازة كل أسبوع . وإذا  
 قبل العمل على الأساس الثاني أمكنه أن يكتب أجرا يتراوح بين ١,٥٠ فرنك  
 وبين مرنكين في اليوم تبعاً لإنتاجه .

ثالثاً : لا تمنح الشركة استخدام الأملاك الذين تقل أعمارهم عن ستة عشر  
 عاما كما تستخدم الرجال المسنين والمسنات ، فصحف الشركة اليوم بأعمال  
 تناسب مع حالتهم وتقدر أجورهم حسب أهمية ونوع العمل الذي يقومون به  
 رابعاً : الأفراد الذين في حوزتهم جمال يستطيعون الحضور بها من

(1) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,  
 t. IV, pp. 13-15.

موريا إلى البرزخ عن طريق الصحراء ، وتستلجر للشركة منهم هذه البضائع  
وللبيع عن كل جبل أجرا قدره ٢,٥٠ من الفرنكات في اليوم .

خامساً : يقيم العمال في قرى تباع فيها المواد الغذائية بأسعار محددة .

سادساً : يتسلم العمال عند سفرهم إلى البرزخ سواء عن طريق البحر أو  
عن طريق البر نفقات السفر ، وكذلك يسلطون إذا شاءوا مبلغا من المال  
يتجرون به أمر عائلاتهم قبل سفرهم على أن يخصم المبلغ الأخير من أجورهم  
سابعاً : لا يحضر العمال دفعة واحدة سواء أقدموا عن طريق البحر أم  
عن طريق البر ، وإنما يحضرون جماعات صغيرة ، قوام كل جماعة خسون  
أو ستون فردا

ثامناً : عند انتهاء أعمال حفر الفتاة توزع على جميع العمال السوريين  
الذين يربطون في الإقامة في مصر أراضي لزراعتها واستغلالها . ويستأجر هذه  
الأراضي من الجهات الواقعة على مقربة من وادي النصارية الحصبية (١) .

ويكشف البند الأخير بأجل بيان عن حقيقة شركة النساء وأهدافها  
وأطرافها فهي لم تكن تنفع باستغلال مرفق حيوى هام هو قناة السويس طيلة  
سبع وثمانين سنة بل كانت ترمى إلى إنشاء دولة قائمة بذاتها في مصر على  
الأراضي الناحية التي منحها إياها محمد سعيد باشا في عقدى الانتياز  
بالإضافة إلى تفتيش الرادى الذى بلغت مساحته ٢٢ ألف فدان وابتاعته  
الشركة من سعيد باشا في مارس ١٨٩٦ ضمن بحس (٢) .

#### (١) للسور السابق .

(٢) انشقت الشركة لتفتيش الرادى ضمن اجسبال فى ١٩٠٧ و ١,٩٩٧ فرنكا  
وتمتد من قرية العجوة إلى بحيرة القصة على مسافة طولها ٢٥ كيلومترا وممر يقع  
في مدينة الشرقية بعد انقضىته الحكومة المصرية من الشركة بمبلغ عشرة ملايين من الفرنكات  
طبقا لقانون خاصة من اطلاقه ٢٠ يناير ١٨٩٦ .

هذا وقد عقدت الشركة مع الحكومة صفحتين أخريين : الأولى في سنة ١٨٩٠ إذ اشترت  
مهملة سنة في سيطر وتوسع على القبل وكانت من قبل تكتلت لجيش المصرى وكانت  
سلحتها أكثر من مئتين هاتفا وفردت الشركة إليها اثنتى عشر من الغاية =

وطالب دى لىسبس إلى مطلوب الشركة في بيروت أن يطل جهوده لإرسال عمال في حدود ثلاثة آلاف عامل وفق تلك الشروط على أن يتم وصولهم في أوائل شهر رمضان ١٢٧٨ (مارس ١٨٦١) حتى لا يتعرض العسل في ساحات الحفر للتعطيل إذ كانت الشركة تتوقع انصراف العمال المسلمين عن العمل خلال ذلك الشهر (٦).

وجدير بالذكر أن دى لىسبس كان يحرص على أن تم حركة جمع العمال من سوريا في شيء كثير من الخطر وفي على الكتيان أول الأمر. وقد صور تلك الحركة بأنها تيسر الوسائل أمام بضعة أفراد قراء لا مأوى لهم يريدون الذهاب للعمل لكسب قوتهم (٧).

ولم يحضر عدد كبير من السوريين للعمل في حفر القناة. ورأى دى لىسبس أن يستفيد من فترة الهدوء التي سادت ساحات الحفر خلال شهر رمضان ١٢٧٨ (مارس ١٨٦١) فسافر إلى تلك البلاد ليقوم فيها بدعاية لحمل الأهالي على السفر إلى البرزخ من ناحية (٨) وليحضر الحفلات الدينية التي تقام في القدس ابتهاجا بعيد الفصح من ناحية ثانية. وكتب من الحضر (شأن بحيرة انشراح) في ١٩ مارس ١٨٦١ إلى القوق للهورا في باريس يقول: «سأسافر غدا إلى القنطرة ومنها سأقوم برحلة إلى فلسطين. وأرجو

بلغ ١٥ ألف فرنك. أما السبعة التالية فقد اشترت الشركة في أواخر سنة ١٨٦١ حردمات ولصة لقاية حل نهر النيل في بولاق بالقاهرة وبذلك ساحتها طمسرة آلاف متر مربع وكانت تغطي مدرسة المتوسطة حل عبد الله حل. وكالة سيدة بالقاهرة سيج حفرة بشل هذه المستودعات مملأ ثم انترتها للفرقة ببلغ ٢٠٠,١٢٩ فرنكا. ولقد استودتها الحكومة منها مع بعض امتيازات أمسوى للفرقة ببلغ حشرا مليون من الفرنكات طبقا لادة الساية من الإهلاك الأول ببلغ ٢٥ ألف فرنك ١٨٦٩ وهكذا كانت الفرقة تشبه السفينة مع الحكومة ثم ترمها إليها بعد أن ترفع قوتها أفضاها حفاطة.

(٦) De Lamps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,

t. IV, pp. 18-15.

(٧) المصدر السابق.

(٨) Voleha Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 203.

أن تسهم دعائى الشخصية فى زيادة عند العمال . وسأقوم فى أثناء طوافى بهذه البلاد بتوزيع إعلانات طبخيا فى القاهرة باللغة العربية لدمو الأملين إلى الاشتراك فى عمل بجله ذكره فى الإنجيل وللقرآن وأرجو أن يستبدل هؤلاء الرجال بمجابهة المخالفة بالآلام واليوس حياة شريفة وكسبا مضمونا (١) .

وقد بدأ دى ليسبس رحلته (٢) من القنطرة فى ٢١ مارس ١٨٦١ ومعهم نمر من أصحابه وكان يستقل حربة خاصة تجرها أربعة من الجمال ويتبعها عدد آخر منها فيبلغ العريش فى ٢٤ مارس ١٨٦١ وقضى ليته فى ضيافة حاكم العريش وتحدث إليه فى شأن كليل الصواب الذى قد يلقاها العمال السوريون عند اجتيازهم الحدود المصرية للعمل فى البرزخ وقررتهم مندوب لشركة يتهم فى العريش لتقديم المونة إلى أولئك العمال . واستأنف دى ليسبس وصحب السفر فى صبيحة اليوم الثانى بعد أن أرسل حاكم العريش معهم رجلا من الأدلاء .

وأجداد دى ليسبس النحابة فكان إذا مروا فى طريقه ببعض الأعراب الضالين فى الصحراء توقف عن المسير وعلمهم السلام باللغة العربية ، ويلتصق بهم حتى يوصلهم لبيوتهم ليعطوهم الشاي أو القهوة فى داخل النخبة ، ثم يوزع عليهم إكليله المطبوع باللغة العربية وكان يأتون الجمال المراقبون له يتولون الشرح ويعدونهم المزايا التى تعود عليهم إذا هم أقبلوا على العمل فى ساحات حفر القناة حيث الرزق المضمون والحياة المستقرة

(١) De Lencsény F . Lettres, Journal et Documents etc.ouvr. cit., t. IV, p. 32.

(٢) رافق الرحلة مذكور بالتفصيل فى الجزء الرابع ص ٣٩ - ٤١ من المجلد السابق . وانظر أيضا جريدة شركة المسد ١١٦ الصادر فى ١٥ أبريل ١٨٦١ مجرمة السنة السادسة . والظر كذلك ملفا محفوظا بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩ Tr. publ.

بنوان :

Dossier contenant une collection de brochures, d'articles, de revues et de journaux sur l'isthme et le Canal de Suez, Paris 1870, pp. 35-38 La dernière partie titrée: Lectures et conférences de la Société des Gens de Lettres (Séance du 10 avril 1870).

وبلغ دى لسبس غزة في ٢٥ مارس ١٨٦١ ثم بيت المقدس في ٢٧ منه  
وأقام فيها خمسة أيام شهد فيها حفلات عيد الفصح مع عدد كبير من الضباط  
الفرنسيين في جيش الاحتلال الفرنسي لسوريا .

وعين دى لسبس مندوبين للشركة في غزة وبالا وحيفا وبيت المقدس  
يتولون جمع العمال والإشراف على سفرهم . وكان مندوب الشركة في  
العريش يستقبل العمال ويوجههم إلى القنطرة حيث يكون في انتظارهم مندوب  
آخر يوزعهم على ساحات الحفر .

وواضح أن قبول عمال موريا للعمل في الشركة كان يتم بمطلق الحرية  
على أساس إتفاق حر بين الشركة والأهالي دون ضغط من السلطات الحكومية  
عليهم ، فإذا ما قبل العامل دفعت له الشركة قبل رحيله مبلغا من المال  
لينظم أموره أسرته كما تتكفل بنفقات سفره إلى مصر . وكان شيخ القرية  
يضمن العامل إذا أخل بالإتفاق أو عدل عن السفر (١) . وكانت أقل مدة  
يقضيها العامل السوري في ساحات الحفر ويسمح له بعدها بالعودة إلى وطنه  
إذا شاء شهرا ونصف شهر ، فإذا أواد متابعة العمل فله أن يجدد الإتفاق فترة  
أخرى ، وله أيضا أن يبحث في طلب أسرته إذا شاء .

وكان العمال يصلون في جماعات قوام كل جماعة ثلاثون مساملا  
وكان مندوب الشركة يحرصون على أن يكون أفراد الفوج القادم من قرية  
واحدة كلما كان ذلك في الاستطاعة .

وكانت دعاية الشركة في موريا لجمع العمال مقصورة أول الأمر على  
المسيحيين دون المسلمين ، وتوقعت الشركة أن تستجيب لها جموع حاشلة  
من العمال المسيحيين . ولكن لم يفد عدد كبير منهم ، فرأت أن تعمم دعائها  
في أوساط المسلمين والمسيحيين على السواء ، واستعانت بالشخصيات  
الدينية الإسلامية هناك لحض المسلمين على العمل في حفر القناة واستصلحت

(١) جريدة الشركة العدد ١٢٢ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦١ ص ٢٢٩ بحرين  
لجنة الخاصة.



من الشيخ عثمان محمد شيخ مسجد عمر بيت المقدس نداء باللغة العربية وجهه إلى  
الأهلين هناك . وقد نشرته جريدة الشركة مترجما إلى اللغة الفرنسية وتذكر  
تربيته فيما يلي :

« أيها الناس ، تعالوا وابحثوا عن دى لبس وكونوا له السراحد القوية .  
أصبكوا بالمعوس وأعملوا طريح أمره .

« استمعوا أيها الإخوان لكلام مبعوثي . إنهم قوم علول ، ولا تصلوا إلى  
ما يشبه حصاده ودعاة السوء الذين يطمسون بصالحكم .

« اتبعوا دى لبس واحترقوا أعتاء مشروعه النيل

وسيروا تحت رايته تكونوا سعاداء ولن تخفق بأى مسلم يسير وراءه  
إهانة أو بضيء ظلم ، ولكنه سيحظى بالرفق الذى يخرجه قلبه . إن تقارير  
إخواننا سكان جبل فلسطين وبيت المقدس تجمّع على أن دى لبس هو  
والد الجميع .

« أيها الناس . ادعوا الله ينصر دى لبس وأطلبوا إلى الله القوى القدير أن  
يبارك عمله في وصل البحرين .

« أيها الناس . اعتقلوا ذبا بقوله مبعوثوه ؛ فإن نفاذهم يجب أن يغفل إلى  
أحافى قلوبكم ، وإن من يستجيب لهم قلن يحس بالندامة أبداً .

وبلوح أن المال المسلمين قد أقبلوا على الرحيل إلى مصر للعمل .  
القناة بتأثير الصبغة الدينية التى اتسم بها هذا النداء ، فضلا عن أن واضعه كان  
يشغل مركزا دينيا محترما ، بل لعل بعضهم قد نزع إلى مصر مع أفراد  
عائلاتهم ليليل أن الشركة حيث لهم مأذونا تجوز تعريف الأمور الاجتماعية  
بينهم ويقوم في نفس الوقت بتعليم أولادهم ، كما حيث أحد القضاة الشرعيين

(١) جريدة الشركة العدد ١٢٩ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦١ من ص ٣٢٨ -  
٣٢٩ صورة أمانة السادة . هذا وقد وردت بعض فقرات من هذا النداء في  
Marins Fontaine, ouvr. cit., pp. 55-58.

لفصل في المنازعات التي تقع بينهم . وقد استغلت الشركة الناحي والمأفون من سوريا وجعلت مقرها القنطرة (١) حيث رأت تجمع العمال السوريين في ساحات الحفر القائمة في تلك المنطقة .

وأخذت أبواب الدعاية في الشركة - في كل من باريس ولندن - تباهي وتطفد بفضل الشركة على الإنسانية (٢) وذهبت في ذلك ملحبا غريبا . ففشرت جريدة الشركة تلالا قالت فيه : إن حالة للشك والالام التي يعانيها سكان سوريا في هذه الأيام من جراء أزمة القمح والاضطرابات السامية وتقدم شركة القناة لتوفير أسباب المعيش أمام السوريين في هذه الظروف الصعبة للبليل على أنها قد أصابت خدمة جليلة للإنسانية والحكومة اللبنانية ، لأنها ساعدت على تهدئة الحال . وهي بهذا العمل قد قضت على مواطن الاضطراب ، فليس هناك أخطر من شبح الجوع إذا زحف على شعب من الشعوب (٣) . كما بحث لانج Lango متلوب شركة القناة في لندن بمطاب إلى جريدة الديلي نيوز Daily News نشرته في عدد ١١ سبتمبر ١٨٦١ جاء فيه : « نرحب انجلترا بأموال لمساعدة المسيحيين المتكويين في سوريا . وهذا إجراء موثقت سرعان ما يزول أثره . أما عمل شركة القناة لتخفيف من ويلات هؤلاء المتكويين فأعظم نفعا وأهم أثرا إذ أنها تلطفهم في خدمتها (٤) » .

(١) جريدة الشركة العدد ١٢٢ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦١ ص ٢٢٩ مجموعة السنة السادسة .

(٢) أنظر أمداد جريدة الشركة في الفترة من شهر إبريل ١٨٦١ وشهر نوفمبر ١٨٦١ تحت عنوان حوادث الجوز Chronique de l'Isthme ومن المصادر الفرنسية التي ترجمت لها المؤلف :

Marius Fontanè, ouvr. cit., p. 54.

Bertrand et Fervier, ouvr. cit., p. 202.

(٣) جريدة الشركة العدد ١٢٢ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦١ ص ٢٢٩ مجموعة السنة السادسة .

(٤) أصادت جريدة الشركة نشر هذا المطالب مترجما إلى اللغة الفرنسية في العدد

١٢٦ الصادر في ١٥ سبتمبر ١٨٦١ ص ٢٩٠ مجموعة السنة السادسة . ١٥٤

ولا ريب أن استخدام عمال من سوريا لا يثير من التفتيش النظرية صعبا خطيرة ترقى إلى المشكلات المعقدة التي عشتا من استخدام عمال أجنبيين من أوروبا، لأن بلاد الشام كانت في ذلك الوقت ولاية عثمانية ومكانها من دعاية الدولة السليمانية يخفضون لسلطانها وقوانينها .

على أن عدد العمال السوريين الذين ترحلوا إلى مصر للعمل في حفر القناة لم يبلغ رقما حاليًا بالنسبة إلى مجموع العمال المصريين الذين يحملوا وحملهم الشعب الأكبر في عمليات حفر القناة . فقد كان مجموع عدد العمال في شهرى أبريل ومايو ١٨٦١ يتراوح بين ستة آلاف وبين سبعة آلاف عامل بما فهم المصريون . وكان عدد العمال المصريين خمسة آلاف ، وبذلك بلغ عدد العمال السوريين ألفين على أكثر تقدير . ولما بدأت الحكومة المصرية في تسخير الشعب المصري في حفر القناة اعتزلوا من شهر أبريل ١٨٦١ وفي نطاق ضيق أول الأمر بدأت الشركة تكثف من استخدام العمال السوريين لمخلصا من عبء النفقات التي كانت تتحملها في سفرهم وأجورهم العالية بالنسبة لأجور العمال المصريين ، حتى إذا توسع سعيها بادا في تنفيذ لائحة العمال كلفت الشركة من استخدام عمال من سوريا

## الفصل السادس السفرة المقتمة

الآف المصريون يأخذون طريقهم إلى ساحات الحفر - تعطيل الشركة لهذه  
الريادة القضائية في عدد المال - صحافة إنجلترا تبيع السار عن  
حقيقة الموقف - سعيد يتجنب إصدار أوامر مكتوبة لجميع المال -  
سعيد يضل الرأي العام ويحاط من تدخل تركيا أو إنجلترا -  
المصريون يربطون بالحال ويسحبون سيرا على الأقدام إلى  
ساحات الحفر - مدير عام الأشغال في الشركة يشرح  
ملاحظات هذه استخدام السفرة - فرنسي آخر يؤيد  
تدخل سعيد لإكرامه المصريين على حفر القناة -  
زيلوة سعيد لبورسعيد - جشع هي ليس: لم  
يقنع بثلاثة آلاف مصري وطالب بعشرة  
الآف - استماتته بفصل فرنسا - عودته  
إلى فرنسا مناضبا - صفاء الشركة :  
وضع مرائض باسم المصريين  
يشيدون فيها بمن العاملة وأنهم  
فهموا طواحية إلى ساحات  
الحفر وأسد لم يمت أو  
يمرض منهم أحد -  
تفنيده هذه المرائض  
- تهكم الصحافة  
الإنجليزية عليها .

تغير الموقف في ساحات الحفر تغيرا ملموسا منذ النصف الثاني من  
شهر إبريل ١٨٦١ ، فبعد أن كانت تلك الساحات تستقبل العمال المصريين  
بالعشرات إذا بالآف من أفراد الشعب المصري يأخذون طريقهم إليها ،  
واستطاعت الشركة أن تلبأ في ١٩ إبريل ١٨٦١ في حفر ترعة الماء العذب  
من قرية القصاصين بمديرية الشرقية في انجاء بحيرة القصاص بعد أن انسلف  
حامان منذ بدأت الشركة في تنفيذ المشروع على الرغم من أنه كان مقررا أن  
تم حفرها قبل أن تشرع في شق قناة السويس - وقد أوتى حاد المال تحليل

شهر مايو ١٨٦٦ إلى ٧،٠٤٩ عملا ، ثم استمر عند العمال المصريين بترجيع بين الزيادة والتقصان في حلوله الآلاف بقية شهور سنة ١٨٦٦ حتى بلغ ذروته في شهر ديسمبر من ذلك العام إذ قفز إلى ١٤،٦٩٧ عمالا (١).

وتقول الشركة في تفسير هذه الزيادة في عدد العمال المصريين إن مردها إلى العناية التي قامت بها ، والأجور التي كانت تعطيا لهم ، وللعاملة الطيبة التي ظفروا بها ، وأخيراً إلى انقضاء فترة شهر رمضان ( ١٢٧٧ ) وعيد القطر - وقد انتهت في ١٤ ابريل ١٨٦٦ - ولكن هذه الأسباب معزولة مجتمعة لا تنهض لتفسير هذا التطور القسبي في عدد العمال فالإعلانات التي وزعها الشركة في القرى لم تجدد نفعاً في وقت كانت الأمية ناشية بصورة ساحقة بين الفلاحين . أما الأجور فلا تتناسب مطلقاً مع طبيعة عمليات الحفر ولا مكان العمل وبعدد عمال الجهات الآهلة بالمكان ولا السفر الشاق الطويل الذي تتعمد وسائله إلى ساحات الحفر . وأما المعاملة الطيبة فكانت تتناق مع مبيت خاليهم في العراء وتعرضهم جميعاً لخطر الموت عطشاً وانتشار الأمراض ولتلك الأوبئة بهم . أما انقضاء شهر رمضان فلا يصبر تدفق الآف من المصريين للعمل في حفر القناة .

الواقع كان السبب هو تدخل الحكومة المصرية لإكراه المصريين على الاشتراك في عمليات الحفر تنفيذاً للأمر الملكي . وكان تدخلها أول الأمر في نطاق ضيق ، وبشكل غني ، بحسبة المطروحة الإنجليزية والحكومة التركية ؛

وقد كتبت الصحافة الإنجليزية في تلك السنة - كما كتبت في السنوات التالية - مقالات عن السخرة في حفر القناة . ونُقل من بينها مقالين ظهرا خلال تلك الفترة ، يكشفان المقال الأول عن أسلوب سعيد باشا في إخفاء تدخل الحكومة لجميع المصريين من أجل حفر القناة . أما المقال الثاني في رسم

صورة مزورة الطريقة التي كان يكره بها المصريون على الذهاب إلى ساحات  
الخضر .

نشرت جريدة التايمز Times في عدد ٦ يونيو ١٨٩١ مقالا لمراسلها في  
الإسكندرية جاء فيه : لم يكن في مقنودى لبس أولا أن يعلن عن تقصم  
كثير فعال حدث في البرزخ . ولكنه استطاع أخيرا أن يؤكد بحق أنه نجح  
في الحصول على عدد كبير من العمال . إن التفسير لهذا النجاح الضعيف بعد  
فلك القشل الذي دام أمدا طويلا هو أن الحكومة المصرية انتهى بها الأمر إلى  
التدخل في الموضوع وقامت مساعدة فعالة ، وأن دي لبس أنزل يده  
التي قطع بأنه لن يلجأ بأية حال إلى نظام السفرة..... ويحذر في  
أن أذكر أن هؤلاء العمال تصنفهم الحكومة المصرية والشركة بأنهم رجال جامعا  
بمطلق حريتهم وبمحض رغبتهم . والحكومة المصرية تساعد في هذا السبيل ،  
فهي لا تصدر أوامر مكتوبة بخصوص هذا الموضوع إلى مديري الأقاليم ،  
وبهذه الروح نفسها لا يصدر المحافظون والمثيرون إلى العمدة ورجال الإدارة  
أوامر مكتوبة لجميع العمال . وفي نفس الوقت تعلن الحكومة المصرية على  
اللائ أنها أذنت لـ دي لبس في جميع العمال وفق الطريقة المرفوعة . وهي تصد  
بذلك تضليل الرأي العام من ناحية ، ولتأخذ لنفسها الحيلة إذا تدخلت  
تركيا أو أية حكومة أخرى في هذا الموضوع..... علينا أن نعد أنفسنا  
لنلقى أنباء من باريس بأن الفلاحين يجرون قراهم وزراعتهم من أجل العمل  
في حفر الأرض ونقل الرمال في برزخ السويس . هذه جزية فرضتها الشركة  
على البلاد بعد أن حملت الحكومة المصرية على الارتباط بإزالة بالتزامات  
مالية تعادل إيراداتها في عام (١) ٥ .

(١) نشرت بريدة L'Estimateur de Suez هذا المقال مترجما إلى اللغة الفرنسية في  
العدد ١٢٠ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٩١ من ١٩٨ مجموعة السنة السادسة .  
وتنشرت في العدد الثاني ١٢١ الصادر في أول يوليو ١٨٩١ من ٢١٦ تنقيده ما جاء  
في مقال البريدة الإنجليزية . وعادت مرة أخرى تؤكد حقيقة الحكومة المصرية في  
حركة جمع المال وذلك في العدد ١٢٤ الصادر في ١٥ أغسطس ١٨٩١ من ٢٢٦ مجموعة  
الطبعة الخامسة .

ولم يجانب مراسل جريدة التايمز الحقيقة حين قرر أن سعيد باشا كان يهتج بإصدار أوامر مكتوبة إلى مديرى الأقاليم لجميع المصريين من أجل سفر القناتة . فهذه كانت خطته التى درج عليها إذا أراد أن يقاضى ضحطا سياسياً من جهة أو أخرى . وقد رأينا أنه اتبع هذا النهج خلال أزمة يونيو ١٨٨٩ حين تمحاشى لإرسال أوامر مكتوبة إلى محافظ دمياط واكتفى باستدعائه إلى القاهرة حيث أبلغه أوامر شفوية بتفلسها حالاً يعود إلى مقر وظيفته .

أما المقال الثانى فنشره جريدة Standard وجاء فيه : هل يعقل أن يفد عشرة آلاف عامل من الجهات النائية في مصر إلى الجوزخ بمجرد قراءة عابرة لإعلانات تعرض عليهم عروض سنوية لبس السخية ؟ لقد أمر سعيد باشا بإلصاق هذه الإعلانات على حواطهم المبلية من الوحل . وعلى تصور أسد أن جماهير الفلاحين تنزعهم حول إعلان ألصق على جدران من الطين ثم يسرعون لتساق بمحنة المظفر الفرنسى ؟ لقد علمنا من مصدر موثوق به أن هؤلاء العمال الناصرين كانوا يسحبون سيرا على الأقدام إلى بورسعيد ، وقد ربط بعضهم إلى بعض كالبغال أو مثل قطعان المبيد في إفريقيا والى يسوقها تجار الرقيق من الأقاليم الداخلية إلى الساحل حيث تكون السفن في انتظارهم لنقل هذه السلع الآدمية (١) .

وقد تناولت جريدة الشركة الرد على هذا المقال فكانت إلى تأييده أقرب منها إلى تفنيده إذ قالت : . . ما من شك في أن العمال الذين تجمعهم الشركة يسحبون إلى ساحات الحفر سيرا على الأقدام في بلاد لا يحظى بطرق زراعية كثيرة أو خطوط سبيلية منتشرة أو طرق مائية متشعبة . وقطع المسافات سيرا على الأقدام أمر مأكوف للغاية في مصر وفي بلاد أوربية كثيرة (٢) .

وعلى الرغم من الخفايا التي تتضمنها عنوان المقالان قرب قارئهم يتوض

---

(١) أضافت جريدة L'Estimateur de Suez أن هذا المقال متوجها إلى اللغة الفرنسية في العدد ١٢٢ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٩١ من ٢٢٨ مجموعة السنة السادسة .  
(٢) انظر السابق .

بأنهما لرجلين انجليزين تأثرا في مقالهما بمعرفة حكومة حكومتها لمشروع القناة ،  
 فلجئنا دليل قاطع جازم نستقي من قرنى ماضر أشرف على عمليات حفر  
 القناة هو فوازان بك Voisard مدير عام الأشغال في شركة القناة ، وهو  
 دليل يكشف عن الملاحظات التي بدىء فيها باستخدام السخرة في تنفيذ المشروع  
 ويبين كيف وضع سعيد باشا حراثة الحكومة المصرية وجهود الشعب المصرى  
 في خدمة الشركة .

كانت شركة القناة تواجه في ذلك الوقت أخطر مشكلة صادفتها أثناء  
 تنفيذ المشروع وحرضت أرواح العمال المصريين في صحراء البرزخ الخطير  
 الموت عطشا ونعى بها مشكلة ماء الشرب في ساحات الحفر . وقد تحببت  
 الشركة في القامس الطويل لما . فكانت أحيانا تنقله إلى بورسعيد من دمياط  
 في قوارب ومن الإسكندرية في باخرة ، ثم استوردت ثلاثة مكثفات تباعا  
 لتحويل ماء البحر إلى ماء مستساغ ، كما كانت تعتمد حينئذ لالا على آبار  
 متناثرة في الصحراء تنقل منها الماء في براميل على ظهور الجمال إلى  
 مسافات بعيدة حيث كان يشغل العمال ، ولقى كثير من المصريين حتمهم  
 بسبب قسوة وصول ماء الشرب إليهم . وقد رأينا أن الشركة اضرت مشروع  
 ترعة الماء العذب ، فبدلا من أن تحفرها من القاهرة إلى بحيرة النحاس رأيت  
 أن تحفرها موكنا من قرية القصاصين في مديرية الشرقية لتكون امتدادا لترعة  
 الإزازيق والوادى والنتين كاتنا متصتين بلورهم بالقاهرة عن طريق بحر  
 مويس وفرع دمياط .

تلخعت الحكومة المصرية وقتئذ لإقضاء الموقف ولإصلاح الخطأ الذى  
 وقعت فيه الشركة لأنها بدأت عمليات حفر قناة السويس قبل أن تشق ترعة  
 الماء المطلوبة خلافا لما كان مقررا من قبل (١) وتوغلت الشركة في الصحراء  
 تعد ساحات الحفر وتجمع المال دون أن تتخذ للتدابير الفعالة لتأمين وصول



ماء الشرب إليهم . وقد اتخذ تدخل الحكومة المصرية في ذلك الوقت مظهرا عمليا ومظهرا ماليا . فلوسلت ثلاثة آلاف حامل لحفر ترعة الماء للصليب وبدأوا في حفرها في النصف الثاني من أبريل ١٨٦١ من قرية القصاصيين (١) . أما المظهر المالي فيتلخص في أن الشركة قامت بواسطة مهنتسها بتأجير وتمييع مجرى ترعى الرقازين والوادي وطولها ٤٥ كيلو مترا لتحق الشركة أغراضها التي تستلزمها من استخدام ذلك الطريق المائي ، كما أقامت هويسا على التربة في الرقازين وكوبريا عند أبي حماد وآخر عند التل الكبير ، ولم تكلف الحكومة المصرية بلا سال عمال السفرة لقيام تلك الأعمال الإنشائية والإصلاحية بل تكفلت بجميع نفقات تلك المنشآت والأعمال (٢)

وهناك فرنسي آخر هو أوليفيه ريت Olivier Ritt كان أحد رؤساء العمل في شركة القناة وأقام في منطقة البرزخ في ذلك الوقت . وقد ذكر في سباني خطاب بحث به من البرزخ في النصف الأول من عام ١٨٦١ أن الحكومة المصرية أرسلت عددا كبيرا من المصريين لحفر ترعة الماء العذب وهم يؤدون أعمالهم على أكمل وجه (٣) ، وواضح من هذه العبارة أن الحكومة

(1) Les travaux ont été entièrement exécutés par les ouvriers des contingents. — Les travaux, commencés dans la deuxième quinzaine d'avril, furent terminés dans le courant de la deuxième quinzaine de janvier 1862, c'est-à-dire dans un délai de neuf mois.

Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 209.

ريترر الطبيب الذي أشرف على الحفلة الصحية بين عمال قسرة النيل حفرها ترعة الماء العذب أن الحركة بدأت في حفرها في ١٩ أبريل ١٨٦١ .

(2) Le Gouvernement égyptien avait consenti à prendre à sa charge la dépense de tous ces travaux qui furent exécutés sous la direction des ingénieurs de la Compagnie à l'aide d'ouvriers fournis par le Gouvernement.

Les travaux, commencés dans les premiers mois de 1861, furent terminés dans le courant de septembre de la même année.

Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 209.

المصرية هي التي تولت جمعهم وإرسالهم وألهم لم يلعبوا استجابة للإعلانات التي وزعتها الشركة بين المصريين .

نخرج عما سبق بهذه الحقيقة وهي أن شركة القناة بدأت تعتمد على نظام السيطرة في تنفيذ المشروع في النصف الثاني من شهر أبريل ١٨٦١ وعلى وجه الخصوص في التاسع عشر من ذلك الشهر .

وعما هو جدير بالذكر أن سعيد باشا فاجأ الشركة بزيارة قام بها لبورسعيد في ١٢ أبريل ١٨٦١ . وكان قد أبحر من الإسكندرية في رحلة بحرية (١) ثم لاح له أن يخرج على الميناء الجديد الذي يحمل اسمه ، فكان نزوله إلى الشاطئ مفاجأة مارة لمستغنى الشركة وأعدوا له إحدى عربات السكة الحديدية الضيقة التي يستعملها مهندسوها ، فاستقلها من الميناء وزار مختلف الورش والمستودعات وغيرها من المنشآت ، وكانت كلها متصلة بشبكة من الخطوط الحديدية الضيقة (٢) . وكانت هذه الزيارة مظهرا عمليا واضحا من مظاهر عطفه على الشركة واهتمامه بنجاح المشروع . وقد جاء في أعقاب هذه الزيارة تنفيذ لأمنحة المال بشكل خفي وفي نطاق ضيق أول الأمر .

وكان سعيد باشا قد حشد لشركة القناة ثلاثة آلاف عامل من عمال السخرة من أبجل حفر ترعة الماء المنصب التي بدأت الشركة في شقها في ١٩ أبريل ١٨٦١ من قرية القصاصين . ولكن حتى تسبب لم يفتح بهذه الآلاف

---

(١) لرمز حافظ ميناظ عظميا إلى المحبة السنية في ٤ شبان ١٢٧٧ ( ١٥ فبراير ١٨٦١ ) بمسرح فيه إنه لما كان سيد هذا يتوهم زيارة ميناظ في القريب فإنه يطلب لمرسال أطعم وقنايل لإقامة الزينات وقت زيارته . ( محفوظات حاجين - محطة ٢٧ محبة وثيقة رقم ١٦٤ من حين راسم محافظ ميناظ إلى المحبة ) ولعل زيارة سيد لبورسعيد كانت أمثالا لهذه الزيارة .

(٢) بخصوص هذه الزيارة انظر كلا من

جريدة *L'Indépendance du Soudan* العدد ١١٧ الصادر في أول مايو ١٨٦١ من ١٣١ مجرورة  
لغة السانية

الثلاثة من عمال السخرة يشقون الرعة الحلوة بل أراد أن يتخذ من هذا الحشد سابقة يستند إليها ، فالتفت أن طالب سعيد باشا في يونيو ١٨٦١ يرفع عددهم إلى عشرة آلاف مصري . وأسس طلبه على الأهمية البالغة التي توليها لشركة حل رعة لناد العنب من حيث إقناذ المال المصريين من الموت عطشا وهم في ساحات حفر القناة البحرية . واستخدم في أحاديثه مع سعيد باشا الأسلوب الذي طالما استعجاش به مشاعر العظمة في عقيلة سعيد ، فأوضح له أن التأخير في إنجاز المشروع يعرض سمعة سعيد للتقذ في فرنسا حيث يحظى من الرأي العام الفرنسي بتقدير وعطف بالغين ، كما أن التأخير يضر بمصالح فسيهي الشركة . وابتدع هذه المرة خريمة أخرى وهي أن الحفول لم تكن وتقتل في حاجة إلى أيد عاملة كثيرة إذ كان موسم محمد الفصح قد قارب لانتهاهم (١) . وقد لقي ديسلبس من سعيد قبولا ففكره من حيث المبدأ ، ولكن سعيد رأى أن يمضي في تنفيذ لائحة العمل في نطاق ضيق فترة أخرى من باب الحيلة والحل . وتلّز هذه الفترة بشهرين آخرين هما يونيو و يوليو ١٨٦١ . فإذا وقعت الحكومتان التركية والإنجليزية على أمر تسخير المصريين في حفر القناة وأثارتا أزمة سياسية بسبب موضوع السخرة أسكت سعيد عن تنفيذ اللائحة ، أما إذا سارت الأمور سيرا عادتا فقد وعد برفع عدد عمال السخرة في شهر أغسطس ١٨٦١ إلى تسعة آلاف ، ثم يزداد عددهم إلى عشرة آلاف حامل خلال الشهور التالية اعتبارا من شهر سبتمبر ١٨٦١ .

وكان سعيد قد تلقى خطابا بتاريخ ٣٠ رمضان ١٢٧٧ ( ١١ أبريل ١٨٦١ ) من القيصر كاتيليا - منلوب والى مصر في القسطنطينية - يستنصر منه عن النحلة التي يشجعها لدى الباب العالي بخصوص موضوع القناة . فرد عليه سعيد

(١) قدم دى ديسلبس مصر يوم ٢٦ مايو ١٨٦١ وعاودها إلى فرنسا في ١٩ يوليو ١٨٦١ وتمت مقابلاته مع سعيد باشا خلال هذه الفترة ، أنظر جريدة L'Isthme de Suez عدد أول يوليو وعدد ١٥ يونيو وهذا أول يوليو ١٨٦١ وأنظر هذه النحلة الخاصة التي أبرمتها في أحيائه مع سعيد باشا بخصوص انتهاء موسم الحصاد في

في ١٩ شوال ١٢٧٧ (٣٠ أبريل ١٨٦١) يلزمه بالتزام الصمت وعدم إثارة موضوع القناة لدى الحكومة التركية (١) .

وقد أموك دى لسبس أن الوالى لا يزال على خوف من التيارات السياسية المعادية للمشروع (٢) ، وأن ذلك الخوف يقضي يد الوالى عن التوسع في تسخير المصريين في حفر القناة ، فأكبر أن يستعين بقتضيه فرنسا العامة في مصر كي تتدخل لدى محمد باشا لرفع عدد عمال السخرة رقعا عاجلا إلى عشرة آلاف ، فكتب في ٧ يونيو ١٨٦١ إلى بوفال «يعتزم القاول رفع عدد العمال الذين يشتغلون في حفر ترعة الماء المذب من ثلاثة آلاف إلى ستة آلاف رجل . ولهذا كان من الضروري العمل على أن يصل عدد العمال إلى عشرة آلاف رجل ، وهذا ما يطلبه مندوب هاردين للقاول العام . وأعتقد أن كلمه واحدة تصدر منكم تكفى حتى نظفر بهذا العدد... ونحن الآن ندخل في أحسن فصول السنة ، إذ أن الحقول لا تحتاج إلى كل هذه الأيدي العاملة (٣) .»

ولكن بقتضيه فرنسا العامة في مصر لم تلخر ومما في خبطة مصالح الشركة (٤) بعد الدرس الذي لفته إياها حكومة الإمبراطور نابليون الثالث

---

(١) معلومات قصر عابدين : دفتر ١٩ صادر عابدين مكتبة رقم ٦٨٢ .

(٢) كان دى لسبس قد أرسل خطابه بتاريخ ١٤ مارس ١٨٦١ إلى البوق البوغرا نائب رئيس مجلس إدارة الشركة بباريس قال فيه : « وقد لاحظت أن الوالى مضطرب البال من ناحية الموقف السياسي في أوروبا . وقد تهرب إلى ذلك في أن تتصل إنجلترا العام ضد آثار مخوفة بنية حله على مرقة عمليات الحفر . وقد راجت شائعات مؤذنة أن الوزيرة الإنجليزية قد سلطت الدول الأوروبية حل اقتفاء قرار يقضى بأن تسحب فرنسا قواتها من سوريا ، وأن هذا سيؤدي إلى إنسحاب القوة الفرنسية في الحفرة وتقيام نفوذ آخر ساد له لا ينظر إلى مشروع القناة بين الإرتجاع .»  
انظر .

De Lesseps F.: Lettres, Journal et Documents etc., nouv. éd., t. IV, pp. 28-30.

(٣) الجزء الرابع من ص ٨١ - ٨٢ من المصغر السابق .

(٤) كتيبا ما انتج دى لسبس مائة حواري بقتضيه فرنسا في مصر وبلغتهم

حين قُلت سابقاته Sébastien القنصل العام في مصر مغضوباً عليه لأنه لم يؤيد الشركة في موقفها إبان أزمة أكتوبر ١٨٥٩ . وغشياً مع هذه السياسة الجديدة قام بيشار Béchard . القنصل العام بمسي لدى سعيد باشا في ١٩ مايو ١٨٦١ - قبل حضور ديلبس إلى مصر بأيام قلائل من اجتماع الجمعية العمومية المسبمين - كي تتوسع الحكومة المصرية في تنفيذ لأئحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ بزيادة عدد عمال السخرة (١) . ويقرر القنصل أن سعيد باشا وعده بتحقيق طلبه (٢) . ولكن ديلبس لم يفتح بذلك الوعد ولا يملك الآلاف من عمال السخرة فتأخر مصر في ١٩ يونيو ١٨٦١ إلى فرنسا بضمراً

حدث كل هذا والشركة تعلن على الملأ وفي إصرار عجيب أن العمال المصريين الذين يحضرون القناة إنما ذهبوا طواعية إلى مساحات الحفر مدفوعين بالأجور الطيبة وبالمعاملة الكريمة التي يحظون بها من الشركة . وأمنت الشركة في صفاتها إلى حد أنها وضعت - باسم رؤساء العمال - مرائض ذيلها بأعضائهم وأشدوا فيها بحسن المعاملة التي يلقاها العمال المصريون من الشركة ، وما يصنعون به من وفرة المأكولات وماء الشرب وانتظام دفع الأجور ، وأنهم ذهبوا إلى مساحات الحفر بحض رغبتهم ، وأنه لم يقع حادث وفاة واحد أو مرض واحد بين جميع العمال ، وأنهم موضع احترام وتقدير بالذين من مستخلصي الشركة ، وأنهم من هذه المرائض إلى القول بأنهم يسبحون بالحمد والشكر على هذا المركز الذي يتمتعون به ١١ وقد ترجمت الشركة هذه

من مصالح الشركة . أنظر على سبيل المثال

De Lemps R: Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV p. 88, 87.

(1) Hallberg, ouvr. cit., p. 188.

قتلا عن عذاب مرى أرسله بتاريخ ١٩ مايو ١٨٦١ بإشار إلى توليف منير فرنسا في القسطنطينية .

(٢) المصدر السابق .

المرافق إلى الفرنسية ونشرتها نياحا في جريدتها، وعنها نقلها ثم علقته عليها بعض الصحف في فرنسا وإنجلترا (١) .

وكانت أولى هذه المرافق بتاريخ ٢٩ مايو ١٨٦١ وصلدت من الخمسة إحدى ساحات الحفر في ترعة الماء العذب . وهذا تعريها .

« نحن الموقعين على هذا أدناه مشايخ قرى مديرتي روضة البحرين والدقهلية، والذين نشغل في أعمال ترعة الماء العذب في إقليم الوادي، نقر ونشهد بأن العمال الفلاحين الذين يعملون تحت إشرافنا يتنون على الطريقة التي يعملون بها . فضلا عن ذلك لم يقدم أحد منهم بأية شكوى من حيث الطعام أو دفع أجورهم إليهم رأسا ، وهم يتمتعون جميعا بصحة جيدة » .

وبل ذلك أسماء ٢٩ فردا من مشايخ البلاد من جهات منوف وإيثار وأشمون ومحلة منوف وزقني والجسرية والحفة ومليج والمنصورة وصبرجت وميت حيش وميت الحين (٢) .

وصدوت للريضة الثانية بلون تاريخ ودون عليها أسماء ٢٧ شيحا من رؤساء العمال من مديريات القليوبية والدقهلية وروضة البحرين وجهات أشمون وإيثار وزقني ومنوف وفيشا ( مركز أجا ) يشهدون بأن العمال الذين تحت إمرتهم وكان عددهم ٣٤٧٥ رجلا قد نجحوا بعمل عملي رخيص لكسب قوتهم وأن مقادير الماء متوفرة لديهم وتزيد على حاجاتهم ، كما يقدم إليهم ما يحتاجون إليه من أطعمة سواء كانت خبزا مجفقا أو مواد غذائية ويخصم ثمنها من الأجور التي يستحقونها والتي اقتصروا عليها ، وأن هذه الأجور تدفع إليهم بانتظام . ثم يقرر الرؤساء في هذه الريضة أن العمل يتم على أساس الاختيار والرغبة وليس على أساس الإكراه والرهبة ، وأنهم -

(١) L'Isthme de Suez العدد ١٤٨ الصادر في ١٥ أغسطس ١٨٦٢ ص ٢٥٢

مجوعة السنة الخامسة .

(٢) L'Isthme de Suez العدد ١٢٠ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦١ ص ١٩١

أى رؤساء المال - يقومون بتوزيع الأعمال على الفلاحين ، وأن مستخدمى الشركة لا يوجهون إلى العمال أية إهانة ولا يوقعون عليهم عقوبة الضرب ، كما أنه لم يقع إلى ذلك الوقت حادث وفاة أو مرض فى ساحات الحفر (١) .

أما العريضة الثالثة والأخيرة فكانت كسابقتها بلق تاريخ وعليها أسماء ٣٥ شيخا من رؤساء المال من مديريات القنولية وروضة البحرين والقنولية ، وهذه ترجمتها :

« نحن الموقعين على هذا أدناه أعيان ومشايخ المال الذين يشتغلون فى الأعمال الجبلية فى برزخ السويس نقر ونشهد على هذه العريضة التى قبلناها بأعظامنا أنه :

أولاً : نحن والمال الذين تحت أمرنا نعمل فى أماكن حفر قناة السويس برغبينا التامة ولكنى نكسب ما يقيم أودنا .

ثانياً : يجب لنا الماء بوفرة ويزيد على الحاجة .

ثالثاً : توزع الأغذية فى الحال على العمال كلما طلبوا ذلك وبمصر ثمنها من قيمة الأجور التى سبق تحصيلها فى الإتمام .

رابعاً : يقوم العمل على أساس « المقطوعة » ووافق العمال على ذلك ولتدفع إليهم الأجور بانتظام .

خامساً : يؤدى العمل بالاختيار ويوزع على العمال بحضورنا ، ولم تثر مطلقا مناقشات ولم تحدث مشكلات من جانب مستخدمى الشركة أو من جانب العمال .

سادساً : لا يوجد إلى هذا اليوم أى عامل مريض ولم يتوف أحد منهم . ونحن العمال الذين تحت إشرافنا نثنى على هذا المركز الذى وضعنا فيه . ونحن لهذا قد خضنا على هذه الشهادة (٢) » .

(١) L'Estime de Suez العدد ١٢١ الصادر فى أول يوليو ١٨٩١ ص ٢١٠ مجموعة لعة السادة - وأقر أيضا .

Meris Fontane, ouvr. cit., p. 54

(٢) L'Estime de Suez العدد ١٢٩ الصادر فى أول نوفمبر ١٨٩٦ ص ٢٢٩ مجموعة لعة السادة .

يلاحظ أن هذه العرائض لم تكن طبيعية ولم تصدر بلسان فاني من العمال، ونحن نعلم أن العمال المصريين في ذلك الوقت ومشايخهم كانوا في الجهل بالقراءة والكتابة سواء . وما الذي دفعهم ابتداء من شهر مايو ١٨٦١ إلى تقديم هذه العرائض بأخطامهم وقد سلخت الشركة أكثر من حامين منذ بدأت في تنفيذ المشروع ؟ لقد وضعت هذه العرائض في وقت كان كل من سعيد ومعاوية يحق حصر الإكراه في جميع أفراد الشعب المصري للعمل في حفر القناة . فالشركة - وعلى رأسها رجل يجيد فن الدعاية - هي صاحبة الفكرة في وضع هذه العرائض وقد أطلقت عليها لفظة « وثائق » فكانت هي المؤلفة وهي المطبعة وهي الناشرة لهذه الوثائق .

وقد غالت الشركة في البيانات التي تضمنتها هذه العرائض، فقدت قيمتها حتى أن القاريه المسمى ليرفضها . وسببنا أنها تؤكد أنه لم يقع حادث وفاة أو مرض بين جموع العمال خلافا لما قرره ريت Ritt في معرض المقارنة بين حفر ترعة الماء العذب وحفر القناة البحرية الصغيرة . وكان ريت أحد المرتسين للذين حاصروا أحداث الحفر وكان مقبها في منطقة القناة وقد ذكر أن العمال الذين اشتغلوا في حفر ترعة الماء العذب خلال الفترة التي أشارت إليها هذه العرائض قد أصيبوا بالأمراض (١) . كما أن بوجسوا Bougoutin طبيب الشركة الذي أشرف على الحالة الصحية بين جموع العمال الذين عملوا في حفر ترعة الماء العذب من ١٩ أبريل ١٨٦١ إلى ٢٣ يناير ١٨٦٢ قد أرفق تقريره بإحصائيتين عن إصابات العمال المصريين يتضح منها أن عدد العمال الذين أصيبوا بأمراض مختلفة قد بلغ - في زعمه - ٤٦ حيا عشرة عمال لقوا حتفهم هناك (٢) . فهذه الشهادة الرسمية تلمحس بعض ما جاء في هذه العرائض ، ولو أن هذه الأرقام دون الحقيقة بكثير . إذ

(١) Ritt Olivier, *ouvr. cit.*, p. 208.

(٢) تجد إحصائيات الوفيات والمرض في نهاية تقريره المرفق في جريدة



لا يقل أن يعرض ٤٦ عاملا خلال خمسة أشهر من بين ٥٥,٠٤٣ عاملا  
مخروا في حفر نرمة الماء العذب من القصاصين إلى نقيشة وفي وقت كانت  
فيه الشركة تخطط في مشكلات التمويل وتلتصق الحلول لتسيير ماء الشرب .

ولم تحقق هذه المرافض للنقض الذى من أجله وضعت ، فقد تابع مجلس المصوم البريطانى إثارة موضوع الصحرة فى حفر القناة ، كما أن الصحافة الإنجليزية لم تتخذه بهذه الحيلة ، وأعلنت تعقب عليها بأسلوب تهكمى لأذع يستدل عليه من مقال افتتاحى كتبه لورنت دبلاس Ernest Desplaces مدير تحرير جريدة للشركة عن موقف الصحافة الإنجليزية من عرائض رؤساء العمال المصريين ، وبين فى أسلوبه ما كان يحس به من الخيبة ومرارة الألم من الأثر العكسى الذى أحدثته هذه المرافض فى صحافة المجترة . وكان مما جاء فى هذا المقال : « كنا نظن أن نشر هاتين الوثيقتين سيكون موضع تغدير من الصحافة الإنجليزية ، ولأسى أن طائفتين الوثيقتين أهمية خاصة ، لأنهما تصوران عن العمال الذين يرغم البعض أنهم يمانون ألوانا من الظلم وسوء المعاملة . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل مجد بعض الصحف تبدى تشكيكها فى هاتين الوثيقتين وتعلق عليهما تعليقاً يصل بها إلى حد الإنفاف بل الوقاحة الناجمة عن الحقد والكراهية » (١) .

وقد كلفت الشركة عن سياسة وضع اللراض لأنها لم تزد إلى النتيجة المرجحة من ناحية ، ولأن سعيد باشا مضى بتوسع في تخليد لأئحة العمال من ناحية ثانية في حلانية وأستطاع بمصالحه الشعب المصري .

## الفصل السابع

### السخرة السافرة

دى لابس يستعين بالإمبراطورة لرفع عدد عمال السخرة إلى ثلاثين ألفا -  
ضبط الحكومة الفرنسية على سعيد وإذعانه - أساطين القانون في  
فرنسا يقررون أنه ليس للوالى أن يبيع المصريين لشركة القناة وأنه  
لا يمتلكهم كما يمتلك عقاراً أو قبطياً من الأتراك - زيارة سعيد  
لمساحات الحفر - سعيد يصحب معه حرمه الخاص وقوات  
من الجيش فيمنعه دى لابس - نتائج الزيارة - تمرد  
جنود الجيش احتجاجاً على تضييقهم في حفر القناة -  
اصطدام في مساحات الحفر بين المصريين والفرنسيين  
- هروب العمال - اختلال النظام - سعيد  
يرسل اسماعيل حملى وقوات بوليسية إلى  
مساحات الحفر - انشاء سجن بها العمال  
التمردين - شدة اسماعيل حملى على  
العمال - مشهد تمليط العمال -  
رجال الميناء في خطة الفرنسيين  
- جمع العمال - فرزهم -  
ترحيلهم إلى مساحات  
الحفر - ازدهار الرقازيق  
تغيير العمال كل شهر -  
تبرير غريب للى لابس  
- نتائج التفسير  
الشهرى للعمال .

لم يكف دى لابس يعمل بارس حتى شرع يفلح مساعيه للى وزارة  
الخارجية الفرنسية كي تتدخل لحمل سعيد باشا على زيادة عدد عمال السخرة.  
ورأى أن يستعين بنفوذ الإمبراطورة أوجيني زوج نابليون الثالث إمبراطور  
فرنسا ، جرياً على عادته كلما تعرضت الشركة لأزمة عارمة ولكنه لم يطلب  
رفع عدد عمال السخرة إلى عشرة آلاف كما كان يرجو ويسمى في مصر ،

بل طالبه بزيادة عددهم إلى ثلاثين ألفاً. فخرج إلى الإمبراطورة مذكرة بتاريخ ٨ أغسطس ١٨٦١ استعرض فيها موقف الشركة وأظهر حاجتها الملحة إلى ثلاثين ألف عامل، ثم قال فومن الأهمية البالغة أن يكتب توفيل Thouvenel إلى القنصلية الفرنسية العامة في مصر كي تقوم بتشجيع الرأى على تقديم هذا العدد (١). وهكذا يتكشف دى لمبس، كل حين وآن، على حقيقته، ولذا هو مستعمر أوروى في أبهى صورة يستعين بنفوذ حكومته كي يستزف حرق الشعب المصرى ودمه وماله من أجل حفر القناة.

نجحت مساعي دى لمبس فأخطرت الحكومة الفرنسية سعيد بلشا أن السين الوحيد للمحافظة على سمته وتلقيم مركزه المالى هو أن يسود النشاط ساحات الحفر حتى تصل سريعاً مياه البحر المتوسط وماء النيل إلى بحيرة التماس (٢). واستمع سعيد لهذه الرحمة. وكانت النتيجة أن نحسن الموقف كثيراً لمصلحة الشركة فيما يخص بمشكلة عمال السخرة، إذ تلقوا نحو ساحات الحفر بكثرة ملحوظة لم تعهدها الشركة من قبل، لئلا أن كان عدد العمال خلال شهر يوليو ١٨٦١ قد بلغ ٤٣٧٢ إذا به يرتفع في أغسطس إلى ٧٩٢٩ ثم يقفز في سبتمبر ١٨٦١ إلى ١٠,٠١٣ واستمر ذلك الصعود في كافة الشهور إلى ثلث، هذا شهر أكتوبر ١٨٦١ إذ وقعت فيه حوادث أبحاث وصول عمال السخرة إلى منطقة البرزخ (٣). وكتب دى لمبس في ١٠

(١) De Lesseps F.: Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 87.

(٢) Charles Roux J., ouvr. cit., t. 1, p. 331, voir aussi Bertrand et Ferner ouvr. cit., p. 238.

Ibrahim Nomer Seïed-Damo, ouvr. cit., p. 103.

(٣) م يذكر نوازان Voisin مجاً هذا النص في عدد المسال لى انفر ديه شهر أكتوبر ١٨٦١ إذ عيط عددهم فيه إلى ٤٨٤٠ وجراصة أبلد جريدة L'Isthme de Suez التي ظهرت حول تلك الفترة وجدنا مثلاً يسمون Chronique de l'Isthme وحوادث البرزخ و جاء فيه أن نيسان النيل كان عام ١٨٦١ مثلاً جاء فاعترق يساً من ترى قوجيسه البحرى وألف للزروعات وطف المياد على ١٢١

نوفمبر ١٨٦١ خطاباً يفيض بالغبطة إلى الوفود الوفرا نائب رئيس مجلس إدارة الشركة في باريس . وكان مما جاء فيه : ويلوح أن حضرة صاحب السمو لا يخشى الآن بلبل المساعدة لتقديم أعمالنا . ومنستخلم حالا عشرة آلاف رجل لإيصال أربعة المائتين الملب من رمسيس إلى بحيرة التماس (١) . وهكذا حتى لدى لسبب أن يطلق على الإمبراطورة أوجيني الملك الحارس للقناة ، ويقول عنها إنها بلدت من أجله ما بلدت الملكة إيزابلا الكاثوليكية لكرستوف كولب المستكشف الشهير (٢) .

كانت هناك عدة اعتبارات جعلت معيذا يخطط هذه الخطوة المهمة بالنسبة للشعب المصري عرضه لخدمة لم يشهد في تاريخه الحديث لها مثيلا . كان سعيد يمانى في ذلك الوقت أزمة مالية ، وكان في صدد عقد قرض خارجي مع إحدى المؤسسات المالية في فرنسا . واستغلت الحكومة الفرنسية حاجة سعيد المصلحة إلى المال فضغطت عليه لزيادة عدد عمال السخرة الذين يعملون في حفر القناة في مقابل بلبل مساعدتها لإتمام عقد القرض . وكان هذا القرض يفوائد باهظة للغاية جعلت شرير Schreiner تحصل ألفا الف عام في مصر يعتقد ، حين علم بأمر فوائد هذا القرض أغسطس ١٨٦١ ، بأن القرض

---

ساكن السلاطين وسقط ضحايا كليرون . وقد أمر الفيلسوف في مواقع كثيرة بالنسبة الحديث الذي يربط القاهرة بالاسكندرية وبالبحر الذي يمتدح مزاياها إلى التوكلين ثم جاء في المقال : ولم يكن لنا أحداث من أو عمل مشروح القناة سوى أنه عمل المواصلة وأعمال وصول العمال إلى ساحات الحفر . . . أظهر العدد ١٢٩ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦١ ص ٢٢٧ مجموعة التت السادسة .

(1) de Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., envr. cit., IV, pp. 101-109.

(2) Alloupy L. : Comment s'est fait le Canal de Suez, Pages d'histoire contemporaine recueillies sur les documents de M. de Lesseps. Paris 1882, p. 91.

"L'ange gardien du canal et qu'elle a fait pour lui ce que la reine Isabelle-la-Catholique avait fait pour Christophe Colomb."

منه إنما هو وضع الرأى تحت السيطرة الفرنسية (١) .

وكان سعيد يخشى قيام حملة الأسهم مطالبين بتعويضات عن الأضرار التى تصيبهم إذا فشل المشروع أو تأخرت عمليات الحفر بسبب عدم وفاة سعيد بالتزاماته فى لأئحة المصال . وكان دى لىسبس يحرص على أن يبرز مسألة التعويضات فى أحاديثه مع سعيد الذى كان ينقلها بنووه فى مكاتباته إلى الباب العالي . وقد سيطرت هذه الفكرة على سعيد إلى حد بعيد فكان يحسب حسابا قويا لتلك التعويضات وما ينجم عنها من مشكلات مالية وسياسية يثيرها تدخل بعض الدول وعلى الأخص فرنسا للدفاع عن الأموال الفرنسية التى أسهمت فى المشروع . وقد حددت الشركة سعيد باشا فعلا بهذا السلاح فى منتصف عام ١٨٦١ .

وكانت فترة الريث والترقب التى أشرنا إليها فى الفصل السابق قد انقضت بانتهاء شهر يوليو ١٨٦١ . ولم يقع ضغط دو بال بمنح سعيد باشا من تنفيذ وعده بالتوسع فى لأئحة المصال . والتزمت الحكومة التركية للصمت حيال هذا الموضوع فلم توجه لسعيد خطابا منذ كتاب ٦ ديسمبر ١٨٦٠ .

ومن البواعث التى حدثت بسعيد إلى التوسع فى تسخير المصريين فى حفر القناة جازته لعدد ضخم من الأسهم بلغ ١٧٧٦٤٢ سهما ، فلم يسمه كسهم كبير أن يرى المشروع ينهار صرجه ويصاب بالفشل بسبب عدم كفاية الأيدى العاملة المصرية لدى الشركة ، فأقبل على صد الثمرات فى ساحات الحفر بحماس عميق . ويمكن تشييد موقفه فى عام ١٨٦١ بموقفه عام ١٨٦٠ حين قبل أن يكتب بكافة الأسهم التى عجزت للشركة عن بيعها فى أسواق أوروبا المالية ، وكان تدخله وقتئذ لشراؤها إنقاذاً للمشروع من أسيار محقق .

تضاف إلى هذه الأسباب الرعية الجامعة التى كانت تجيش فى نفسه

(1) Hallberg, *op. cit.*, pp. 188-189.

تقلا عن دار المخطوطات الشامية فى فينا . رسالة رقم ١٩ بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٨٦١ من لرنجيه Schrieber إلى ريشبرج Reehberg .

وهي تنفيذ المشروع حتى يصبح علما من أعلام التاريخ يذكره الحفدة والوارث على مر الأجيال وللغور بما كان دى لبس يزينه له في كل حين وآل ، وأنه غدا موضع تقدير للصفوة الممتازة في المجتمع الأوربي بأسره .

ولكن هذه الأسباب مهما بلغت قوتها ووجاهتها في نظر سعيد باشا فإنها لا تعد شيئا مذكورا بجانب التضحيات الجسيمة التي فرضها ذلك الولي على الشعب المصري بتخليده في حجر القناة . فبعد في تطبيقه نظام السفرة تطبيقاً واسماً عريضاً قسباً كان يدهن قنصل القرمي من ناحية ، وينتظر إلى مصلحة الشخصية بتخليد ذكره في التاريخ من ناحية ثانية ، وفي سبيل ذلك ضحى بمصالح الشعب الاقتصادية والاجتماعية التي كان يجب أن تكون لها الصلابة في اعتباره وسياسه . وقد قرر بحق ثلاثة من أعلام القانون في فرنسا في سنة ١٨٦٣ أنه ليس لسعيد باشا أن يبيع رعاياه لشركة القناة ، وأنه إذا كان فرمان ٢٣ مايو ١٨٤١ قد منح الولاية من أسرة محمد على حتى حكم المصريين فإن هذا فرمان لم يعطهم الحق في امتلاك المصريين كما يمتلك الإنسان قطيعاً من الغنم أو عقاراً تنقل ملكيته من شخص إلى آخر (١) .

وكان من أبرز مظاهر الإهتمام البالغ من سعيد باشا بنجاح المشروع وتقديم العمل في تنفيذه أن قام بزيارة ساحات حفر القناة في شهر ديسمبر ١٨٦١ . ويعزو بعض المؤرخين قيام سعيد بهذه الرحلة إلى أن العمل في حفر القناة البحرية الصغيرة قد وصل إلى مرتفعات عتبة الجسر ، وهي أعلى هضبة تعترض سبيل القناة البحرية ، وكانت تقع شمالي بحيرة الفساح . فدعا دى لاسن صديقه سعيد باشا إلى ولية أقاليمها له في البرزخ ، مسرح نشاط الشركة ،

(1) Note consultative pour Son Altesse Ismail Pacha, Vice-Roi d'Egypte délibérée par Mtes. Odilon Barrot, Dufaure et Jules Favre en date du 30 novembre 1863.

وهناك حصل منه على تصريح بعشرين ألف رجل يشتغلون كل شهر في عمليات الحفر (١) .

ومهما يكن سبب هذه الرحلة والحيلة التي تفتق عنها ذهن دي. ليسبي فإن هذه الرحلة تعتبر دليلا ماديا على تعمس سعيد للمشروع اسبيني : أولهما أن هذه الرحلة كانت الزيارة الثانية التي قام بها الوالي في خلال عام واحد إلى منطقة القناة . وكانت الزيارة الأولى ، وقد تمت في أبريل ١٨٦٦ ، مقتصرة على منطقة بورسعيد . أما الزيارة الثانية فكانت إلى ساحات الحفر القائمة في أحماق صحراء البرزخ عند بحيرة التماسح . وثانيهما أن السفر إلى ساحات الحفر كان في ذلك الوقت قطعة من اللذات ، فالواصلات إلى منطقة القناة كانت بطيئة صعبة يستخدم المسافر الروى إليها ثلاث وسائل : هي القطار إلى بنها فالإفازيق ، ثم قارب شراعى أو دهيبة إلى القصاصين ، ثم دابة أو عربية نجرها دابتن أو أكثر إلى ساحات الحفر .

وقد نشرت جريدة L'Isthme de Suez نبأ هذه الزيارة في أول صفحاتها وقالت : « نشرت أمس صحف المساء برقية تقول إن الأمير سعيداً قد زار البروخ » ونصبت موضوع هذه الزيارة بمقال المختصى نعتته بقولها : « إن قراءنا يرون في هذه الزيارة الكريمة ، كما نرى نحن ، دليلا جديدا على اهتمام حضرة صاحب السمو الأمير سعيد بمشروع بفتح العالم المتملمين بأمره إلى إنجلترا » (٢) .

ذهب سعيد في ركب محافل واصطحب معه حاشية كبيرة وقوة من حرسه الخاص بلغ عدد أفرادها ألف ووفى وقوة أخرى من الجيش المصرى بأحلامها وأسلحتها وموميقاتها ، وكان يمثل أفرادها سلاحى المشاة والمجانة وارتدوا أفضل الملابس المزركشة (٣) . وكان سعيد يصحب عادة في

(١) Surobarco Angelo La ventà sulla questione del Canal de Suez. Roma 1949, p. 25.

(٢) العدد ١٧٢ الصادر في ١٥ ديسمبر ١٨٦٦ ص ٢٨٦ مجموعة لثة السادسة

(٣) أنظر رسماً للتأخر الألية التي أحاطه سعيد نفسه بها أثناء الرحلة في .

رحلاته كنية أو أكثر من الجيش تقوم بين حين وآخر باستعراضات عسكرية طيلة الرحلة . وانتظر دى لسبس سعيد باشا في التل الكبير ليكون في استقباله وليرافقه في طوافه بمنطقة الحفر المنخفضة . وقد هال دى لسبس كثرة عدد أفراد الحاشية والجنود وهمس في أذن أحد رجال الحاشية قائلا إنه من الصعب أن يصحب الولى ذلك العدد الضخم من الحرمى وجود الجيش إلى ساحات الحفر ، لأن مشكلة المشكلات التي كانت تواجهها الشركة في الصحراء وقتئذ هي توفير ماء الشرب للرجال ، وإن وجود ذلك العدد الكبير من الجنود والمراقبين يريد المشكلة تفاقمًا ويؤثر على كميات الماء المملوذة التي تجلبها الشركة على ظهور الجبال من مسافات نائية . وكانت نتيجة هذا النصيح أن أنقصت القوة العسكرية المرافقة إلى خمسين جنديًا وتختلف الباقون صنف مواصلة السفر (١) . وبدل هذا الحادث على أن سعيد باشا كان لا يترك تمامًا كيف كانت الأمور تسير في حفر القناة والأخطار التي كانت تحلق بأفراد الشعب المصري المسحورين في حفر القناة .

وقد تحرك ركب سعيد من التل الكبير في اتجاه منطقة القناة ، بلغ في مساء ٦ ديسمبر ١٨٦١ عتبة البحر شمال بحيرة التماسح ، وزار ساحة الحفر وقم • وهي إحدى الساحات التي المقسة إليها تلك المنطقة . وقضى سعيد هناك اليوم التالي وزار فيه أنحاء تلك الجهة ، كما شاهد الموقع الذي اختير مصبًا لقناة البحرية في بحيرة التماسح . وأصيب سعيد بهذا الموقع وطلب أن يشيد له سكن خاص على المصببة يشرف على مصب القناة البحرية في البحيرة حتى يرى ويسمع هدير انسياب مياه البحر المتوسط في بحيرة التماسح (٢) .

وغادر سعيد عتبة البحر في الساعة التاسعة من صباح ٨ ديسمبر ١٨٦١

Berchère N. . Le Désert de Suez, Cinq Mille dans l'Isthme. Paris, Librairie Hetzel 1863, pp. 82-83.

(1) Percy Badger, *ouvr. cit.*, p. 11.

(2) De Lesseps F. . *Lettres, Journal et Documents etc.*, *ouvr. cit.*, t. IV, p. 114.



ومعه دى لبس والحاشية وقاموا بجولة عند الجهة التي وقع عليها الاختيار لتكون موقعا للمدينة المتساح والإسمايلية فيما بعد ، وقد أصيب أيا لمعجاب بروعة المناظر الطبيعية التي ترمى للناظر من عل . ومن هناك قام بجولة أخرى حول أبار نفيسة ثم تابع طوافه إلى مرعة بير « أبو بلاح » وهي من منشآت الشركة ، وأمر سعيد بأن تؤخذ عايج من المزروعات التي قامت الشركة بغرسها في تلك المزرعة (١) ، وأخيرا وأصل رحلته فبلغ حوالى الظهر مركز طوسن جبولى بحيرة المتساح ، وقد أطلقت الشركة على هذا المركز اسم طوسن وهو ابن سعيد باشا ، وأقامت فيه كثيرا من المنشآت حتى غدا من أهم مراكز العمل في داخل البرزخ (٢) .

وفي طوسن أعد الرمال استقبال حافل فلدخل المدينة محتلبا صهوة جواده وبجواره دى لبس راكبا هو الآخر حصانه ، وسارا بين صفوف متراصة من الهال المصريين هتفوا بحياته ، وعزفت موسيقى الخرس . وكان ركب سعيد باشا يتألف ، عدا هذين الجوادين ، من ستة جهال عليها فاخر السروج ركب عليها كبار أفراد الحاشية ، وتبعها حربة سعيد الخاصة بحرها ستة بغال ثم حربة دى لبس تشدها ستة جهال ثم قوة من الجيش المصرى . وعلى أثر هذا الاستقبال وطوافه بالمنشآت التي أقيمت في طوسن انتهت الزيارة ، ونقل سعيد عائدا إلى عاصمة ولايته .

هذه الزيارة تمنا بنوع خاص لارتباطها الوثيق بموضوع السخرة في حفر القناة ، فقد عادت على الشركة بأطبيب النتائج (٣) إذ حلت مشكلة حمال السخرة حلا يتشبه إلى حد كبير مع ما كانت الشركة تبجته ، وقد قال دى لبس : لم يكن هناك شيء في مصلحتنا أكثر من الأمر الطبيب السلى تركته في نفس سعيد باشا هذه الزيارة . وكانت هي اللحظة التي كنت أطلع

(1) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 239.

(2) Courbon : Observations topographiques et médicales, recueillies dans un voyage à l'Isthme de Suez. Paris. 1891, p. 11.

١٢٢ (3) Berthéle, ouvr. cit., p. 82.

إليها منذ زمن طويل لمعالجة كافة المسائل الخاصة بالتنفيذ المتصل بعمليات الحفر  
والتنصيف التابعة المالية الخاصة بالكتاب الحكومة المصرية (١) .

حرص دى لابس على أن يشاهد سعيد خلال المرحلة نشاط الشركة في  
التاحيتين الرئيسيتين اللتين كانت تركز جهودها فيما في ذلك الوقت وهما

أولاً : ترعة الماء العذب وقد أبحر إليها سعيد وهو في طريقه إلى البروخ  
حتى قرية مخفر في مديرية الشرقية . وقد رغب سعيد أن ينشط العمل في حفر  
هذه التربة حتى تصل إلى بحيرة الحماس ومن ثم تمتد في اتجاه الجنوب لتبلغ  
مدينة السويس في وقت وجيز دون أن يؤثر ذلك على نشاط الشركة في  
التواصي الأخرى (٢) .

ثانياً : القناة البحرية الصغيرة - مصغر قناة السويس - وكانت  
الشركة تحاول جاهدة شق مجرى صيني لها وسط هضبة عبة البحر شمال  
بحيرة الحماس . وكانت أكبر عقبة طبيعية تعترض سير قناة السويس (٣)  
إذا ترتفع ١٠ ، ١٩ متراً عن سطح البحر (٤) وتمتد مسافة أربعة عشر كيلومتراً.  
وقدر الإخصاليون في الشركة مقدار الانخفاض الواجب لذاتها لحفر مجرى  
القناة فيها بمقدار عشرة ملايين من الأمتار المكعبة (٥) والقوة الأدبية التي  
تستلزم في حفر تلك المرتضعات بأربعين ألف رجل (٦) .

(1) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,  
t. IV, p. 118.

(2) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents, ouvr. cit., t. IV,  
p. 110.

(٣) جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٣٦ الصادر في ١٥ فبراير ١٨٦٢ ص ٥٠  
مجموعة ستة السابعة وكذلك العدد ١٤٦ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٢ ص ٢٢٥ - ٢٣١  
وهي محاضرة عامة ألقاها في ليس بتاريخ ٢٢ يونيو ١٨٦٢ .

(4) Volsin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 153

وانظر أيضاً جريدة L'Isthme de Suez العدد ١١٨ الصادر في ١٨ مايو ١٨٦١ ص ١٥٢  
بمجموعة ستة السادسة .

(5) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,  
t. III, p. 388.

(٦) الجزء الرابع ص ٢١٦ من المجلد السابق .

وكانت زيارة سعيد لمحات الحفر المختلفة فرصة مواتية لدى لبس  
 ظهرت فيها براعته ولباقته ومدى تأثيره على صديقه سعيد . فأعاد عليه  
 شرح الموقف وخرج مركز الشركة إذا لم تحف الحكومة المصرية إلى مساعدة  
 الشركة بجمع الأيدي العاملة لها ، وأبان الحساثر التي تتكبدتها الشركة وبالتالي  
 جمهور المسهين إذا تعرضت عمليات الحفر مرة أخرى للتأخير . واستجاب  
 سعيد وهو في البرح وفي ضيافة الشركة إلى رجاء دى لبس ، وأصدر أوامره  
 في الحال إلى مديري الأقاليم لحشد عمال السخرة بحيث يصل عددهم في نهاية  
 شهر ديسمبر ١٨٦١ ، وهو الشهر الذي تمت فيه الزيارة ، إلى خمسة عشر  
 ألف رجل ، على أن يزداد هذا العدد خلال الشهر التالية إلى خمسة وعشرين  
 ألف مصري (١) ، وذلك بالإضافة إلى جموع أخرى من العمال وعد سعيد  
 بأن يمتد في طلبها من أفاحى الصعيد . وعهد سعيد إلى عرفان باشا ناظر  
 الخاصة أن يتولى الإشراف على جمع وترحيل أولئك العمال ، على أن يعاونه  
 في هذه المهمة كل من مديري الدقهلية والغربية والقليوبية (٢) ، وهذه  
 المديرية الثلاث هي أقرب الجهات إلى مساحات الحفر .

وقد بدت نتائج هذه التقارير مريعا ، فلحق عدد العمال الذين ظفرت بهم

(١) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 233.

هذا ويحفظ لوالان مع ساماركو Saramarco ومع دوان Douin و عدد  
 العمال الذين وعد بهم معه . فيذكر المؤرخان الإغريان أنه وعد بإرسال عشرين ألف رجل  
 فقط . انظر

Douin George : *Histoire du Règne du Khédive Ismail* 5 vols. t. I,  
 Rome 1933, p. 24.

SamarMarco A. *La verita etc.*, *ouvr. cit.*, p. 25.

أ. دى لبس فيذكر في محاضرة علمية ألقاها في باريس في أول سبتمبر ١٨٦١ أن  
 سيد باشا قد وعد أنه يزاره لمحات الحفر بإرسال عشرين ألف عامل كحد أدنى .  
 أنظر جريدة *L'Estime de Suez* العدد ١٩١ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦١ بمجموعة  
 القصة الخامسة . وسرى في الفصول التالية أن عدد العمال المصريين لم يتجاوز في أي  
 وقت اثنين وعشرين ألفا .

الشركة ١٤٦٩٧ رجلا في شهر ديسمبر ١٨٦١. وكان هذا أكبر رقم قفز إليه عدد العمال خلال ذلك العام . وقد قابل بادجر السائح الإنجليزي ، وهو في طريقه من الرقازيق إلى منطقة القناة في شهر ديسمبر ١٨٦١ ، جموعا صغيرة من العمال المصريين قطعون الطريق إلى ساحات الحفر سيرا على الأقدام . وقد عن السائح الإنجليزي أن يوجه إلى طريق منهم بعض الأسئلة ، فكان من بينها سؤال : هل جاءوا بمحض رغبتهم ؟ فكانت إجاباتهم مجمعة على أنهم قد كنموا رغما عنهم . وحرص السائح على أن يسجل هذه الإجابة باللغة العامية الدارحة كما انطلقت بها ألسنتهم : أخذنا بالزور (١) We are taken  
bizarro

وقد نتابع التدفق الآدمي بشكل متقطع التطير طوال عام ١٨٦٢ ، إذ كان عدد العمال الذين يساقون زمرا إلى ساحات الحفر يتراوح بين عشرين ألفا واثنين وعشرين ألفا في الشهر الواحد . ويقول دوان Doulin : وفي شهر ديسمبر ١٨٦١ ذهب سعيد بنفسه إلى البرزخ وشاهد الأحوال ورغب في أن يرداد نشاط العمل فأمر بحشد عشرين ألف رجل . ومنذ ذلك اليوم كان هذا الأمر يتجدد بصورة مستمرة . وكانت أفواج العمال يتكايع قديمها شهرا بعد شهر مجتازة في طريقها إلى البرزخ وعودتها من الوجه القبلي والوجه البحري . وكان موظفو الحكومة المصرية بشرقون على جمع العمال وإرسالهم ومراقبتهم (٢) .

ومعكنا نرى أن سينا اتخذ في أعقاب زيارته لساحات الحفر خطوة حاسمة في سبيل تدعيم المشروع بفسخير المصريين في نطاق واسع ونظام رتيب لحفر القناة . ونحن لدى لبس أن يقول : إن وجود الرائي في البرزخ كان أمحد حادث وقع لنا (٣) .

(1) Percy Badger, *ouvr. cit.*, p. 13.

(2) Doulin, *ouvr. cit.*, t. I, p. 24

(3) De Lesseps F. . *Lettres, Journal et Documents etc.*, *ouvr. cit.*, t. IV, pp. 110-112.

وفي أقل من شهر نفذ سعيد الشق الثاني من وعده ، فأنجز قرصة قيامه  
 برحلة إلى الوجه القبلي في يناير ١٨٦٧ وأمر بأن يرسل إلى ساحات الحفر  
 القناة خمسة آلاف جندي من جنود الجيش المصري قاربوا إتمام مدة خدمتهم  
 العسكرية . وكان أولئك الجنود هم الحشد الإضائي الذي وعد سعيد أثناء  
 رحلته إلى البرزخ بأن يبحث بهم من أقاصي الصعيد . وقد نقل الجنود من  
 الصعيد إلى القاهرة في النيل على السفن البخارية الحكومية ، ثم استقلوا من  
 القاهرة القطار إلى الزقازيق . ومن هناك بحث بهم مندوب الشركة إلى ساحة  
 الحفر رقم ٦ في منطقة عجة البحر (١) .

ولما بلغوها بدت منهم بوادر دلت على أن حركة تمرد وعصيان وشيكة  
 الوقوع بين صفوفهم . وزاد الموقف حرجا أن عدد المصباط المرافقين لهم  
 كان قليلا . فعجز المصباط عن السيطرة على الموقف من يادي الأمر وقضى  
 الجند ليثهم والموقف ينثر بانفجار خطير . فلما كان صباح اليوم التالي  
 رفضوا حلانية العمل في حفر القناة وغادروا ساحات الحفر في طريق عودتهم  
 إلى بلادهم . وفي هذه الأثناء وقع اصطدام بينهم وبين رؤساء ساحات الحفر  
 من مهندسي الشركة ومستخفيها الفرنسيين . وقال دي لسيبس في تقرير له  
 عن هذا الحادث « وقد أبدى رؤساء ساحات الحفر في عجة البحر كثيرا من  
 صروب الحكمة وحسن التصرف والذكاء والنشاط . ولولا شجاعتهم ونظامهم  
 لاستعمل أمر القننة التي قام بها جنود الجيش المصري الذين وفدوا من الصعيد ،  
 إذ كانوا على جانب كبير من القوة والشراسة والحيلة والتمرد والصلابة ،  
 ويفضل حكمة رؤساء ساحات الحفر أمكن تجنب وقوع نكبات (٢) » .

ولكن الرؤساء الفرنسيين في ساحات الحفر أظهروا حماسة لا مزيد  
 عليها . ودفاع دي لسيبس عنهم دفاع هزيل لا يستقيم مع المنطق ، لأنه إذا كان  
 ضباط الجيش ، وهم الرؤساء الذين يجب على الحشد طاعتهم - لم يقتلوا في

(1) De Lesseps F. . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,  
 † IV, pp. 151-152.

وجه التيار الجارف عند آثار خربة الآف جندي في ساحات الحفر احتجاجا على استغلالهم في حفر القناة فكان يجرى بالقلعة من الرومساء الفرنسيين ألا يترضوا للجنود في هياجهم وفي تركهم العمل . ولكن شق عليهم أن يحضر هذا الحشد من الجنود ولا تستنزف الشركة طاقاتهم في حفر القناة أموة بزملائهم الفلاحين . وأكثر من ذلك لقد بلغت الخيانة بالرومساء الفرنسيين أن اعترضوا توقيع عقوبات على بعض الجنود الذين حاولوا الهرب وغشوا فيه (١) ، فكيف دى لبس إلى مندوب مقاول الشركة يسفه هذا الإجحاف وقال : ولم يرفع صاحب السمو الوالي في إنارة ضجة بمناسبة هروب العمال أخيرا . وهو على حق في هذا . وتلاقى رغبتي مع رغبته في عدم توقيع عقوبات على المهاجرين بحيث يشعر بها الرأي العام (٢) .

وقد خشي دى لبس أن يخلو عمال السخرة حلقو جنود الجيش غير مقصون العمل ويهجرون ساحات الحفر ويتسع نطاق الحركة ، فأسرع بالسفر إلى منطقة القناة ليعمل على تهدئة الموقف . وقال في هذا الصدد : لقد أوقف حضوري انجماحات كان من المحتمل أن تؤدي إلى نتائج مومضة (٣) ، ثم مضى في نفس التقرير يقول : هذا الحادث لا يثير في نفسي الدهر ولكن أراه مبررا لاتخاذ التدابير التي نصحت الوالي باتخاذها ولم تعد إلى الآن ..... وليس من الحكمة إذاعة هذا الموضوع . وإذا تعرضت له الصحف فيجب أن نود على ذلك بقولنا إن في سفر هؤلاء الناس ، وقد جاموا لأول مرة من جهات بعيدة وكانوا يظلمون على العودة إلى بلادهم ، أكثر دليل على أن العمل لم يكن يطرأ على الإكراه ، إذ لم تكن لدى الشركة قوة تمسول دون عودتهم . وهذا حادث فردي يجم عن تصادم بين العمال ورومسايم الوطنيين .

(١) يذكر دى لبس أن حشد الذين بقوا في ساحات الحفر من الجنود ٢٥٠ نظر الجزء الرابع ص ١٥٧ من المصدر السابق .

(٢) الجزء الرابع ص ١٥٩ - ١٥٠ من المصدر السابق .

(٣) الجزء الرابع ص ١٥١ - ١٥٢ من المصدر السابق .

ومكنا تبلغ المرأة بنى لبس في سح الخفاق . فلم يكن الحادث  
 فرديا بل اشترك فيه خمسة الآف جندي . ولم يحدث الاصطدام بين المصريين  
 بمصم وبعض ولكن وقع بين المصريين وروماء ساحات الحفر الفرنسيين .  
 ويقول الدكتور محمد صبرى إذ العميان الذى قام به جنود الجيش المصرى  
 الذين حشدوا لحفر قناة السويس كان مظهرا قويا من مظاهر الاستياء الذى  
 عم الشعب بسبب تسخير الأهلين في حفر القناة فيرر استيائهم على هذه  
 الصورة على الرغم من أنه شعب مسلم لا ينجح إلى أعمال العنف (١)

والحقيقة أن الشعب المصرى لم يلحن لهذا النظام الجائر الذى فرضه  
 سعيد محمد عشرين ألف عامل كل شهر لحفر القناة ، بل قاومه ما وسعته  
 الحيل والوسائل . عازداد عصيان العمال في ساحات الحفر ، وساء سلوكهم  
 إزاء الرؤساء الفرنسيين في الشركة ، وتعددت حوادث هرب العمال من  
 ساحات الحفر بل من منطقة القناة كلية . وكان يكثر هربهم أول الأمر  
 في البالي غير القصرية حيث كان يسهل عليهم التسلل لوادا في ظلهم  
 الدامس (٢) ، ثم اشتدت حركة الهرب فلم تكن حركة فردية بل كانت  
 حركات جماعية . نذكر منها على سبيل المثال أنه هرب ٦٢ عملا في ليلة واحدة ،  
 وفي الليلة التالية هرب ١٩٩ رجلا من الذين سبقوا من مديرية المنيا . كما  
 هرب عمال مديرية روضة البحري (٣) والعمال الذين جى بهم من طنطا  
 ودسوق . وبالمثل أن أظهر عمال الوجه القبلي تحديا صافوا للشركة أثناء  
 هربهم إذ كانوا يطلقون الأهمرة النارية في الهواء تحريضا لزملائهم على  
 الهرب معهم (٤) .

وكان الرؤساء الفرنسيون يتعرضون لأخطار جسيمة إذا وقفوا في وجهه

(١) Sabry M., *ouvr. cit.*, p. 285.

(٢) Berchère, *ouvr. cit.*, p. 111

(٣) كانت مديرية روضة البحري تشمل ما يسمى الآن مديريات المنوفية  
 والقريبة وكفر الشيخ .

(٤) محفوظات قصر عابدين : مخطوط ٢٨ سيرة تركي . وثيقة رقم ١١٢ .

العمال الممارين الذين كانوا يقتفونهم بقلل الماء . وكان العمال لا يقفون عند هذا الحد ، فإذا كان الرئيس الفرنسي وراكبا جواده ، كما كان الحال غالباً ، طرحوه أرضاً وأوسروه صرباً (١) .

وهناك كاتب فرنسي مال به الحقد عن الحق : طعن في كفاءة عمال السخرة ويطه عملهم إلى غير ذلك من التهم غير الصحيحة التي رماهم بها ليشق غله بسبب سحب عمال السخرة في مستهل عام ١٨٦٤ من ساحات الحمر ثم قال إن فكرتهم عن الكرامة الإنسانية تمثلت في حركات تمرد وعصيان قاموا بها في أكثر من مناسبة واستطاع دى لسبس إخمادها بصعوبة (٢) .

وكان مطلوب المقاول العام في ساحات الحفر يرفع الشكايات نباحاً إلى دى لسبس عن هذه الحوادث فيبلغها بدوره إلى الوالي ويعلق عليها بضرورة تعيين موظف كبير في ألبرزخ يمثل سلطة الحكومة المصرية ومعه قوة من البوليس ينشأها العمال وتحول دون وقوع الاضطرابات .

وقد وعد سعيد باشا بتعيين أحد كبار موظفي الحكومة في ساحات الحفر ، ثم مضت فترة لم يتقل سعيد وعده واستنطق دى لسبس بتعيين الموظف ، فكتب في ٢١ يناير ١٨٦٢ إلى زكي بك - أحد رجال المعبية - يتساءل عن البراءة التي أدت إلى عدم الوفاء بالوعد ، وأنها أن سلوك العمال يبرر التجهيل بإرسال الموظف والقوة البوليسية إلى ساحات الحفر (٣) .

وحدث بعد إرسال هذا الخطاب أن ازدادت مقاومة العمال لرجال الشركة وكثر إخلالهم بالنظام إعلاتاً عن سخطهم على تسخيرهم في حمر

(١) Borchers, ouvr. cit., p. 111.

(٢) Kastolany André: Suez, Le Roman d'une entreprise, pp. 114-115.

(٣) خطاب دى لسبس إلى زكي بك بتاريخ ٢١ يناير ١٨٦٢ أنظر

De Lesseps F : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 143.



القضاة مما حدد سير عمليات الحفر بالتعطيل . فهاود دى لسبس في ٢٢ يناير ١٨٦٢ الكرة لدى سعيد وطالب تعيين عرفان باشا ناظر الخاصة للإشراف على حفظ النظام في ساحات الحفر طيلة الليلة التي يستغرقها حفر مرتفعات حجة الجسر . ورأى تعزيز الطلبة هذه المرة أن يرفق بخطابه كتابا تلقاه من «ندوب المقاول العام بخصوص سوء سلوك العمال وكذلك صورة من محضرين لحادثتين منهم . وقال دى لسبس تعليقاً على هذه الحوادث إنها «تجمل وجود عرفان باشا أمراً لا منلوحه عنه (١)» .

وتجلى مرة أخرى اهتمام سعيد بتقدم عمليات الحفر على حساب مصالح الشعب المصري ، ولما إلى العنف لكبح جماح العمال الثائرين ، فأمر باتخاذ «تدابير حارمة جداً» (٢) وأرسل في الحال سفينة بخارية سريعة إلى الوجه القبلي تأخذ من كل مديرية مشايخ البلاد ، وجعل كل شيخ مهم مسئولاً عن العمال الذين يملكون من تابعيه ، فراقب إنتاج العمال في ساحات الحفر أثناء النهار ويحول دون هربهم أثناء الليل . ووضع سعيد ضباط البوليس في خلية الشركة منذ يناير ١٨٦٢ فأمر بأن يصحب عمال السخرة في سفرهم أحد ضباط البوليس من المديرية التي يقد منها القنوج . وكانت مهمة الضباط ، ويطلق عليه معاون البوليس ، تنتهي في الزقازيق بتسليم الأنظار إلى مندوب الشركة (٣) .

وانتجبه سعيد إلى تعيين عرفان باشا ناظر الخاصة ( المدة السب ) كبير يسافر إلى البرزخ ويتولى مهمة حفظ النظام في ساحات الحفر ، إلا أنه مرض ، ولعله تمارض حتى يتجنب الإقامة في صحراء البرزخ . فعهد سعيد إلى اسماعيل حمدي بك بالقيام بهذه المهمة . وأخطر زكي بك في ٢٦ يناير

(١) خطاب دى لسبس إلى زكي بك بتاريخ ٢٢ يناير ١٨٦٢ أنظر الجزء الرابع من ص ١٥٧ - ١٥٨ من المصدر السابق .

(٢) خطاب زكي بك إلى دى لسبس من بينها بتاريخ ٢٦ يناير ١٨٦٢ في الجزء الرابع من ص ١٥٨ من المصدر السابق .

[3] Berchère, ouvr. cit., p. 114.

١٨٦٢ دى لبس وصيا بهذا التمين وأبلفه أن هذا الصابط الكبير سيذهب  
قريبا إلى ساحات الحفر و ٤ قرات بولسية لحفظ النظام بين العمال (١) .

وعنى دى لبس بتوفير وسائل الراحة لاسماعيل حمدى بك وظل في عتبة  
الجسر ليكون في استقباله ، وأشرف دى لبس بنفسه على إعداد حجرة  
في كل ساحة من ساحات الحفر ليقم فيها الماء تنقله للفتيش على العمال (٢) .  
وأعدت الشركة له منزلا لسكنه . وفي أول فبراير ١٨٦٢ وصل اسماعيل  
حمدى منطقة عتبة الجسر ومعه قوة بولسية كانت تسمى في ذلك الوقت  
« القواصة » ونصب حول منزله ست حيام يقيم فيها عظمه وحرسه الخاص .

استهل اسماعيل حمدى عمله في البرزخ استهلالا قائما معيا ، إذ قبض على  
زعماء العمال المترددين وألقى بهم في غياهب سجن أقيم في منطقة عتبة الجسر .  
وكان مبنى السجن عبارة عن منزل منخفض أقيم في مكان منزل يفصله عن  
الطريق العام فناء فسح (٣) . وأعلن في ملا من العمال أن سعيد بلشا قد أمره  
بالأ يسمح لأي عامل بأن يقضى يوما واحدا في البرزخ بدون عمل لأن الوالى  
يريد أن تمضى عمليات الحفر في سرعة ونظام (٤) .

ومضى اسماعيل حمدى في استخدام وسائل العنف والإرهاب لإرادة  
عمال السخرة ، فعرض عليهم وقاية دقيقة من لدن مشايخ العمال ، وعين  
قوات من فرسان البوليس ترعاه المنطقة الواقعة بين ساحات الحفر والنيل  
الكبير لتعقب العمال الهاربين (٥) ، وبعت إلى السجن بكل عامل بدا منه  
إخلال بالنظام أو إهمال في العمل أو نزوح إلى الغرب . وقد شاهد أحد  
الساكنين الفرنسيين في ٢٣ فبراير ١٨٦٢ في إحدى حجرات السجن عشرة

(١) خطاب زكى بك بتاريخ ٢٦ يناير ١٨٦٢ السابق الإشارة إليه

(2) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 274.

(3) Berchère N., ouvr. cit., p. 217.

(4) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 274

(٥) مجموعات قصر عابدين - محطة ٢٨ مية تركى وثيقة رقم ١١٢ .

من العمال يجلسون القرفصاء ، وخطر له أن يسأل أحد حراس السجن ، وقد ألقاه جالسا على الأرض عند باب السجن بفتات خبزا ويصلا ، عن أسباب حبسهم فأجابه بأن البك - يقصد اسماعيل حمدي - هو الذي أمر بزوجهم في السجن (١) .

وأخذ اسماعيل حمدي يقوم بجولات تفتيشية متكررة أثناء النهار ، فكان يركب حصانا ويحمله ضابطان على جواديهما ثم حمله من الخنود على ظهور الخيل . وكان يحرص على أن يثير موكبه الرعب في نفوس العمال . وكان لا يتحدث إليهم إلا وهو على ظهر جواده . لاحظ في إحدى جولاته تقصيرا في عمل اثنين من رؤساء العمال ، فأمر بتزليلهما قورا إلى رتبة « نمر » من أقمار المخرة ، وحمل كل منهما القاس والقفط ، وحط إلى قاع القناة ينزحان الرءال ويملاان القفط ليصعدا بها إلى جسر القناة لتعريفها ثم يبطلان مرة أخرى وهكذا . وقد علق أحد المترسعين على هذا الحادث فوصف اسماعيل حمدي بالعدل والمثلة (٢) .

وقد انمكست شدة اسماعيل حمدي على المشايخ من رؤساء العمال خوفا من أن ينزل عليهم غضب «البك» . فكان «الشيخ» يقسو على العمال الذين تحت إمرته إذا لاح له أن تقصيرا لنا منهم (٣) . وقد أراد اسماعيل حمدي أن تكون عقوبة القرب حلنية وأن يشهد عذاب العمال طائفة منهم . فكانت عقوبة الخلد أو القرب ثم في الحى العرنى في حبة الجسر ، فغرش على الأرض قطعة كبيرة من جلد البقر ، ويجلس عليها العامل «الملنبد» وينال الشجع عليه صريا بالكرباج أو العصا (٤) . ويحكم أحد المترسعين على هذا الأسلوب في توقيع العقوبات ، وقد شاهده بنفسه ، فيطلق على قطعة جلد البقر أنها

(1) Berchère N., ouvr. cit., p. 218.

(2) Berchère N., ouvr. cit., pp. 185-186.

(3) Fontane Marius, ouvr. cit., p. 51.

(4) Berchère, ouvr. cit., p. 114.

عمل العدالة العرقية (١) Thémis arabe. (٢) le lit de justice de la هنا القول بجانب الحق والواقع . فالشركة حظرت حقيقة على مستخدميها الأجانب ، مهما كانت مناصبهم ودرجاتهم ، ضرب العمال المصريين ، ولكنها أجازت ذلك لروضاء المال الذين هم عادة مشايخ البلاد (٣) . ومن الواضح أن الحظر المفروض على المستخدمين الأجانب لم يكن إلا إجراء شكلياً ومغادرة من شركة القناة ، إذ تتولى خلف رئيس العمال وتتخذ أداة لتوقيع العقوبات البدية عليهم وتظل الشركة بمنأى ظاهرياً عن مواطن التسرة . ولهذه إحدى وسائل المستعمر الأوربي . وتتكشف هذه الحيلة إذا علمنا حقيقتين أولاهما أن « الشيخ » كان مستولاً أمام الشركة عن الأعمال التي تناط بأفراد فرقته (٤) ، وثانيتهما أن العمال لا يلقون الأوامر إلا من مباشرة (٥) .

وقد برر هذا الكاتب الفرنسي نفسه مطلقاً الشركة تبريراً غريباً فقال إن رجال الشركة هم الذين طلبوا أن يكون ضرب العمال المصريين بواسطة المشايخ ، لأن أبغض شيء إلى قومنا أن نقوم نحن بهذا العمل . . .

(١) Ibid.

(٢) هي ربة العدالة هذه الإفريل وكان يرعاه اليها سلطة مصبة البنين تلك بهذا ميزاناً لا كالحين متداولين .

(٣) كثيراً ما طغت فواتر الشركة لهذا الحريم وقامت في هذا البلد جريئة الشركة ، حرم حل المستخدمين الأوربيين توقيع العقوبات البدية على العمال المصريين ، ولكن أجبر لروضاء المال الذين هم عادة مشايخ البلاد ضرب العمال إذا تراخى هم ذلك . أنظر المجلد ١٥٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ ص ٢٧١ مجموعة السنة السابعة . ولم تكن هذه أول مرة نشر فيها المريدة هذه المسألة بل سبق أن أشرت إلى هذا الحريم . أنظر حل سيبل المثال المجلد ١٢١ الصادر في أول يوليو ١٨٦١ ص ٢١٩ - ٢١٧ مجموعة السنة السابعة .

(٤) عاشره دي ليهس في باريس بتاريخ ٢٢ يونيو ١٨٦٢ ونشرت في جريدة L'Isthme de Suez المجلد ١٤٦ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٢ ص ٢٣٥ - ٢٣١ مجموعة السنة السابعة .

(٥) L'Isthme de Suez المجلد ١٥٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ ص ٢٧٠ مجموعة السنة السابعة .

وقد تعرض هذا الكاتب الفرنسي لنقطة حساسة فقال إن بعض الناس يقومون بالشركة لأنها تعامل العمال المصريين في بعض الأحيان معاملة غير كريمة ، فلما خرج عن الشركة طاعا هزيعا لا يحلو من تعاملهم عن العنصرية الاستعمارية. الرجل الأوربي في القرن التاسع عشر ، فقد أرجع سوء معاملة الشركة للعمال المصريين إلى رغبته في المحافظة على كراهة الأوربيين حين يتجاوز العمال المصريون الحدود المسموح بها *les limites permises* (١) . ولكنه لم يوضح ما هي الحدود المسموح بها وما هي الحدود غير المسموح بها. ثم تعامل هذا الفرنسي عما يصير إليه موقف الشركة إذا لم تكن لديها السلطة الكافية لحمل العامل على أداء نصيبه في العمل اليومي المقروض عليه كاملا . وهو يبرر غريب لأنه يقتضى أن الوسيلة إلى ذلك ليست القهر والإكراه على أداء العمل ، ولكن الوسيلة هي المعاملة الطيبة والأجور المناسبة وتوفير ماء الشرب وإعداد الأماكن لمبيتهم في الصحراء .

وكان من الطائفي أن يحدد رجال الشركة على إسحاق حمشى بك أعذب الآمال . فصرح دي ليس بقوله « إن الرجال الذين يمثلون سلطة « أفندينا » بها كان لديهم سيوفهم لنا خطرات جلية » (٢) . ووضع العمال بعض الرضوخ لهذه الألوان المتعددة من الصف والجور يلقونها على يد الموظف التركي الذي أرسله سعيد إليهم ليكون في معظم الأوقات سوط عذاب عليهم . وليس مستغرب أن يقرر دي ليس ونوازان مدير عام الأشغال أن الشركة كانت أوليس أحسن تزايا وجوده (٣) . والحق إن إقامته المستديرة في ساحات الحفر ، يحيط به رجال البوليس ينشرون الرعب والملع في نفوس عمال السخرة ، كانت كفيلا بإقرار النظام والهدوء في مناطق الحفر ، وقرر رئيس الساحة رقم ٦ في منطقة عتبة الجسر أن تمسكت كثيرا

(١) Berchère, ouvr. cit., p. 113.

(٢) De Lesseps F : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 155.

(٣) De Lesseps F. : t. IV, p. 158.

Vassia Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 274.

طراً على سير عمليات الحفر بفضل وجود اسحاق جمدى بك ، إذ كثر عدد العمال وازداد إقبالهم على العمل ، وانحصر دور الرجل الأوربي في توزيع العمل وإعطاء الأوامر إلى المشايخ اللذين يقومون بتبليغها إلى العمال ويراقيون تنفيذها بدقة ، ثم يترك الأوربيون الأمور وهم مطمئنون إلى أنها تسير على النحو الذى يراد لها . وعلى الرغم من زيادة عدد عمال الحفرة وزيادة ضخمة تلك مهمة الأوربيين غدت من السهولة مما كان إذ لم تكن إلا نوعاً من المراقبة العليا (١) . واستطاعت الشركة أن تجتاز المرحلة الخطرة لشق قناة السويس البحرية الصغيرة في طول حفرة عميقة بطريقه بدائية هي النفوس والقحف على أكتاف ما يقرب من مائة وثمانين الف عامل حضروها في أقل من عشرة أشهر . وقد ذكر هوازان في هذا الصدد أنه لم يكن من الضروري تعبئة جيش من العمال فحسب ، بل كان من الأهمية بمكان أن تقود هذا الجيش شخصية كبيرة على حظ موغور من الذكاء والنشاط تستمد نفوذها من سلطة سامية عليها نزعى المشروع كل الرعاية وتعمل على إنجازه (٢) . وقد عمل الرجلان - اسحاق جمدى بك وهوازان بك - معاً في منطقة القناة طيلة سبع سنوات (١٨٦٢ - ١٨٦٨) وكان الأول أكبر موظف للحكومة المصرية في تلك المنطقة كما كان الثاني أكبر مستخدم للشركة فيها (٣) .

(١) Berchères, *ouvr. cit.*, p. 196.

(٢) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 276.

(٣) ظل اسحاق جمدى يشرف على شؤون العمال المصريين طيلة بقية الفترة من حكم محمد سعيد . ولما أنشأ الخديو اسحاق في مارس ١٨٦٢ عاقلة القنطرة بين اسحاق جمدى بك ومخلفاتها لها نظراً لعمى التي اكتسبها في السام السابق . وظل يشغل هذا المنصب إلى سنة ١٨٦٨ حين حلّته في منصب مراد باشا . وتزخر المحفوظات التاريخية بقصر عابدين بالتقارير السنية التي كان يرسلها باشا اسحاق جمدى بك وشتمير هذه التقارير موحداً عاماً لتاريخ إنشاء القناة .

أما هوازان بك فتمسك المنصب في عمارة القنطرة في ١٨٦١ وظل بها حتى سنة ١٨٧٠ ميراً عاماً للأشغال ثم وكيلاً أعلى للشركة في مصر . وأقيم عليه رئاسة البكوية سنة ١٨٦٦ وقلة حاد لخدمة الحكومة الفرنسية في سنة ١٨٧٣ حيث شغل عدة مناصب رئيسية فيها . ثم أعيد مرة أخرى لشركة القنطرة وشغل منصب نائب رئيس مجلس إدارة الشركة . وقد توفي في ١٧ مارس ١٩١٨ بعد أن بلغ من العمر مائة عام تقريباً . ولحقه له مثال لمن =

ومما هو جدير بالذكر أن دى لسيس ورجال الشركة وجريدتها كانوا يطلقون على اسماعيل حمدي بك مندوب الوالي أو Délégué du Vice-Roi أو ممثل الوالي "الرسمى" (١) Représentant Officiel du Vice-Roi وهذه التسمية لها مغزاها ومراميها (٢) .

• • •

وتنفيذاً لأوامر سعيد باشا الجلالة كان على عمدة القرية أن يقدم عند صدور أول إشارة له من المديرية العدد المطلوب من رجال قريته (٣) . ويتجهب العمال إلى المكان الذى يمين لهم لاجتماع الفريق المسافر وينظرون ريثما يتكامل عدد العرج . وتفرض الحكومة عليهم خلال ذلك الوقت رقابة شديدة حتى لا يصلوا إلى الحسرب . وكان تشدها في مراقبتهم يدفعها

---

في الاسماعيليه . وقد توفر حفة طويلة في شيوخه على إخراج مولد الخسيس من قضاة الميس واللى يمتد مرجبا رئيسا لتاريخ إنشاء القضاة .

(١) De Lencave F Lettres, Journal et Documents etc., ouvr cit , t IV, p. 158.

Vostan Bey, ouvr. cit., t. VI, P. 374.

جريدة L Isthme de Suez العدد ١٤٢ الصادر في ١٠ مايو ١٨٦٢ من مجموعة السنة الرابعة .

(٢) كانت الشركة تحبر منطقة القضاة بما تضمه من أراضي شاسعة ملحقا بإسما سعيد باشا من قلة تهر في عصفى الاختيار الأول والتمس ملكا خالصا لها لا يتعد إليها سلطان الحكومة المصرية وليس لها ولاية عليها والحكومة أنجحت ممثل رسمى لها في منطقة القضاة أسرة متعويها في مجلس إدارة الشركة . ثم حصدت بعد وفاة سعيد أن دار لفظ حولها الخاضع وتطلعت الحكومة التركية إلى ملحق منطقة القضاة بأسرها عن مصر ه ضارح اسماعيل إلى إنشاء محافظة القضاة في مارس ١٨٦٣ وعن اسماعيل معنى بذلك محافظا لقضاة على أن يكون مقره بورسعيد وأن تدعى مدينة القضاة ( الاسماعيليه ) في حدود المحافظة . وبذلك قطع اسماعيل على الشركة وتركيا وغيرهما من الدول ... الخ كبير فيها كانوا يبيعون .

(٣) L'Isthme de Suez العدد ١٥٠ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ من مجموعة السنة الرابعة .

في بعض الأحيان إلى حبسهم (١) .

وكان عمال كل مركز من مراكز المديرية يوفقون فرقة عليها وليس يطلق عليه لفظ الشيخ ، وهو ما يطلق عليه في فرنسا *chef tacheron* يتمتع بسلطة على رجال الفرقة كلها (٢) . فكان من واجباته مراقبة سلوك العمال أثناء سفرهم إلى البرزخ (٣) وقيادتهم صباح كل يوم إلى ساحة الحفر والإشراف عليهم أثناء العمل وفصل المنازعات التي تنشأ بينهم (٤) ، كما كان يضرب المقصرين منهم على النحو الذي أوضحناه .

وحين يتكامل عدد الفوج يستقل العمال القطار الحديدية أو السفن الشراعية نقلهم إلى أقرب مكان لمساحات الحفر ، ويوضع العمال أثناء سفرهم تحت الحراسة المسلحة (٥) . وكانت الحكومة هي التي تعد لهم وسائل النقل وتكمل نفقاته (٦) خلافا لما نصت عليه لائحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ التي نصت المادة السابعة منها على أن تتحمل شركة القناة نفقات انتقال العمال وعائلاتهم من مكان سفرهم حتى وصولهم إلى مساحات الحفر . وهذه حلقة جديدة تضاف إلى سلسلة الخلفيات التي أسداها سعيد باشا إلى شركة القناة ، إذ أزاح عنها عبئا ماليا ثقيلا وهو نفقات سفر الأفرجاء العائلة المتعاقبة من

---

{1} Note explicative sur le travail et le salaire des ouvriers égyptiens réquis pour la Compagnie du Canal de Suez. Renseignements transmis par Ismail Bey, préposé par le Gouvernement égyptien à la direction des ouvriers indigènes dans l'Isthme de Suez, Septembre 1863, p. 31.

(٢) عاصمة الاماراتى لىس فى باريس فى ٢٢ يوليوس سنة ١٨٦٢ وثبثت فى جريدة L'Isthme de Suez العدد ١١٦ الصادر فى ١٥ يوليوس ١٨٦٢ من ص ٢٢٥ - ٢٢١ مجموعة السنة السابقة .

(3) *Id.* *ouvr. cit.*, p. 8

(4) Riit Olivier, *ouvr. cit.*, p. 244

(5) Dicey Edward : *The Story of the Khedivate*, London 1902, p. 35.

(6) Ismail Hamdi : *Note explicative etc.*, *op. cit.*

وأشار أيضا بريدة L'Isthme de Suez العدد ١٧٩ الصادر فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٦٢ من ص ٢٢٩ مجموعة السنة الثالثة .



المصريين . وكان يحلو بسعيد أن ينضم نفقات سفرهم من ثمن الأسهم التي فرضها دى ليجس على مصر . وكانت هذه الوسيلة في مداد نفقات سفر العمال خطة كبيرة في ذاتها للشركة ، ولكنه لم ينضم شيئاً ولم يتقاضى أجراً .

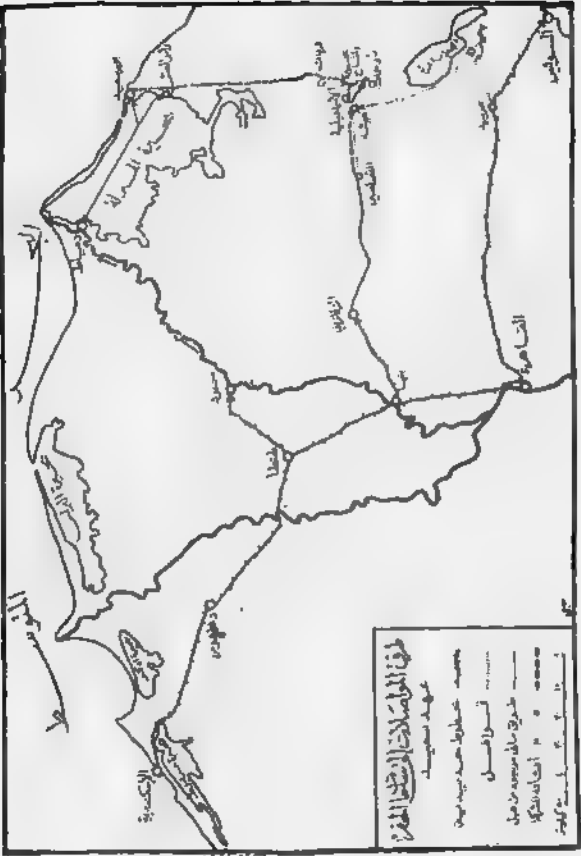
وكان سفر عمال الوجه القبلي يتم في السفن النيلية إلى القاهرة ومنها بالسكة الحديدية إلى بنها فالقنازيق ، نهاية الخط الحديدي في ذلك الوقت ، ومن ثم يساقون زمراً إلى ساحات الحفر في منطقة القناة سيراً على الأقدام تحت الحراسة المشددة من فرمانة القنطرة ، أي البوليس . وكانوا يقطعون المسافة الأخيرة في أربعة أيام . أما الرحلة بأكملها لعمال الوجه القبلي فكانت تستغرق وقتاً يصل عادة إلى عشرين يوماً تبعاً لموقع المديرية التي يعملون منها (١) .

وكان عمال الوجه البحري يسافرون إلى القنازيق إما بالسكة الحديدية وإما في السفن النيلية تبعاً لموقع المديرية التي يعملون منها والاتصالها بالشبكة الحديدية المتواضعة وقتئذ أو عدم اتصالها بها ، فقد كانت هناك بصمة خطوط فرعية تخرج من خط القاهرة - الإسكندرية هي فرع من طنطا إلى مسنود وآخر من بنها إلى القنازيق وثالث من بنها إلى ميت بره في مديرية المنوفية حيث كانت لسعيد بلاش أراضي زراعية ، ثم خط من الإسكندرية إلى قصر الوالي في مريوط (٢) . وكانت الطرق المائية في الوجه البحري تزدهر

(١) Ismail Bey op. cit.

(٢) بلغ طول الشبكة الحديدية في مصر على هيئة سبيل بلاش ١٧٧ كيلومتراً مثل القصر الوالي .

خط إسكندرية - القاهرة	طوله ٢٠٩	كيلو متراً
خط القاهرة - السويس - مصر	طوله ١٤٤	كيلو متراً
خط بنها - القنازيق	طوله ٢٩	كيلو متراً
خط طنطا - مسنود	طوله ٥٣	كيلو متراً
خط بنها - ميت بره	طوله ١٢	كيلو متراً
خط إسكندرية - اتجاه مريوط	طوله ١٩	كيلو متراً



بالسفن والقوارب بحملة بحال السخرة في طريقهم إلى القازيق ، ويرى أحد السياح الإنجليز الذين زاروا ساحات الحفر في منطقة القناة خلال شهر ديسمبر ١٨٦١ أنه شاهد في قروص دمياط عند بنها ما يقرب من عشرين سفينة مكتظة بالفلاحين المسخرين في حفر القناة (١). وكانت الرحلة من قراهم إلى ساحات الحفر تستغرق وقتا يتفاوت بين ستة أيام والتي عشر يوما (٢) .

وكانت عملية تسليم عمال السخرة بواسطة موظفي الحكومة وتسليمهم بمعرفة مندوبي شركة القناة تم أول الأمر في منطقة الوادي بمديرية الشرقية . قد نجح من نجح العمال بكثرة كبيرة في هذه الناحية أن أصيبت مزارع الوادي بأضرار بالغة ، فتخيرت « أبو حاد » بمديرية الشرقية مركزا يتجمع فيه العمال تمهيدا لنقلهم وترحيلهم إلى ساحات الحفر (٣) ، ثم مالبت أن وقع الاختيار على القازيق كى تكون مركزا لهذه العملية ، وذلك لسهولة المواصلات المالية والإمدادية إليها من جهات القناة . وكان متوسط عدد العمال الذين ينقلهم القطار في كل مرة إلى القازيق ١,٥٠٠ رجل من عمال السخرة (٤) . وكان من نتائج ذلك أن اكتسبت القازيق أهمية كبيرة وانتعشت الحياة الاقتصادية فيها ، ووجد إليها كثير من الأهالي والصهار يقبضون فيها عمالات تجارية ومستودعات تموينية ، وأغلوا بنددون بين القازيق وساحات الحفر في منطقة القناة (٥) . وقد أوصى فيض الله

(١) Percy Badger, ouvr. cit., p. 68 .

(٢) Ismail Bey, op. cit.

(٣) محفوظات قصر حسانين ، أنظر مكتبتي الأول من نقولا قازاروس مقبس عود السكة والبالصل إلى فيض الله نودي مدير الشرقية والثانية من مدير الشرقية إلى المديرية العامة . وثيقة رقم ٣٠ مائة تركي وثيقة رقم ٥٦ ومرغفها . وانظر أيضا خطابا من مدير الشرقية إلى المديرية العامة بتاريخ ١١ شوال ١٢٧٩ في دفتر ٥٢٤ تركي وثيقة رقم ٢ ص ٤٢ .

(٤) L'Isthme de Suez ١٤٣ الصادر في أول يونيو ١٨٦٢ من ص ١٨٠ -

١٨٢ صورة البنية العامة

(٥) Casimir Le comte: Promenade dans l'Isthme de Suez, Paris 1864, p. 25.

نوري مدير الشرقية إلى سعيد باشا تقريرا عن ازدهار القازيق قال فيه : إن بندر القازيق قد أصبح بلنا عامرا بفضل إقامة كثير من التجار المسلمين والأوربيين فيه، وبفضل إقامة لعمال المشتغلين في حفر قناة السويس والذين يفلدون من أقاليم الوجهين القبلي والبحري ..... (١) .

وعند شهر يناير ١٨٦٢ ازدادت أهمية القازيق إلى حد بعيد لأن الشركة كانت قد أجزت في ٢٣ من ذلك الشهر حفر ترعة الماء المالح من قرية القصاصين إلى نفيسة على مقربة من بحيرة التماسح (٢) وأحدثها للملاحة في نفس ذلك اليوم (٣) ووجد بذلك شريان مائي متصل يربط القازيق بساحات الحفر في منطقة القناة . وأصبح يمر بالقازيق في طريقهم إلى ساحات الحفر سفراء الدول وقناصلها وأمراء أوروبا وأعضاء المجالس النيابية والعرف التجارية فيها وكثير من الشخصيات البارزة (٤) . وكان

(١) مجموعات قصص حايدين . ملحق ٢٨ مائة تركي . وثيقة رقم ٥٦٢ بتاريخ ١٩ من القصة ١٢٧٨ ( ١٨ مايو ١٨٦٢ ) . وأنظر الفرد مثل ذلك التقرير في وثيقة رقم ١٢١ بتاريخ ٢٠ من الصفحة ١٢٧٨ ( ١٨ يوليو ١٨٦٢ ) في نفس الملحق (٢) تقرير Bougainville طبيب ترعة الماء المالح الذي أوفد على الحبال المسماة بين محال الخثرة أثناء حفر التربة . وقد رجع هذا التقرير في ١٥ مارس ١٨٦٢ إلى روث Aubert Roche كبير الأطباء بالشركة ولقرته بمرقية L'Isthme de Suez في العدد ١٤٠ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٦٢ من ص ١٢٢ - ١٢٨ مجموعة المذاهب .

(٣) أنظر مثلا الصحاح في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٢٥ الصادر في أول فبراير ١٨٦٢ من ص ١٢٥ - ١٣٦ مجموعة المذاهب . وأنظر أيضا Vaiska Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 348.

(٤) L'Isthme de Suez العدد ١٥٨ الصادر في ١٥ يناير ١٨٦٣ من ص ٢١ مجموعة لثة الثانية . هذا وتجسد وصلا بلدية القازيق : شوارعها ومبانيها وقناصلها ومحلاتها العامة في

Percy Badges, ouvr. cit., p. 11  
Borchère, ouvr. cit., pp. 159-160.

وأكثر أيضا مثلا نوري L'Isthme de Suez العدد ١٩٩ الصادر في أول أكتوبر ١٨٦٥ من ص ٢٠٨ - ٢٠٩ والمقتال في مجموعته مقبوس عن كتاب  
Casimir Le comte : ouvr. cit.

هؤلاء وأولئك يحضرون إلى مصر إما بإيعاز من حكوماتهم لمراقبة تنفيذ المشروع عن كثب ومحاولة تعرف أهداف الشركة ، وإما تلبية لدعوة الشركة لهم من باب الدعاية لها .

وكان لشركة القناة مكتب في الزقازيق يضم مندوبين عنها وعن المقاتول العام للشركة . وكانت السلطة المحلية في الزقازيق تخطر المكتب بوصول أنواع عمال السخرة فيخفف المندوبون لاستقبالهم ويقفون على عدد أفراد القوج ، ثم يقومون بفرزهم فيستبعدون الضال هزيل الأجسام ويأخذون الشبان الأقوياء الأصحاء (١) ويوقعون إقراراً بتسلم وأنذاره السخرة ويلذكرون فيه عدد الأنظار ، ثم يرسل الإقرار إلى مدير المديرية التي وفد منها أفراد القوج (٢) . وهكذا شاء تشجيع سعيد للمشروع أن يهبط بالشعب المصري إلى سلع آدمية يتسلمها ويتصرف فيها حفة من الأجانب المستغلين في شركة القناة . وكان مكتب الشركة في الزقازيق على علم تام بسير عمليات الحفر وحاجة كل ساحة من ساحات الحفر إلى الأيدي العاملة ، فيعين مستغلوه لكل شريحة البهية التي يعمل فيها أفراد فرقته ، ثم تصدر الأوامر للقوج باستئناف السفر إلى القناة سيرا على الأقدام تحت الحراسة الشديدة من قوات البوليس . وكان طريق التل الكبير يملو كأنه مغطى بالآدميين من كثرة عدد عمال السخرة (٣) . وفي نفس الوقت يقوم المكتب بإحضار مهلس أول ساحة الحفر التي سيوجه إليها أفراد القوج ، كما يحضر مفتش الخويز بوصول القوج وعدد أفرادهم .

(١) Percy Badger, *ouvr. cit.*, p. 13. Voir aussi :

Fontane Marins, *ouvr. cit.*, p. 51.

Guillemin A. L'Égypte actuelle. Son Agriculture et la Percement de l'Isthme de Suez. Paris 1867, p. 249.

(٢) Ritt, *ouvr. cit.*, p. 244.

(٣) ملاحظات Bressin أحد مكترثي الأميرال de Faure القوات الفرنسية البحرية في الشرق الأقصى . وكان قد أنجز فرقة مروءة مصر في طريقه إلى مصر متعباً فراراً من ساحات الحفر . أنظر جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٠٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ من ص ٣٦٦ - ٣٦٨ جريدة قناة السويس .

وكان يسير في مقدمة القوارج عند من الجبال تحمل أمتعة العمال وزكالاتهم  
تحوي ماكلهم وقلل الماء ، ثم يسير العمال في خط طويل خلف الجبال (١) .  
ويقول سائح فرنسي إنه شاهد صياح أحد أيام شهر يناير ١٨٦٢ جموعها  
كثيفة من العمال يجتازون الصحراء ، ولاحظ أن طلائعهم الأولى قد انحطت  
تماما عن الأنظار بينما كانت صفوف متراصة منهم لا تزال تسير في صف  
طويل متجهة شطر منطقة القناة (٢) .

وكان العمال يصلون إلى ساحات الحفر مهوكي القوى بعد سفر طويل  
شاق تنوعت وسائله (٣) . وهناك تبدأ عملية فرز أخرى بعد عملية الفرز التي  
تمت في الرقازيق . فيقسم رجال الشركة العمال إلى فريقين : فريق قوى  
وفريق أقرى . ويعطى كل عامل من الفريق القوي قفة يضع فيها الأتقاض  
التي تتخلف من عملية الحفر ، ثم يحملها ليلقى بمحتوياتها بعيدا عن مجرى القناة  
في المكان الذي تحدده الشركة . أما عمال الفريق الأقرى فيعطى كل منهم  
فأسا يضرب بها الأرض لحفر القناة ويهبط في الأرض إلى أن يبلغ في حفرها  
العمق المطلوب . وقبل أن يشرح العامل في عمليات الحفر كان يخلع جلجابه  
الأزرق ويلقى به جانبا على الأرض ويجواره قلة الماء يشترك معه فيها عدد  
من زملائه (٤) . ولم يكن العامل يشتغل إلا نحت إكراه « المشايخ » (٥)  
وكان « الشيخ » يحسك في يده طوال النهار بالكرباج (٦) .

وكان العامل يشتغل في عمليات الحفر لمدة شهر واحد يسمح له بعد  
انتهائه بالعودة إلى قريته (٧) . وكانوا يلون أسكتاء تقريبا ينادون البرزخ

(١) Berchère, *ouvr. cit.*, p. 103.

(٢) Berchère, *ouvr. cit.*, p. 108.

(٣) Levalley, *ouvr. cit.*, p. 56.

(٤) Berchère, *ouvr. cit.*, pp. 156-157 et 205-204

(٥) Kestelany, *ouvr. cit.*, pp. 114-115.

(٦) Dicoy, *ouvr. cit.*, p. 38.

(٧) Fol, *ouvr. cit.*, p. 8. Voir aussi

مجموعه انتهاء المدة المقروضة عليهم ، بل إن كثيرين منهم كانوا يتحينون المقربين القريب ولما يخلص عليهم بضعة أيام في ساحات المحر (١) على الرغم من الرقابة الدقيقة التي فرضتها عليهم الحكومة حتى ضجت الشركة بالشكوى من تعدد حوادث الحرب (٢) .

وقد تحبط دى لبس في تفسير الباحث على إتباع السياسة التي كانت تقضي بتفجير عشرين ألف رجل من عمال السمرة كل شهر وما نجم عن ذلك من نتائج مستعرض لما في حينها وأصابها الحياة الاقتصادية والاجتماعية بأضرار بالغة . وقد ذكر دى لبس مرة أن قسوة الحياة في صحراء البرلخ في ذلك الوقت هي التي فرضت على الشركة هذا التفجير الشهري للعمال السمرة ، إذ كانت حالة التموين لا تزال مضطربة . وكانت مشكلة توفير ماء الشرب في الصحراء لا تزال على خطورتها ، فكانت الشركة لا تستطيع أن تسمح للعمال بأن يندوا مع أفراد عائلاتهم ويقيموا معهم في منطقة القضاة ، ولهذا أرادت الشركة أن تلجأ الفرصة للعمال كي يعودوا سرعاناً إلى ذويهم بعد شهر واحد (٣)

وبعد وفاة سعيد باشا برز دى لبس هذا التبدل الشهري للعمال تبريراً جدياً ، فقرر ، في خطابه الذي ألقاه في اجتماع الجمعية العمومية لمسمى الشركة في أول مارس ١٨٦٤ ، أن صينا هو الذي أشار بهذا الرأي رغبة منه في إنهاض شعبه... فإذا أقام العامل شهراً وعاد إلى قريته ، وقدم حامل آخر يواصل المحر بعده شهراً آخر ، تبيأت القرية أمام أكبر عدد ممكن من أفراد

Ritt, ouvr. cit., p. 243.

De Lesseps F., Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 220-221.

وكذلك جريدة L'Estime de Suez العدد ١١٩ الصادر في أول سبتمبر ١٨٦٢ من ص ٢٩٦ - ٢٧٠ مجموعة السنة الثانية .

(١) Percy Badger, ouvr., cit., p. 98.

(٢) Voina Bey, ouvr. cit., t. VI, pp. 232 et 274.

(٣) محاضرة الأستاذ دى لبس في باريس بتاريخ ٢٢ يونيو ١٨٦٤ ولشرك في جريدة L'Estime de Suez العدد ١٤٦ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٢ من ص ٢٢٥ - ٢٢١ مجموعة السنة الثانية .

الشعب المصري للذهاب إلى ساحات الحفر حيث يعملون تحت إشراف مهندسين أوروبيين على جانب كبير من البراعة والمهارة ، وبطلب طاج المصريين الاتصال بأسباب الحضارة الأوروبية ممثلة في شركة القناة . ثم استورد دى لسبس فقال « والحكومة المصرية هي التي طلبت التبادل الشرى بين العمال ، وقبلت لشركة القناة التي تنجم عن هذا التغير المستمر في مقابل أن يتولى سعيد باشا نقل العمال على حسابه إلى الزقازيق سواء كان هذا النقل يتم في السفن النيلية أو القطار الحديدية (١) » . وطبقاً لما لنا التبرير من جانب دى لسبس تكون شركة القناة هي المتفضلة على الشعب المصري بالعمل على إياها . وفي نفس الوقت هي الحاسرة لأنها تحصلت « منافع » في حيل تغيير العمال شهرياً . وهذا القول لا يستسيغه عقل ولا يقبله منطق ، ولكن دى لسبس يقلب الحقائق ويذكر لأصحاب الفضل عليه جرباً على عادته في مثل تلك المواقف . فالشركة هي التي جنت أهدل الفوائد من هذا النظام ، إذ لا يكاد العامل يقضى الشهر المقرر له في ساحات الحفر حتى يكون قد أنهك قواه ذلك العمل المصنعي المتصل في حمر القناة ، وأصابه الضجر من معيشته التي يجيها في الصحراء ، وضاق بالرقابة الصارمة المفروضة عليه في ساحات الحفر ، كما أن إنتاجه في الحفر ينمو ضعيفاً إذا قيس بإنتاجه في الأيام الأولى لمباشرته العمل ، وغرق ذلك لا تتكبد الشركة

---

(١) خطاب دى لسبس في اجتماع الجمعية العمومية لسبس لشركة بتاريخ أول مارس ١٨٦١ ونشر في L'Estime de Suez العدد ١٨٥ الصادر في ١ مارس ١٨٦١ صحيفة السنة العاشرة .

وفي مذكراته وندتها الشركة بتاريخ ٧ يناير ١٨٦١ قالت فيها إن تغيير العمال كل شهر كان بمثابة لرضية سيد باشا كي يحبك الفلاسون بالأوروبيين ويقتنون على أموالهم في المسهل وتزول عنهم الأوهام والمزاعم الباطلة التي تسيطر عليهم من ناحية الأوروبيين . أنظر

Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez - Mémoire à soumettre sur la Consultation de Mires Odilon, Barrot, Dufour et Jules Faure en date du 30 novembre 1863.



شيئا من نفقات السفر ، فكان من مصلحتها أن تتخلص من هذا العامل المجهود وتستقبل به عاملا جديدا . وقد كشف النقاب عن جانب من هذه الحقيقة التي أوردناها أحد الرجال المتأخرين لشركة القناة وهو Flachat وذلك في بحث ألقاه بجلطة ٧ أكتوبر ١٨٩٤ أمام أعضاء جمعية المهتمين المصريين في باريس ، بعد مضي سبعة أشهر على الإنشائية التي أطلقها دى ليس في جردة أمام مهبط الشركة ، إذ قال Flachat إن شهرا يقضيه الفلاح في الصحراء وفي العمل كان كافيا لاستقضاء ثروته ، ولم يكف هذا المهتمس بذلك بل نسب نجاح الشركة في أعمالها إلى هذا النظام الذي اتخذه لتغيير العمال شهريا (١) . وهكذا شهد شاهد من أهلها . أما كرايبيس Grabiton فيقول : كانت الشركة تستعمل الفلاح حتى يصبح عسليم للضع فلقى به جانبا كما تلقى الإنسان عليه نقاب فارغة (٢) .

ولقد ترتبت على هذا التغيير الشهري للمال عدة نتائج أثرت تأثيرا عميقا في الحياة المصرية ، وكان من بينها أن ارتفع عدد العمال الذين يتفنون عن حقولهم إلى ستين ألفا كل شهر ، لأنه بينما يكون عشرون ألفا فاعلمين بالعمل في ساحات الحفر يكون مثل هذا العدد من العمال في طريق عودتهم إلى قراهم ، وعشرون ألف وجسمل آخرون في طريقهم من بلادهم إلى

---

(1) La moyenne de la durée du séjour du fellah sur les chantiers était d'un mois. C'est cette mobilité qui a été la base du succès de l'organisation du service sanitaire. Un mois de séjour au désert et de travail suffisant pour épuiser les forces des ouvriers les plus faibles, et le contingent était alors renvoyé dans ses foyers; il était remplacé par un autre, jusqu'au

moment où le repos permettait de le ramener au désert. أنظر

Société des Ingénieurs Civils, Paris 1884. Procès-verbal de la séance du 7 octobre 1884. Présidence de M. Petiet, Communication faite par M. Flachat.

(2) Carbiton - Spelation etc., ouvr. cit., p. 100.

وانظر أيضا

منطقة القناة أي بحمل ٧٢٠ ألفه مصري في العام في الوقت الذي لم يعجلوز  
حلد مكان مصر حصة ملايين نسمة (١) -

وقد يقال إن عودتهم من منطقة القناة إلى قراهم لا تستغرق شهرا ،  
ولكن تستغرق بضعة أيام قد تصل إلى ستة أو أسبوع (٢) ولكن هذا القول  
مردود عليه لسبب : أولا أن الحكومة والشركة كانتا تتركان العمال  
وشأنهم فلا تتكفل إحداهما أو كلتاها بإعادتهم إلى بلادهم ، ولم يكن لهم  
سوى حق استخدام السكك الحديدية بالحياء إذا كانت بلادهم تقع على  
الشبكة الحديدية المتواضعة . وثانيا أنهما كانوا لا يستطيعون استئناف نشاطهم  
الزراعي عقب وصولهم إلى بلادهم مباشرة بل يظلون مدة طويلة عاجزين  
عن العمل لما اتناهم من هزال ، لأن الشركة قد استغلت كل فترة من النشاط  
فيهم (٣) . أما في مهاجم إلى ساحات الحفر فإن خمسم مائة ياشا المشروع  
قد العكس على مديري المتهريات ، أو لعلهم كانوا ينفلون أوامر الصلابة  
في هذا الصدد ، فكانوا يحرصون على التذكير في جميع حال السخرة خوفا من  
أن تنهى نوبة الشهر لأحد الأنواع قبل أن يصل بعد الفرج الحديد ، ويظل  
العمال فترة طويلة بعد جمعهم تحت المراقبة المسلحة في عاصمة المديرية أو  
المركز بضعة أيام في انتظار إعداد وسائل ترحيلهم إلى ساحات الحفر ثم  
صدور الأوامر لهم من المديرية بالتحرك .

كما كان من نتائج التغيير الشهري للعمال أن وقع ضغط شديد على  
وسائل المواصلات الحكومية - الأهلية والحديدية - وفي وقت ارتفعت فيه الشكوى

---

(١) ترميها هذه المسألة بالبحث في فصل ه جاية سيد والشركة على الاقتصاد  
المصري .

(٢) Bitt, ouvr. cit., P. 286.

(٣) Crabétes , Izmail etc., ouvr. cit., p. 68.

من أن السكك الحديدية في مصر لا تنطلي فتقاتها على عهد سعيد وقبل أن يعول  
نوبل إدارتها خلفا لمديرها الإنجليزي جرين Green الذين عين وكيلًا  
للمنصبة البريطانية العامة (١) .

بمضاف إلى النيجتين السابقتين الاضطراب الذي ساد الحياة الاجتماعية  
والاقتصادية في مصر نتيجة هذه التحركات الأدبية المائلة التي كانت تتم في  
نظام رتيب بإشراف رجال الحكومة وجنودها . وقد نشأ التلميذ بين الأهالي  
من أمسا البلاد إلى أمساها ، إذ كان هذا في الحقيقة حشدًا لمصر كلها  
كلمة شركة قناة (٢) .

---

(1) Selby M., *ouvr. cit.*, pp. 46-47.

(2) Sammarco: La verità sulla etc., *ouvr. cit.*, p. 25. "Non occorre  
dire quali danni portava all'agricoltura egiziana e quali perdite alle  
famiglie una simile corvée, che venne imposta mensilmente a 20 mila  
operai. .... Un tale concorso di operai egiziani rappresentava  
una cifra enorme per una popolazione di appena cinque milioni, era  
una vera mobilitazione di tutto l'Egitto, di più di quattro a cinque mila  
operai".

## التفصيل الثامن

### الإسراف في استخدام السخرة

دى لميس يطعم في مريد من عمال السخرة - ويضبط على سعيد - ويؤكد له أن قصص عندهم يسىء إلى سمعة سعيد في فرنسا - حمل المصريين على حفر القناة في ليالى ومضايك - تخفيض الجيش وإرسال الجنود المرحيين والشبان المقترعين لحفر القناة - موقف الفرنسيين من هذه المسألة قبل وفاة سعيد وبعد عامه - تلاعب الفرنسيين بعقوبة سعيد - أمراء سعيد المقتلة إزاء الجيش - تخفيض اعتبارات الجيش - الشركة تطالب بأربعين ألف عامل كل شهر - مساحلت الحفر بحلها جيش من القلاحين - جهودهم في حفر مرفعات البحر - الحفر ليلا ونهارا - إكمال مياه البحر المتوسط إلى بحيرة القناح - حفل ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ - مفتي الديار المصرية يشيد بعائلة سعيد //

• • •

زادت أطماع دى لميس في الحصول على مريد من عمال السخرة . وقد حدث أن حشدت الحكومة ١٦,٥٠٠ رجل من عمال السخرة في التصف الأول من يناير ١٨٦٢ (١) فلم يرقه هذا الرقم (٢) وأرسل مذكرة مربة إلى الوالى بطريق ١٨ يناير ١٨٦٢ شرح له في شىء من الإمهال حاجة

(١) De Lesseps F. . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 129.

(٢) كتب دى لميس إلى السلطان في باريس خطابا من القاهرة في ٢٠ يناير ١٨٦٢ يقول فيه : لقد ذكرت لوالى الله إذا كان جميع الجيش ألف رجل - وهذا ما وعد به - سيكون وقتيا ، تلك أفضل وجود ثلاثين ألف رجل في مساحات الحفر بصفة دائمة وبدون انقطاع حتى نخرج من حصر كل من ترعة الماء العذب ، والقناة البحرية المصرية وإكمال كل مهمل إلى المودى . أنظر المسيرة الربيع ص ١٤٢ من المصدر السابق .

الشركة الملحة إلى أفواج غزيرة الضد من المال . وحاول أن يظل حل أن  
 التقى في عند عمال السخرة الذين يرسلون إلى ساحات الحضر يسوء إلى  
 سمعة سيد باشا نفسه ويضر بمصلحته قبل أن يضر بمصلحة للشركة . . ثم  
 مضى يقول : ..... فإذا صرفنا النظر عن شهر رمضان لم يعد يتبقى أمامنا  
 سوى شهرين لحضر حبة الجسر قبل حلول شهر مايو ، وهو الوقت الذي  
 نرى فيه ، لمصلحة سموكم أكثر من مصلحتنا نحن ، ضرورة إعلان  
 نتيجة عامة للرأى العام الأوربي ولمسعى الشركة . ولا يمكن الوصول إلى هذه  
 النتيجة باستخدام اثني عشر ألف رجل ولا عشرين ألف رجل . ولذلك  
 كان من واجبي أن أخطر سموكم بأن القننة البحرية الصغيرة لا يمكن أن  
 تصل إلى بحيرة التماسح في خلال أربعة أشهر - أى في مايو - باستخدام  
 عشرين ألف عامل ، إن هذا التأخير لا يمكن أن تسوغه الأحوال السياسية ،  
 فبدلاً من أن تكون هذه الأحوال سبباً في حرقه أعمالنا نجد أنها حل التقيض  
 مواتية للغاية ٢ . (١)

يتضح من هذه المذكرة أن دى لسبس كان ، في طلبه زيادة عدد عمال  
 السخرة ، يربط بين مصلحة سيد وإعلاء شأنه لدى الحكومة الفرنسية  
 والرأى العام الأوربي وبين مسألة زيادة الأيدي العاملة المصرية فيجعل من  
 المسألتين موضوعاً واحداً . وكان هذا أسلوباً بارعاً في حمل سيد على حشد  
 أكبر عدد ممكن من عمال السخرة لحضر القننة . ويظهر ذلك الأسلوب واضحاً  
 قوياً في خطاب آخر بعث به دى لسبس في ٢٦ يناير ١٨٦٢ إلى كنج بك  
 سكرتير الوالى تناول فيه هذا الموضوع بالبنات ، وقال فيه وتلقيت خطاباً من  
 أنسى الكونت دى لسبس بباريس جاء فيه أنه قام هو والسوق دى البوفرا (٢)  
 يبذل جهود طيبة لدى وزير خارجية فرنسا دفاعاً عن مصالح الوالى . وقد  
 كلّفنى أنسى أن أبلغ حمزة صاحب السمو الوالى أن الطريقة الوحيدة لكي يبلغ

(١) الجزء الرابع من ١٢٩ من المصدر السابق .

(٢) نائب رئيس مجلس إدارة شركة القننة ، باريس .

شأوا وفيما إنما هي تنشيط أعمال الحفر في البرزخ حتى يتم لإصالح ترعة الماء  
الطلب والقناة البحرية الصغيرة إلى بحيرة التماسح . فإذا قرر استئجار جيش  
من العمال هناك فإن هذا العمل سيحيط الرأى بهالة من الجهد ويصل على زيادة  
رغاء شعبه ويساعده على استهلاك ديبه بسر معتسلك يطلب جمهور  
المسيحين نحوه (١) .

استبوت الفكرة سعيد باشا وحظيت الشركة في فبراير ١٨٦٢ بعدد هائل  
من عمال السخرة بلغ ٢١ ألف مصري (٢) . فبات ذلك الشهر ، من حيث  
كثرة عدد العمال ، الشهر السابق ، إذ لم يتجاوز عدد العمال فيه ١٨,٥٩٩  
رجلا (٣) [وقد أبلغ سعيد في هذه الخطوة التمسح بتسخير الفلاحين في حفر  
القناة انخاضا أهد عليه صواب الرأى وحسن التفكير في مصالح الشعب  
المصري . فلما حل شهر رمضان ١٢٧٨ ، في ٢ مارس ١٨٦٢ (٤) أكره

(1) De Lesseps F. . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,  
t. IV, pp. 145-146.

(٢) الجزء الرابع من ١٦٩ من المصدر السابق . وأنظر أيضا عدد العمال خلال  
ذلك الشهر في تقرير رؤس كبير أطباء الشركة ولد لشر في جريدة الشركة العدد  
١٤٠ الصادر في ١٥ أبريل سنة ١٨٦٢ من ١١٥ - ١٢٨ مجموعة السنة السابعة .

(٣) أنظر عطايا أرسله دي ليهن في ٩ صبرابر ١٨٦٢ إلى يوفسك لتصل فرنسا في  
مصر في الجزء الرابع من ١٦٤ من وثائق دي ليهن . لهذا غوازان بك فذكر أن عدد  
العمال بلغ في شهر يناير ١٨٦٢ رجلا كانوا موزعين على النحو الآتي .

١٢,٠٠٠ - عملوا في إنجاز ترعة الماء للطلب بعدما إل تعهد ثم عدوا منها بحسرى صغيرا  
وصل إل الساحة رقم ٦ في ناحية البحر .

١,٦١٠ - عملوا في الساحة رقم ١ في منطقة حنة البحر وكانت تلك الساحة أول  
ساحات المنطقة من ناحية الشمال وتقع عند فرعان .

٥,٠٠٠ - عملوا في الساحة رقم ٩ في منطقة حنة البحر وكانت تلك الساحة آخر ساحات  
المنطقة من ناحية الجنوب وكانت تقع شمال بحيرة التماسح .

١٨,٦١٠

الطرف

Vahin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 373.

(٤) أنظر تواريخ سنة ١٢٧٨ في كتاب « التوقيعات الإلماسية في مقارعة التواريخ

المجربة بالمستين الإفرنجية والنبطية » محمد مختار باشا . المطبعة الأميرية . ١٣١١ هـ .

الملاحين على حفر القناة في ليالي ذلك الشهر حرصا منه على عدم تعريض عمليات الحفر للتعطيل .

يقول دى لىسبس إنه طلب إلى سعيد ، في خطاب أرسله إليه بتاريخ ١٠ فبراير ١٨٦٢ ، ألا يبعث بهاء خلال شهر رمضان على أن يساود مديرو الأقاليم لإرسال أمواج العمال بعد انتهاء شهر الصيام بحيث يبلغ عددهم ثلاثين ألفا ابتداء من أول أبريل ١٨٦٢ . وحاول دى لىسبس أن يهون على سعيد ضخامة ذلك العدد من العمال ، فاقترح عليه تخفيض عدد جنود الجيش ، وأن يرسل الجنود المرحلين إلى منطقة البرزخ للعمل في حفر القناة دون أن تتحمل الحكومة نفقات بشأنهم . ولم يفت دى لىسبس أن يشد في خطابه بالفوائد التي يجنيها سيد باشا والبلاد من وراء إيصال ماء قليل ومياه البحر المتوسط إلى مدينة السويس (١) .

وحين أعلنت الشركة عن علم حاجتها إلى العمال خلال شهر رمضان كان يحلوها عدة اعتبارات : فقد رأت على ضوء تجارب الأحوام السابقة أن إنتاج العمال في رمضان يقل بكثير عن إنتاجهم في سائر الشهور الأخرى ، وأن النفقات التي تتحملها بتقديم الجراية لهم وغير ذلك من وجوه الإنفاق الأخرى لا تتناسب مع إنتاجهم في رمضان (٢) . وكانت الشركة ترغب أن تلزم هذه الفرصة فحصل على جرد المسودحات وامتكال أسباب النقص في مشكلات القرنين (٣) ، وفي تنظيم إدارة الحسابات بالشركة (٤) ، وكثيرا ما أظهر دى لىسبس استياءه من سوء نظام هذه الإدارة ومن تأثير العمل فيها على الرعم من وجود مائتي مستخدم يعملون بها (٥) ، كما رغبت الشركة في أن

(١) De Lamps & . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 166-167.

(٢) الجزء الرابع ص ١٦٤ من المصدر السابق .

(٣) الجزء الرابع ص ١٥٨ من المصدر السابق .

(٤) خطابه من لىسبس من الجبر بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٨٦٢ لك الدوق البرفسر .

الجزء الرابع ص ١٥٩ من المصدر السابق .

(٥) الجزء الرابع ص ١٧٠ - ١٧١ من المصدر السابق .

يستجيم مهتموها ومن إليهم من مستخدمى الشركة الذين يعملون في ساحات  
الحفر استعدادا لاستئناف العمل بنشاط أوفر (١) .

فالبواصت التي ألمت على دى لابس خطاه ، وقد استغيتها من وثاقه ،  
تقوم على أساس من المنطق والحكمة وروح التنظيم . وكانت هذه فرصة  
طيبة لسعيد باشا فريخ وبستريج وقد قال دى لابس معلقا على ذلك في نفس  
الخطاب يقول أن سمو الوالى سينتبط حين لا أطلب رجلا واحدا خلال  
شهر رمضان وسأقوم من ناحيتي بإيقاف العمل خلال هذا الشهر ، ولكن  
سعيد باشا لم يره هذا الرأي ، وأصدر أوامره إلى مديرى الأكالم بالمضي في جمع  
العمال وترحيلهم إلى ساحات الحفر خلال شهر رمضان ، على أن تترك الحرية  
لن شاء من العمال أن يشتغل في النهار ومن شاء أن يعمل أثناء الليل ، على أن  
يكون كل منهم في كلتا الحالتين ملزما بإعجاز نصيبه كاملا في حفر الأجزاء  
التي تحدد له في المدة المقررة لبقاته في البرزخ (٢) .

وقد يكون الجزء الأول من هذا الخطاب والخاص بطلب إيقاف لإرسال  
العمال خلال شهر رمضان من نسج خيال دى لابس . وقد مرت هنا أمثلة  
حديثة على جرأته في قلب الحقائق واختلاق الأسباب . ومن الأدلة والقرائن  
التي تذكر في جانب هذا الاحتمال أن دى لابس نشر هذا الخطاب في الجزء  
الرابع من وثاقه في سنة ١٨٧٩ بعد وفاة سعيد باشا بمرور مدة حشر حاما .  
ولعل دى لابس شعر بغسوة هذا الإجراء في حمل الفلاحين على حفر القناة  
في ليالي شهر رمضان ، فحاول أن ينشئ عن الشركة هذا التسف ويلقى اللوم  
والمسئولية على سعيد باشا كما فعل تماما في نظام تغيير عمال السفرة كل  
شهر . والمقارنة بين الحالتين محكمة . فالشركة هي التي استغفقت من كلا

(١) بحريية L'Isthme de Suez قبله ١٤٨ قبله في ١٥ مارس ١٨٦٢ من ٩٤  
مجوعة السنة الثانية .

(٢) Volzin Eley, ouvr. cit., t. VI, pp. 275-276, voir aussi .

De Lemaeps F. Lettres, Journal et Documents etc, ouvr. cit. t. IV,  
p. 160.



الظالمون ، وهي التي ألفت القبة على سعيد بعد مماته في ابتداء النظامين ، وكما أن ديسيس هو الذي طلب إلى سعيد تغيير عمال السخرة كل شهر فمن المحتمل أنه أوحى إلى الولي استخدام العمال في ليالي رمضان بحجة احترام الناجحين الدينية والإسامية أثناء ميلادهم ، وهو يستهدف في حقيقة الأمر المصلحة المادية للشركة ، ومن ثم اختلق الجزء الأول من هذا الخطاب. ونضيف إلى ذلك قرينة أخرى هي أن ديسيس قد ذكر لتتوب المتأول العام أن دوائر قصر الولي تردد أن سعيد ناشأ بعزم قضاء شهر رمضان في الاستراحة لدى أقامتها الشركة على روبة تطل على بحيرة الجناح . وعقب ديسيس على هذا التبا بقوله : وهذا يعطى أمل في أنه سيكون لدينا عمال خلال هذا الشهر (١) ، وراود ديسيس هذا الأمل مرة أخرى في خطاب بعث به إلى باريس (٢) . ومعنى هذا أن ديسيس لم تفارقه الرغبة في الحصول على عمال السخرة في شهر رمضان . ولكنه تمسح فيها بعد بمسوح الرهان وتتصل عن نجة تسخير المصريين في ليالي ذلك الشهر الذي له في قلوب المسلمين مكانة تلو على سائر الشهور .

وكانت نتيجة طمع ديسيس وجور سعيد أن ظفرت الشركة بعدد وافر من عمال السخرة بلغ ١٩٦٨٧ سيغوا إلى ساحات الحفر في شهر رمضان ١٢٧٨ ( مارس ١٨٦٢ ) ( ٣ ) ، أكر كثير مهم العمل في حفر القناة أثناء الليل . وكانت الشركة قد اتخذت عنها لهذا التجديد في نظام العمل ، فابتاعت ألف مشعل من القاهرة استعملتها في إنارة ساحات الحفر حيث ظل العمال

(١) أنظر خطاباً أرسله ديسيس بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٦٢ إلى مسؤوله المتأول المصم .

De Lencques F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 148-150.

(٢) أنظر خطاباً أرسله ديسيس بتاريخ ٢٥ يناير ١٨٦٢ إلى نائب رئيس مجلس إدارة الشركة في باريس في الجزء الرابع من ص ١٥١ - ١٥٢ من المصنف السابق .

يعملون على ضوء المشاعل طوال ليالي شهر رمضان (١) .

وقد ذكرت جريدة الشركة هذه المسألة وقتل بطريق محلي وقالت وكان ينبغي أن تعرض عمليات الحفر لبعض التأخير إذ لم يكن التسهيل التام بسبب نقص عدد العمال خلال شهر رمضان . ولكن هذه المخاوف تبددت تماماً اليوم ، فإن العمال الذين انتهت مدة عملهم في البروج قد استبدل بهم عمال أكثر عدداً (٢) ، كما تعرض ديسلبيس لهذا الموضوع دون أن يشير إليه إشارة صريحة في الخطاب الذي ألقاه في اجتماع الجمعية العمومية للمساهمين في أول مايو ١٨٦٢ إذ قال : وأعلنت جموع العمال المحتشدة تعمل بدون انقطاع وبحصة لم يؤثر فيها صوم رمضان طوال شهر مارس (٣) .

على أننا نذكر تقريراً للواقع أن الشركة كانت قد سبقت سعيها في الأخذ بنظام العمل القليل أو السخرة الليلية قبل أن يأذن سعيها في ذلك . فقد قرر المالك الفرنسي برشيه أنه شاهد ماكين من عمال السخرة يشتغلون ليلاً خلال شهر فبراير ١٨٦٢ في حفر ترعة الماء العذب (٤) . وأن المشاعل ويطلق عليها ( ماشا الله ) كانت تدير ساحات الحفر وتكشف عن جموع العمال الذين يرفعون الرمال ويضعونها في القفف ، وأن المشايخ كانوا يصبحون بأهل

---

(1) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 169; voir aussi:

Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 276.

(٢) جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٢٩ الصادر في أول أبريل ١٨٦٢ من مجموعة السنة السابعة

(٣) نشر خطاب ديسلبيس في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٥١ الصادر في ١ مايو ١٨٦٢ من ص ١٢١ - ١٥٠ مجموعة السنة السابعة .

(٤) تم حفر ترعة الماء العذب من قرية قنصامين إلى قنينة في ٢٣ يناير ١٨٦٢ ومرحباً ما أدركت الشركة أن بحري القنينة - وقد سفرت عن عجز لإقلاق أدواح الآلات السال - في حاجة إلى تلميد في بنس أنزلتهما رتبه في بعض الآسبر ، فكان أن قلص في الحفر العمال على العمليات التكميلية .

أصواتهم يحثون العمال على المضي في أعمالهم (١) .

والسخرة اليلية هي تجديد في نظام العمل ودليل على الشركة يؤيد ما وردده المؤرخون والكتّاب من أن الشركة كانت تمصر كل قوة من النشاط في الفلاحين إلى حد أن الذين قدر لهم أن يعودوا إلى بلادهم ويعيشوا بعد تلك المهنة كانوا يظنون أسابيع عديدة عاجزين عن العمل (٢) . كما قرر أحد المؤرخين بحج أنه كثيرا ما أسوء استخدام نظام السخرة في مصر حتى غدا سوء استخدامها أمرا عاديا في هذه البلاد ، ولكن لم يحدث مطلقا أن أسوء تطبيقها كما حدث في حفر قناة السويس (٣) .

ونحن بهذا القول لا ننافع عن سعيد . وإذا كانت الشركة قد أسامت استخدام السخرة بجعل الفلاحين على العمل ليلا فقد كان من واجب سعيد ألا يقر هذا الوضع الشائن لأنه سمح لها بالمضي فيه طوال شهر رمضان . ولم يقع دى لبس بذلك بل لحا إلى هذه السخرة اليلية أكثر من مرة خلال شهور معدودة تلت شهر مارس ١٨٦٢ ( رمضان ١٢٧٨ ) فكانت الشركة تحمل العمال على العمل في الليل كلما رأت أن عمليات الحفر لا تعصى بالسرعة التي تشهها .



أما اقتراح دى لبس الذي أرسله إلى سعيد في خطاب ١٠ فبراير ١٨٦٢ خاصا بتخفيض عدد جنود الجيش وإرسال الحرد المسرحين والمقترعين لخدمة القناة فكان قد ألقى به دى لبس إلى بوفال Beauval قنصل فرنسا في مصر في ٩ فبراير ١٨٦٢ واتمس تأييد التتميلية الفرنسية كي تظهر للشركة بثلاثين ألف عامل كل شهر ثم قال « وإذا لم نحصل على هذا العدد فيكون

(١) Bouché, *over cit.*, pp 184-185.

(٢) *op. cit.* Ismaïl etc., *over cit.*, p. 48.

(٣) *op. cit.*, p. 35.

ذلك خسارة كبيرة لنا. وإلى أرجو أن أجد منكم معاملة في هذا الصدد (١).

ولا يوجد في محفوظات قصر عابدين أثر لصورة الرد التي بعث به سعيد على اقتراح ديسبس. كما أن «الأوامر الكريمة» التي صدرت من «الجناب العالي» إلى ديوان إلهيادية لم ترد فيها إشارة إلى هذا الموضوع. ويطلع أن سعيد باشا اتبع في هذه المسألة بالذات مألوف عاداته من تجنب إصدار أوامر مكتوبة إلى رجال الحكومة، إذ كان يكتفي باستدعائهم وإصدار الأوامر التي يرومها، دون أن يسجل على نفسه قراراً في مسألة تتصل بالسياسة العليا في ولايته (٢).

ومن الأمور الجديرة بالاعتبار موقف ديسبس وجريدة الشركة من هذا الموضوع الهام طيلة البقية من حكم سعيد باشا، ثم موقف كل منهما من هذه المسألة بالذات بعد أن جاز ذلك الوالى إلى وبه في ١٨ من يناير ١٨٦٣. أما ديسبس فقد التزم الصمت المطبق حيال هذا الموضوع، ولم يتعرض له في محاضراته التي ألقاها بكثرة ملحوظة في أندية باريس في عام ١٨٦٢، كما أنه لم يشر إليه في خطابه الذي ألقاه في اجتماع الجمعية العامة لمهسي الشركة في أول مايو ١٨٦٢، وهو أول اجتماع لهم بعد اقتراح تخفيض حديد جنود الجيش المصري، ولكنه حاش حول الموضوع دون أن يشير إليه صراحة، فبعد أن سرد الإصلاحات التي أدخلها سعيد باشا على نظام الجيش، ذكر أن سعيداً قد أنقص حديد جنود الجيش، ولكنه أرجع ذلك التخفيض إلى الرغبة في التخفيف عن كاهل الميزانية المصرية التي كانت تعاني وقتئذ ضائقة مالية (٣).

(١) De Lesseps F. Lattres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 164-166.

(٢) تظلت هذه قضية المصرية إبان أزمة يونيو ١٨٥٩ وقد درسناها مؤيداً بالوثائق.

(٣) نشر هذا الخطاب في جريدة الشركة L'Isthme de Suez العدد ١١١.

المصدر في: ٤ مايو ١٨٦٢ من ص ١٣١ - ١٥٠ بمجموعة الوثائق.

حل أن ما ذكره دى لسبس في تلك الخطبة يطابق الشق الأول من اقتراحه في خطاب ١٠ فبراير ١٨٦٢ وهو إقراض عدد الجنود وتخفيض اعتمادات الجيش . بقي الشق الثاني الخاص بإرسال المسرحين والمقترعين إلى البرزخ للاشتراك في عمليات حفر القناة ، وهذا ما لم يبرز دى لسبس في ذلك الوقت على إعلانه خفية ترويه قصص الموالى بسلام يشهرونه قصته من أنه يوتر مصلحة الشركة على مصالح البلاد .

وظل دى لسبس على صمته لا يصرح في خطبه ومحاضراته بشيء عن هذا الموضوع حتى إذا اتخذ سعيد القرار مسكناً ثم قام النزاع في مسهل حكم امبايل بين الحكومة المصرية والشركة حول تسخير المصريين في حفر القناة وبعض مشكلات أخرى ، نجد أن دى لسبس يعلن هذا التبا في الخطاب الذي ألقاه في الاجتماع غير العادي لجلسة الأسهم بتاريخ أول مارس ١٨٦٤ فيقول « وقد اختص سعيد باشا أعمال الحفر في قناة السويس بواهب عنايته ، فأقضى عدد جنود الجيش المصرى إلى ثمانية آلاف بعد أن كان عددهم يربو على الستين ألفاً . وكان سعيد يجمع المال اللازمين للحفر من أولئك الشبان اللذين قيلت أمثالهم في الخلة العسكرية وكان يمكن في أية لحظة دحوتهم للانخراط في سلك الجيش المصرى (١) » .

وفي محاضرة عامة ألقاها دى لسبس في صبيحة ذلك الاجتماع - أى في ٢ مارس ١٨٦٤ تناول موضوع إقراض عدد الجيش على عهد سعيد ، فذكر أن عدد جنود الجيش بلغ في أوائل حكمه أربعين ألفاً ثم هبط إلى ثلاثين ألفاً ثم انخفض إلى عشرة آلاف فقط حتى يستطيع أن يبعث إلى البرزخ بعشرين ألف رجل دون أن يوتر ذلك على حالة الزراعة في البلاد . وامتدح دى لسبس هذه الخطة ، لأن سعيد باشا كان يجمع الرجال لتنفيذ مشروعات

(١) L'Estime de Suar العدد ١٨٠ الصادر في ٤ مارس ١٨٦١ مجوعة التث

للسلم بينا تجمع دول أخرى الرجال من أجل أغراض الحرب والتخريب والتقتيل (١) .

وفي ذلك العام - ١٨٦٤ - أعيد طبع كتاب د مصر المعاصرة ، الذي وضعه مكرونير عام شركة القناة وقتئذ (٢) وأدلى دى ليس إلى ذلك الكتاب فصلا بقلمه وتعرض فيه لهذا الموضوع . فذكر أن سعيد باشا أنقص عدد القوات المسلحة حتى يستطيع إرسال عشرين ألف رجل إلى عمليات حفر القناة دون أن تصاب الزراعة في مصر بأضرار . ثم لسب دى ليس الفضل إلى الشركة لأنها استغلت رجالا كانت الحكومة تدعوهم لحمل السلاح ، فإذا عملهم في شركة القناة هو بداية إنقاذهم وخلصهم وعظمهم . ومضى دى ليس في مقالاته فقال إن الذين يتهمون الشركة بأنها تبني في حفر القناة العمل الإجباري ونظام الرق إنما يكشون عن الجهالة والظلم (٣) .

أما جريدة الشركة والمفروض أنها لا تظفر صغيرة ولا كبيرة تتصل بنشاط ونجاح عمليات تنفيذ المشروع إلا رصديها وسبيلها فقد بعدت إغفال الحليث المباشر في هذا الموضوع . فلم تتأوله أعداد تلك الجريدة وإن حكم سعيد باشا إلا لما وفي سياق موضوعات لاحت له بصلة مباشرة . وإنما جاء

---

(١) *L'Alliance de Suze* العدد ١٨٨ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٦٤ من ص ٢١٤ - ٢١٥ بحسرة السنة الخامسة .

(٢) *Merruau Paul . L'Egypte Contemporaine de Méhémet Ali à Saïd Pacha*, Nouvelle édition augmentée d'une étude sur l'Isthme de Suez par Ferd. de Lesseps, Paris, Librairie Académique 1864.

(٣) المسافر السابق من ص ٢١٨ - ٢١٩ . وهذا وقد تعرض مكرونير عام الشركة لهذا الموضوع في مقال نشره في مجلة

*Revue des Deux Mondes*, t. XVI 1876.

تحت عنوان

*Merruau Paul . L'Egypte sous le gouvernement d'Ismaïl Pacha*, Paris 1876, pp. 904-930.

وذكر فيه ملاحظة أن سعيدا خضف عسكرا الحنود وأنه أرسل الجنود المرسحين إلى ساحات الحفر . أنظر من ٩٠٨ .

ذكر هذا الموضوع عرضاً في ثلاثة مواضع ، أولاً إشارة عابرة في تقرير وضعه سكرتير الاتحاد توريد القطن في مانشستر الذي زلوه مصر لإغراء سعيد باشا على زيادة المساحات المزروعة قطناً ، ووعد بأن تشقرى إنجلترا جميع الأقطان التي تنتجها مصر بأثمان مخزية ، كما يوضح ذلك في الفصل الرابع عشر . وقد قررو سكرتير الاتحاد صراحة في تقريره أن عمليات الحفر في قناة السويس قد استغلت نشاط الفلاحين ، وأن الوالى سرح عدداً كبيراً من جنود الجيش المصرى للاشتراك في حفر القناة .

وقد أشارت جريدة الشركة بعد ذلك بسببة أشير إلى هذا الموضوع حين أعادت نشر مقال ظهر في جريدة فرنسية إقليمية تسمى *Journal des Villes et des Campagnes* في عددي ١٩ و ٢١ فبراير سنة ١٨٦٢ . وقد كتب هذا المقال روجيه Fr. Roger من رجال الدين الذين يتحون لطائفة المفرنسيين ، وكان ديسيس قد اصطعبه إلى مصر للاحتفال باحتاج كنيسة شيدتها الشركة استعديها وعملها الأجانب ، الأولى في حجة البحر وقد احتفل بتشييدها في أول يناير ١٨٦٢ ، والثانية في بورسعيد وقد احتفل بتشييدها في ٥ يناير ١٨٦٢ . وقد أشار رجل الدين إلى هذا الموضوع في شيء من الإيجاز حتى إن إشارته تقرر على القارئ العادى دون أن يتبينها من بين ثنايا مقاله الضفاف . وقد قال القاد وعد الوالى أن يجمع خمسين ألف رجل ليعملوا في حفر القناة بدلاً من أن يخدموا في جيشه (١) .

وحين أرغت الشركة من شق ترعة الماء العذب من قرية القصاصين في مديرية الشرقية إلى بحيرة قمرى ببحيرة المنيا رفع بوجوا Bougouin الطبيب الذى أشرف على الحفلة الصحية بين العمال المصريين الذين سخروا في

(١) نشرت جريدة الشركة هذا على مرحلتين وانظر *L'Intrigue de Suez* المجلد ١٢٧ الصادر في أول مارس ١٨٦٢ من ص ٧٩ - ٨٠ بمجموعة ستة لملكية البلد ١٣٨ الصادر في ١٥ مارس ١٨٦٢ من ص ٩٢ - ٩٦ بمجموعة ستة السابعة

حفرها تقريرا مسجلا يقع في أربعة فصول إلى كبير أطباء الشركة، وقد تعرض فيه لموضوع إنقاص عدد جنود الجيش المصري من أجل حفر القناة، وأطرى الخطوة التي اتخذها سعيد باشا فقال: «إن الحكومات الأوروبية تنفق الأموال الطائلة لإنشاء جيوش لا عددا لها. وفي هذه الجيوش ينفي الأوربي زهرة شبابه من أجل سلامة بلاده، وكثيرا ما تكون هذه الاعتمادات المالية التي تنفق على الجيوش بسطاء ذات أثر قليل للغاية، فلا تفيد الثروة العامة في شيء».

أما موقف الحكومة المصرية فيختلف ككل الاختلاف. ألم تغرب الحكومة المصرية للملم أجمع المثل الحسن والمقدوة المثل في الفهم والدكاء والإدراك حين استبقت عددا قليلا من الحط في جيشها وأمدت شركة القناة بجيش عظيم من المال الذين تحسنت أحوالهم بسبب الأجور التي تصرف لهم فبنوا بذلك من المسهدين البتامين في الحضرة والتقدم؟

«فلنذكر أن حصرة صاحب السمو سعيد باشا الذي يرى المشروع بمساعدة القوة القمالة لا يعرض صحة رعاياه لأكل خطر، بل سمو على التقيض من ذلك يعمل على إسماع شعبه ويعمل على إيمانهم بمصدر عظيم للرخاء والثروة في مصر. وهو بعمله حل وصل البحرين قد خلط ذكره في سجل الحلود وترك أثرا لا يمحي أمام الأجيال القادمة (١)»

وقد ظهر كتاب لأحد القرنين سنة ١٨٦٩ عند افتتاح قناة السويس وأشار فيه إلى أن سعيد قد أنقص عدد جنود الجيش المصري إلى عشرة الآف جندي من أجل عمليات الحفر في قناة السويس (٢).

وقد أيد هذا الموضوع كذلك جورج دون Douin مدير إدارة

(١) نشر هذا المقرر في جريدة الشركة. انظر

J. Isthme de Suez. المجلد ١١٠ الصادر في ١٨ أبريل ١٨٦٢ من ص ١٢٣ - ١٢٨  
مجموعة الوثائق السابقة.

(2) Silvestre Henri · L'Isthme de Suez. (1854-1869) avec une carte et pièces justificatives. Paris 1868, p. 130.



الترانسيست في شركة القناة سابقاً وهو أحد القناة اللين نوقروا على دراسة تاريخ قناة السويس ومصر الحديثة ووضع فيه ما يقرب من ثلاثة عشر مرجعاً، وجمع لقصر هابلين في القاهرة من دور المحفوظات الرسمية في أوروبا عدداً كبيراً من المكاتبات الخاصة بتاريخ القناة وتاريخ مصر وقد ذكر أن سعيد باشا ذهب في تشجيعه لعمليات حفر قناة السويس إلى حد أنه «أقضى عدد جتود جيشه كي يستطيع إرسال عشرين ألف عامل كل شهر دون إصرار يشنون الزراعة» (١).

وإذا استثنينا هذين المؤلفين نجد أن كافة الكتاب والمؤرخين الذين بحثوا موضوع القناة سواء منهم من حاصر تنفيذ المشروع مثل *Marius, Ritt*، أو من جاء بعد تلك الحقبة مثل *Charles Roux, J., Volain Bey*، *Crabites*، *Sansarico, Halberg, Siegfried* وغيرهم قد أغفلوا هذا الموضوع إغفالاً تاماً، كما أغفله المؤرخون والكتاب المصريون هذا الأستاذ عبد الرحمن الرافعي قد أشار إليه إشارة موجزة اعتمد فيها على ما ذكره دى لسبس في وثائقه، ثم قال تعقياً عليه «ومن هنا يتبين لك أن القناة علاوة على ما جلبته لمصر من المنافع كما سيبيء بيانه، كانت من أسباب اضطهاد الجيش المصري» (٢).



على أن الجيش المصري قد عانى الكثير على عهد سعيد باشا بسبب أهواله المتغيرة، فكان نارة يهض به ويزيد من عدد أفرادها ويتنازع له العتاد من فرنسا وألمانيا، ونارة يهبط هذا الحماس فيسرح معظم جموده. وفي أول حكمه، حيث كانت حرب القرم لا يزال مستعراً أوارها، كان عدد الجيش ٤٥,٧٤٢ جندياً (٣)، ولما وضعت الحرب أوارها سنة ١٨٥٦

(١) Donia George - *op. cit.* t. I, p. 24.

(٢) عبد الرحمن الرافعي: عصر المهديين بيزن - طبعة النسخة سنة ١٩٣٣ الجزء الأول ص ٣٣.

(٣) الأميرالاي المهديين بيزنك - خلق الأعيان من دول البحار - الطبعة الأميرية - القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٩١٢ د. الجزء الثاني ص ٢٧٤.

سرح معظم الجيش وهبط عنده إلى اثني عشر ألف رجل على الرغم من أن الباب العالي أذن له في وضع عدد الجيش إلى ثلاثين ألفاً (١) ولما سافر سعيد إلى السودان في أواخر عام ١٨٥٦ اصطحب معه كتيبتين من الجيش ، وصكرت الكتائب الأخرى في القاهرة والإسكندرية وبنى سويف ، ثم جمع ضباط الجيش وجعل منهم مدرسة بالقلة السعيدية في القناطر الخيرية خشية أن يقوم الجيش بثورة في البلاد منتزعا فرصة غياب الموالى في رحلته في السودان (٢) .

وفي سنة ١٨٦٠ حين ساءت العلاقات بين الباب العالي وبين سعيد باشا بسبب موضوع قناة السويس رأى سعيد أن يأخذ الأمر عنده ، فزاد من عدد أفراد وأرجع إليه ضباطه ، وكان معظمهم إذ ذاك خارج الخدمة وبعضهم في مصالح الحكومة ، وقدر عدد الجند إلى ٦٤ ألفاً ، وكان عدد كتائب المشاة حسا وأربعين ، وشمل الجيش ، هذا ذلك ، حشرين فرقة من المدفعية وفرقتين من مدفعية السواحل وست فرق من الفرسان بالإضافة إلى فرق الأسلحة الأخرى (٣) . وقاد سعيد هذا الجيش بنفسه وحسرك به في مريوط حيث أقام ثلاثة أشهر قام خلالها الجيش بمحاورات حربية .

ولما خفت حدة التوتر بين الباب العالي وبين سعيد سرح الأخير معظم أفراد ذلك الجيش مرة أخرى فانكشفت القوة الحربية المصرية ، وظلت على هذه الحال طوال مدة حكمه (٤) .

وبهذا في هذا البحث تمريج معظم جنود الجيش في هذه المرة ، لأنه حين خفض سعيد عدد جنود الجيش للمرة الأولى سنة ١٨٥٦ لم تكن عمليات

(١) Hanotaux, ouvr. cit. t. VI, p. 261.

(٢) الأميرالاي إسماعيل سرحدك - الجزء الثاني من ١٧٥

(٣) المصدر السابق .

(٤) أنظر بيانات من حالة الجيش المصري من عهد سيد باشا في الجزء الثالث ، المجلد الأول

حضر القننة قد بلىء فيها بعد . أما في المرة الثانية فقد اقترن تسريح الجنود بتدفق آدمى انتساب نحو ساحات الحفر نتيجة تسخير المصريين في حفر القننة .

كان دى لبس ملما بتفائق الحالة الداخلية في مصر ، وكان يلزم تماما الأزمة المالية التي يمر بها الولاى وقتئذ (١) ، ويعلم أن اعتمادات الجيش تستنزف جزءا لا يستهان به من ميزانية الحكومة . وإذا أضفنا إلى هذه الخفايا مجموعة الصفات التي تجمعت في شخص دى لبس من شدة الحيلة ووفرة الخبث واللداء استطعنا أن نقرر في غير عناء أنه استغل هذه وتلك في التأثير على سعيد ، فقدم إليه باقتراح تخفيض عدد جنود الجيش وإرسال الجنود المسرحين والمقترعين إلى ساحات الحفر بحجة أن في ذلك تخفيفا كبيرا عن كاهل الميزانية المصرية المتصدعة واستجاب سعيد - كشأنه غالبا مع دى لبس - لهذا الاقتراح بشقيه : التخفيض والتسخير .

ومن البصر تفسير سلك سعيد وإن كان من العسير تبريره

فصعيد باشا كانت نجش في صدره رغبة قوية لتحقيق مشروع القننة على يديه ، وقد نجح دى لبس وأعوانه في استغلال تلك الرغبة حتى غلبا الولاى همى الإيمان بأن خلود ذكراه في التاريخ يتوقف على إنجاز المشروع على عهده . وقد أحس وطأة المرض تشدد عليه ، وقرر السفر إلى أوروبا عام ١٨٦٢ للاستشفاء ، ورأى أن إتقاص عدد جنود الجيش وإرسال الجنود المسرحين والمقترعين للعمل في حفر القننة مما يتيح له تحقيق أميته . تضيف إلى هذه الرغبة رغبة أخرى هي محاولة سعيد علاج الأزمة المالية الحكومية .

ووجه المؤاخذة هو أن العلاج السلي للأزمات المالية بتخفيض الاعتمادات أو بإلغائها لا يجبر حلاجا أصيلا يقضى على الأزمة في مكسبها ، إنما يكون

(١) يوجد مقال على من مركز مصر المال في أواخر عهد سعيد بقلم Paul Moruan ونسب نشره تحت عنوان Finances Egyptiennes في جريدة L'Estime de Suez المجلد ١٢٦ الصادر في ١٠ فبراير ١٨٦٢ من ص ٤١ - ٥٢ مجموعة للثانية .

العلاج إيجابيا بتنمية الموارد القائمة وإيجاد موارد جديدة . وكان علاج الأزمة في سنة ١٨٦٢ يتطلب التوسع في زراعة القطن لمواجهة « المجاعة القطنية » . في إنجلترا وفرنسا وغيرهما ، وفي وقت ارتفعت أسعاره ارتفاعا جنونيا ، وفي وقت اشتد الطلب عليه ، وفي وقت كانت في مصر أراضي زراعية بقيت غير ذات زرع بسبب قلة الأيدي العاملة المصرية باعتراف سعيد باشا نفسه (١) . ولم تعتمد من تلك السياسة سوى شركة القناة التي ظلت تظفر بعشرين ألف مصري كل شهر ، وأصبحت المصالح الزراعية في مصر بأضرار بليغة ، وحرمت البلاد من الحياة العسكرية منتظم أكبر عدد ممكن من الشبان الصالحين لها .

وليس من شأن هذا البحث أن نحوض في أسباب الأزمة المالية التي تعرضت لها في ذلك الوقت الحكومة المصرية التي استغلها دي ليس استغلالا تسدعت صوره لخطة شركة القناة ، ولكن يعني أن نقرر أن مشروع قناة السويس كان من أهم أسباب تلك الأزمة ، فقد قامت الحكومة المصرية بتحويل الأعمال التمهيدية والأبحاث الخاصة بتنفيذ المشروع طيلة أربع سنوات منذ أن صدر عقد الامتياز الأول في ٣٠ من نوفمبر ١٨٥٤ إلى أن تأسست الشركة في ١٥ من ديسمبر ١٨٥٨ . وقد بلغت تكاليف تلك الأبحاث كما جاء في حسابات الشركة ، أكثر من مليونين ونصف مليون من الفرنكات ( ١٢ من ٢,٥١٦,١٥٧ ف (٢) . كما قامت الحكومة بدفع نفقات الدعاية للمشروع في دول أوروبا استجابة لطلبات دي ليس ، وفي إصدار جريدة الشركة Estime de Suez التي كانت تصدر نصف شهرية ، وظهر

(١) شرحنا هذه المسائل في الفصل الرابع عشر من هذا البحث .

(٢) نصت المادة الخامسة من قانون الشركة الأساسي على أن تقوم الشركة حين تأسيسها ببرد جميع المصروفات التي تلم بدفعها طوال أثناء القيام بالأعمال التمهيدية . ولما تأسست الشركة اكتنت الحكومة المصرية بأنهم بلغت فيما ٨٨٨٢١,٠٠٠ فرنك وقد خصمت الشركة من ذلك المبلغ ٢,٥١٦,١٥٧ فرنكا . وهكذا لم تنسجل في خزنة الحكومة أموال سائلة بل دخلت إليها أموال متدفقة .

العدد الأول منها في ٢٥ يونيو ١٨٥٦ ، وفي استضافة أعضاء اللجنة العلمية الدولية في مصر ومن بينهم من أصلقاء دي ليسبس ومطوفه ، وغير ذلك كثير. وعمل الرغم من أن أسعار القطن المصري قد ارتفعت لارتفاعها كبيراً في أواخر حكم سعيد إلا أن الأضرار الاقتصادية والاجتماعية التي نجمت عن تسخير الفلاحين في حفر القناة قد حجبت عن البلاد نعمة خلاه أثمان القطن ، وبات المجتمع المصري يتطلع إلى الفكك من تلك التصلة التي فرضها سعيد على أفراد الشعب المصري بسبب المحرة في حفر القناة .

• • •

كان نخبى الجيش مرصة موالية لشركة القناة إذ أتيح لما أن تحصل على جيش جرار من العمال ، فبلغ عددهم في شهر أبريل ١٨٦٢ - وهو الشهر الذى جاء في أعقاب رمضان وعيد الفطر - ٢٢,٤٨٢ (١) . وقالت جريدة الشركة إنه ليس لديها سوى المبيع والثناء يزجيان إلى الفلاحين لحسبهم في العمل (٢) . ولما اجتمعت الجمعية العمومية لمسمى الشركة في أول مايو ١٨٦٢ أعلن دي ليسبس في خطابه الذى ألقاه يومئذ أن عدد العمال المصريين الذين في خدمة الشركة ٢٦ ألف رجل (٣) . ولكن يبدو أن ذكر هذا الرقم كان من قبيل العناية أمام جمهور المسمين والرأى العام الأوروبى . فعدد العمال لم يبلغ ٢٦ ألفاً أو ٢٥ ألفاً أو ٢٤ ألفاً . على أننا نلمس تناقصاً واضحاً في أحوال دي ليسبس بخصوص عدد عمال المحرة ، فبينا هو يذكر في أول مايو ١٨٦٢ أن عددهم ٢٦ ألفاً، نجد أنه في أول يونيو ١٨٦٢ في محاضرة

(١) تقرير الطبيب دوش Roche كبير أطباء الشركة بتاريخ ١٠ أبريل ١٨٦٢  
وقد نشر في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٤١ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٦٢ من ص ١٩٦-١٩٧ مجموعة السة المايمة

(٢) جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٤٠ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٦٢ من ص ١١٤ مجموعة السة المايمة .

حامة ألقاه في بلويس يخفض عددهم إلى ٢٥ ألفاً (١). وقد ذكرت الشركة صراحة في مذكرة رسمية رعتها في ٨ مايو ١٨٦٢ إلى وزارة الخارجية الفرنسية أن عدد العمال هو ٢٠ ألفاً فقط (٢). كما أن قوازان مدير عام الأشغال في الشركة قدم تقريراً جاء فيه أن عدد العمال الذين سيقوا إلى ساحات الحجر إبان حكم سعيد كان ٢٠ ألفاً كل شهر وفي بعض الشهور كان يرتفع ذلك العدد إلى ٢١ ألفاً وأحياناً إلى ٢٢ ألفاً (٣). يضاف إلى ذلك أن الحكومة التركية كانت قد استعمرت من اسماعيل في ٦ فبراير ١٨٦٣ - بعد تولية الحكم بتسعة عشر يوماً - عن عدد عمال السخرة في حفر القناة فأجاب بأن عددهم عشرون ألفاً (٤). فكل هذه الأدلة وغيرها كثير تثبت بجملة أن عدد عمال السخرة لم يصل إلى ٢٥ ألفاً أو ٢٤ ألفاً، بل كان عددهم في معظم الأوقات عشرين ألفاً، وكان هذا العدد يرتفع في بعض الأحيان إلى ٢٢ ألفاً.

غير أن دى ليس لم يكن ليقنع هذه الملبوس الحرارة من عمال السخرة، فكان دائماً يطلب مزيداً وفي الخطاب الذي ألقاه في اجتماع الجمعية العمومية لمسهى للشركة في أول مايو ١٨٦٢، أعرب عن أمله في أن يصل عددهم إلى ٣٥ ألفاً أو ٤٠ ألفاً. كما أن مدير جريدة الشركة أعلن عن عزم رجال الشركة على رفع عدد عمال السخرة إلى ثلاثة أضعافهم. وذهب في تبرير

(١) De Lesseps F. Association Polytechnique. Conférence sur les travaux du Canal de Suez et le sort des ouvriers en Egypte. Séance du 1 juin 1862. Paris 1862, p. 18.

(٢) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr., cit., t. IV, pp. 215-222.

(٣) الجزء الرابع من ص ٣٤٤ - ٣٤٨ من المجلد السابق.

(٤) انظر كلام

Douin, ouvr. cit., t. I, p. 32.

ومعرفات نصر غابدين. سجل رقم ١٩ صادر عن غابدين. وثيقة رقم ٣٠٣ من الجناح المال إلى القابض المال في ١٥ وميلاد ١٢٧٩ هـ (٦ مارس ١٨٦٣).

هذه الريادة إلى أن موسم الحصاد قد انتهى في مصر الأمر الذى يجعل زيادة عدد العمال من المصلحة يمكن (١) .

ولم يكن عمر أسوعان على نشر هذا الخبر حتى كان فوازان مدير عام الأشغال في الشركة قد أرسل في أول أغسطس ١٨٦٢ مذكرة إلى رئيسها ضمنها برنامج الأعمال التي يقترح تنفيذها حتى «وعند الاجتماع التالي لحملة الأسهم في منتصف عام ١٨٦٣» وقدر فوازان عدد العمال الذين يتطلبهم تنفيذ ذلك البرنامج بأربعين ألفا المقترح توزيعهم على مختلف الأعمال على النحو الآتي : (٢) .

٢٥,٠٠٠	عامل لحفر القناة البحرية الصغيرة .
١٤,٠٠٠	عامل لحفر ترعة الماء المملب من الناحية إلى السويس .
١,٠٠٠	عامل لحفر قنوات صغيرة لجلب الماء المملب إلى أماكن
	حشد العمال

٤٠,٠٠٠

وعرض دي ليس هذه المذكرة على مجلس إدارة الشركة في جلسة عقدها خصيصا للتراسا في ٢٥ أغسطس ١٨٦٢ فأقرها، وعهد إلى دي ليس بأ. يلتزم من سعيد باشا إرسال ٤٠ ألف عامل بطريقة مستمرة منتظمة اعتبارا من أول نوفمبر ١٨٦٢ وأسرع دي ليس لحقائه سعيد ، وكان وقتئذ في باريس في ضيافة الحكومة الفرنسية ، وعرض عليه الموضوع . ويذكر فوازان أن سعيداً وافق على هذا الطلب (٣)

ولا شك أن مطالبة الشركة بأربعين ألف مصري كل شهر لتحريرهم في حفر القناة كان تجاهلا مطلقا لمصالح الشعب المصري وقضا مصريها

(١) L'histoire de Suez المجلد ١٤٦ الصادر في ١٢ يوليو ١٨٦٢ ص ٢١٨ نسخة  
في نهاية

(٢) Vernet Bey, *op. cit.*, t. VI, pp. 271-272.

(٣) *ibid*

للأنحة المال وإخلالا صارخا لما تعهد به دى لسيس من قبل باستخدام الآت ضخمة في حفر القناة تجعل حاجة الشركة إلى المال المصريين لا تتجاوز أربعة آلاف أو خمسة آلاف عامل مصري على الأكثر (١) . ولكن دى لسيس استعصف سعيد باشا واستقل ميوله الطيبة نحو المشروع وأسرف في الاعتماد على نظام السخرة .

وإذا كان سعيد قد قبل طلب دى لسيس بزيادة عدد عمال السخرة إلى ١٠ ألفا فإن هذا القبول لم يوضع قط موضع التنفيذ . ولكن سعيد باشا تظاهر بالموافقة حتى لا يكون هناك لضبط ميامي تقوم به بعض دوائر البلاط الإمبراطوري أو وزارة الخارجية الفرنسية وهو في باريس .

• • •

وكانت الشركة في ذلك الوقت تركز جهودها لحفر مجرى للقناة البحرية الصغيرة بمحرق هضبة حبة الجسر شمال بحيرة التماسح . وقد سبق أن ذكرنا أن تلك المرتفعات كانت أكبر عقبة طبيعية تصّرخ سير القناة . ولهذا وجهت مجموع عمال السخرة منذ فبراير ١٨٦٢ إلى تلك المنطقة ، ورأت لتنظيم العمل في شق القناة وسط الهضبة ، إقامة ست ساحات حفر هناك كما يتضح من الجدول الآتي (٢) :

(1) Santamarco : Histoire de etc., ouvr. cit., t. III, p. 58.

(2) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 204.



رقم الساحة	طول امتداد الساحة بالأمتار	ارتفاع الأرض فوق مستوى البحر	
		متوسط الارتفاع	أعلى ارتفاع
الساحة رقم ١ (القرنان)	٤,٠٠٠	٢,٨٠	٧,٣٠
الساحة رقم ٢	٣,٢٠٠	٢,٨٠	٦,٢٠
الساحة رقم ٣	١,٦٠٠	٩,٠٠	١٠,٨٠
الساحة رقم ٤	١,٢٠٠	٩,٠٠	١٠,٢٠
الساحة رقم ٥ (الجسر)	١,٧٠٠	١٥,٨٠	١٨,٥٠
الساحة رقم ٦	٢,٥٠٠	٩,٠٠	١٤,٦٠
الامتداد الكلي للمرتفعات		١٤,٢٠٠	

وأعلنت ساحات الحفر الست منظرا لم تشهد له تلك المنطقة من قبل مثيلا ، إذ احتشدت فيها آلاف مؤلفة من عمال السخرة يعملون مجده وتشاط في شق قناة تخترق تلك المرتفعات . وقد زلزلت تلك المنطقة أحد كبار المهتمين في الشركة وكان يدير كثيرا من الدور البحرية والصناعية في دنكرك Damberque بعنسا زيارة استغرقت ثمانية عشر يوما ، ووصف مشاهداته خلال هذه الرحلة في مقال ضاف نشرته جريدة الشركة وجاء فيه : إن الزائر لمنطقة حبة الجسر لا يجبل إليه أنه في الصحراء الحادثة للديمة للصامنة بفضل كثرة عدد العمال المصريين الذين لا يقطع ميل غربيهم وعلمهم في هذه الجهات (١) . كما وصف أحد المائتين إلى أوروبا وقتل من البرخ إبان حفر عتبة الجسر منظر الفلاحين المصريين وهم يعملون في الحفر وصما شائعا قال فيه : « إنه لمنظر عجيب أن يرى الإنسان هذه الجموع من العمال أشبه ما تكون بأسراب من النمل متجمعة في ذلك المكان ، وهي تعمل وتتحرك وتلاقى باستمرار في صفين ، أحدهما يصد نحو المرتفعات ، والآخر يهبط منها .

(١) L'Influence de Spea العدد ١١٤ الصادر في أول يونيو ١٨٦٢ من ص ١٨٠

ولم يسبق أن تشيها أصاب موضعها وأحاط بالحقيقة مثل هذا التشبيه سواء من ناحية العدد أو من ناحية النشاط أو من ناحية النظام في العمل (١). ولم تؤثر موجة الحرارة الشديدة التي حلت بالبرج في شهرى يونيو ويوليو ١٨٦٢ على نشاط العمال المصريين ، فظلوا يؤدون أعمالهم كما قالت جريدة للشركة « بنفس البشاشة ونفس النشاط الذين امتازوا وحرخوا بها » (٢) .

وعلى الرغم من غياب سعيد باشا خارج القطر في رحلته التي قام بها في أوروبا واستغرقت قرابة خمسة أشهر ( مايو - سبتمبر ١٨٦٢ ) فقد استمر تمخير المصريين في حفر القناة في نطاق واسع . وكان سعيد قد أقام اسماعيل ابن أخيه نائباً عنه في حكم مصر أثناء غيابه ، فصار على سياسة همه في موضوع السخرة في حفر القناة ، ولعله كان ينفذ للتعليمات التي زوده بها قبل سفره إلى أوروبا . وكانت جريدة الشركة إبان هذه الفترة دائمة التحدث عن السبل المتعلق من عمال السخرة على منطقة القناة. وقد ذكرت تلك الجريدة في عدد ١٥ يوليو ١٨٦٢ أن ساحات الحفر يحيطها على الدوام جيش حقيق من الفلاحين (٣) ، ويقول قسطنطين الفولبات المتحددة الأمريكية في مصر ، في تقرير أرسله في ١٢ نوفمبر ١٨٦٢ إلى وزير الخارجية الأمريكية : إن

---

(١) L'Isthme de Suez العدد ١٥٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ ص ٢٦٨ - ٢٧١ مجموعة السلسلة الثانية . رجمه أيضا وصفا تمسك لمسالك الحفرة وهم يحفرون حبة البحر في

Berthélemy, *ouv. cit.*, pp. 196-198.

انظر رساله تفصيليا لملاحظات حبة البحر وطريقة تجميعها في جريدة الشركة العدد ١١٤ الصادر في ١٥ مارس ١٨٦١ ص ٨٢ مجموعة السلسلة الثانية .

(٢) L'Isthme de Suez العدد ١٤٧ الصادر في أول أغسطس ١٨٦٢ ص ٢٢١ مجموعة السلسلة الثانية .

(٣) Les chantiers du canal sont toujours occupés par une véritable armée de fellahs.

عمليات حفر القناة قد غدت من المشاهد الضرورية التي يحرص على رؤيتها  
السياح للبحرين يزورون مصر (١) .

وقد زادت الشركة من مساحة القرية المصرية التي كانت قد شيلتها في  
المساحة وتم ٥ في منطقة عتبة الجسر لمواجهة الزيادة الماثلة في عدد عمال  
السخرة (٢) .

وعاد سعيد إلى مصر من رحلته في أول أكتوبر ١٨٦٢ ، ووصل دى  
لسبس في أعقابها فيبلغ الإسكندرية في ١٧ أكتوبر ، وقام على الأثر برعاية  
ساحات الحفر (٣) . وكان دى لسبس نواظرا إلى أن ينتهى ، في أمد وجيز ،  
العمل في حفر القناة البحرية الصغيرة وسط مرتفعات عتبة الجسر تمهيدا  
لإيصال ماء البحر المتوسط إلى بحيرة الصحاح ، وبذلك يضمن لحملة أهم  
الشركة نتيجة حاسمة بمضى الشئ ، يرتاحون إليها بعد أن استبد بهم القلق (٤)  
ويشجع المعارضة الإنجليزية القائلة باستحالة حفر القناة فأصدر أمره بأن

(١) محفوظات قصر ماينين : صور الوثائق الأمريكية .

Despatch No. 24 William S. Thayer to William Seward vol. III p. 130.

(٢) L'Isthme de Suez. العدد ١١٤ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٦٢ من ١١٢  
مجلة السنة السابقة .

(٣) L'Isthme de Suez. العدد ١٥٣ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦٢ من ٢٢٩  
مجلة السنة السابقة .

(٤) كانت الشركة قد أسرفت في تناولها فأعلنت أنها ستفرغ من حفر القنطرة  
البحرية الصغيرة وسط مرتفعات عتبة الجسر في أول يونيو ١٨٦٢ فلما حبل هذا  
الموعد ولم تنته من حفرها حدثت أول أكتوبر موعدا ثانياً . وقد أرسل كبير من  
المسبيين ومثال ذلك جريدة الشركة يستنكرون عن أسباب ذلك التأخير فكتب مدير الجريدة  
مقالا ضالفا حاول فيه تهذيب القنطرة المزعة ( العدد ١٥٠ الصادر في ٥ سبتمبر  
١٨٦٢ من ص ٢٨١ - ٢٨٣ مجموعة السنة السابقة ) وبلاط أد جميع أملاك الجريدة  
التي ظهرت من شهر برمودا ١٨٦٢ حتى نوفمبر من ذلك العام فكانت تؤكد أن الشركة على  
قاب قوسين أو أدنى من الفراغ من حفر جسر القناة وسط مرتفعات عتبة الجسر . ( أنظر  
الأعداد من ١٥٢ إلى ١٥٤ ) .

يستمر الحفر ليلا ونهارا في الساحتين رقم ٤ ورقم ٥ في منطقة عتبة الحضر (١).

واشتغل عمال السخرة في الليل على ضوء المشاعل التي كانت تضيء مساحات واسعة تمتد مسافة أربعة كيلومترات ودار وقطع هذه المنطقة أحد الفرنسيين الموالين للشركة وقال : وكان المنظر يشير الروعة في الضوضاء فهؤلاء الرجال ، الذين لفحت الشمس الحارقة أجسامهم ، ثم أضاءت الأنوار الحمراء التي تنبعث من المشاعل وجوههم ، كانت تعج بهم الصحراء ، يملأون القفف بالرمال وهم في قاع القناة ، ثم يأتي عمال آخرون يحملون القفف ويفرغونها بعيدا عن مجرى القناة . والعمال إذ يؤدون كل هذه الأعمال ينشدون ويقضون ، والمشايخ من حولهم يشهدون عليهم ويحولون دونهم . (٢) ١٩٠٣ .

وحق في هذه الصورة التي حاول الزائر الفرنسي أن يجعلها بهيئة ، تفيض فيها نفوس عمال السخرة بالأغاني ، تنمطت منها حسارة ترددها إلى حقيقتها فإذا هي صورة مريعة مما تكشف عنه من الستار الذي فرضته الحكومة المصرية والشركة على عمال السخرة بواسطة مشايخهم لمنعهم من الحرب وإكراههم على البقاء في ساحات الحفر .

واستكمالاً لصورة الإرهاب السائدة في ساحات الحضر كان اسماعيل حمدي بطرف ليلا بين العمال وفي رفقته رجال البوليس لمنع أسلحتهم على ضوء المشاعل (٣) على استعداد لتفكيك العمال إذا بلغ منهم تهديد في عملهم .

وأخيراً وبفضل عمال السخرة مرغت الشركة من حفر القناة البحرية

---

(١) Ritt, ouvr. cit., p. 249.

وأظر أيضا كلام

جريدة الشركة العدد ١٥٤ الصادر ١٥ نوفمبر ١٨٦٢ ص ٣٤٨ مجموعة السنة السابعة والمخطوط التوجيهية لعل مبارك باشا . الجزء الخامس عشر ص ١٣١

(٢) جريدة الشركة العدد ١٥٤ ص ٣٤٩ .

(٣) Ritt, ouvr. cit., p. 250.

الصغيرة وسط مرتفعات عتبة البحر وإيصالها إلى بحيرة التماسح . وأرسل  
مراسل جريدة الشركة في مصر برقية هذا التبا إلى جريدته فنشرتها في أولى  
صفحتها (١) . وأقام دى لسبس حفلا في صباح ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ إتيانها بهذا  
النجاح الذي أحرزه ، ودعا مفتي الديار المصرية والعلماء وعطران الكاثوليك  
وزرجال الاكليروس وأعضاء السلط القنصل وفي مقدمتهم فاضل فرنسا  
وهولندا وإيطاليا وفرنسا . ويلاحظ أن قنصل إنجلترا قد تخلف عن حضور  
الحفل . وأتاب سجد باشا عنه اسبا عيل حملى . وأعلنت الحكومة المصرية  
قطارا خاصا لنقل المدعوين من القاهرة إلى الزقازيق ، ومنها سافروا في  
للحبيبات والمراكب في طريق مالى متصل حتى نفيسة على مقربة من بحيرة  
التماسح . ومن نفيسة استقلوا العربات إلى مكان الحفل .

ووقف دى لسبس على منصة رفع عليها العلم المصرى (٢) وطلب  
إلى الحاضرين الإصغاء ، ثم التفت إلى العمال وقال : إن أصدر الأمر باسم  
حضرة صاحب السمو سعيد باشا أن تحل مياه البحر المتوسط بحيرة التماسح ،  
لأزاي العمال المد الذي كان يحجز مياه القناة المجرية الصغيرة عن بحيرة  
التماسح وانسابت هورا مياه البحر المتوسط في البحيرة . وصدحت الموسيقى ،  
وعلى منادات الحاضرين . وألقى المفتي خطابا استبلاه بالصلاة على رسول  
الله محمد عليه السلام ثم أشاد بالمشايخ العظيمة التي تعود على العلم بالخير  
والسعادة ودعا الله لينصر « السلطان عبد العزيز خان » ثم عرج على فرنسا  
فامتدح حضارتها وأثنى على دى لسبس ، وأشار إلى أن القنصل في بلوج تلك

(١) L'Isthme de Suez العدد ١٥٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ ص ٣٦١  
مجموعة السنة السابعة .

(٢) نوهت جريدة الشركة بحادث رفع العلم المصرى فقالت إن العلم الفرنسي لم يرفع  
وليس له الحق في أن يرفع في هذا الحفل فذكره القناة شركة مصرية ، وقتاة السوس مشروح  
على . انظر

L'Isthme de Suez العدد ١٥٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ ص ٣٧٥ مجموعة  
السنة السابعة .

التعبئة السارة إنما يرجع إلى محمد سعيد باشا ، الذي وزع العبالة وعمل على إبعاد شبه وعلى أن يزيل عنهم كل ما يضرهم (١) ، ثم كتب المفتي حجة شرعية أثبت فيها أن مياه البحر المتوسط قد دخلت في بحيرة التماسح (٢) ثم قصد علماء الدين المسلمون وعلى رأسهم المفتي عقب الحفل إلى مسجد عتبة الجسر حيث أدوا فريضة الصلاة (٣) . كما أقيمت صلاة شكر في الكنيسة القرنشية التي شيدتها الشركة في عتبة الجسر . وفي المساء ملئت الموائد واختلط إليها المدعوون ومستخمو الشركة وعمالها الأجانب وروثماء العمال المصريين . وألقى دى لنبس خطبة وجيزة أشاد فيها بفضل سعيد فقال عنه : إنه لولاه - واعرخوا ذلك جيدا - لكان حفر القناة مستحيلا ، وطلب ألا يكون هناك نجح يشرب موسى نجح محمد سعيد (٤) وفي صبيحة اليوم التالي استقل المدعوون قوارب سارت بهم في القناة البحرية الصغيرة من التماسح إلى يوز سعيد (٥) .

ولم يكن إصصال مياه البحر المتوسط إلى بحيرة التماسح بالأمر المسين . وحسنا تلك الآلاف المؤلفة من المصريين الذين سخرتهم الحكومة المصرية

(١) L'Isthme de Suez. المجلد ١٥٨ الصادر في ١٤ يناير ١٨٦٢ من ص ٢٩ - ٢٧ بحيرة التماسح .

(2) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 266-267.

(٣) L'Isthme de Suez. المجلد ١٦٢ الصادر في ١٥ مارس ١٨٦٢ من ٨٥ مجموعة السنة الثالثة .

(٤) L'Isthme de Suez. المجلد ١٥٦ الصادر في ١٥ ديسمبر ١٨٦٢ من ٢٧٩ مجموعة السنة الخامسة .

(٥) تجد وصف لحفلات ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ في كل من :  
مخطوطات قصر عابدين : صور الوثائق الأمريكية ج ٢ ص ١٤٥ تقرير رشة تصل الولايات  
اتحادية الأمريكية بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٨٦٢ إلى وزير الخارجية الأمريكية .

De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. p. 245 - 247.

للشركة من أجل حفر مجرى ضيق ضحل وسط مرتفعات حبة الحمير (١) .  
 فكانت تلك النتيجة ظفرا للشركة أعاد للطمانية إلى النفوس الجزعة : كما أقسم  
 المفاوضة الإنجليزية إقحاما عمليا وانهارت النظرية البالمستونية التي كانت  
 تنادى باستحالة حفر القناة . ولم تعد الحكومة الإنجليزية تقيم معارضتها  
 للمشروع حل ذلك الزعم الخاطيء .

وفي الواقع ازداد الأمل في إنجاز المشروع بعد تلك المرحلة ، لأن حفر  
 قناة صناعية تمتد من البحر المتوسط إلى بحيرة القساح في خط مباشر كان  
 أول عمل من نوعه في التاريخ . فلم يحدث أن شقت قناة في النصف الشمالي من  
 البرزخ ، من بورسعيد إلى بحيرة القساح أما النصف الجنوبي  
 الذي يقع بين بحيرة القساح ومدينة السويس فقد تم حفر قناة  
 فيه عدة مرات منذ عهد سحيق في التاريخ القديم ثم الوسيط . ولم يكن أمام  
 الشركة بعد ١٨ نوفمبر إلا أن تعيد ما قام به الأقدمون . ثم تمديد بمسند  
 ذلك حل تعميق وتوسيع القناة البحرية الصغيرة حتى تأخذ الأبعاد المقررة  
 لقناة السويس .

لقد شهد عام ١٨٦٢ حدثين بارزين في تاريخ السخرة في حفر القناة .  
 ففي ٢٣ يناير ١٨٦٢ تم حفر ترعة الماء الملعب من قرية القصاصين إلى  
 نقشة ، وفي ١٨ نوفمبر تم حفر القناة البحرية الصغيرة من البحر المتوسط إلى  
 بحيرة القساح التي تقع في منتصف المسافة تقريبا بين البحرين (٢) والفضل .

(١) استغرق شق القناة البحرية الصغيرة وسط مرتفعات حبة الحمير عشرة أشهر  
 سخر في حفري تلك اللغة ، وفي تلك المنطقة وحدها ١٧٦,٧٨٠ مريبا . وبسبع  
 مقيسار الألفاض إلى رفوها ١,٢٨٢,٣٨٩ مترا مكبا . وتراوح عمقها بين متر  
 ونصف متر وبين مترين . أما اتساعها فكان ثلثة متر مترا . ويبلغ طولها في تلك المنطقة  
 أربعة عشر كيلومترا . أنظر

Vardin Bey, *op. cit.*, t. VI, p. 277

(٢) يضاف إلى نشاط الشركة في ذلك المسام ( ١٨٦٢ ) أنها احتلت في ٢٧  
 أبريل ١٨٦٢ برصع الحبر الأسمن لمتجه القساح ( الإسماعيلية فيما بعد ) ونشطت

في هذا النجاح المتلاحق يرجع إلى القوة الأدمية الهائلة التي سخرها سعيد باشا فكان لها الأثر الحاسم الفعال في بلوغ تلك النتيجة . وكان من حسن حظ دى ليس أنه استطاع أن يبلغ مشروعه هذا الجهد في عهد صديقه الحميم محمد سعيد باشا الذي أدركته الوفاة بعد حفل ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ بشهرين تماما . فلو أن الشركة قد تأخر بها الوقت فأقترنت على مهاجمة حصية عتبة الجسر في عهد حلفه اسماعيل لما ظفرت بذلك الجيش الحرارة من العمال، إذ مالبت بعد أن ولي حكم مصر في ١٨ يناير ١٨٦٣، أن احتدم النزاع حول تخفيض عدد عمال المسحرة ثم إلقاء ذلك النظام الويل في سحر القناة .

---

حركة بنسواء مثقلت الشركة في المدينة الجديدة تمهيدا لتقبل مكاتب الشركة والمصارف المسلم من دباب إلى صبح مركز النشاط والعمل فيه . أنظر جريدة الشركة L'Isthme de Suez

المصدر ١٥٣ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦٢ من ٣٣٠ مجموعة السنة السابقة .

والجديد ١٥١ الصادر في ١٥ نوفمبر ١٨٦٢ من ٣٤٥ مجموعة السنة السابقة



## الفصل الثالث

### النفاق الإنجليزي

انجلترا تخارب نظام السخرة في حمر القناة لمصرين هما : القضاة على المشروع وتوجيه الفلاحين المصريين لتدعيم الاقتصاد الإنجليزي - انجلترا تتظاهر بالمعطف على المصريين - وتنبه السخرة بالرق - وتستغل الحركة الإنمائية في انجلترا والحرب الأهلية في أمريكا وقيام المجاعة القطعية لخاربة السخرة في حمر القناة - انجلترا تؤيد استخدام السخرة في المشروعات التي تخدم المصالح البريطانية في مصر وتتغاضى عن المآسى التي تقع بسببها

• • •

توسع سعيد باشا في تمليك لأتمة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ وسين العمال المصريون إلى ساحات الحفر زمرا حتى إذا جاؤوها وشرعوا في حفر القناة تلقفهم الموت نتيجة الإعياء أو العطش أو الأوبئة أو سوء المعاملة . وتسربت أنباء تلك المآسى إلى الخارج حتى أصبح تسخير المصريين في حفر قناة السويس مصبحة عامة *a public scandal* كما قال محق مؤرخ مصر الحديثوبة (١)

وسرعان ما استغلت الحكومة الإنجليزية الموقف : وجعلت في تسخير المصريين في حفر القناة على تلك الصورة الشائنة سلاحا ماضيا قويا لمطالبة المشروع بنية حرمان الشركة من هذه الركيزة القوية وهي اليد العاملة المصرية المسخرة ، فصعج كشركة عن المضي في حفر القناة ويصاب المشروع بضرية قاضية . وقد شهد مجلس العموم البريطاني ، منذ منتصف عام ١٨٦١ ولمدة سنوات ثلث ، مناقشات كانت تثار فيه تباعا حول تسخير المصريين في حفر قناة السويس وكانت الصحافة الإنجليزية

تخصص مساحات ضخمة من صفحاتها لشرح مايلور في تلك الجلسات حيناً ، وحيناً تكتب المقالات الضامة في هذا الموضوع فتفيد جريدة الشركة وبعض الجرائد الفرنسية الأخرى نشر هذه المقالات مترجمة إلى اللغة الفرنسية وتولى تفتيد ما يحىء فيها من بيانات . وهكذا ظل الفلاح المصرى موضوع مناقشات في البرلمان الإنجليزى ومادة طيبة لا تنفد في الصحافتين الإنجليزية والفرنسية ودحا من الزمن .

وقد أقامت إنجلترا معارضتها للمشروع في هذه المرحلة على أساس إنسانى ، فقالت إن تخليه يستند إلى السخرة ، وهى نظام تأباه الإنسانية ويتشع بالظلم ، وإنه ضرب من الرق ، بل السخرة تحوق الرق قسوة وظلماً ، وإن الفلاحين المصريين الذين يسحرون في حفر القناة أنلس بالسود (١) . وهكذا أخذت المعارضة الإنجليزية لونا جديداً واتسمت بصيغة إنسانية ظاهرها الرحمة بالمصريين والرجية في إنقاذهم من عصف شركة القناة وجورها ، أما باطنها فكان القضاء على المشروع من ناحية ، واستغلال الفلاحين المصريين لتدعيم الاقتصاد الإنجليزى من ناحية ثانية .

واستندت المعارضة الإنجليزية لنظام السخرة في حصر القناة إلى بعض الأحداث الاجتماعية والعسكرية والاقتصادية التى وقعت وقتئذ في العالم حتى يكون لمعارضتها أثرها في اللوائح الرسمية وفي الرأى العام الأوروبى . فاستندت إلى الحركة الإنسانية في إنجلترا والحرب الأهلية الأمريكية من أجل إلغاء نظام الرق ( ١٨٦١ - ١٨٦٥ ) ثم قيام والحجاعة القطنية في إنجلترا وفرنسا . ومن خلال هذه الحملة « الإنسانية » ضد نظام السخرة ومن تصرفات إنجلترا في ذلك الوقت بتشجيعها قيام نظام السخرة في مصر في تنفيذ المشروعات إلى تحدم المصالح البريطانية بين للتفاق الإنجليزى بأجل مظاهره والتناقض المعب في سياسة إنجلترا لإزاء السخرة . وتناول الآن هذا الإنجاز بشيء يسير من الشرح .

(١) أثر هذا النمط الجمال في نقاشات التي أثيرت في مجلس العموم البريطاني حصول تسمير المسحرون في حفر قناة السويس .

استطاعت المعارضة الإنجليزية لنظام السخرة في حصر قناة السويس من انتشار الحركة الإنسانية في أوروبا بوجه عام وفي إنجلترا بوجه خاص . فقد أوجدت الثورة الفرنسية آثارا اجتماعية جديدة في إنجلترا لم يكن في الإسكان أن تخبر وشيكا ، على الرغم من الأساءة العميقة التي أحدثته في إنجلترا أعمال جاعة المعاقة . وكان من بين المظاهر الجديدة التي طرأت على المجتمع الإنجليزي في القرن التاسع عشر النجاسة بالطبقات الفقيرة والعمل على تحسين أحوال البائسين والمعلمين . وقد عنى جاعة من المفكرين الإنجليز من أمثال بنتام *Jeremy Bentham* وكوبت *Cobett* والمنضمين *Utilitarians* ببلراز هذه الإنجازات للرأى العام ، فكثروا في وجوب القضاء العرف وإصلاح حال الصبية الإنجليز الذين كانوا يعملون في المصانع في أحوال تفيض بالفسوة والمظلم ، إذ كان هناك أطفال يلغون من العمر أربع سنوات يعملون اثني عشرة ساعة في اليوم ، كما كان بعض الأولاد والبنات يساقون ، لتنظيف المناخن وهي سائحة لاستطيع جلود أجسامهم الفضة تحمل حرارتها ، وكان البعض يتعرض لحروق شديدة بينما يحتق البعض الآخر من الدخان المثبت منها (١) .

وقد زادت الحركة الإنسانية في إنجلترا وسيطرت على عقول الملايين من الإنجليز بفضل للكتاب الذين وجدوا في مآسى الأطفال والعمال في المصانع الإنجليزية مادة رائعة فياضة خصبة للكتابة ، فاندفعوا يصورون حياة الفسوة والمظلم في أشجع صورها ، وكانت معظم الروايات التي ظهرت في تلك الفترة

(١) أنظر تفصيلات وأقية من هذا الموضوع في

Hargreaves Harnsworth : Universal History of the World, vol. VII  
p.p. 4404-4408.

وما هو جدير بالذكر أنه جريد *L'ethame de Suez* كانت : في سياق كلامها عن موضوع الفلاحين المصريين ، تظهر عيوب النظام الاجتماعي في إنجلترا وحال العمال في المصانع الإنجليزية وتكلم قائلة إنه جرى باعترا أن نصلح أحوالهم فكلوا ولا قبل أن تتكلم في إصلاح أحوال غيرهم في البلاد الأخرى . أنظر على سبيل المثال العدد ١٢٤ الصادر في ١٥ أغسطس ١٨٦١ من ٢٦٢ مجموعة السنة السادسة .

تطور حول الناحية الإنسانية (١) . وبدأ الناس في إنجلترا يتساءلون كيف كانت إنجلترا تعيش طوال تلك اللفة في مثل هذا الفساد والبؤس ، وكيف كان الإنجليزي يزهر بامبراطوريته وعظمتها وثرائها بينما للقطائع في أشنع صورها مستقرة في صميم إنجلترا وفي صلب الحياة الاجتماعية فيها .

. . .

وكما استعادت المعارضة الإنجليزية لنظام السخرة في حمر القنساء من الحركة الإنسانية فقد استغلت إلى حد كبير الحرب الأهلية التي انطلقت في الولايات المتحدة الأمريكية في أبريل ١٨٦١ بين ولايات الشمال وولايات الجنوب . وكان منشأ النزاع هو مشكلة الرق فقد كانت للولايات الجنوبية تتمسك بنظام الرق ، وكان سكانها يتمنون بوجه خاص على زراعة القطن . واعتمد أصحاب الأراضي في زراعته على العبيد الذين كانوا يجلبون بكثرة من سواحل أفريقيا ، وبعض الأيام أصبحت زراعة القطن في الولايات الجنوبية هي عصب الحياة الاقتصادية فيها . وأدى التوسع المطرد في زراعته إلى مزيد من العبيد ، وهكذا ازداد الرق تأصلا وانتشرا في الولايات الجنوبية حتى غلما

(١) Song of the Shirt by Thomas Hood.

The Cry of the Children by Elizabeth Browning.

Michael Armstrong by Frances Trollope.

كما رشح كثير من الكتاب الروايات من الحياة في المصانع وملاهي الأيتام والسجون تذكر بهم :

Charlotte Bontée.

Mrs Gaskell.

Charles Reade.

وكان شارل ديكنز Charles Dickens أبهر أدراكه للكتاب أثرا في الحركة الإنسانية إذ كان ذكراه المستز وحيرته وتجاربته في تصور الفسنيات ما كان يلوب مسطور قرائه . وفي خلال اللفة التي ظهرت فيها مؤلفاته ( ١٨٣٧ - ١٨٧٠ ) كان الأثر الذي يحدثه للهور مؤلفاته عظيما وكل عرف وكل لفتع عاصيا .

Low life

Oliver Twist

Little Dorrit.

أساس الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها . أما أهل الشمال فكانوا أكثر عددا وأوفر نشاطا فاشتغلوا بالصناعة والتجارة إلى جانب الزراعة، وربطوا أجزاء بلادهم بالخطوط الحديدية . وكانوا يمتنون الرق ويستبرونه ظلما إنسانيا صارخا وطالبوا بإلغائه في الولايات الجنوبية . وهكذا وجد في الولايات المتحدة نظامان متباينان، لكل منهما أنصاره وجمعياته، واشتد النزاع بين الفريقين . وتآلف الحزب الجمهوري في الشمال سنة ١٨٥٤ وكان من مبادئه إلغاء الرق وانتخب مرشحه ابراهام لنكولن رئيسا للجمهورية (٦ نوفمبر ١٨٦٠) فكان هذا الانتخاب إيذانا بقرب الاصطدام الرسمي العلني بين الفريقين .

صحمت الولايات الجنوبية على ألا تقبل رئيسا جمهوريا بل رأت أن الرق أكثر نفعا لها من اتحادها مع الولايات الشمالية ، فانفصلت عن الاتحاد الجمهوري وكونت اتحادا خاصا باسم « الولايات المتحالفة الأمريكية Confederate States of America » وانتخب جرسون دافيد رئيسا للجمهورية واتخذت ريشموند عاصمة لها . وبذلك أصبح للولايات المتحدة وليسان . ونشبت الحرب الأهلية على أثر ذلك بين ولايات الشمال وولايات الجنوب واستمرت أربع سنوات ( أبريل ١٨٦١ - أبريل ١٨٦٥ ) وانتهت بانتصار الشمال .

وكان ابراهام لنكولن قد أصدر أثناء الصليبات الحربية في ٢٢ سبتمبر ١٨٦٢ منشورا أعلن فيه أن جميع الأرقاء الذين في الولايات المتحدة أو المناطق الخاضعة لسيادة الولايات المتحدة سيصبحون منذ اليوم الأول من يناير ١٨٦٣ أحرارا إلى الأبد .

وقد تبع الرأي العام في إنجلترا باهتمام بالغ مراحل الحرب الأهلية الأمريكية، وتشجع الكثيرون للولايات الشمالية وعطفوا على أهدافها وبرامجها، حتى أصبح لفظ الرق بسبب هذه الحرب كلمة عارقة في أذهان الإنجليز في ذلك الوقت ظلما انطلقت بها ألسنتهم (١) .

تلاقت إند الحركتان الإنسانية في إنجلترا ، والعسكرية في أمريكا الشمالية ، عند إلغاء الرق . واستغلت إنجلترا الحركتين في معارضة مشروع القناة ، وباتت تصف أعمال الملاحين المصريين المسخرين في حفر قناة السويس بالرق . بل هي الرق بعينه تحت لفظ آخر . وإن القصة التي يعانها الفلاحون المصريون تفوق استرقاق العبيد في أمريكا (١) .

وإلى جانب ذلك كانت تبرز ناحية اقتصادية في معارضة إنجلترا لنظام السخرة . فقد تعرضت الصناعة القطنية فيها وتجارتها لأزمة طاحنة بسبب نقص الوارد إليها من القطن منذ قيام الحرب الأهلية الأمريكية في أبريل ١٨٦١ . إذ لما اندلعت يراى تلك الحرب اضطرت سكان الولايات الجنوبية إلى أن يستبدلوا بزراعة القطن زراعة المحبوب وغيرها من المحاصيل الغذائية التي كانوا يستوردونها من قبل من الولايات الشمالية (٢) . ونتج عن ذلك اتكاش الزراعة القطنية الرئيسية في الولايات الجنوبية طيلة السنوات التي استمر فيها هذه الحرب بحيث لم تزرع من القطن إلا قليلا . وحتى هذا القليل لم يمد في الاستطاعة تصديره إلى الأسواق العالمية، إذ كان أسطول الولايات الشمالية قد صرب نطافا محكما من الحصار البحري حول شواطئ الولايات الجنوبية (٣) .

كان من أثر ذلك أن وقعت أو تصامت إلى حد بعيد للغاية حركة تصدير القطن الأمريكي إلى إنجلترا وفرنسا وغيرها . ونقصت كميات القطن في إنجلترا نقصا حظيرا وأطلق البعض في ذلك الوقت على هذا النقص والجماعة القطنية (٤) . وارتفعت أصوات المزالين بها تطالب باستيراد القطن (٥)

(١) المجلد ١٦٨٠ من ص ١١٨٧ - ١١١٩ ص

Hansard's Parliamentary Debates.

(٢) Charles Roux F. Le coton en Egypte, p. 75.

(٣) Crabbes Ismail etc., ouvr. cit., p. 143

(٤) Fitzgerald, ouvr. cit., t. 1, p. 282.

(٥) Elgood Egypt. p. 73.

وركد العمل في مصانع مانشستر ولنربول وغيرها، وخفضت إلى النصف أجور العمال الذين يشتغلون في الصناعات القطنية، ثم أوقف العمل في كثير منها (١). وتضاعفت حالة البطالة في إنجلترا سواء فنظمت اكتتابات عامة لمساعدتهم، أهمهم فيها سنة ١٨٦٢ بمضى أمراء الأسرة الحاكمة في مصر (٢). وبلغ عدد العمال الإنجليز المتعطلين الذين كانوا يتلقون في عام ١٨٦٢ إعانات منتظمة ٣٣٠٦٦٤ عمالا (٣). أما فرنسا فقد وقعت فيها أزمة قطنية حل غرار أزمة إنجلترا وتسلطت مصانع ليون Lyon وصان اتين St. Etienne وغيرهما وعاتى العمال الفرنسيون قسوة البطالة (٤).

(١) جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٢٨ الصادر في ١ أكتوبر ١٨٦١ ص ٢٢٢-٢٢٣ مجموعة السنة السادسة. وانظر مقالا آخر ص ٢١٧ نفس ذلك العدد ص ٢١٧ - ٢٢٩ ومقالة لثركه جريدة Economist الإنجليزية أعادت جريدة الثركه نشره مترجما إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان:

#### Les Menaces de la Crise du Coton en Angleterre.

في العدد ١٣٤ الصادر في ١٥ يناير ١٨٦٢ ص ٢٢-٢٥ مجموعة السنة السادسة.

(٢) تيرج الأمير عبد الحليم بن محمد حل يبلغ مائتي جنيه لمساعدة قنصلين الانجليز وقد تولت شركة Messrs. Clegg, Clare & Co. إرسال الكسغ إلى الموردين Derby وأرفقتهم بحطاب قالت فيه: وإثنا حل ثقة من أن مساعدتكم ستقرون بسرور بالنسبة لما نرجع من أحد الأمراء المصريين..... فإنه من دولي القيمة أن نذكر أنفسنا في بلد بهذه حوزة مشاهير أحد الأمراء، ربى الشأن الآلام التي يشعها مواطنونا القراون في لاكتشير وأله قور أن يشترك في تخفيف تلك الآلام وإن لم يهلب منه ذلك. وقد تقبل المورد دري هذا التبرع بغير حل حين ورأى أن يسدول بنفسه تقديمه إلى لجنة مانشستر كما نعتت جهنا التبرع جريدة التيسر - أكثر

Blanchard Jerrold : Egypt under Ismail Pacha. London 1878. pp. 85-87.

(3) Charles Roux F la Coton en Egypte, p. 75.

(4) ibid.

ولما يذكر أن امهيل اكتشف في أراقل مارس ١٨٦٢ بعد أن ولي حشكم مصر غسة الآف فرنك لمساعدة القرائين الفرنسيين المتعطلي. أنظر جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٩٢ الصادر في ١٥ مارس ١٨٦٢ ص ٨٢ تحت عنوان

وعلى ذلك فإن حاجة إنجلترا القصبى إلى القطن المصرى فى ذلك الوقت لتسديه القصص فى المصانع الإنجليزية كانت الجانب الثانى لمعارضة إنجلترا لنظام السخرة فى حفر القناة، وسرى فى فعله «جناية سجد والشركة على الاقتصاد المصرى» أن إنجلترا سعت رسمياً لدى سعيد باشا كى يتوسع فى زراعة القطن المصرى وكان من مصلحة إنجلترا ألا تتعرض زراعة القطن فى مصر إلى أى تعطيل بسبب نقيب حوالى ٦٠ ألف هلال من حقولهم فى وقت واحد من أجل حفر قناة تقف معها إنجلترا موقف العداء الصريح . وقد تلاقى مصلحة إنجلترا مع مصلحة مصر فى ذلك الوقت فى وجوب التوسع فى زراعة القطن .

وقد تعرض لايرد Layard وكيل وراثة الخارجية البريطانية لهذا الموضوع فى جلسة أول أغسطس ١٨٦٢ بمجلس اللوردات البريطانى إذ قال وإن عددا من الرجال يتراوح عددهم بين سبعين ألفا وثمانين ألفا قد انزعوا من أعمالهم التى يؤدونها فى قسراهم ليعادوا فى إنشاء قناة السويس .  
إن هذه الخطة لا بد أن تؤدى إلى بؤس عظيم ، وتعارض بشكل جدى  
وتعطيل مع الأعمال الأخرى التى تملأ أرباحا كثيرة مثل إنتاج القطن (١) .

• • •

قلنا إن حملة إنجلترا على نظام السخرة فى حفر القناة كانت مظهرا من مظاهر النفاق الإنجليزي، وإن القضاء على المشروع كان الهدف الأول من نظائرها بالسطف على الفلاحين المصريين ورعيتها فى تحليصهم من هول العذاب الذى يتنون منه فى ساحات الحفر فى صحراء البرزخ ، يؤيد هذه الحقيقة أن نظام السخرة الذى حاربته إنجلترا بكل عنف فى حفر القناة كان يستخلى فى مصر أثناء حفر القناة وقبل حفرها فى تنقيب المشروعات التى

Souscription de S.A. Ismail en faveur des ouvriers français sans travail.

(١) الجزء ١٦٨ ص ١١٨٧-١١٨٩

Hansard's Parliamentary Debates



قامت بها الحكومة المصرية ، وافترن تطبيق نظام السخرة في القرن التاسع عشر بوقوع ضحايا كثيرين من أفراد الشعب المصرى ولم يرتفع صوت في البرلمان الإنجليزي يعارض استخدام السخرة في تنفيذ المشروعات ، بل أكثر من ذلك، كانت الحكومة المصرية على عهد الوالى محمد سعيد تفتت مشروعا بضم - فيما بضم - المصالح البريطانية، هو الخط الحديدي الذي يمتد عبر الصحراء من القاهرة إلى السويس . وقامت الحكومة الإنجليزية بضغط على سعيد باشا لزيادة عدد عمال السخرة حتى يتم إنشاء الخط و أسرع وقت ممكن . ونستخلص من ذلك الحادث حقيقة أخرى هي أن سياسة إنجلترا إزاء السخرة في مصر كانت تقوم على تناقض صارخ ، فبينما هي تقف من السخرة في مد خط السويس الحديدي الصحراوي موقف التأيد والتشجيع ، إذا ما تقف من نفس نظام السخرة في حمر قناة السويس موقف المعارضة والتنديد . وما ذلك إلا لأن الخط الأول يخدم المصالح البريطانية وأن القناة كانت تنظر إليها على أنها مشروع فرنسي ينطوى على تهديد خطير موجه إلى الإمبراطورية البريطانية .

ولكي يبين التناقض الإنجليزي على حقيقته نرى أن وقف وقفة قصيرة لنوضح كيف تناقضت إنجلترا من المساوىء التي عجت عن استخدام نظام السخرة في تنفيذ مشروع خط السويس الحديدي الصحراوي والذي اعتقدت أنه يخدم مصالحها في الشرق .

كانت إنجلترا لاعتبارات سياسية واقتصادية تنهم اهتماما بالنا بمسألة إنشاء خط مواصلات قصير سريع سهل يربطها بالهند وغيرها من المستعمرات الإنجليزية في الشرق . وفضلت على مشروع قناة السويس إنشاء خط حديدي يستخدم في نقل البريد والمسافرين من الإسكندرية إلى القاهرة فالسويس ، ومن ثم تشرع السفن في نقلها إلى الهند وغيرها . وقد عقدت الحكومة

المصرية على عهد عباس الأول اتفاقا بتاريخ ١٢ من يوليو ١٨٥١ مع روبرت ستيفنسن Robert Stephenson لإنشاء الخط الحديدي من الإسكندرية إلى القاهرة . ونص في هذا الاتفاق، الذي يقع في ثمانى عشرة مادة، على أن تقدم الحكومة المصرية العمال وفق نظام السخرة، وأن يكون العمال تحت إمرة ضباط مصريين (١) وقبل أن ينقضى عام ١٨٥١ كان ستيفنسن قد شرع في إنشاء الخط ومنه بصمة من المهتمين الإنجليز، وحشدت الحكومة أفواجا من الفلاحين وفق نظام السخرة (٢) . وتفاضت المجترات عن المساوىء والأضرار التي نجمت عن استخدام السخرة في مد الخط الحديدي . ولما اغتيل عباس الأول كان قد تم إنشاء نصف الخط تقريبا . وقد تم الخط على عهد سعيد باشا وبدأ سير القطارات عليه في يناير ١٨٥٦ .

وقد رأت الحكومة المصرية مد هذا الخط عبر الصحراء من القاهرة إلى السويس . وكان للسياسة الإنجليزية الأثر الأكبر في هذا التوجيه (٣) ، وهو دليل على أن إنشاء الخطوط الحديدية الأولى في مصر كان خاضعا لبطالب السياسة الأوربية أكثر منه لمواجهة مطالب الاقتصاد القومي . ولإلّا لوجهت الحكومة سفقات إنشاء ذلك الخط الصحراوي إلى مد خط حديدي يختار مناطق روائية أهلة بالسكان فيزداد العمران ويزداد اتصال الأهلين على طول الخط بعضهم ببعض . وقد قررت الحكومة المصرية أن تتولى هي إنشاء خط السويس، فطلبت من محلّ الإنجليزي هو برجز Briggs لإرسال القضاة الحديديّة، وعهدت بأعمال التنفيذ إلى موشليه Mouchelet (٤) وهو مهتمس فرسى في خدمة الحكومة المصرية (٥) . وجميع سعيد باشا مديري المديرية وطلب منهم لإرسال سبعة آلاف عامل كلغة أولى وأن

(١) نص هذا الاتفاق مشهور في

Wagner, *ouvr. cit.*, pp. 641-644

(2) The Egyptian State Railways Magazine Nov. 1932.

(3) Ibrahim Homan Scifed Deen, *ouvr. cit.*, p. 36.

(4) Hussein Hama, *ouvr. cit.* pp. 230-251

(5) Volsin Bay, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 72.

يتولوا بأنفسهم الإشراف على جمع أولئك العمال، وبدأ العمل في إنشاء الخط في سبتمبر ١٨٥٥ (١). وإن مما يلفت نظر الباحث كثرة الأوامر التي كان يصدرها تباعاً سعيد باشا وإلى مصر إلى مديري الأقاليم بلجس أنظار السفرة العمل في إنشاء ذلك الخط (٢).

وبينا كان العمل يجرى في مدة ذلك الخط إذ قامت في شهر مايو ١٨٥٧

(١) L'Isthme de Suez قبل ٦ الصادر في ١٠ سبتمبر ١٨٥٦ ص ٨٧  
جمعة السنة الأولى .

(٢) محظوظات قصر حادين - تذكر على سبيل المثال من دفاتر المدة السنية دفتر رقم ٤٩٢ وثيقة رقم ١١٨٤ ودفتر رقم ٤٩٨ وثلاث رقم ١٧٢ ٤ ٤٢٩ ٤ ٥٦٨ ٤ ٧٠١ ٤ ٧٥٦ ٤ ٨٩١ ٤ ٨٩٢ ٤ ٩١٥ ٤ ٩١٦ ٤ ٩٢١ ٤ ٩٥٦ ٤ ١١٢٠ ٤ ١٢٢٥ ٤ ١٤٤٥

ودفتر رقم ٥٠٢ وثلاث رقم ٣١٤ ٤ ٤٧٤ ٤ ١٢٢٥ ٤ ١٢٦١ ٤ ٢٦١٩ ٤ ٤٣١٠ ٤ ٣٥٠٦

دفتر رقم ٩٠١ وثلاث رقم ٤٦١ (للإسراع في الفراغ من مد السكة الحديد) ٤ ٨٨٧ ٤ ١٣٩ ٤ (أصل) ١٢٢٩ (سلسل) ٤ ١٢٢٩ ٤ ١٥٣٨ ٤ ٦٩ ٤ دفتر رقم ٥٠٥ وثلاث رقم ٦٨٩٠ ٤ ٩٦٦ جميع حال من مديرية جرجة ٤ ٩٠ ٤ ١٠٠١٣ ٤ ٩٠ ٤ ١٠٨١ ٤ ١٠٩٥ ٤ ١١١٨ ٤ ١١٢٨ ٤ ١١٣٦ بلجس الصالح من القرية والجيزة والفيوم ومن سويف والمنفيلية والقليوبية وأسيوط ٤ ١٢٥٥ هم تمكن السالك من الحرب

دفتر ٥١٧ وثلاث رقم ١١٩٤ ٤ ١٣٠٤ ٤ ٢٤١

دفتر رقم ٥٠٨ وثلاث رقم ١٩٠ ٤ ٧٠٠ ٤ ٧٢٧

دفتر رقم ٥٠٩ وثلاث رقم ٧٨٣ ٤ ١٠٠٣

دفتر رقم ٥١٠ وثلاث رقم ١٢١ ٤ ١٧٨ ٤ جميع حال من في سويف ٤ ١٩٠ من الدلتا ٤ ٣٦٠ ٤ ٤٢٣ ٤ ٥٣٥

دفتر رقم ٥١٢ وثلاث رقم ١٩ ٤ ١٩١ ٤ ٩٢٢ ٤ ٩٧٣

دفتر رقم ٥١٩ وثلاث رقم ١٢٥١ ٤ ٨٤٣

دفتر رقم ٥١٦ وثلاث رقم ١٧٧

دفتر رقم ١٦٢٣ وثلاث رقم ١٩ ص ٢٧ بخصوص تنظيم العمل في مد الخط الحديدي

دفتر رقم ١٦٤٣ وثلاث رقم ٣٥ ص ١٥٠ في غاية شوال ١٢٧٥ بلجس حال من

مديريات دوسة البحري والقليوبية والجيزة ومن ٩٢ رقم ٢٨

ثورة خطيرة في الهند كادت تصف بالحكم الإنجليزي فيها . واضطرت إنجلترا أن ترسل عن طريق رأس الرجاء الصالح قوات عسكرية لإخمادها (١) وأضاعت وقتاً ثميناً لطول المسافة . ثم حدث أن طلب السير سترادفورد دي ردكليف Sir Stradford de Redcliffe السفير البريطاني في القسطنطينية إلى السلطان أن يسمح بمرور ضباط إنجليز لا يرتدون الزي العسكري en bourgeois في الأراضي المصرية وهم في طريقهم إلى الهند (٢) . وقد أجيب إلى أكثر من ذلك : فسمح لفرق إنجليزية كاملة باجتياز الأراضي المصرية إلى الهند (٣) . وقامت عملاً أول قوة حربية إلى الهند عن طريق مصر من مالطة في أول أكتوبر ١٨٥٧ ووصلت الإسكندرية في ١ منه (٤)

(1) Hoskins, ouvr. cit., p. 339.

(2) Hoskins, ouvr. cit., pp. 402-403.

(3) Winer, ouvr. cit. p. 75.

Menhon le plus & le pagesidvonts

وانظر أيضاً محفوظات قصر عابدين : دفتر ٥١٤ وثيقة رقم ١٨٢ بمحرس مرور - الحدود الإنجليز في الأراضي المصرية وهم في طريقهم إلى الهند . وانظر أيضاً دفتر رقم ٥١٦ وثيقة رقم ١١٥٨ وفيها طلب قنصل إنجلترا إلى سميث بلثا الإذن في مرور فرقتين من المظبية الإنجليزية عبر الأراضي المصرية من إسكندرية إلى السويس في طريقهم إلى الهند

وعما يذكر في هذا العدد أن جريدة الشركة L'Isthme de Suez التيزت فرقة مرور الجيود الإنجليزية عبر الأراضي المصرية نشرت مقالاً قالت فيه إن إنجلترا بعد أن أرسلت الفجعات من طريق رأس الرجاء الصالح عادت غاصت الطريق الطبيعي عبر مصر كما استعملته قبل ذلك سنوات قلائل حين أرسلت قوات من الهند إلى أوروبا للاشتراك في حرب القرم . ( انظر العدد ٢٢ الصادر في ١٠ أكتوبر ١٨٥٧ من ٢٨٦ - ٢٩١ مجموعة السنة الثالثة ) . وقد نشرت في العدد ٢٥ الصادر في ٢٥ نوفمبر ١٨٥٧ من ٤٩٧ مقالاً بعنوان :

Envoi des troupes anglaises aux Indes par l'Egypte.

ونشرت في هذا المجلد مقالاً ثالثاً في العدد ٢٦ الصادر في ١٠ ديسمبر ١٨٥٧ من ٥١٤ بعنوان :

Envoi des troupes anglaises par l'Egypte.

(٤) انظر مقالاً بعنوان وال مصر وقتل الفرق الإنجليزية في صحراء السويس

واستقل أفرادها القطار الحديدية إلى القاهرة ثم استغلّموا الخط الحديدي الصحراوي في اتجاه السويس، وكان لا يزال إلى ذلك الوقت باقي حلي إكالة ٤٠ كيلو مترا حتى يبلغ السويس . وكان لجنود الإنجليز يقطعون للمسافة الباقية في عشر ساعات في عربات تسع كل عربة مئة أشخاص . وقد بلغ عدد أفراد القوات الإنجليزية التي عبرت الأراضي المصرية في طريقها إلى الهند خلال مئة أشهر اعتباراً من مجيء ١٨٨٧ خمسة آلاف فرد (١) تقاضت الحكومة المصرية عن كل جندي حصة جنينيات وعن كل ضابط إنجليزي ضعف هذا الأجر (٢) .

كان من أثر تلك الثورة أن ضغطت الحكومة الإنجليزية على سعيد باشا لتنشيط العمل في مد ذلك الخط حتى يفرغ العمل في الجزء الباقي منه في أسرع وقت ممكن (٣) واستجاب سعيد لهذا الضغط الإنجليزي، فلم يجمع عشرة آلاف عامل فحسب من مديريات الوجه القبلي للاشتراك في مد الخط الحديدي، بل فرض على بعض مديريات الوجه البحري أني عامل ليكونوا بمثابة عمال احتياطي (٤) . وأمر بتغيير العمال مرة كل أربعة أشهر (٥) .

La Vice Roi de l'Egypte et le transport de troupes anglaises dans le desert de Suez.

بلغ أرمنت ديلاس Ernest Desplaces مدير جريدة لشركة القند ٣٦ الصادر في ١٠ ديسمبر ١٨٨٧ من ٥١٩ مجسمة السنة الثانية

(1) Hoskins, ouvr. cit., pp. 404 et 405.

(2) Wiener, ouvr. cit., p. 75.

(3) Wiener, ouvr. cit., p. 74. Voir aussi

Hoskins, ouvr. cit., p. 358.

(١) محظوظات قصر عابدين : دفتر رقم ٥٠٥ مئة تركي صادر من ٢٧ أسر وتم ١٣٩ أبريل و ١٣٢٩ سجل صادر من الجانب المال إلى ناظر المالية بتاريخ ١٢ شوال ١٢٧٢ (٧ يونيو ١٨٥٧)

وانظر أيضاً دفتر رقم ٥٠٧ مئة تركي وارد ونفقة رقم ٢٤١ بتاريخ ٢٩ من احياء ١٢٧٢ (٧ أغسطس ١٨٥٧) .

(٥) محظوظات قصر عابدين : دفتر رقم ٥٠٧ وثيقة رقم ٢٠٤

ويندد دي لسبس بملك قنصل إنجلترا في مصر وهو يضغط على سعيد باشا  
 إذ طلب أن ترسل الحكومة المصرية في الحال عشرة آلاف عامل ، وأنه  
 لم يشأ أن يدرك ضرورة التريث ريثما يتم إعلناؤ ماء الشرب والجراية للعمال  
 المصريين في صحراء السويس . وكانت النتيجة أن اقترن إنشاء ذلك الخط  
 الحديدي الصحراوي بوقوع كثير من المأس . ويقول دي لسبس في هذا  
 المبدأ : وقد طبق نظام السخرة بقسوة وعلى الأحص في خط السويس  
 الحديدي الصحراوي حتى يمكن القول إن القضبان الحديدية لهذا الخط قد  
 استقرت فوق آلاف من جثث المصريين (١) .

---

(١) De Lesseps P. · Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t  
 IV, pp. 214-215 et 306-308.

وانظر أيضا معاصرة ألساما دي لسبس في ٢ مارس ١٨٦٤ نشرت في جريدة الشركة  
 المسعد ١٨٨ الصادر في ١٥ أبريل سنة ١٨٦٤ من ص ٢١٤ - ٢١٥ مجموعة الس .  
 الخامسة .

## التفصيل لبعثات الفلاح المصري في مجلس العموم

نائب يوجه سوآلا إلى رئيس الوزارة يستفسر عن حقيقة الموقف في  
ساحات الحفر - ويقول إن دى لىسبى أعوى سعيد ناشأ على تسخير المصريين  
في حفر القناة - وإن السخرة هي الرق تحت لفظ آخر - الحكومة تطلب  
التأجيل - النائب يوجه سوآلا جديدا يطلب حكومته بالتدخل لمنع السخرة في  
حفر القناة دفاعا عن الإنسانية - إجابة وزير الخارجية - سوآل ثالث  
عن رحلة قنصل إنجلترا إلى ساحات الحفر وتصريحاتها - ملابس الرحلة -  
سوآل رابع إلى رئيس الوزارة - إجابة الرئيس - إنساره  
مناقشة عيفة أثناء إقامة سعيد في باريس في ضيافة الحكومة الفرنسية -  
نائب يسفه عقلية سعيد وتفكيره وأسلوبه في حكم المصريين - ويرجوا أن  
يكون لرحلته أثر على عقلية فكيف عن استخدام السخرة - ويقترح تدابير  
عملية إيجابية لمنع السخرة في حفر القناة - نائب آخر عاد من مصر مؤخرا  
يشترك في المناقشة - ويصف الفلاحين المسخرين في حفر القناة بأنهم تاصون  
- النائب يقص مشاهداته - ويحمل على سياسة سعيد نحو الشركة - رد  
الحكومة يتناول عدة مسائل - تسخير المصريين في حفر القناة هو تجنيد  
إلجباري يتم طول السنة - الألام تصيب الرجال والنساء والأطفال - تسخير  
الفلاحين أشاع البؤس في البلاد - دى لىسبى يرد على الحكومة الإنجليزية -  
ويقول إنه لا يجب لإنجلترا أن تتدخل في موضوع السخرة - وإن السخرة  
نظام مألوف في مصر - ويهدد بتدخل الحكومة الفرنسية إذا حيل بين الشركة  
وبين تسخير المصريين في حفر القناة - ويقرر أن الشركة ترفع المستوى  
المادي والعقلي للمصريين - نائب يطلب إنجلترا بملل جهود حذية لمنع السخرة  
في حفر القناة - رد الحكومة - سوآل آخر يقرر فيه النائب أن السخرة في  
حفر القناة تفوق في قسوتها استرقاق العميد في أمريكا - الحكومة الإنجليزية  
ترجو أن يدرك سعيد المساواة التي لاحد لها في تسخير المصريين في حفر القناة

في جلسة ٢١ يونيو ١٨٦١ أثير لأول مرة في مجلس العموم البريطاني موضوع تسخير الشعب المصري في حفر قناة السويس . وكان هذا بدءاً لسلسلة من الأسئلة والمناقشات أثّرت على قنرات في المجلس طيلة خمس سنوات ( ١٨٦١ - ١٨٦٥ ) كاك الفلاح المصري ومابلاقيه من نصب في شق القناة هو المحور الذي دارت حوله الأسئلة والمناقشات .

ومما يلفت النظر أن عضواً واحداً في المجلس يسمى جريفت Griffith هو الذي انفرّد بتوجيه الأسئلة إلى الوزارة الإنجليزية في موضوع السخرة في حفر القناة ، واحتفظ بذلك عن غيره من أعضاء المجلس الذين أثاروا من قبل موضوع قناة السويس ، إذ كانت أسئلتهم ومناقشتهم تدور حول الجانب السياسي لمشروع القناة . أما جريفت فكان في معظم أسئلته يتعرض لمشروع من الناحية الإنسانية، وهي ناحية جديدة لم تكن له من قبل . فكان بذلك أحد الذين مثلوا المعارضة الإنجليزية في هذا الدور . وقد ضافت دوائر شركة القناة بما وجهه هذا النائب من أسئلة وما أثاره من مناقشات عن تسخير الشعب المصري في حفر القناة، كما بددت جريدة الشركة بهذا النائب وقالت إنه لايسام ولايجل من إثارة موضوع السخرة في حفر قناة السويس، وكتبت في هذا الصدد مقالات ضافية عاجلت فيها ما أسماه La Philantrophie de M. Gelfith أى حب جريفت للإنسانية .

كان السؤال الذي وجهه جريفت في جلسة ٢١ يونيو ١٨٦١ إلى اللورد بالمرستون Lord Palmerston رئيس الوزارة البريطانية يدور حول ثلاثة أمور :

أولاً : إن سعيد باشا قد وقع تحت تأثير دى لفس الذي استأله إليه لكي يخفض مشروع القناة، ثم قال «ولاني أطلب إلى وزير الخزانة الأول إذا

(١) L'Estime de Sire. ١٢٨ الصادر في ١٥ أغسطس ١٨٦٢ من مجموعة السنة السابعة، والعدد ١٦٩ الصادر في أول يوليوس ١٨٦٢ من ٢٥٤ - ٢٥٥ مجموعة السنة الثامنة، والعدد ٢٦١ الصادر في أول أبريل ١٨٦٥ من ١٠٦ مجموعة السنة الثامنة . وهذه الأعداد على سبيل المثال لا الحصر .



كان قد تلقى تقارير تشير إلى أن مصر دى لسبب قد أغرى وإلى مصر كما  
يسمح باستخدام عدد كبير من المصريين في حفر قناة السويس وفق نظام  
السخرة» .

ثانياً : إن السخرة ما هي إلا الرق تحت لفظ آخر .

ثالثاً : التنديد بسياسة اللورد بالمرستون لإزاء مشروع القناة بوجه خاص  
والمسألة المصرية بوجه عام. فقال دواي في نفس الوقت أعبر عن رأي في أن  
اللورد النيل وهو في رغبته في معارضة مشروع يعتمد أنه يضر بمصالح  
الإنجلترا قد عمل على تشجيعه بطريق غير مباشر ، إذ كان من أثر عمله  
المعارضة التي حمل لوازمها أن يظفر المشروع بالتأييد والعطف و فرسا .

« كانت سياسة اللورد النيل منذ عشرين عاماً خلت هي إخضاع وإلى  
مصر ( يقصد محمد علي باشا ) الذي شق عصا للطاعة على الباب العالي وكاد  
يجعل نفسه الحاكم المسيطر على مصر - إلى مودة وال يدين بالولاء والطاعة  
للسلطان . ومنذ ذلك الحين كان وإلى مصر يظفر بعين الرعاية إلى السياسة  
الفرنسية . وكان نتيجة ذلك أن الروالي العالي قد استميل إلى أن يمتنع المشروع  
موضوع السؤال ، وأن يستخدم المال كما يقال وفق نظام السخرة الذي  
ما هو إلا الرق تحت لفظ آخر .

« إلى أندد هنا بتدخل إنجلترا بين محمد علي وبين السلطان ، لأنه إذا كان  
قد سمح لمحمد علي بأن يقيم دولة مستقلة لكان التهود الإنجليزي في مصر أقوى  
بكثير مما هو عليه في عهد حكومة تخضع اسمياً للسلطان » (١)

وقد طلب اللورد جون رسل Lord John Russell وزير الخارجية  
تأجيل الإجابة عن هذا السؤال .

(١) انظر محضر الجلسة في الحزب ١٦٣٠ من ١٤٥٨ - ١١٥٩ م

Bansard's Parliamentary Debates.

كما نشرت جريدة الشركة موجزاً والناس في تلك الجلسة . انظر L'Isthme de Suez

العدد ١٢١ الصادر في أول يوليو ١٨٦١ من ٢١٤ مجموعة للثامنة .

ولكن جريبت لم يرض عن هذا التأجيل فسلح في ٢٥ يونيو ١٨٦١ - بعد مضي ثلاثة أيام - إلى توجيه سؤال جديد إلى وزير الخارجية في نفس الموضوع. وأضفى على سؤاله لباس الإنسانية والشفقة على الشعب المصري، فطالب حكومته باتخاذ تدابير «دفاعاً عن الإنسانية» وترى إلى الانصال بالحكومات التركية والمصرية والفرنسية لوقف العمل بنظام السخرة في حفر قناة السويس. وأوضح أن تمخير المصريين في حفر القناة إخلال من سعيد باشا بعهدهاته للباب العالي باحترام قوانين الدولة العثمانية، فقال في سؤاله «وإني أطلب إلى وزير الخارجية أن يوضح إذا كان قد تلقى معلومات تشير إلى أن مستر دي ليسبس قد حصل، أو على وشك الحصول من الباشا في مصر على تصريح يلزم الأهالي بالعمل في حفر قناة السويس وفق نظام السخرة. وهل يفي هذا التصريح مع تعهدات الوالي نحو الباب العالي بمراعاة الخط الشريف «جليلانه» وقوانين أخرى ترمي إلى مراعاة الرحمة في الإمبراطورية العثمانية؟ وهل استطاع إكراه المصريين على العمل وفق نظام السخرة؟ وهل قامت حكومة حضرة صاحبة الجلالة الملكة أو في صدد القيام بإرسال تبليغ إلى حكومات تركيا ومصر وفرنسا دفاعاً عن الإنسانية؟».

وقد أجاب اللورد جون رسل وزير الخارجية عن هذا السؤال بقوله «تلقينا منذ حين معلومات من جانب القنصل العام بجلالة الملكة في مصر تشير إلى أن مستر دي ليسبس قد حصل على أمر من الباشا باستخدام عشرة آلاف من المصريين للعمل في حفر القناة وفق نظام السخرة. ويذكر القنصل العام أن عدداً من هؤلاء الأهالي قد أرسل بالسكك الحديدية، ولكن القنصل يتوقع أنه في خلال بضعة أيام سيُسمح لهم بالعودة ثانية، لأن هذا في نظر القنصل إن هو إلا إجراء يرمي إلى الدعاية بأن أعمال الحفر يسودها النشاط، وقد قامت حكومة حضرة صاحب الجلالة الملكة مؤتمراً بتبليغ الباب العالي أن نظام السخرة هذا يتناقض مع الاتفاقات التي عقدت مع السلطان».

«وغني تعلم من التقارير الأخيرة التي وصلتنا أن خورشيد باشا (محافظ الإسكندرية) قد أعلن أنه لم تكن هناك سخرة وأنه - أي خورشيد -

لا يعتقد في صحة التقارير الخاصة بهذا الموضوع . ولكن هل هو خطي ؟ وهل أبطلت السخرة ؟ يستحيل على أن أجزم بشئ . وسنقوم بتحقيق دقيق بخصوص هذا الموضوع في هذه الجاهات . وهذه المناسبة يجدر أن أذكر كذلك أني قد تلقيت أن سلطان تركيا قد توفى هذا الصباح (١) .

وتلك إجابة وزير خارجية إنجلترا على جمل قنصل إنجلترا العام في مصر بمرامى الشركة وأهدافها حين زعم أن الشركة ستسرح خلال بضعة أيام العشرة الآف حامل القنن أكرهم سعيد باشا على العمل في حفر القناة وفق نظام السخرة اعتقاداً منه أن الشركة أرادت من استئجارهم إلى ساحات الحفر القيام بمظاهرة تثبت أن العمل يسير قلداً في تنفيذ المشروع . ولا يفل أن تظهر الشركة بهذه الكثرة من حامل السخرة ثم تعيدهم من ساحات الحفر أو بالأحرى تطلق سراحهم دون أن تستغل نشاطهم وطاقهم إلى أقصى حد . وليس معقول أن الثالثة التي تجنبا الشركة من القيام هذه المظاهرة تعمل ماتكبد من نفقات وجهد في توفير ماء الشرب لهذا الجيش من الماء في الصحراء . وكان ماء الشرب وقتل أغلى وأمن وأحرز ماخر من عليه الشركة ، إذ لم تكن ترعة الماء المنصب قد بلغت ساحات الحفر . وكان الماء يجلب في براميل على ظهور الجبال من مسافات نائية ويغفقات باهظة .

وفي جلسة ٢٣ يوليو ١٨٦٦ أثار جريفت للمرة الثالثة في مدى شهر واحد موضوع نسخبر المصريين في حفر القناة . وكان ذلك بمناسبة زيارة قنصل إنجلترا العام في مصر إلى ساحات الحفر ، فوجه سواليا إلى وزير الخارجية البريطانية هـ عما إذا كان المستر كولكوهوم Colquhoun قنصل إنجلترا العام في مصر قد زار في ٢٩ يونيو ١٨٦٦ برفقة قنصل إنجلترا في الإسكندرية وبعض الشخصيات ساحات حفر قناة السويس ؟ وهل أبدى

(١) انظر محضر الجلسة في الجزء ١٦٣ من ١٩٦٢ من

Harvard's Parliamentary Debates.

كما نشرت جريدة الشركة موجزا وأيا عن تلك الجلسة . انظر L'Isthme de Suez الفصل ١٢١ الصادر في أول يوليو ١٨٦٦ من ٢٦٤ بمسودة السنة السادسة .

هذا القنصل العام ارتياحه لما شاهداه وسمعه؟ إلى أستاذهم عما إذا كان يفهم من ذلك أن السخرة يجب ألا تستخدم في أعمال الحفر وأن تمهيدات الولي نحو الباب العالي في هذا الشأن تنفذ بروح الإخلاص .

وقد أجاب اللورد جون رسل وزير الخارجية بقوله : قرأت في بعض الجرائد الأجنبية هذا الخبر الذي يشير إليه السيد النائب المحترم . ولكني لم ألق مكاتبات من القنصل العام منذ ١٥ يونيو . وكان هذا الموظف قد أبلغني قبل ذلك في رسالة برقية بشأن بل برغيته في زيارة الهرز . ولكن لم يصلني شيء عن هذا الموضوع (١) .

وقبل أن نعرض للزيارة التي قام بها كولكوهوم Colquhoun قنصل إنجلترا العام والمصيرحات التي أهل بها نقول إن هذه الزيارة لم تتم يعلم الحكومة الإنجليزية فحسب بل برغبها أيضا . وقد مر بنا أن وزير الخارجية البريطانية قد وعد في مجلس العموم بمجلس ٢٥ يونيو ١٨٦١ بإجراء تحقيق دقيق بخصوص موضوع السخرة في هذه البعثات . وقد وضع سعيد باشا تحت تصرف قنصل إنجلترا العام للسفيرة البحرية « متفلوط » فأمر عليها من الإسكندرية في ٢٩ يونيو ١٨٦١ وصحب في هذه الرحلة سوندر Sanders القنصل الإنجليزي في الإسكندرية ولانج Lange مندوب شركة القناة في لندن وروبنسون Ruyssens الوكيل الأعلى للشركة في مصر والدكتور أوبير روش Aubert Roche كبير أطبائها والهرمز Hense وهو مهلس المال من قبل قنصل بروسيا وغيرهم . وقد بلغوا بورسعيد في ٣٠ يونيو ١٨٦١ وبنأوا طوافهم بإساحات الحفر وأنجوها جويبا مارين بالمتنطرة والفردان ومرتمعات عتبة البحر إلى بحيرة التماسح ، وعند ذلك ظلوا عائدتين عن

(١) انظر محضر الجلسة البرلمانية في ١٩٤ من ١٢٧٨ من

Hansard's Parliamentary Debates.

كما نشرت جريدة الشركة موجزا وثانيا عن تلك البعثة . انظر L'Estime de Suez العدد ١٢٣ الصادر في أول أغسطس ١٨٦١ من ٢٤٤ بمجموعة السنة السادسة

طريق مديرية الشرقية فمروا بالتل الكبير والرقازين ومنها استقلوا القطار إلى  
بناها بالإسكندرية (١) .

وقد أقام رجال الشركة حفل تكريم لقتلهم انجلتروا العام في عجة الحمر  
— شالي بحيرة القنصل — وقد ألقى في هذا الحفل خطابا طويلا جاء فيه ولقد  
فرغت من الطوائف بكل ساحات الحضر. ولاني لا أزال تحت تأثير ما شاهدت .  
لقد أعجبت بشجاعتكم وتأثرت من الاتحاد والوفاء والنظام الذي يسود  
أعمالكم ومن هذا التنظيم الذي جعلكم تفلون كافة الصعوبات التي صادفتكم .  
ولا أشك مطلقا بعد ما شاهدت في أنه إذا بدت صعاب أكثر خطرا فيكون  
التغلب عليها أمرا هنا بفضل رؤسكم الجليل الذي يشرف عليكم وإلى أرجو  
الا تظهر صعاب من نوع آخر ، ففي مصر الذي نعيش فيه يجب أن نعمل  
على تلاشيها. ولاني لأشارككم من كل قلبي في نجاح مشروعكم . ويسرني  
أن أتيب قلمه . وأشكركم على الاستقبال اللذي الذي أعبدتموه لي، ولاني  
أشرب نخب نجاح مشروعكم وإلى لا أشك مطلقاً في نجاحه . أشكركم أيها  
السادة شكرا عبقاً (٢) .

وعلى أثر انتهاء حفل التكريم أراد العمال الأجانب في شركة القناة أن  
يعبروا لقتلهم انجلتروا العام عن شكرهم وتقديرهم له، فطلبوا إلى رويسرس  
Ruyssenaers الوكيل الأعلى لشركة في مصر أن يتأذنه كي يسمح  
للعمال عمالته وليلقي أحدهم وهو ثوبيه Thobier كلمة من الشكر نظمتها  
لمناسبة هذه الزيارة . وقد أذن لهم لقتلهم . واستقبل وفود العمال ، وقد  
اصطفوا على شكل دائرة ، ثم ألقى العامل الشاعر قصيدته وأبدى فيها ثقة الجميع  
في نجاح المشروع وإخلاصهم له . ثم خص لقتلهم الإنجليزي بعض أبيات  
جاء فيها :

(١) انظر وصف الرحلة في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٧٢ الصادر في أول  
أغسطس ١٨٦١ ص ٢٤٤ مجموعة ستة السادة .

(٢) المصدر السابق .

Merci surtout à vous, généreux adversaire,  
Digne représentant de la vieille Angleterre.  
Vous nous avez compris, vous nous avez jugés,  
Et faisant bon marché de certains préjugés,  
Vous venez resserrer la sublime alliance  
Du peuple d'Albion et du peuple de France (1) .

وقد صافح القنصل العام العامل بمد أن انتهى من إلقاء القصيدة وقال إنه  
يصادف في شخصه كل العالم ثم استطرد قائلا : « أنتم هنا تمهدوا الطريق  
للمحاضرة . إنكم تواجهون بشجاعة الحو الحار والصعاب التي لا بد منها في  
مثل هذا المشروع الضخم . إنكم تضربون أحسن الأمثال للعامل المحرين  
الوادعين الطيبين الذين يعملون في صعوباتكم . تقوا أن كل عواطف تنجم عن  
مشروع وصل البحرين والذي سيفتح طريقاً جديداً لتجارة العالم ، وسأنتج  
باعتناء تقدم أعمالكم عن بعد كما تتبعها عن قرب . وأخيراً أشكركم  
باسمى وباسم جناب قنصل إنجلترا في الإسكندرية على استقبالكم الودى  
وأقبل بسرور هذه القصيدة التي تقدموها (٢) » .

وقد استغلت جريدة الشركة هذه الزيارة ف نشرت تفاصيلها وحققت  
عليها بقولها لم تكف مطلقاً عن أن تقول لخصوم القصة : اذهبوا بأنفسكم  
إلى ساحات الخضر وحيثما تتلاشى معارضتكم (٣) . وقد تساهل البعض في  
ذلك الوقت عن هاتين الكلمتين اللتين ألفاهما قنصل إنجلترا العام وهل هما  
يمبران عن رأى الحكومة الإنجليزية أو هما صورة انطعت في نفسه لما شاهده  
أثناء الزيارة ؟ الواقع أنهما من قبيل المحاملات الدبلوماسية، فليس من الكياسة

---

(١) جريدة الشركة العدد ١٢٢ الصادر في أول أغسطس ١٨٦١ ص ٢٤٥ - مجموعة  
التي السادسة. ومفخص هذه الأبيات شكراً لك يوحى خاص بها المصم الكريم  
ومثل إنجلترا العظيم لانه أدركت جميعتنا وأصلحت حلك لنا . وأنت تمل على  
توكيد الاقتصاد والابتعاد بين شعب إنجلترا وفرنسا

(٢) المصدر السابق

(٣) فنظر مثلاً في جريدة L'Estime de Suva العدد ١٢٢ الصادر في أول  
أغسطس ١٨٦١ من ص ٢٤٦ - ٢٤٧ بمجموعة التي السادسة .

أن يهاجم القنصل العام مشروع القناة وهو في ضيافة رجال الشركة يشغلون عليه ألواناً من الرعاية والتكريم ويوجهون إليه الخطب الرقيقة . ويؤيد هذا الرأي أن الحكومة الإنجليزية ظلت بعد هذه الزيارة على عدائها للمشروع .

• • •

وبعد مضي أسبوع واحد على السؤال السابق وجه جريفت في جلسة أول أغسطس ١٨٦١ سؤالا إلى اللورد بالمستون رئيس الوزارة البريطانية قال فيه : « أطلب إلى رئيس الخزانة الأول إيصاحا عما إذا كان قد تلقى بركات من قنصل إنجلترا العام في مصر يؤكد لكم أنه لا يكره ولن يكره أحد من العمل في حفر قناة السويس » . وقد رد رئيس الوزارة البريطانية على هذا السؤال فقال : « يبدو أن جموعا كبيرة من العمال قد أكرهت على العمل في حفر القناة ، وأن الشركة قد أعطتهم لجورهم بسطاء كبير . ولكنهم كما ذكرت قد سيقوا إلى هناك بالإكراه » (١) .

وكان طبعيا أن تهمل جريدة الشركة لقول اللورد بالمستون إن العمال يتناولون أجورهم بسطاء ، فأبرزت هذه النقطة وعلقت عليها في مقال ذهبت فيه ملهيا غريبا يناقض الواقع وحملت قول رئيس الوزارة البريطانية مالا بمحتمل ومالا يريد ، فقالت : « يبدو بجلاء في هذا الرد الذي أدلى به اللورد بالمستون أن خطته أصبحت تحطف من تلك الخطة التي ملر عليها إلى الآن ، فهو يعترف بأن العمل يميز بنشاط في حفر القناة ، وهو يعترف بأن العمال الوطنيين ( يقصد المصريين ) يتناولون أجورا طيبة ، ولكنه لم يشأ أن يقول عما إذا كان العمل يقوم على أساس الإكراه أم الاختيار (٢) » وظاهر جلي أن اللورد بالمستون في رده قد أكد مرتين أن العمل يقوم على عنصر الإكراه ،

(١) انظر محضر الجلسة في الجزء ١٦٤٠ من ص ١٨٢٢-١٨٢٣ من

Harvard's Parliamentary Debates.

كما نشرت جريدة الشركة ملخصا لما دبر في تلك الجلسة أنظر L'Isthme de Suez العدد ١٢٤ الصادر في ١٥ أغسطس ١٨٦١ من ٢٦٠ مجموعة السنة السادسة .

(٢) L'Isthme de Suez ١٢٤ سالف الذكر .

أما السخط في الأجور فنصرص له عند الكلام على أجور العمال، وحسبنا أن نذكر هنا أن اللورد بالمستون قد جاب الحقيقة في هذه المسألة (١).

وفي صيف عام ١٨٦٢ قام سعيد باشا برحلة إلى أوروبا استغرقت كما ذكرنا خمسة أشهر زار خلالها إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وتركيا. وقد أثار جريفت مناقشة طويلة في مجلس العموم بجلسته ١٦ مايو ١٨٦٢ حمل فيها حملة عنيفة على سعيد باشا وسعته عقلية وتفكيره وأسلوبه في حكم الشعب المصري، وأفاض في الكلام عن الآلام التي يتحملها المصريون الذين يسخرون في حفرة قناة السويس.

استهل جريفت المناقشة بقوله إن الأمثلة التي يوجهها إلى وزارة الخارجية عن قناة السويس إنما تحصل اتصالاً وثيقاً بقضية الإنسانية. وأبان أن انحصاراً قد أظهرت في كل الأوقات اهتماماً بالغاً بمنع الرق في كافة أنحاء العالم. وذهب التائب إلى أنه من الطبيعي أن تظهر هذه المسألة باهتمام الحكومة الإنجليزية كذلك، لأن الغالبية العظمى من العمال الذين يعملون في حفرة قناة السويس قد أكرهت على العمل وفق نظام السخرة. والسخرة ما هي إلا الرق في صورة أخرى.

ثم أشار إلى رحلة الوالي في أوروبا وقال منهكاً في أسلوب لاذع: أوجب أن تتاح لسعيد باشا في أثناء مروره بالدول المنحصرة فرصة الوقوف بنفسه على الآراء والأفكار التي تسود العالم المتمدين، ويكون لذلك تأثير عليه، فيكيف عن استخدام نظام السخرة الذي ماهو إلا الرق تحت لفظة أخرى.

وكأن جريفت يبغي أن تحصل تفاصيل هذه المناقشة التي يثيرها البرلمان إلى أسياح سعيد باشا وهو على مقربة من إنجلترا، إذ كانت الصحف الأوربية قد نشرت أن سعيداً سيصل باريس في ١٨ مايو ١٨٦٢، وكانت حكومة الإمبراطور نابليون الثالث قد أعدت له استقبالا رسميا حافلا وأصدرت





جلطخانه . وفوق ذلك رأى جريفت أن مضى الوالى فى هذا الأسلوب الذى يسير عليه فى حكم الشعب المصرى ينطوى على إخلال خطير بواجباته نحو الولاية التى يحكمها . واقترح جريفت على الحكومة الإنجليزية أن تبدل ساعيا لإلغاء الترخيص الذى أصدرته الحكومة التركية مؤثرا إلى سعيد لعقد قرص خارحى . ثم انتقل جريفت أحبرا إلى التنايير العملية الإيجابية لمنع السخرة فى حفر القناة فاقترح أن تتصافر الدول الأربع الموقعة على اتفاق ١٥ يوليو ١٨٦٠ وعلى المذكرات التى وجهت إلى الحكومة التركية بتاريخ ٢٠ يناير ١٨٦٠ و ٢١ مارس ١٨٦٠ - على إلزام والى مصر بمراجعة هذه الاتفاقات ، كما ترك جريفت للوزارة الإنجليزية حرية اتخاذ أى إجراء آخر تراه مجديا للوصول إلى هذا الغرض (١) .

يتضح أن هذا النائب قد ربط بين الجانب الإنسانى والجانب السياسى وخرج بنتيجة أراد إبرازها وهى أن سعيد باشا يتجاهل قوانين ونظم الدولة العثمانية صاحبة السيادة وتفضل على مصر وأنه أخل بواجباته نحو ولايته ، ورتب على هذه النتيجة مطالبة الحكومة الإنجليزية بالتدخل مع الدول الأوروبية فى المسألة المصرية على أساس أن تسوية المسألة المصرية قد تمت فى سنة ١٨٤١ بضمان الدول الأوروبية ، وأن نقضها - بخروج والى مصر من اختصاصاته - يتطلب تدخل هذه الدول من جديد . ولكن يبدو أن جريفت لم يكن يبنى افتعال أزمة سياسية خطيرة تتدخل فيها أوروبا على غرار ماحدث مع محمد على سنة ١٨٤٠ ، ولكنها كانت متاوره سياسية أراد بها إثارة مخاوف محمد سعيد باشا وهو فى باريس يتلفر بمظاهر الحفاوة والتكريم من الحكومة

(١) النظر محضر الجلسة فى المجلس - ١٦٦٠ من ص ١٨٢١ - ١٨٢٥ ، ١٨٢٧ ، ١٨٢٩ -

ص ٢٠٨ .

Handari's Parliamentary Debates.

وتجسد جريدة لشركة مصفاة لدارى فى تلك الجلسة . انظر L'Asiatic de Suez المند ١٨٢ المساء فى أول يونيو ١٨٦٢ من ص ١٧٢ - ١٧٥ مجموعة السنة الخامسة .

الفرنسية ويتلصق بكف عن تسخير الشعب المصري في حفر القناة وتعموم الشركة من الركيزة الأساسية التي تستند إليها في عمليات الحفر ، إذ يرى سعيد باشا أن رعايته للشركة منصف بمركزه كوال على مصر . وما يؤيد هذا الرأي أن الحكومة الإنجليزية قد استبعدت في هذه البلمسة الجانب السياسي وحصرت المناقشة في الناحية الإنسانية فقط .

وبعد أن فرغ جريفت من كلامه أعطيت الكلمة لأحد أعضاء المجلس وهو سكوت Scott وقد استهل حديثه بقوله «إني إذ عدت من زيارة مصر منذ مدة وجيزة أعتقد أنني أستطيع أن أسرد هنا بعض الوقائع التي يطيب للمجلس سماعها » وهذه إشارة إلى أنه شاهد عيان لما يجري في ساحات الحفر ، فهو لا يعتمد في معلوماته عن تسخير الشعب المصري في حفر القناة على مرويات أو تقارير ، فإذ يفوله له قوته وقيمه . وانتقل بعد ذلك إلى الدفاع عن مشروع القناة أولا والشركة ثانيا ثم انقلب فهاجمها هجومًا قويا لأنها تسعى معاملة المصريين الذين يسخرون في حفر القناة ووصفهم بأنهم « أناس قاصص » و « عمال مساكين » وضرب في هذا الصدد مثلا أبرزه بإبرازا قويا مؤثرا ، ثم حصل على سيادة سعيد باشا لزام الشركة ، واتسمت كلمته بالاتزان والحكمة والتحفظ وبعد النظر في معظم أجزائها ، وقرر أنه لا يشاطر الحكومة الإنجليزية رأيا في أن مشروع القناة يحمل تهديدا خطيرا للممتلكات البريطانية في الشرق لا من الناحية التجارية ولا من الناحية السياسية وقال « ولا يسعى إلا أن أعتمد - مع إعلاي وتقديرى لأولئك الذين يعتقدون الرأي المخالف - أنه إذا كانت هذه القناة ستفيد أحدا فإن التجارة البريطانية ستجنى من المزايا ما يفوق تجارة أية دولة أخرى . وليست هناك دولة يهمها أن يكون الاتصال مع الهند سريعا هينا أكثر من دولتنا » . وبهذا اتزان سكوت حين تعرض لاختلاف الآراء حول موضوع استحالة حفر القناة في بروز السويس ظم يتحيز إلى رأى خاص ولم يتنلج رأى حكومة بلاده على رأى البلاد الأخرى وفي مقدمتها فرنسا فقال : إن المهتمين الإنجليز يعتقدون رأيا ، ويرى المهتمون الفرنسيون الرأى

الخالف ، وعلى هذا فإن الحكم لأحد الفريقين متكشف عنه الأيام .  
وأكد أن سنين عددا سوف تنقضى قبل أن يفتح أى جزء من القناة للملاحة .

وتطرق مكوت من هذه النقطة إلى الكلام عن نظام السخرة في حفر القناة ، وكان هذا هو أهم جزء في بيانه ، ففانح عن السخرة من حيث المبدأ فقال إنها نظام قديم مأكوف في الشرق ، وإنه يصعب في كافة الدول الشرقية القيام بالمشروعات الكبرى بدون أن تتدخل الحكومة بلصع الحال ، ثم قال : إذا تذكرنا أن الفلاحين يتناولون أجورهم بانتظام ويظفرون بتغطية طبية فلا يمكن القول بأن عملهم هو السخرة بعينها . إذ أجر العامل يتفاوت من سنة بسات ( ٢٤ مليا ) إلى شلن ( ٥٠ مليا ) في اليوم وإن الحال يعيشون في البروخ أحسن بكثير مما لو كانوا يؤدون أعمالهم العادية في قراهم .

« ولكن هناك مسألة خطيرة بأن تنال من اهتمام الحكومة نصيبا موفورا ، هي أد الفلاحين يتناولون أجورهم في صورة صكوك قابلة للنفع وقت الطلب ولا تصرف قيمتها إلا من خزانة المالية في القاهرة . والحكومة المصرية مدينة لشركة القناة ، وهذه بطبيعة الحال استغلت هذا الظرف لخصم رصيد دين الحكومة . وكان كثير من هؤلاء الناس الناصين يضطرون إلى قطع مسافات تراوح بين مائة ميل ومائة وخمسين ميلا لصرف قيمة هذه الصكوك .

« وحين يصل الفلاحون إلى القاهرة لا يستطيع أحد منهم صرفها واستبدال قيمتها إلا من كانت له صلة أو معرفة بشخص دى نفوذ . أما الباقيون فكانت تصرف لهم صكوك أخرى لتجديدها لمدة ثلاثة شهور . وفي هذه الحال لا يمكن وسيلة للتخلص من هذا المأزق سوى بيعها للمرايين والصرافين في مقابل مبالغ زهيلة جدا

« فإذا استطاعت حكومة حضرة صاحبة الجلالة الملكة القيام بعمل من شأنه أن يمكن هؤلاء الحال الساكين من تسلم أجورهم بطريقة مريحة فإن هذا يكون عملا إنسانيا جليلا من جانبها . »

يبدو تناقض في هذا الجزء من بيان سكوت فهو يذكر أن معاملة الشركة للفلاحين المصريين معاملة حسنة إذ هي تدفع لهم الأجور بانتظام وإذ هي تقدم لهم الغذاء الطيب حتى غدا عملهم في حفر القناة بفضل عملهم في الحقل من حيث مستوى المعيشة ، وكيف يتفق هذا القول مع نعتهم لإمامهم بأنهم أناس تافسون وعمال مساكين وقوله إنهم يقطعون مائة وخمسين ميلا في السفر إلى القاهرة من أجل صرف الصكوك ثم لا يجدون حيلة لصرفها غير بيعها لجماعات المرابين بشمن نخس ؟

أما قوله بأن عمل المصريين في حفر قناة السويس لا ينطبق عليه نظام السخرة فمرود عليه بأن أهم ما يميز نظام السخرة هو الإكراه ، وقد قلنا في الفصل الثاني إن عنصر الإكراه متوفر في عمل المصريين في حفر القناة . ونقرر هنا قيام هذا العنصر قل أن تطأ أقدام العمال منطقة البربخ ، منذ أن تُشرع الحكومة في جمعهم من قراهم إلى أن تأذن الشركة بتسريحهم من ساحات الحفر . معملهم هو السخرة بعبارة حتى يفرض أن الشركة كانت تدفع لهم أجورا فلم يكن للعمال دخل في تقييم العمل على أساس تلك الأجور فما بالنا إذا كانت الشركة لم تدفع أجورا على الإطلاق في معظم الأحوال كما نوضحه بالدليل المادى القاطع (١) ؟

وبلاحظ أن التائبين جريعت وسكوت قد اتفقا في أن كلا منهما قد أولى الناحية الإنسانية عناية ملحوظة : معنى كل منهما لتطبيع الفلاح المصري من قسوة المعاملة التي يلقاها من شركة القناة ، وطالب كل منهما الحكومة الإنجليزية بالتدخل في مشكلة الفلاحين الناعسين على نحو من الأنحاء .

واختتم سكوت بكلمته بمهاجمة سعيد باشا وانتقد الالتزامات المالية التي ربط بها مصر إراء شركة القناة ، وقال إن الحكومة المصرية قد اكتسبت بما يقرب من نصف رأس مال الشركة التي تتمتع بامتيازات واسعة النطاق من تلك أراضي شاسعة إلى مباشرة حقوق إدارية لها إلى غير ذلك وهي

امتيازات قال سكوت عنها إنه لا يمكن لسعيد باشا كركال على مصر أن يصدر فرمانها ، وأبدى مخوفه من أنه إذا جاء اليوم الذى تصلى فيه الشركة أخيراً فيكون مركز الحكومة المصرية حرباً للثأية وتسلط سكوت ، أى مبلغ سيفرض على الحكومة المصرية دفعه بصفة تمريض لشركة تناسرها الحكومة الفرنسية كما هو المحتمل ؟ ، وأبدى رجاؤه فى أن يحىء رد الحكومة الإنجليزية عن هذه المسألة شامياً (١) .

وقد أجاب لا يارد Lyaard وكيل وزارة الخارجية ببيان مسبب باسم الحكومة الإنجليزية عن هذا الموضوع . واهتم بالناحية الإنسانية بعد أن استبعد الناحية السياسية التى تعرض لها كل من جريفت وسكوت من قبل . وكان القلاح المصرى الذى تسهره الحكومة المصرية فى حفر القناة هو هور اليان .

تكلم لا يارد عن عقد الامتياز الثانى الذى أصلره والى مصر فى ٥ من سبتمبر ١٨٥٦ وكيف أن المادة الثانية منه نصت على ألا تتجاوز نسبة عدد العمال الأجانب خمس عدد العمال المصريين ، وأبان أن الحكمة فى وضع هذا النص هى منع تدفق عمال أجانب على مصر فى نطاق واسع وبشكل خطير . ثم انتقل بعد ذلك إلى الكلام عن لائحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ التى صدرت لتنظيم استخدام العمال المصريين فى أعمال قناة السويس وكيف

(١) الجزء ١٦٦ ص ١٨٤٣ - ١٨٢٥ من

#### Hamard's Parliamentary Debates.

وعما هو جدير بالذكر أن جريدة الشركة أشارت فى عدة مناسبات إلى الشهادة التى جاءت من لندن سكوت فى مجلس الشورى فى مساء الجلسة لتدليل حل حسن المسألة التى كان يشترطها الفلاسون المصريون فى مباحات المقصر حل يد الشركة . انظر على سبيل المثال L'Estimateur de Suez العدد ١٨٣ الصادر فى أول فبراير ١٨٦٤ ص ٨٠ مجموعة لائحة لائحة . كما أبرز دى ليس عمله الشهادة إبرازاً قوياً فى خطابه الذى ألقاه فى اجتماع الجمعية العامة لمجلس الشركة بتاريخ ١٥ يوليو ١٨٦٤ وتكرر فى جريدة الشركة العدد ١٧٠ الصادر فى ١٩ يوليو ١٨٦٤ ص ٧٨٢ مجموعة لائحة لائحة .

تصر فيها على الشروط الخاصة بإعتماد محال لسكنى العمال وتقديم الطعام لهم  
ووجوب سهر الشركة على ما يكفل راحتهم . ثم قال لا يولد بعد ذلك :

« ويلوح مع ذلك مما كنت أسسمه أن هذه الأجور كانت تدفع مقدما ،  
ولكن في هذه الظروف كان العمال يعملون رغما عنهم . وقد حرب عند  
كبير سهم بالمبالغ التي تناولوها مقدما . ولكن تعمل الشركة على تجنب هذا  
الحرب قررت وقف العمل بهذا النظام ، وولت أن يكون دفع الأجور  
لأصحابها بعد الفراغ من أعمالهم .

« وقد استمرت هذه الحال بعض الوقت ثم انضح بعد ذلك أن المقاولين  
توقفوا عن دفع الأجور بتماما . ويجب على أن أذكر حتى أكون عادلا مع مسر  
دي لسياس أن المقاولين عوا ذلك . ومع ذلك فإن الحكومة تلقت تقارير  
تقول إن المقاولين في العام الماضي قد توقفوا عن دفع الأجور للعمال أنفسهم .  
وإن هذه الأجور التي يجب دفعها للعمال مباشرة كان يدفع جزء منها إلى  
مشايخ القرى - رؤساء العمال - وإن الجزء الأكبر منها كان يرسل إلى الموال  
تفه الذي كان يمد الشركة بالغالية العظمى من العمال كما ذكر منذ لحظات  
السيد النائب المحترم سكوت الذي زودنا بمعلومات وميرة . وكانت القيمة  
تخصم من حساب الباشا الذي يجه جيلنا كما تعلمون حضراتكم تقدم  
عمليات سفر القناة لأنه أحد للسجين في الشركة .

« هذه الواقعة يؤيدنا فريق ويتبناها فريق آخر ، ولكن من المسلم به  
أن المقاولين قد اتفقوا مع متعهدين يونانيين في القاهرة والمدن الأخرى  
أخذوا على عاتقهم تقديم عمال في مقابل أجر خاص عن كل رأس .  
وقد أدت هذه الحال إلى انتشار البؤس إلى حد عظيم .

« وقد أخبرنا السيد النائب المحترم سكوت أن سجا صغيرا من هؤلاء  
الرجال قد اضطرروا إلى قطع مسافة مائة ميل ليقبلوا أجورهم الضئيلة ، ولكن  
إذا لاحظنا أن هؤلاء الرجال لا يقضون في العمل أكثر من شهر وأنهم  
لا يقاضون أكثر من ستة فسات في اليوم ، كان عليهم أن يقطعوا مائة ميل

من أجل الحصول على الأربعة عشر شلنا التي اكتسبها في خلال شهر .  
ومن هنا يتضح أن هذه الحال لا ترضيهم على الإطلاق .

١٠ ويؤمنون أن أذكر أن كثيرين من هؤلاء الرجال يقطعون مسافات  
أطول من هذه أيضا . وقد وجد ببولكوهم قنصل إنجلترا العام في مصر أن  
العالم بأنون من جهات بعيدة تقع بالقرب من الشلال الأول . ولما كان هذا  
التجديد الإجباري يتم في كافة فصول السنة : في موسم بلر البلور ، وفي  
موسم الحصاد ، كانت المتاعب والآلام لاتتصب على الرجال فحسب ، بل  
على زوجاتهم وأولادهم .

١١ لقد ذكر السيد النائب المحترم سكوت أن شركة القناة قد صرحت بأنها  
تستخدم ٢٦ ألف عامل ، وهي تنكر أنها تستخدم ١٠ ألفا ، ولكنها في الواقع  
تستخدم ٦٠ ألفا إذ أن هؤلاء الرجال يستقبل بهم فيهم كل شهر . ويتم  
عملية الاستبدال هذه في مساحات الحضر وتنتشر في بعض الوقت . وكل ما  
أستطيع أن أقوله إنه من المحتمل أن تؤدي هذه الحال إلى شيوع كثير من  
ضروب الآلام والبؤس في البلاد .

١٢ أما للناحية السياسية فلن أتعرض لها . وكل ما أذكره أن جزءا صغيرا من  
العامل قد أنجز وأن ربح رأس مال الشركة قد استنفد . ولها يخص بالاستئمة  
الأخرى التي وجهت إلى تفسير المعاهدة بين إنجلترا والدول الأخرى لأن  
الإجابات التي أستطيع الإدلاء بها لن تلي أي ضوء على هذا الموضوع (١) ،  
وقد قفل بعد ذلك باب المناقشة .

إن أهم جزء في بيان وكيل وزارة الخارجية البريطانية أنه وصف — بحق —  
تسفير الشعب المصري في حفر قناة السويس بأنه تجنيد إجباري ، وأنه كائد  
يتم في جميع أوقات السنة بغير مراعاة المواسم الزراعية في مصر الأمر الذي  
أصاب الاقتصاد المصري بأضرار جسيمة ، وأن المتاعب والآلام لم تصب العمال



المصريين وحدهم ولكنها امتدت إلى سائر أفراد المجتمع المصري من نساء وأطفال .

وفضلا عن ذلك فقد كشف بيان وكيل وزارة الخارجية البريطانية عن عدة حقائق منها أن تسخير الشعب المصري في حفر القناة - أو التجنيد الإجباري - قد فعل البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، قامت به إلى الشلال الأول - جنوبي أسوان . وأن شركة القناة كانت تستقبل عمالاجندا بمعاملها القلبي ، وأن عملية التفتير كانت تستغرق بعض الوقت وهو أمر أشاع الكثير من خروب الآلام والبؤس في أنحاء البلاد . أما الحقيقة الثالثة فهي مسألة المتعدين اليونانيين الذين كانوا يقيمون عمالا مصريين للشركة في مقابل أجر خاص من كل رأس ، ولعل في استيصال وكيل وزارة الخارجية لهذا القبط - رأس - مايكشف مما يرمى إليه من نهك وصخرة وحقيقة مؤلة . على أن شركة القناة قد ضاقت فورا بالبالغ التي كانت تؤديها للمتعهدين وهي عشر بارات من كل رجل في اليوم الواحد فاستغثت عن خدمات المتعهدين وخاصة بعد أن توسع سبيل باشا في تمديد لائحة العمال وباتت السلطات المصرية تقدم الألفا عديدة من أفراد الشعب المصري لتسجيرهم في حفر القناة . أما مسألة أجور العمال فلم يملك وكيل وزارة الخارجية برأي قاطع فيها ومختصر لحقيقتها فيها بعد .

• • •

وقد سارع دي ليس إلى إرسال خطاب ضاف مفتوح بتاريخ ٢٣ مايو ١٨٦٢ إلى لايلارد وكيل وزارة الخارجية البريطانية الذي تكلم باسم الحكومة في جلسة ١٦ مايو ١٨٦٢ بمجلس العموم . فقد رأى دي ليس أن المناقشات التي دارت في هذه الجلسة قد تضمنت إعطاء أرى واجبا على أن أصبحها لأنها تعطي الرأى العام معلومات خاطئة عن المشروع التي أشرف بأن أكون على رأسه .

وفي مستهل هذا الخطاب أعرب دي ليس عن اغتيابه وشكره لأن ٢١٥

الذين اشتركوا في هذه المناقشة وفيهم وكيل وزارة الخارجية البريطانية قد اتفقوا ضمنا على فوائد المشروع من ناحية السياسية، كما سجل دى ليس الاعتراف الصريح الذى جاء على لسان النائب سكوت بالزايا التى يجنيها انجلترا من تنفيذ المشروع وأن الشركة بعيدة عن النفوذ الذى يقطن البعض أنه يوجهها .

تطرق دى ليس بعد ذلك إلى الناحية الإنسانية الخاصة بالفلاحين المصريين فحاول أن يقيم الدليل على أنه ليس للحكومة الإنجليزية حق التدخل في مسألة السخرة في مصر ، لأن السخرة من عادات البلاد ومن نظمها لم ي تعتبر من صميم الشؤون الداخلية للحكومة المصرية ، واستطرد فقال إن الرق موجود في أمريكا كما يوجد نحو أرمين مليونا من الأرقاء في روسيا، ومع ذلك فلم تحرك الحكومة الإنجليزية ساكنا . واستشهد بأسبانيا فقال عنها إنها دولة كاثوليكية متعصبة لا تسمح لأحد باعتناق أو نشر مذهب يخالف المذهب الكاثوليكي ، وقد حوكم أفراد كثيرون في أسبانيا لأنهم عملوا على نشر المذهب البروتستنتي . ولما كانت انجلترا دولة تدلن بالمذهب البروتستنتي فقد تعرض البرلمان الإنجليزي لهذا الموضوع . وقد صرح اللورد بالمرستون في البرلمان برأي الحكومة الإنجليزية في هذا الموضوع قائلا « إن هذه مسألة تشريع داخل ولا يمكن التدخل رسميا لدى الحكومة الإسبانية » . وهنا تساءل دى ليس لماذا كفت انجلترا عن التدخل لدى واشنطن ؟ ولماذا لم تطالب سان بطرسبرج بإلغاء رق الأرض ؟ ولماذا أظهرت هذا التحفظ في مدريد ؟ وفي نفس الوقت تعمل على اتباع سياسة مناقضة لهذه الروح في القاهرة ؟

وتدرج دى ليس بعد ذلك إلى مهاجمة النظم الاجتماعية وقسوتها في انجلترا نفسها ، وأفاض في الكلام عن سوء نظام استغلال الصبية الإنجليزي وكيف يؤخذون للعمل في سن مبكرة جدا وعما عن إرادتهم . ووصف ما يلاقون من عنف وقسوة من توقيع العقوبات البدنية عليهم وحرمانهم من الأكل إلى غير ذلك من صلبم العقوبات التى تتناق مع روح الإنسانية .

وأشار إلى مسألة المتنوس وحالة العمال الذين يعملون في الممتلكات الإنجليزية بالمند ثم قال : « فإذا تخلصت فرنسا باسم الحضارة والإنسانية في هذه المسائل المؤلمة فأى هياج يحدث في إنجلترا بسبب هذا التدخل ؟ وإذا كان لإنجلترا حق التدخل لحماية الفلاحين المصريين ألا يحق للدول الأخرى أن تتدخل لحماية الصبية الذين يعملون في المصانع الإنجليزية ؟ » .

وكان طبيعياً أن يبرز دى ليسبس في الخطاب ما جاء على لسان النائب سكوت في مجلس العموم من قوله إن الفلاحين يعيشون في العوز في أحوال تفضل أحوال معيشتهم في قراهم . وقد اعز به الشهادة التي جاءت على لسان نائب الإنجليزي احترازاً حقيقياً .

وعرج على السخرة فقال عنها إنها نظام مألوف في بلاد الشرق ولا يستطيع إنجلترا أن تنكر حق الحكومة المصرية في جميع العمال لتنفيذ المشروعات العامة . فيفضل نظام السخرة ثم إنشاء الخط الحديدي من الإسكندرية إلى القاهرة ومن القاهرة إلى السويس ، ولم تعرض الحكومة الإنجليزية على استخدام السخرة في تنفيذ هذا المشروع لأنه يخدع الإمبراطورية البريطانية ومصالحها . واستطرد مذكراً أنه حين عصفت السيول بجزء من خط السويس الحديدي الصحراوي ، اضطرت فنصل إنجلترا على الحكومة المصرية لشهد أكبر عدد ممكن من الفلاحين لإصلاح هذا الخط بسرعة حتى لا يتعرض تقفل البريد الإنجليزي الإمبراطوري لأى تعطيل . وذكر دى ليسبس أن الحكومة المصرية أشرفت في جميع عمال السخرة لهذا الغرض حتى بلغ عددهم خمسين ألفاً . وأشار إلى الآلام التي تحملها العمال وإلى الصعاب التي مضوا نتيجة التسرع في جمع العمال قبل إعداد الأحمات وماء للشرب لهم في الصحراء .

وناقش دى ليسبس بعد ذلك مسألة استخدام العمال المصريين في عمليات حفر قناة السويس ، فقال إن موضوع استخدامهم قد نظمته اتفاقات عقدت بين والى مصر محمد سعيد باشا وبين الشركة . وكان ضمان راحة الفلاحين المصريين وتحسين أحوالهم موضع العناية عند وضع هذه الاتفاقات . وأوضح أن معارضة الحكومة الإنجليزية لمشروع القناة هي التي أوجت باستخدام العمال

المصريين بهذه النسبة الكبيرة لتجنب إثارة مخاوف إنجلترا من قلعوم حال  
أجانب بكثرة كبيرة تهدد مركز مصر السياسي . وأكد دى لسبس أن  
البحاير في أوروبا قد أقبلت على الاكتتاب في رأس مال الشركة على أساس  
هذه الإضافات التي سبق للحكومة المصرية أن اوتبعت بها ، ثم قال إنه  
إذا لم تغد الحكومة المصرية لائحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ الخاصة باستخدام العمال  
المصريين في عمليات حفر القناة فإن ذلك يؤدي إلى تدخل الحكومة الفرنسية  
لحماية رؤوس الأموال الفرنسية التي تتعرض للخطر .

وذكر دى لسبس في هذا الخطاب أن والى مصر قد حرص في لائحة ٢٠  
يوليو ١٨٥٦ على أن يكمل العمال المصريين سبل الدراسة، وأخذ يمدد المزايا  
التي يظفرون بها في هذه اللائحة من حيث الأجور ، التي تفوق الأجور  
المعاداة، والتغذية الطيبة ومنع توقيع العقوبات البدنية عليهم والعناية الصحية  
بهم والعلاج الجاهي . وذهب دى لسبس في الإفادة بهذه اللائحة إلى قوله بأنه  
« لما نشرت هذه اللائحة استقبلها أوروبا بأسرها بمظاهر الإعجاب . ولم يجرؤ  
أحد على توجيه أى نقد لها » .

وأخذ دى لسبس بعد ذلك يفند الليانات التي أقيمت في مجلس العموم  
البريطاني بجلية ١٦ مايو ١٨٦٢ غنى منها ما تناووس مع مصلحة عمال السفرة  
وقال عن الأجور « إنها تدفع إلى العمال شخصيا ومباشرة دون وسيطة أحد  
من رؤسائهم ، وإن العمال يتناولون هذه الأجور نقداً وفي الأمكنة التي اشتغلوا  
فيها ، فليس هناك أى ظل للخصيصة في هذه الوقائع التي ذكرت في البرلمان عن  
اضطرار الفلاحين إلى قطع المسافات للنهاب إلى القاهرة لصرف أجورهم  
وتركهم فريسة في أيدي المرابين في القاهرة » .

وفند مسألة توقف المفاوضين عن دفع الأجور وقال « إنه لم يسمح لعامل  
بالعودة إلى قريته قبل أن يسوى حسابه ويتناول أجره كاملا وهذا ما أؤكدكم  
لجنتابكم . وإلى على اعتماد لإثباته لأى فرد يناقضي » . وقال إن الوقائع

تتكلم بنفسها فقد توفي من بين عشرة آلاف رجل في البرزخ عاملان فقط  
وهذه النسبة أقل بكثير جداً من نسبة الوفيات في كافة أنحاء مصر .

وأطلق دي ليسبس العنان لقلمه فأشاد بأسطورة ابتدعها عن أثر السخرة  
في حفر القناة في رفع مستوى المعيشة بين أفراد الشعب المصري ، وكان مما قاله  
في هذا الصدد : إن الفلاحين يحتفلون رويداً رويداً بمحضرتنا . عظيم أن  
نعمل اليوم اليوس ولكن نحن نحمل إليهم ملايين الترنكات نذهبها لهم كأجور .  
وهذه الملايين تنشر في الريف وتستخف في فترة من الزمن من ويلات الريا  
التي هو آفة مصر . نحن نسو بالفلاح إلى مرتبة العامل الحر . نحن نساعد  
محمد سعيد على تحقيق برنامج في الحضارة .

وتلوح بعد ذلك مدافعاً عن صديقه محمد سعيد فذكر الإصلاحات التي  
أدخلها الوالي النهوض بمسرى الفلاح وهي الإصلاحات التي تضمنتها  
اللائحة السعيدية التي صدرت في ١ أغسطس ١٨٥٨ .

وأخيراً اختتم دي ليسبس خطابه بإياديه أنه في أن تتعاون الدولتان -  
فرنسا وإنجلترا - بإعطاء وإخلاص النهوض بالحضارة ونشر الأنوار والآراء  
في العالم (١) .

هذا هو موجز الرد الذي أرسله دي ليسبس ، وهو خطاب شديد اللهجة  
في معظم أجزائه يدل على مقدار الحق الذي أحدثته البيانات التي أقيمت في  
مجلس العموم في نفسه ووقتها في دوائر الشركة مما حمله على إرسال هذا  
الخطاب الضافي .

والواقع أن هذا الخطاب لم يتناول الوقائع التي أقيمت في مجلس العموم فحسب ،  
فهذه لم تسترق إلا جزءاً يسيراً جداً من الخطاب ، ولكنه تعرض لمشروع

---

(١) نشرت جريدة الشركة هذا الخطاب في العدد ١٤٢ الصادر في أول يوليو  
١٨٦٢ من ص ١٧٩ - ١٧٩ مجموعة له لسابعة ، كما نشره دي ليسبس في وثائقه  
أنفوس

De Lesseps R. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV

القناة برمتها وموقف إنجلترا منه فتضمن الخطاب ألوانا من الطعن والتنديد  
سليمة إنجلترا وإبراز معايير الحياة الاجتماعية فيها ، ودافع عن السخرة من  
حيث أنها نظام مألوف في بلاد الشرق ، وأفاض في الكلام عن مزايا لائحة  
٢٠ يوليو ١٨٥٦ ودافع عن سعيد باشا « الذي يهتم بالباطل » كما قال في  
خطابه .

على أن أهم ما بلغت النظر في هذا الخطاب هو التهديد السافر الذي  
وجهه دي لسبس بتدخل الحكومة الفرنسية إذ حيل بين الشركة وبين تسخير  
الشعب المصري في حفر القناة . وقد بين تدخل الحكومة الفرنسية على أساس  
حماية الأموال الفرنسية التي أسهمت في مشروع القناة . وقد أشهر دي لسبس  
هذا السلاح في وجه الحكومة الإنجليزية وغيرها ، لأن خطابه كان مفتوحا إذ  
كان يخشى أن تكون المناقشات التي تثار تباعا في مجلس العموم حول تسخير  
المصريين في حفر القناة أثر على عمليات الحفر وتحرم الشركة من عمال للسخرة .

وهذا التهديد بتدخل الحكومة الفرنسية بصور السياسة الأوربية أصلي  
تصوير تجاه مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر : فأوروبا تنزو  
مصر غزوا ماليا أول الأمر ثم تنهز أية فرصة للتدخل في شئون البلاد لتدخلا  
سياسيا ليكون هذا التدخل السياسي بدوره تمهيدا للتدخل العسكري . وكان  
يحلر بسعيد وإسماحيل أن يتخطا من هذا التهديد ، وكان إسماحيل يحكم مصر في  
صيف ١٨٦٢ نياية من عهد سعيد أثناء رحلته الأخير في أوروبا . فكان يجب  
عليه بعد أن عين واليا على مصر سنة ١٨٦٣ أن يتخذ من هذا التهديد السافر  
عظة له وحرسا ، فلا يسرف في عقد القروض الأجنبية حتى لا تمثل أوروبا  
هذه السياسة في فصولها الثلاثة المالية والسياسية والعسكرية .

أما من حيث تنفيذ البيانات التي أقيمت في مجلس العموم فإن دي لسبس  
قد خال في تكذيبها مغالاة لا يمكن قبولها ، ويكفي أنه قرر أن حاملين فقط  
توفيا من بين عشرة آلاف فلاح في حين أنه في ذلك الوقت كان وياه  
التقيوم مشترا في ساحة الحفر رقم ٦ بمنطقة حجة البحر شمالى بحيرة

التساح (١) وقد أودى هذا الوفاء بحياة العمال المصريين كما أصيب به بعض الأطباء المصريين والأجانب الذين كانوا يتولون الخدمة الصحية بين جموع العمال ولقي بعضهم حتفهم أثناء مكابحتهم هذا الوفاء (٢) .

وقد عملت شركة القناة بكافة الوسائل على نشر هذا الخطاب الموجه إلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية فنشرته في جريدة الشركة L'Estime de Suez في عدد الذي نشرت فيه تفاصيل ما دار في جلسة مجلس المصوم بتاريخ ١٦ مايو ١٨٦٢ (٣) . وهذا نقله بعض الجرائد الأوربية مثل Journal des Débats في عدده الصادر في ٢٤ يونيو ١٨٦٢ وعطفت عليه مقال بقلم Altony 1. (٤) هاجمت فيه إنجلترا واحتجّت القائل بقولها إنه لا يحق لإنجلترا وهي دولة لم تسهم بأي مبلغ في هذا المشروع أن تزعم لنفسها الحق في مراقبة سير المشروع من الناحية الإدارية والمالية . ولعلهم جيراننا رحلوا عنا أنه قد أتيت لهم في هذا المشروع القرض للكسب والاستعادة دون التعرض لأيّة خسارة . فإذا جمح هيتييون منه أكثر من أية دولة أخرى ، وإذا غلش المشروع فأذا بعينهم ؟ (٥) .

ثم يكف ديسلبس بهذا الخطاب ولكنه ناضل لكي يقر في أدهان الرأي العام الأوربي أن للشركة حقا في تسخير الشعب المصري في حفر القناة تحديداً للأمتعة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ ، معمد إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة

(١) أنظر المختصر الذي أرسله الدكتور روش Aubert Roche كبير أطباء الشركة إلى دي سس بتاريخ ١٠ أبريل ١٨٦٢ . يعلّمه بأن التيموس ظهر بين عمال الوعد القليل . نشر هذا الخبر في جريدة الشركة العدد ١١٤ الصادر في ١٠ يونيو ١٨٦٢ . ص ١٩١ - ١٩٢ مجموعة السنة السابعة .

(٢) المصدر السابق

(٣) العدد ١٢٣ الصادر في أول يوليو ١٨٦٢ ص ١٢٥ - ١٢٦ مجموعة السنة السابعة .

(٤) هو مؤلف كتاب Comment s'est fait le Canal de Suez

(٥) أعادت جريدة الشركة نشر هذا المقال في العدد ١١٦ الصادر في ١٦ يونيو ١٨٦٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ مجموعة السنة السابعة

في باريس أحاد فيها شرح المسائل التي تناولها في خطاب ٢٣ مايو ١٨٦٢؛  
 فأتى في أول يونيو ١٨٦٢ محاضرة عامة عن « حال الفلاحين المصريين  
 الذين يعملون في مساحات الحفر (١) » ثم أتى محاضرة أخرى في ٢٢ يونيو  
 ١٨٦٢ أفاض فيها الكلام على عطف سيد بالنا ودعايته للمشروع وعن  
 حال العمال المصريين والعناية الصحية التي يظفرون بها في مساحات الحفر (٢)  
 ثم أتى محاضرة ثالثة في نفس اليوم تناول فيها بالإسهاب موضوع العمال  
 والأجور التي يتمتعون بها إلى غير ذلك (٣) .

ولدى لبس رجل يبعد في اللعابة حتى يبدو أنه أحد المتخصصين فيها،  
 فعمل على إذاعة هذه المحاضرات في أوسع نطاق ممكن . وكانت وسيلة إلى  
 ذلك نشرها في الصحف الأوربية وبعض وكالات الأنباء وطبع  
 بعضها في كتيبات (٤) . فنشرتها جريدة Le Constitutionnel في عددها  
 الصادر في ٢٤ يونيو ١٨٦٢ (٥) وجريدة Moniteur de la Flotte  
 في عدده ١٠ يوليو ١٨٦٢ (٦) كما نشرت هذه المحاضرات وكالة هافاس Havas  
 الإخبارية في ٢٠ يوليو ١٨٦٢ ووزعتها على الصحف الفرنسية في باريس  
 والأقاليم (٧) وكذلك نشرتها وعلقت عليها جريدة Le Siècle في عددها ٢٨

- (١) نشرت جريدة الشركة هذا المحاضرة في العدد ١٤١ الصادر في ١٥ يونيو  
 ١٨٦٢ من ص ١٩٣ - ١٩٩ مجموعة السنة السابقة .
- (٢) نشرت جريدة الشركة هذه المحاضرة في العدد ١٤٥ الصادر في أول يوليو  
 ١٨٦٢ من ص ٢٠٤ - ٢١٣ مجموعة السنة السابقة .
- (٣) نشرت جريدة الشركة هذه المحاضرة في العدد ١٤٦ الصادر في ١٥ يوليو  
 ١٨٦٢ من ص ٢٢٥ - ٢٣١ مجموعة السنة السابقة .

- (٤) F. de Lesseps : Conférence sur les travaux du Canal de  
 Suez et le sort des ouvriers en Egypte. Paris 1862.
- (٥) أعادت جريدة الشركة نشر هذا المقال في العدد ١٤٥ من ص ٢١٢ -  
 ٢١٣ .

- (٦) أعيد نشره في جريدة الشركة العدد ١٤٦ من ص ٢٢٤ - ٢٣٠
- (٧) أنظر جريدة الشركة العدد ١٤٧ الصادر في أول أغسطس ١٨٦٢ من ص ٢٤٧  
 مجموعة السنة السابقة .



وبعد أسبوع واحد من المناقشة التي أثيرت في مجلس العموم بمجلسة ١٦ مايو ١٨٦٢ وجه نفس النائب جريفت سؤالا في جلسة ٢٢ مايو ١٨٦٢ إلى وكيل وزير الخارجية قال فيه : « أطلب إلى وكيل وزارة الخارجية إذا كانت حكومة حضرة صاحبة اللالة الملكة تعزم بذلك جهود جدية لمنع الباشا في مصر من الاستمرار في استغلال نظام المسخرة في أعمال القناة السويس (٣) » .

وقد جاء رد لايارد Layard وكيل وزارة الخارجية البريطانية على هذا السؤال مقتضيا للغاية فلم يزد على : « أن هذا الموضوع يبحث بين الحكومة المصرية وشركة القناة (٤) » .

وفي جلسة أول أغسطس ١٨٦٢ أثار جريفت نفس الموضوع في شيء كثير من الضعف ، وكانت النقطة التي أبرزها إنسانية بحثه ، فرجا أن تتوصل الحكومة الإنجليزية إلى التخفيف من الآم المصريين الذين يسخرون في حفر القناة ، واستغل فرصة قيام الحرب الأهلية الأمريكية من أجل إلغاء الرق وعطف الرأي العام في إنجلترا على أهداف هذه الحرب ، فوحف المصريين المسخرين في حفر القناة بأنهم أناس يائسون وأنهم يعانون من القسوة ألوانا تعوق القسوة التي يتحملها العبيد في أمريكا . ولهذا السؤال الذي وجهه جريفت هذه المرة دلالاته : وهي أنه لم يفتتح عما جاء في الخطاب المقترح المستفيض الذي وجهه ديسليس إلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٣ مايو ١٨٦٢ وأكد فيه أن العمال المصريين الذين يعملون في حفر القناة يظفرون بمعاملة طيبة من الشركة .

(١) أنظر جريدة الشركة العدد ١٤٧ ص ١٢٠٠ .

(٢) أنظر جريدة الشركة العدد ١٤٥ ص ١٢٠٠ .

(٣) المجلد ١٦٦ ص ٢٠٢٢ Hansard's Parliamentary Debates .

(٤) المرجع السابق .

وهذا هو نص سؤاله : « هل توصلت حكومة حضرة صاحبة الجلالة الملكة إلى التخفيف من استعمال السخرة في عمليات الحفر في قناة السويس ؟ إن قسوة فظيعة تنوق في شلتها استرقاق السيد في أمريكا تصب على هؤلاء الناس البائسين الذين ترغمهم الحكومة على العمل في هذا المشروع . وقد أصبح من المرغوب فيه أن توجه الحكومة كل جهودها لمنع مساوئ هذا النظام (١) » .

وقد أجاب لايلارد وكيل وزارة الخارجية البريطانية على هذا السؤال بقوله : « ليس في استطاعتى أن أعطي حضرة النائب المحترم تفصيلات أخرى غير التي أدليت بها في مناسبة سابقة . وقد ذكرت وتعتقد أنه من الحقيق أن خمسة وعشرين ألف عامل استخدموا في هذا العمل الإجباري الذي يزعهم البعض أن الفلاحين قد تقاضوا أجورا من عملهم هذا ، ولكني أعتقد أن هذا الرقم دون الحقيقة ، وأن عددا من الرجال يتراوح عددهم بين سبعين ألفا وثمانين ألفا قد انتزعوا من أعمالهم التي يؤدونها في قراهم كحي يشتغلوا في حفر قناة السويس . إن هذه الخطة لا بد أن تؤدي إلى بؤس عظيم . إنها تتعارض بشكل جدي وخطير مع الأعمال الأخرى التي تترك على الفلاحين أرباعا أو ثلثا إنتاج القطن . »

« ومع ذلك فليست هناك طريقة يمكن أن تتدخل بها الحكومة الإنجليزية لأنه في كل معاهدتنا مع الحكومة التركية قد احتفظت الحكومة الأخيرة لنفسها باستخدام هذا الأسلوب في العمل . »

« إن كل ما أستطيعه هو أن أرجو أن يترك والي مصر المساوئ التي لا حدها والتي ترواح تحتها بلاده ، وأن يضع حدا لنظام ينطوي على الكثير من ضروب الآلام والحرمان (٢) » .

(١) الجلاء ١٩٨٠ من ص ١١٢٧ - ١١٢٩ من المرجع السابق .

(٢) المرجع ١٩٨٠ من ص ١١٢٧ - ١١٢٩ Hansard's Parliamentary Debates .

ويلاحظ أن وكيل وزارة الخارجية قد أشار إشارة خفيفة إلى أن المصريين المسخرين في حفر القناة لا يتقاضون أجوراً عن أعمالهم ، وذلك على الرغم من التلطات الضافي الذي وجهه إليه دى ليس بتاريخ ٢٢ مايو ١٨٦٢ وأكد فيه أن العمال يقتولون أجورهم بانتظام . ولم يجانب وكيل الوزارة الحقيقة كثيراً حين قرر بصريح العبارة أن عدد العمال الذين يجبرهم الحكومة على العمل في حفر القناة وفق نظام السخرة قد ترواح بين سبعين ألفاً وبين ثمانين ألفاً، وذلك لأن عدد العمال اللذين كانت تسخرهم الحكومة لحفر القناة تراوح في ذلك العام وهو ١٨٦٢ بين عشرين ألفاً واثنين وعشرين ألفاً. وكان أولئك العمال يستبدل بهم غيرهم كل شهر . وقد خلص وكيل وزارة الخارجية من ذلك إلى أنه لا مناص من انتشار اليأس بين أفراد الشعب المصري نتيجة لهذه المهيئة، كما أكد أن السخرة في حفر القناة تؤثر على الاقتصاد القومي في مصر ، وأشار لأول مرة في هذا التمثال الذي قام بين إنجلترا وبين شركة القناة إلى مسألة القطن وسخر من لها في فصل قادم .

وقد كتب أرنست ديلاس مدير جريدة الشركة مقالاً ضافياً رد فيه على ما قار في هذه الجلسة (١) ولم يأت بمجديد بل كان المقال في مجموعه تكراراً لما ذكر في المناسبات السابقة التي كان يثار فيها موضوع السخرة في حفر القناة .

---

(١) المند ١٤٨ الصادر في ١٠ أغسطس ١٨٦٢ من من ٧٠٢ - ٢٥٥ مجرعة ٢٢٥  
لثة السابقة .

## الفيصل الثاني عشر

### موت العمال عطشا في ساحات الحفر

خطورة مشكلة ماء الشرب في ساحات الحفر — فشل الشركة في حلها — نقل الماء إلى بورسعيد من الإسكندرية ودمياط والمطرية — استخدام المكثفات — الهجاء الشركة إلى كبار المصريين في منطقة بحيرة المنزلة — أزمات مروحة في بورسعيد بسبب نفاذ ماء الشرب — خطورة الموقف في ساحات الحفر في الصحراء — الاعتماد على مياه الآبار — تأخير قوايل الماء — موت العمال عطشا — تحبط الشركة — العمال يشربون ماء أجاجا — اعتراف دي ليسر بخطورة الموقف — السبب الحقيقي لتفاقم المشكلة — الشركة تغلب الناحية السياسية على حياة المصريين — محكمة السين في باريس تشهد قصة المشكلة — سعيد يتخذ الموقف — حفر نرعة حلوة صغيرة — الشركة تلجأ إلى أنصاف الحلول — المشكلة في النصف الجنوبي من البرزخ — ١٠٠ ألف من عمال الصخرة يعملون في نرعة الحلوة إلى السويس — ازدهار مدينة السويس —

...

كان جلب ماء الشرب إلى جموع العمال في ساحات الحفر القائمة في صحراء البرزخ هو مشكلة المشكلات التي واجهتها الشركة منذ بدأت عمليات تنفيذ المشروع في ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ، إذ كانت تلك المشكلة من الخطر والتعقيد والصعوبة ما جعل كافة مشكلات التنفيذ الأخرى التي صادفتها تتضايل أمامها .

وقد فشلت الشركة خلال السنوات الأربع الأولى ( ١٨٥٩ - ١٨٦٢ )  
فشلا قريبا في حل مشكلة ماء الشرب وكان الاضطراب الشديد وارتجال

الحلول هما الطابع الذي اتسمت به تلك الفترة فيما يخص هذه المشكلة . ولم يبد رجالنا نقطة في مواجهة الموقف واستعدادا لتطورات ، وواجهت الشركة حالات خطيرة مكروية من نقص كميات الماء أو ناعادها أو تأخر وصولها أو انعدامها مما جعل تلك السنوات أحلك الفصول سوادا في تاريخ الشركة وأخطر فترة تعرض فيها المال لخطر الموت حطفا .

كانت منطقة بور سعيد هي أول بقعة بدأ فيها تنفيذ المشروع ، وأخذت الشركة تنقل إليها ماء الشرب أول الأمر من الإسكندرية في سفينة بخارية استأجرتها وكانت تسمى « سعيد » (١) وقامت للقوارب والسفن الصغيرة في بحيرة المنزلة بتسليم في نقل ماء الشرب إلى بور سعيد من المطرية (٢) كما استخضمت الجمل في نقله من دمياط (٣) . وإلى جانب ذلك استوردت الشركة تباعا خلال عامي ١٨٥٩ ، ١٨٦٠ ثلاثة مكثفات لتحويل ماء البحر إلى ماء عذب سائغ شرا به (٤) . وكففت الشركة عن جلب ماء الشرب من الإسكندرية واقتصرت على إحضاره من دمياط والمطرية بجانب إنساج المكثفات الثلاث .

ولم تكن هاتان الوسيلتان كافيتين لوفاء حاجات عمال بور سعيد وساكنيها ، وكانت المكثفات تتوقف عن العمل بسبب عطب يصيب بعض أجزائها .

(1) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 79.

(2) Percy Badger, *ouvr. cit.*, p. 41.

(3) Bourdon, *Le Miracle de l'eau. Histoire de l'eau douce dans l'isthme de Suez*, p. 323.

وكذلك

Fol., *ouvr. cit.*, p. 14.

(٤) خصوص تلك المكثفات انظر مكانه من .

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, pp. 79, 145 et 168.

Ritt Olivier, *ouvr. cit.*, pp. 173 et 183.

وجريدة *L'Isthme de Suez* العدد ٩٦ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٦٠ ص ٢٠٢  
عصره أمة الخامسة .

وتأخذ الشركة وقتا طويلا في إصلاحها بسبب عدم توفر قطع الغيار . وكان خطر انقطاع ورود الماء أو عدم كفاية كميته لا يزال قائما ، وهو أمر كانت تترتب عليه نتائج خطيرة من تعرض أرواح المستخدمين والعمال لتلوث الموت عطشا ومن اضطراب الأمن وتعطيل سير العمل .

لجأت الشركة إلى مصطفى عثاني بك ، وهو أحد كبار المصريين المشتغلين بتجارة صيد الأسماك في منطقة بحيرة المزة ، وكان له سلطان كبير على سكان تلك المنطقة ويمتلك حندا واهرا من سفن الصيد . وافقت معه على أن يرسل كميات من الماء للمدب لا تقل عن ستة أمتار مكعبة في اليوم ويصمها في براميل ، تقدمها له الشركة ، وينقلها في قواربه لترسو بها تجاه القنار القائم في ميناء بورسعيد (١). وفي مقابل ذلك يتقاضى عثاني بك ستة فرنكات من الممر المكعب من الماء (٢) . وكان هذا الاتفاق في مصلحة الشركة إذ كان الممر المكعب من الماء الذي تصهبه المكشطات يكلف الشركة عشرين فرنكا .

ولكن لم يستمر ذلك الاتفاق أمنا طويلا ، واعتصمت الشركة بحبل وسائلها الخاصة في جلب ماء الشرب عبر بحيرة المزة ، ثم فشلت وعادت إلى الأخذ بالنظام السابق ، فمضت في يونيو ١٨٦١ اتفاقا مع محمد إبيجار—وهو أحد أصحاب السفن في بحيرة المزة ومن ذوى الموارد الضخمة — لنقل ماء الشرب في براميل تمدهت الشركة بتقديمها إليه ، ولكنها عجزت عن تقديم العدد الكافي منها إلى أن استطاعت استيراد عدد منها في سبتمبر ١٨٦١ . وكانت كل سفينة تحصل برميلين من الصباح . وكانت سعة كل برميل مترا مكعبا من الماء ، والذي وصول السفينة إلى بورسعيد تفرغ شحنتها ، بواسطة مضخات ضاغطة ، في خزان شيدته الشركة من الصباح ويسع ٣٢ مترا مكعبا .

(١) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc. ouvr. cit., t. III, p. 430.

Vosin Bey, ouvr. cit., t. VI, pp. 217-218.

(٢) تقول جريدة L'Isthme de Suez إن الممر كان غرة فرنكات . الممر للمسد ١٠٩ المسافر في أول يناير ١٨٦١ من ص ٢ - مجموعة السنة السادسة .

وكان ثمن المتر المكعب عشرة فرنكات . وقد استمر ذلك الاتفاق نافذا مع محمد البخاري حتى فرغت الشركة من مد خط أنابيب الماء من الإصايلية إلى بورسعيد في أبريل ١٨٦٤ (١) .

وعلى الرغم من هذه التداير فقد كان الماء في بورسعيد عزيزا صعب المثل ، وظل الهال هناك يعانون الكثير من حرور الحرمان ويعرضون للموت عطشا بسبب نفاد الماء في المدينة وتأخر وصول مقادير منه إليها . ويتضح ذلك الحرمان وتلك المخاطر من وصف كتبه أحد الفرنسيين عاش في تلك الأخطار :

« بورسعيد في ١٥ من ديسمبر ١٨٦١

« لقد خرجنا من أزمة خطيرة مروعة فقد كسر أحد المكثفات . ولم تكف مقادير الماء التي يتسببها المكثفان الآخران لمواجة استهلاك المدينة اليومية ، فقلنا عدد السكان زيادة كبيرة ولم نستطع الاعتماد على الماء الملعب الذي تجلبه من المطرية سفن الرئيس محمد البخاري الذي عقد معه اتفاق لنقل الحماجات عبر بحيرة المنزلة وخاصة لنقل ماء الشرب إلى بورسعيد ورأس العش .

« وما زاد الموقف حرجا هبوب عاصفة شديدة دامت ستين ساعة متتالية . ولم يصل إلينا أي قارب أو سفينة طوال المدة التي استمرت خلالها العاصفة . ولم يكن هناك يد من أن نطبق نظام توزيع الماء على السكان بالبطاقات . وكان نصب القرد لايديد على تمرين من الماء لكافة استهلاكاته...

« ولما حل اليوم الثالث ولم يظهر أي قارب أو سفينة في طريقها إلينا تجمهر الهال ووقفوا عند مرسى السفن المنتظر وصولها من المطرية . ولم تكف هذه القوارب تقف بجانب مراسيها حتى اندفع الهال المتجمعون - وكان عددهم يتراوح بين مائتين وثلاثمائة حامل - ودفعوا بجناح وبكل عنف رجال هذه

(١) الاتفاق المذكور في جازان بك الحسنة السليمة ص ص ٢١٨ - ٢١٩ وانظر أيضا الجزء السابع ص ص ٦ - ٧ من نفس المصدر

القوارب وفتحوا برميل الماء واغصبوا شحنة المياه ..... لم تبق جرة من الماء في هذه القوارب وقد غادر العمال المكان .

#### ٥ إن الموقف خطير ... (١)

وقد تكررت تلك المأساة في الشتاء التالي إذ قامت عواصف هوجاء في ديسمبر ١٨٦٢ تجاه بورسعيد وحالت دون وصول قوارب الماء ، فعملت الشركة حل جليبه من بحر يقع عند ٥ كم طينه ٥ حل بعد ٢٥ كيلو مترا من بورسعيد غير أن ماء ذلك الثرم يكن مسساخا (٢) .

ولا ينبغي من البال أن بورسعيد كانت تفضل غيرها من مراكز العمل ومساحات الحفر القائمة في خانق البرزخ ، إذ توجد بها ثلاثة مكشحات والاتصال بها ميسور بمرأ ، والقوارب تشق طريقها إليها من جهات متعددة في منطقة بحيرة المنزلة ، والجبال ترتاد الشريط الساحلي الواقع بين البحر المتوسط وبحيرة المنزلة في طريقها من دحايط إلى بورسعيد . كما أن نشاط الشركة في بورسعيد لم يكن طارفاً فقد كانت أول منطقة شهدت تنفيذ المشروع .

وإذا كان الموقف في بورسعيد لا يزال خطيرا بعد أن سلخت الشركة قرواية ثلاثة أصوام منذ بدأت في تنفيذ المشروع وعلى الرغم من كل المميزات التي كانت تتمتع بها بورسعيد فإن الموقف كان مروعا بشعا في مساحات الحفر القائمة في أعماق الصحراء في برزخ السويس . فقد ابتعدت عمليات الحفر بعد ذلك عن منطقة بورسعيد وانتقلت جنوبا إلى القنطرة وقردان ومرتمعات حبة الجسر حتى بحيرة الفصاح . وأخذت الشركة تنقل الماء إلى العمال في مساحات الحفر من بعض آبار متتالية في الصحراء (٣) .

(١) Ritt, ouvr. cit., p. 225.

(٢) Fel, ouvr. cit. p. 15.

(٣) كانت هذه الآبار :

أ - أبو صبور غربية حبة الجسر .

ب - القريش من بلاد نفطية .

ج - السبع يار بين القريش والسبعين .

د - أبو القروية : تلك القرية حبة حبة الجسر .

هـ - أبو شنان : بحيرة القنطرة .





كان للماء عند استخراجهِ من الآبار بوضع في براميل تحملها الجمال إلى أماكن حشد المياه (١) وكان كل جمل لا يحمل سوى برميلين ، سعة كل منها سبعون لثراً (٢) وكان متوسط المسافة التي يقطعها الجمل في اليوم ٤٥ كيلومتراً (٣) وكانت الجمال تسير في قوافل ، قوام كل قافلة عدد يتراوح بين عشرة جمال وعشرين جملاً ومعها العدد اللازم من الجالين ورئيسهم الذي يكون في مقدمة القافلة (٤) . واستوردت للشركة لهذا الغرض عدداً كبيراً من البراميل (٥) واستأجرت عدداً ضخماً من الجمال لهذه أنصاف الشركة بأنه كان يتراوح بين ١,٥٠٠ ١,٦٠٠ جملاً (٦) .

إن هذا الأسلوب الذي سارت عليه الشركة في جلب ماء الشرب إلى ساحات الحضر كان بدالياً . ونحن لانطلق هذه التسمية جزافاً بل نستديرها من أشد الكتاب الفرنسيين مناصرة لذي ليس ومساندة لشركة القناة (٧) فالأدلة كانت تجلب من مساعدات بعيدة للغاية على ظهور الجمال ، ويكفي أن نذكر أن قافلة الجمال كانت تأخذ أربعة أيام في ذهابها من القنطرة إلى مورد الماء وفي عودتها منه (٨) وإذا تأخر وصول القافلة ، وهو أمر كان يحدث غالباً ، كان الموت يحصد المياه حصلاً (٩) . ومن هنا يقول فارمان إن الجمال كانوا يموتون كالذباب (١٠) . أما ديسي فيقول إنهم كانوا يموتون كالأشياء (١١) .

(١) Micard ' Le Canal de Suez et le génie français, Paris p. 136.

(٢) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 221

(٣) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VII, p. 4.

(٤) Ritt. ouvr. cit., p. 232.

(٥) ibid.

(٦) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VII, p. 5.

أما فارمان فتصل الولايات المتحدة في مصر فيقرر أن ١٦٠٠ جمل أو أكثر قد استغمت لهذا الغرض وأن مصر هي التي تمتعوا منها البلد من الجمال . انظر

Farman, ouvr. cit., p. 202.

(٧) Fontane Marins, ouvr. cit., 2ème partie, p. 138.

(٨) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 168.

(٩) Hoskna, ouvr. cit., p. 365.

(١٠) Farman, ouvr. cit., p. 203.

(١١) Dacey ouvr. cit., cit. p. 38.

كان معظم العمال يلوذون بالفرار من ساحات الحفر حين يستشعرون الخطر الناجم بسبب نفاد كميات الماء وتأخر وصول مقادير أخرى فيلتهمون النجاة بالهرب قبل أن يتركهم الموت . وكانوا في تلهفهم على النجاة بأرواحهم لا يقدرون على مقاومة ما هم مقفون عليه من اجتياز صحراء وهم لا يحملون ماء ، ويتسولون بعد الشقة التي تفصل بين ساحات الحفر وبين الأماكن المأهولة والتي توجد فيها مياه الشرب ، فكانوا يلغون حثفهم في الطريق من شدة العطش وتظل جثثهم في الصحراء على رمال الصحراء تبثها الدباب ، ويقول ريت : « إذا صلت الطريق قافلة الجمال التي تحمل ماء الشرب نتيجة أوامر أمسيء إعطاؤها أو أمسيء جمعها أو أمسيء تعبئتها فإن فرجا بأسرها من شمال يعوزه الماء ، ويكون هربهم هو أقل الكوارث التي تنجم عن هذا الحادث (١) » وقد ذكر هذا الكاتب حرب العمال على أنه أقل الكوارث ، ولا شك أنه كان ينظر من زاوية معينة هي مصلحة الشركة ، فاعتبر حرب العمال كارثة تؤثر على إنتاج الشركة في الحفر ، وتجنب أن يذكر الكوارث الأخرى التي تصيب المجتمع المصري نتيجة موت الفلاحين عطشا في ساحات الحفر . وليس بمستغرب أسلوب هذا الكاتب في وصف صحايا مشكلة ماء الشرب ، لأنه فرنسي ومستخدم في شركة القناة يتم مصالحها وكثيرا ما دافع في كتابه عن تصرفاتها .

وكان هناك فئة من العمال يستسلمون لقضاء الله وقدره ، لا يرحلون ساحات الحفر يحملونهم الأمل في وصول القافلة التي تحمل ماء الشرب . وكان يطول انتظارهم ويلغظون أنفسهم قبل أن تتركهم قافلة الجمال .

أما العمال الذين قتلوا لم النجاة فقد قاسوا كثيرا من جراء هذه المشكلة ، إذ كان بعضهم يشرب من آبار يحمل ملوؤها إلى الملوحة ، كالعمال الذين اشتغلوا في منطقة بحيرات البلاح ، إذ كانوا يأخذون حاجتهم من الماء من بئر ( أبو الروق ) . وكان اتعدام الماء الصالح للشرب في تلك المنطقة

يضطرم اضطراباً إلى تناول ذلك الماء الأجاج (١) وظل العمال يتجرحون ذلك الماء رجحا من الزمن إلى أن دل أحد رؤساء الأعراب، ويسمى الحاج سلم، رجال الشركة في أغسطس ١٨٦١ إلى موقع بئر بالقرب منهم هو بئر (أبوشنان) (٢) تصلح مياهه لشرب الإنسان، فوجهت الشركة قوافل العمال شطره تنقل مياهه إلى العمال (٣). ويكشف هذا الحادث عن اضطراب الشركة، فلم تقم بدراسة تربة البرزخ، دراسة واقية على الرضخ من أنه كان لها علة فرق فنية عهدت إليها في مناصبات عديدة ارتقاد البرزخ ودراسة تربته والكشف عن مواطن الآبار فيه (٤).

ومن دلائل ارتجال الحلول والاضطراب الشديد أن تشرع الشركة في تنفيذ مشروع موثقت بحلب ماء للشرب إلى مناطق كثيرة واسعة، ثم تركه جانباً حين تكتشف على مقربة من مكان المشروع، في منطقة تحفها التلال، بئراً يصلح ماؤه لشرب الإنسان تنصرف إليه، ويضيع الوقت الذي صرف في الدراسة والإحدا، وتضيع الجهود التي بذلت في تنفيذ بعض مراحل المشروع (٥).

(1) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VII, pp. 5-6.

(2) Berchère, *ouvr. cit.*, p. 49.

نجد في هذا الكتاب قصة الشور على ذلك البئر.

(3) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 220.

(٤) كانت الشركة قد كوتت حفر في القيام بالأبحاث في البرزخ، وقد عهد إلى الفترة الثالثة ببحث عن الآبار. كما أن مجلس إدارة الشركة قد أقر في جلسة ١٤ فبراير ١٨٦٠ عدة تدابير كانت لجنة الإدارة قد اتخذتها بجلته ٢١ يناير ١٨٦٠ وكان من بينها فتح أراضي البرزخ ودراسه والصرف عليها. انظر

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, pp. 82, 141-144 et 145.

(٥) كان هذا المشروع يقوم على الاستفادة من مياه الفجر البلوذي القديم ضمن تروعة تخرج من ذلك الفجر عند قرية تل حفة قبل مسير في بحيرة المزللة. وتوجه القروعة شرقاً مسافة ٢٠ كيلو متراً حتى تبلغ القنطرة لتتلقى بمطقتها ماء الشرب، وفي نفس الوقت تنقله الشركة في القنطرة بحفة ثانية يجمع بها خط أنابيب، ماء يتجه شمالاً إلى بئر سيده قبل بئر المديرة وسائر مناطق الحفر ومراكز العمل التي تقع في طريق خط الأنابيب. ومن ناحية ثانية تمتلك الشركة موقع القنطرة حصل القنطرة الجديدة الصغيرة - مصطرة قنطرة السوس - فتتلقى ماء التروعة

كما كانت الشركة تقوم بتفليد مشروع موقت، هو مشروع بحيرة المحسة،  
بفتحها عن ماء الآبار وتصرف فيه جهنم وولجها ومالا، ولكنه يشل فشلا تاما  
تضحي في طريقها الأولى للبداية من حيث الاعتماد على قوافل البغال في نقل  
الماء من آبار الصحراء (١).

وكان نقل مياه الشرب بهذه الطريقة البدائية إلى ساحات الحفر يكبد  
الشركة نفقات باهظة، فبلغت تكاليف نقل المتر المكعب من الماء إلى منطقة  
المنطرة ٢٥ فرنكا أي ما يوازي مائة قرش تقريبا، وإلى منطقة حفر ٢٠  
فرنكا، وإلى جبة البحر ١٥ فرنكا (٢).

وليس أدل على نقص كميات ماء الشرب من خطاب نشره ديسبس  
في وثائقه. وكان قد أرسل هذا الخطاب من القاهرة بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٦٢  
إلى مندوب المفاوض العام للشركة في منطقة بئر، أبو بلح، بالقرب من بحيرة  
التمساح، وقد جاء فيه: «أبلغني الوالي أن رجال الوجه القبلي يشكون من أنه  
وزع عليهم منذ اليوم الأول لوصولهم ساحات الحفر خبز جاف قد تحرب  
إليه النصف، وأن ماء الشرب كان قليلا، وأن.....». وقد بقيت له كل

---

وغير ذات مصاريح أو قوارب حاذبة توضع ليليا براميل قلاء ماء وتسير القوارب  
في القناة البحرية إلى فردان منه فتح يرتفعات حبة البحر، ومن هناك تحملها  
الجبال وتوزعها على ساحات الحفر الواقعة في المنطقة الشمالية من مدينة الحمر.  
وإستكالا لأسباب نجاح المشروع شجعت الشركة في يوليو ١٨٦١ هذا من جهة  
الفرع البلودي بمحسز حلقه ماء القيسل بدلا من شيلها في بحيرة المزالة من ناحية  
ولصية منسوب المساء في ذلك الفرع فتصاب المياه في ترعة تل نفسه في سهولة ووفرة  
من ناحية أخرى. ثم شرعت في حفر الترع من ناحية الفرع البلودي حتى إذا بلغت  
في حفرها سلطة خمسة كيلو مترات أوقفت العمل لاكتشاف بئر أبو شنان

(١) كان هذا المشروع يقوم على الاستفادة من مياه بحيرة المحسة لغرض حنة  
البحر. ورأت الشركة أن تحفر ترعة طولها ٢٦,٨٠٠ متر تخرج من بحيرة المحسة  
وتصب في بئر أبو بلح، وهناك تحفظ المياه في حوض تشبه الشركة ويخرج منه  
خط مزدوج من الأنابيب ينصب فيه الماء إلى ساحات الحفر في حبة الحمر.

هذا. ولكن ليس هناك دخان بلون نار . عليك أن تنظر في الأمر بنفسك (١) .  
وقد تكلم دى ليس هنا عن عدم كفاية مقادير ماء الشرب ، وتجنب أن ينشر  
شيئاً عن نضاد ماء الشرب أو تأخر وصوله إلى آخر تلك الكوارث التي حلت  
بالحال المصريين في ساحات الحفر وألفت بهم في موارد الهلاك . ولكنه قرر  
في مناسبة أخرى أن شغله الشاغل كان إعداد الوسائل اللازمة لتوفير الحال  
وسط الصحراء وعلى الأخص إمدادهم بماء الشرب قبل كل شيء . وقد  
ذهب إلى أن مشكلة حفر قناة السويس إنما هي في توفير ماء الشرب في  
ساحات الحفر ، أى أن نجاح تنفيذ المشروع وإعداد الكميات الكافية من ماء  
الشرب إنما هما عبارتان مترادفتان (٢) .

والشرط الأخير من قول دى ليس هو دفاع عن الشركة سقيم لتبرير  
موقفها ، إذ لا شك أن شركة القناة كانت مسئولة عن هذا الوضع وعن  
الضائقة الجسيمة في الأرواح ، لأنها قبلت وأساء على عقب المتاجر المرسوم  
لتنفيذ المشروع ، واعتست بالناحية السياسية وأغفلت الناحية الإنسانية ،  
وبعبارة أخرى لم تكثر بأرواح العمال وعيت وقتت بتدعيم مركزها  
في المعترك الدولي .

ولتضيق ذلك نقول إن عقد الامتياز الثاني الصادر في ٥ يناير ١٨٥٦  
نص على أن تقوم الشركة إلى جانب إنشاء قناة السويس بحفر ترعة إلهام المذب  
تستخرج في أغراض الري والملاحة الهريية ، تخرج من النيل إلى بحيرة الفساح  
ثم تنسرع إلى فرعين أحدهما يتجه شمالاً إلى بوسعيد والآخر جنوباً إلى السويس .  
وكان لبيان بك وموجل بك كبيراً مهتمى الحكومة المصرية قد وضعا  
بتاريخ ٢٠ مارس ١٨٥٥ - قبل صدور عقد الامتياز الثاني - تقريرهما

(١) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 149-150.

(٢) عبارة عابسه ألقاها دى ليس في جلسة المئتمنين بتاريخ ٢٢  
يوليه ١٨٦٢ ولشرت في حريدة L'Isthme de Suez العدد ١١٦ الصادر في ١٠ يوليه  
١٨٦٢ مجموعة السجلات السابقة .



وأصدر سعيد باشا « أمرا كريما » جاء فيه : « إنه بمئة تعالى سيهبر اليده  
والشروع في عملية ترعة السويس . وحيث أن الاهتمام في تجهيز وتأديسة  
لوازمها بمجرد طلبها في الوقت والحال من أقصى مرعونا ، فقد صدرت  
أوامرنا إلى جهات الانتضاء عن ما ذكر ، وأصلونا أمرنا هذا إليكم لتعملوا  
ذلك وبالحال ورود مكانة إليكم بطلب أى شئ للزوم تلك العملية سواء  
كانت من ديوان محافظة مصر أو من المهندسين المأورين بأشغال الترعة  
المذكورة ينزلوا كمال الحمة في تأديسة بوقته وساعته بكون تأخير كما هو  
مطلوبنا (١) . » وفي النصف الثاني من عام ١٨٥٦ اتخذ سعيد التناير النهائية  
لحفر الترعة (٢) ، واستورد من إنجلترا وفرنسا المعدات اللازمة لتنفيذ  
مشروع الترعة الخلقية (٣) ، ووضع المهندسون علامات على الأرض لتحديد  
خط سير الترعة . وكان عند العمال الذين يعملون وقتئذ أربعمائة عامل ،  
ولكن دى ليس لم يفتح بينا البلد وطالب برقصه إلى ألف - وجريا على  
حالته مع سعيد باشا كتب دى ليس إليه من باريس في ٣١ مارس ١٨٥٨  
خطابا يفيض بإطرائه وملهه ويؤكد له أنه - أى سعيد باشا - أصبح موضع  
تقدير العالم أجمع ، وأخذ بمحة على المضى في حفر ترعة الماء الملب ، وقال

(١) محفوظات قصر عابدين : دفتر مرقى رقم ١٨٨٤ ص ٥ و ٢٢ جهاى الأول ١٢٧٢  
(٣١ يناير ١٨٥٦) .

هذا وقد أصدر سعيد باشا في نفس اليوم عدة أوامر متباعدة على غرار هذا  
الأمر إلى كل من محافظ القاهرة ومدير الدقيلية والقائمة السعيدة وغيرهما من الجهات  
الحكومية . انظر محفوظات قصر عابدين :

دفتر رقم ١٨٨٣ وثيقة رقم ٥٥ ص ١٩١ وثيقة رقم ١٤٣ ص ١٩٣ ووثيقة  
رقم ١٨ ص ١١٤ .

دفتر رقم ١٨٨٤ وثيقة رقم ٢٣ ص ٥ .

(2) Rassignal, *op. cit.*, p. 37.

(٣) استورد موزيل بك في أكتوبر ١٨٥٦ من إنجلترا بموافقة الحكومة المصرية  
ولحسابها ٣٨ ألف متر من الأنابيب قطر بينها ٢٥ سم وقطر البعض الآخر ٢٠ سم . كما  
استورد من إنجلترا ١٠٠ متر من الأنابيب قطر بينها ١٦٥ ، ١٧٤ ، ٢٠٠ سم .  
واستورد أيضا عددا كبيرا من الآلات الخشبية الكبيرة التي يسهل نقلها من مكانة



و طبقاً لما لمسته بنفسى فى باريس وفى لندن ، وطبقاً لما كتبه إلى "بجيريل  
Negrelli (١) برابالوكا Paleocopa (٢) يتلخ العالم كله سموكم لشروعكم  
فى أعمال حفر ترعة الماء العذب . وأؤكد لسموكم بكل ثقة أنكم تستطيعون  
متابعة هذه الأعمال دون أن يكون هناك أى مرور للقتل أو للمخاوف إذا  
كان الوقت وحاجيات الزراعة وموارد الحكومة تسمح بتنشيط هذه الأعمال  
إلى الحد المطلوب (٣) . وقام دى لسنس من ناحيته بوضع مشروع  
لائحة موفته لتنظيم العمل فى حفر تلك التربة ، وأرسله من أوروبا فى شهر إبريل  
١٨٥٧ إلى رويسرس للوكيل الأعلى لشركة القناة فى مصر (٤) .

ولكن حدث أن تلقى سعيد باشا فى شهر يوليو ١٨٥٧ خطاباً من  
دى لسنس يحطّره فيه برغبته فى طرح موضوع ترعة الماء العذب برمته على  
الجنة العلمية الدولية من جديد للراسته مرة أخرى وإبداء رأياً فى المشروعات  
النهائية التى وضعها مهندسو الحكومة المصرية وخاصة فيما يتصل بتحديد  
الموقع الذى تخرج منه التربة من النيل والب فى موقعها وهل تكون ترعة  
صهيفية أو ترعة تيلية . ثم ذكر فى خطابه أن البدء من ذلك الوقت فى حفر  
ترعة الماء العذب التى هى جزء مهم لا يفصل عن مشروع شق برزخ  
السويس بعد أمراً سابقاً لأوانه ، وأنه لما كان الوقت قد حان لتكوين شركة  
القناة ، فقد أصبح من المرغوب فيه أن تترك للشركة المستقبلة الحرية التامة فى  
العمل ، فتتخذ الحلول التى تراها كفيلة برعاية مصالحها ، وخاصة فيما يتصل  
بموضوع رى الأراضي الشاسعة الممنوعة للشركة (٥) . وعلى أثر تلقى هذا  
الخطاب أوقفت الحكومة المصرية العمل فى ترعة الماء العذب (٦) .

(١) مختصر عام للكتك الحفيدة التسمية وعضو اللجنة العلمية الدولية .

(٢) وزير الأشغال السوسية فى ملكة يندست بإيطاليا وعضو اللجنة العلمية  
الدولية .

(٣) De Lencqes F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit.,  
t. II, pp. 40-42.

(٤) المصدر السابق . الجزء الثالث من ص ٤٧ - ٤٩ .

(٥) Voisin Bey, ouvr. cit., t. IV, p. 340.

(٦) المصدر السابق . الجزء الرابع من ص ٣٤٠ والجزء الخامس من ص ٨

ولا ريب أن الأسباب التي أوردتها دى ليسبس لم تكن طائفة بحيث تبرر  
تغيير الشركة لخطتها تغييراً جذالياً وتاماً، بل هي أعطت رواهة عظيمة أريد بها  
تغطية موقف سعيد باشا ودى ليسبس بعض الوقت ريثما تهدأ العاصفة  
السياسية التي أثارها في ذلك الشهر الورد بالمرستون رئيس الوزارة البريطانية.  
قد وجه بركلي Berkeley أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني سؤالاً إلى  
المرستون بمجلسه ٧ يوليو ١٨٥٧ ليروضح أسباب معارضة الحكومة الإنجليزية  
للمشروع القناة . وانتزح بالمرستون الفرصة فهاجم المشروع هجوماً صارماً،  
وصرح بأن الحكومة الإنجليزية قد استسلمت خلال الخمسة عشر عاماً  
السابقة كل ما في وسعها من قوة في القسطنطينية وفي مصر لنفع تنفيذ  
المشروع . وأعلن أن الحكومة الإنجليزية لم ولن تتأخر عن مناهضة . وأكد  
أن المشروع قد بني على أساس الإنصراف بمصالح إنجلترا وإيجاد طريق أسهل  
إلى الممتلكات الإنجليزية في الهند ، وأنه قد بني أيضاً على أساس فصل مصر  
عن تركيا ، وهو أمر يتعارض مع الخطة السياسية التي عرجت عليها إنجلترا ،  
وهي المحافظة على سلامة ممتلكات الدولة العثمانية والتي من أجلها خاضت  
إنجلترا محار حرب القرم . ولم يفت بالمرستون أن يتهكم عن القناحين بأمر  
المشروع ، ونهت بأنه مشروع وهمي ، لويده السطر على عقول السذج من  
أرباب الأموال لا خيال أو فهم ، ونهت تصريحه في المجلس بتأكيد أن مشروع  
القناة إنما هو مشروع ضار بالمصالح الإنجليزية من جميع الوجوه (١).

ولقد طفت موجة من التشاؤم على الدوائر القرنسية والمصرية وغيرها  
من الجهات المناصرة للمشروع . ويذكر دى ليسبس في ذلك الوقت جهوداً  
جبارة للتخفيف من مخاوف سعيد باشا من ناحية ، ولاتمام مساعدة الحكومة

(١) بمجلسه ٧ يوليو ١٨٥٧ مجلس العموم البريطاني الجزء ١٤٦ ص ١١

١٠٤٩ - ١٠٤٨ من

Hansard's Parliamentary Debates.

ويلاحظ أن موضوع قناة السويس قد أثير مرة أخرى في مجلس العموم بمجلسه ١٧  
يوليو ١٨٥٧ وأعاد بالمرستون الاعتراضات التي ذكرها في جلته ٧ يوليو ١٨٥٧ .  
انظر الجزء ١٤٦ ص ١٧٠٤ - ١٧٠٧ . من نفس المصدر .

الفرنسية من ناحية ثانية ، وإطلاع لرأى العلم الأوربي على حقيقة المشروع من ناحية ثالثة . وعلى هذا أرسل دى لسبس ذلك الخطاب إلى سعيد باشا وقال فيه وهذه التصريحات التي أحل بها اللورد بالمرسون ستكون أساساً يسترشد به الممثلون السيلسيون لإنجلترا في الخارج ، وستكون حتماً مبعث ارتباطات ومناصب لسموكم أوجب في أن تتلافوها (١) ، وأبان بعد ذلك أن الطريقة المثلى في ذلك الوقت هي وقف العمل في حفر ترعة الماء للعطب وترك ذلك المشروع تتولاه الشركة حتى يحين الوقت المناسب لتأسيسها . وعلى هذا كان موقف إنجلترا العادى من المشروع وعنف مطاوعة اللورد بالمرسون سبباً غير مباشر في تعطيل تنفيذ حفر ترعة الماء للعطب سنة ١٨٥٧ .

وقد ظل موضوع هذه التبعة على ماله من أهمية نالفة مطلقاً ردحا من الزمن ينتقل من هيئة إلى هيئة ويتردد بين التنفيذ والتعطيل حتى عرض على مجلس الأشغال الأهل (٢) في نوفمبر ١٨٥٨ . وأبلغ دى لسبس الأعضاء بالاتفاق الذي تم بين سعيد باشا وبينه بشأن إيقاف العمل في حفرها وبأن تنفيذ مشروعها قد خلا موطناً بالشركة . ثم بحث المجلس مشروع التبعة فحدد المجلس نهائياً قصر انبيل بالقاهرة ليكون مخرج التبعة . وكان أمام المجلس وأيد أحدها يقوى بوضع مشروع ترعة اتساعها عشرون متراً لمحقق جميع أغراض

(١)ظر خطابا ثالثاً أرسله دى لسبس من باريس بتاريخ ١٢ أغسطس ١٨٥٧ إلى سعيد باشا في

De Lesseps F . Lettres, Journal et Documents etc. ouvr. cit., t. II pp. 118-120.

(٢)كون دى لسبس هذا المجلس في ٢٢ نوفمبر ١٨٥٨ وتكونت الشركة في ١٥ ديسمبر ١٨٥٨ . وقرّر دى لسبس نفسه رئيساً على مجلس الأشغال الأهل على الرغم من أنه لم يكن مهتماً ولم تسجل له دولة المختصة على الإطلاق . وكان يضم المجلس هذا الرئيس ستة أعضاء أحدهم باليو كايلا وزير الأشغال العمومية في بلجيكا وكوراد دلهي اللجنة الدولية وهو من هولندا أما بقية الأعضاء فكانوا فرنسيين . وكان اخصاص هذا المجلس هو دراسة المسائل الفنية ومشروعات الاتفاقات التي تقامها الشركة مع المفاوضين وغيرهم لتنفيذ المشروع .

الشركة : فتجلب ماء الشرب إلى ساحات الحفر وتستخدم طريقاً مائياً يربط منطقة القناة بمحطات التلثة وتقوم بالدور الرئيسي لتزويد القنطرة لها وهو رى الأراضي الواسعة الممنوحة للشركة وكانت تبلغ مساحتها ١٣٣ ألف هكتار (الهكتار يساوى فدانين تقريباً) . أما الرأى الآخر فيقول بوضع مشروع موثت قوامه حفر ترعة صغيرة اتساعها عشرة أمتار تقى بمطالبي السنوات القليلة التالية . وقد أخذ مجلس الأشغال الأعلى بالرأى الثانى (١) .

وهنا أبدى موجل بك رأياً عربياً وخاطئاً ، وكان موجل بك قد عُين مديراً عاماً للأشغال بالشركة (٢) ، لقرر أنه إما أريد ألا يتأخر حفر قناة السويس فيجب ألا يعلق حفرها على الفراغ من حفر ترعة الماء الملعب (٣) . وقد أخذ المجلس برأيه وقرر تنفيذ مشروع القناة بشقيه فى وقت واحد قناة السويس وترعة الماء الملعب ، ولكن فى حدود ضيقة بأن قلل من اتساع القناة والبرعة وعمقهما ريثما يحين الوقت المناسب لتوسيعهما وتعميقهما طبقاً لما جاء فى تقرير اللجنة العلمية الدولية .

أما وجه القرامة فى رأى موجل بك فيرجع إلى أنه كان من أشد الناس رغبة فى سرعة الفراغ من حفر ترعة الماء الملعب ، حتى إنه قدم إلى اللجنة العلمية الدولية خلال الجلسة التى عقدتها فى شهر أغسطس ١٨٥٦ تقريراً

---

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. IV, pp. 30-33 et 340.

وأشار أيضاً بحضر الجلسة فى

De Lesseps F. : *Lettres, Journal et Documents etc. ouvr. cit.*, t. II, pp. 400-402.

(٢) اشترك موجل بك فى مناقشات مجلس الأشغال الأمل أثناء جساته التى حقها فى نوفمبر ١٨٥٨ بصفتة مديراً عاماً للأشغال على الرغم من أن قرار تعيينه فى هذا المنصب لم يصدق عليه إلا فى ١٥ يناير ١٨٥٩ حينئذ لقر مجلس إدارة شركة القناة اقتراح دى لسييس بجميته مديراً عاماً للأشغال . أنظر شركة القريعات والصينيات فى المنصب الكبير بالشركة فى

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 36.

(٣) انظر مذكرة موجل بك فى هذا الصدد فى

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. IV, pp. 340-341.

ضمته كافة التنايير التي رأى اتخاذها للبدء فوراً ودون حواجة في حفر ترعة الماء العذب حتى يمكن الاستفادة من مياه فيضان النيل في صيف عام ١٨٥٦ في نقل المهمات اللازمة لتنفيذ المشروع في سفين تسيير في ترعة الرضفانية. وذكر موجل بك في ذلك التقرير أنه إذا لم يمكن نقل كافة المهمات والأدوات إلى أماكنها قبل حلول أول ديسمبر ١٨٥٦ فلأن حفر ترعة الماء العذب سيتأخر لا محالة عاما آخر (١). ولكنه عاد في ١٨٥٨ فغير رأيه كما يغير الإنسان قنبحه على حد تعبير المثل القرنسي المشهور: «أما وجه الخطأ فيكون أن نذكر أنه نجم عن الأخطأ برأيه موت الهال عطشا في الصحراء بعد أن سبقوا إلى ساحات الحفر زمرا ودون أن يسبق حشدهم توفير ماء الشرب بطريقة مأمونة سليمة».

وقد قسم مجلس الأشغال الأعلى أعمال تنفيذ المشروع كله إلى خمس مراحل، قدّر الانتهاء منها جميعا خلال ست سنوات. وطلعت المرحلة الأولى حفر ترعة الماء العذب من القاهرة إلى بحيرة التماسح على أساس مشروع موثقت باتساع عشرة أمتار، وكذلك حفر قناة بحرية صغيرة باتساع ١٢ مترا وإنشاء مارة في بور سعيد وميناء موثقت وكوبرى في البحر المتوسط يمتد من الساحل داخل البحر ترسو عنده السفن في أعماق كافية وكذلك إقامة مخازن وورش وغير ذلك، وفقر المجلس متعين لإيجاز كافة أعمال هذه المرحلة.

ولكن لما شرعت الشركة في تنفيذ هذه المرحلة عقب حفل الافتتاح في ٢٥ أبريل ١٨٥٩ نجد أنها أخضعت لإغفالا تاما مشروع ترعة الماء العذب وفصرت جهودها على المنطقة الساحلية في بور سعيد وقامت بصلين هما: إنشاء الميناء بما يتبهم من مخازن وورش ومارة وكوبرى وغير ذلك من منشآت بحرية وصناعية، ثم حفر القناة البحرية الصغيرة من بور سعيد في اتجاه الجنوب. وتلعت الشركة أن حفر ترعة الماء العذب كان ضرورة عاجلة وإجراء هاماً من المطراز الأول.

وفي أول مايو ١٨٦٠ رفع موجل بك مدير عام الأشغال في الشركة تقريراً صافياً استعرض فيه الأعمال التي تمت في البربخ منذ ٢٥ أبريل ١٨٥٩ - تاريخ البدء في تنفيذ المشروع - إلى ذلك الوقت . وقد تعرض في تقريره لثروة الماء العذب ، وأبدى نفس الرأي الغريب الخاطئ وهو التمتع بالثريث في حفرها ، وتركيز كل جهود الشركة للفراخ من إنشاء ميناء بورسعيد وحفر القناة البحرية الصغيرة من ذلك الثغر إلى بحيرة التماسح ، ثم تشرع الشركة بعد ذلك في حفر ثروة الماء العذب (١) . وقد عرض هذا التقرير على مجلس الأعمال الأعلى بجلسته ١٠ مايو ١٨٦٠ . وأقر ما جاء به (٢) .

كانت هناك عدة بواحث دعت موجل بك إلى المطالبة بتأجيل حفر ثروة الماء العذب ، وكان في طلبها موقف إنجلترا العدائي من مشروع قناة السويس إذ كانت تنادي ، تارة في مجلس العموم واللوردات (٣) ، وتارة في الصحافة الإنجليزية (٤) . باستحالة حفر قناة بحرية في صحراء البربخ . وأرادت الشركة أن ترد رداً عليها على تلك المعارضة ، فأنصرفت بجهودها لحفر قناة بحرية صغيرة حتى يكون لإنشائها أكبر دليل على تفهم به المعارضة الإنجليزية كما رأى موجل بك أن حفر القناة البحرية يزيل القلق

---

(١) انظر الفصل الكامل للضرورة في جبهة L'Isthme de Suez العدد ٩١ الصادر في ١٨ مايو ١٨٦٠ من ص ١٦٧ - ١٧٢ مجموعة كثة الخامسة .

(٢) Vossin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 10.

(٣) بالإضافة إل محضري جلتي ٧ يوليو و ١٧ يوليو ١٨٥٧ مجلس العموم البريطاني والذين سبقت الإشارة إليهما في هذا الفصل أنظر حضر جلته أول يونيو ١٨٥٨ في الجزء ١٥٠ ص من ١٣٦٠ - ١٤٠١ في

Harvard's Parliamentary Debates.

(٤) كانت الحسرات الإنجليزية هي Morning Post لسان حال اللورد بالمستون والقائم Morning Herald, Times وغيرها . انظر اميلد جرينة L'Isthme de Suez من ١٨٥٨ سنة ١٨٥٩ تجد فيها مقالات تلك الصحف الإنجليزية وورد البويدة الفرنسية عليها . وانظر أيضاً

Hallberg, ouvr. cit., pp. 179-180.

Charles-Roux J., ouvr. cit., t. I, pp. 290-291.

الذي بدأ يساور نخوس مسهمي الشركة ومؤيدي المشروع . وكان من رأيه أيضا أن لإنشاء القناة من بورسعيد إلى بحيرة التمساح يحل مشكلتي النقل والنهوض في النصف الشمالي من المزرع بإيجاد طريق مائي هام تنقل فيه المهنات والآلات التي تأتي بها السفن من أوروبا إلى بورسعيد . ولكن من الواضح أن الاعتبار الأول ، وهو الرغبة في إخماد المعارضة الإنجليزية ، كان السبب الأهم الذي جعل موجل بك يطالب بتأجيل حفر ترعة الماء العذب . وكانت النتيجة أن ارتطمت الشركة بأحط وأعقد مشكلة واجهتها أثناء المراحل الأولى للحفر . وهي إمداد العمال وسط الصحراء بماء الشرب .

وكان موجل بك قد ذكر في تقريره أن مياه الآبار ومياه بحيرة المحسة كعميلة يحل مشكلة ماء الشرب في المراحل الأولى لتنفيذ المشروع . ورددت هذا الرأي جريدة الشركة ، وذهبت إلى أنه « ليس هناك ما يدعو إلى انتظار حفر ترعة الماء العذب ، فالأمر يمكن الحصول عليه من آبار حل عمق يتراوح بين ثلاثة أمتار وخمسة أمتار (١) » ولكن اتضح خطأ هذا الزعم ، وأثبتت التجارب المبررة أن موجل بك كان يحفل طبيعة تربة منطقة القناة ، فالآبار كانت نادرة ومياه بعضها آسن كانت تظلم الإبل . وفشل مشروع بحيرة المحسة فشلا ذريعا بعد عديد المحاولات التي قامت بها الشركة

وقد شهدت المحاكم الفرنسية قعدة ترعة الماء العذب في إطارها العام ، وكان ذلك أثناء نظر قضية أقامتها شركة القناة على رؤساء تحرير بعض الجرائد الفرنسية ، ونظرت أمام محكمة السين المدنية في جلسة ٦ يونيو ١٨٩٦ ، وتبادل طرفا الخصومة تقديم المذكرات إلى المحكمة . وتبدو مذكرة الشركة للحث المنصب لأول وهلة أنها لا تمت بصلة لموضوع ترعة الماء العذب في كثير أو قليل ، ولكنها في الواقع تعرضت لتصميم الموضوع ، وقد وصفتها بحمايا للشركة سنار Seard وذنور مانلى Denormandie . ولأهميتها نورد ترجمتنا لبعض فقراتها (٢) .

(١) L'Estime de Suez العدد ٦٨ الصادر في ١٥ أبريل ١٨٩٦ من ١١١ بحيرة  
لجنة الدراسة .

(٢) كاتب هذه القضية نظرها من منظور الأمانة التي تعرضت لها الشركة عام ٢٤٥

• حين قدم الأسطول البريطاني ورابط في مياه الإسكندرية في صيف عام ١٨٥٩ تمهيداً لإجراء محاولة خطيرة لواد المشروع بل وخلق سبباً، جاءت الأخبار بانتصار فرنسا في موقعة سلفرينو، ثم ما لبثت أن عقدت هيئة فيلافرنكا (١) حل أثرها . عندها قفل الأسطول الإنجليزي راجعاً إلى قاعدته في مالطة .

• هذه المظاهرة البحرية التي قامت بها إنجلترا ضد المشروع ، ولو أنها لم تتممخص عن أثر حاسم ، إلا أنها تركت ذيولاً بعيداً المدى أثرت في سير عمليات الحفر ، بل عطلت من برنامج الشركة في التنفيذ وعطلت من الخطة التي رسمتها الشركة لنفسها .

• كان يجب أولاً نية ميل الحياة في صحراء مصرية قاحلة للأبدى العامة التي متوفرة على البحر . وكان يجب تحقيقاً لهذا الغرض جلب الماء العذب في شريان إلى الصحراء يستقي منه العال . وكان حقاً الامتياز اللذان نالهما

١٨٦٦ لقد عقدت اتفاقاً مع الحكومة المصرية بتاريخ ٢٢ فبراير ١٨٦٦ تنازلت له الشركة عن ثمة الماء العذب وحيدت مساحة الأراضي الممنوحة للشركة بمساحة امتداد المساحات التي امتدتها الحكومة إل غير ذلك من المسائل التي كانت مصادر النزاع بين الحكومة والشركة . وصل أثر لشر مسود الاتفاق حاجت بعض الجسرات الفرنسية الشركة واهتمها بتحويل أموال المجهن الخطر وأنها لم تلتزم البرنامج الذي أعطت على ملابها تنفيذ . وكان من مظاهر هذه الأزمة أن تكونت لجنة من بعض المجهن ترأسها الكونت Villers واضلت لها مقرراً بتاريخ ١٨٦٦ Annale رقم ٧ باريس وكانت معظم المسائل التي تنازلتها بالتفصيل تتعلق بمزايا الشركة والأرباح التي صرفت فيها أموالها . أما الجزاء التي شلت المجهن على الشركة فكانت

Journal des Travaux Publics.

Le Conseiller.

Gazette des Chemins de Fer.

La Correspondance Depecheand

(١) جاء في الأصل الفرنسي أنها صالح فيلافرنكا . وعلمنا خطأ تاريخي ما، لأن المدة وقت في فيلافرنكا في ١٢ يوليو ١٨٥٩ ثم أضيفها الصلح الذي أبرم في ديسمبر Zurich في ١٠ نوفمبر ١٨٥٩ . (المؤلفه) .



الشركة من سعيد ينصان على وجوب البدء في حفر ترعة الماء العذب تخرج من النيل وتربط مصر ببرزخ السويس ، وتحقيق هذه التركة أفراضاً شتى : فهي مورد لا ينضب من ماء الشرب ، وشراب يصل البرزخ بنواحي مصر ، وطريق مائي تسلكه السفن تحمل البهارات والتمدد إلى البرزخ ، وعامل من عوامل إقبال السكان على تعمير الصحراء وزراعة الأراضي الواقعة على جانبي التركة .

وإن اللجنة الدولية لم تفها كل هذه المنافع التي تعود من حفر ترعة الماء العذب ، ولذا أوصت بوجوب البدء - قبل أي عمل آخر - بحفر ترعة من النيل إلى بحيرة التمساح . ولكن حين تمت الشركة بهذا العمل الحيوي لها ولكنها ومشروعها كانت كآثار المظاهرة البحرية لا تزال ماثلة أمام أعين رجال الحكومة المصرية ، وجدت معارضة من تلك الحكومة التي رأت أن في قيام الشركة بحفر ترعة حلوة يكون مأخذ مياهها عند القاهرة في وسط القطر وعلى مقربة من أسوار عاصمتها - عملاً من شأنه أن يزيد من معارضة إنجلترا بإعطائها سلاحاً جديداً ماضياً تشبهه في وجه المشروع وفي وجه الحكومة ، وتتخذ وسيلة قوية لإثارة مخاوف السلطان ، وإيهامه أن الغرض من المشروع إنما هو نزع مصر - هذه الولاية الهامة - من ولايات السلطة الثمانية وضمتها إلى فرنسا .

وكان من الضروري حتى لا تنبأ مثل هذه التركة المأخوذة لإنجلترا لزيد في معارضتها من أن تتجه الشركة وجهة أخرى في سياستها الإنشائية . ولم يكن في الاستطاعة والحال هذه أن تسهل الشركة أعمالها بحفر ترعة الماء العذب ، ولم تكن هناك منطقة تبدأ عملها الشركة أعمالها سوى المنطقة الواقعة على ساحل البحر المتوسط . وهنا انكشفت وتواضعت وامتنع رأيها على الرحيل إلى البحر في المنطقة الشمالية للبرزخ . كانت هذه المنطقة موحشة جرداء ، عبارة عن شريط ساحلي رملي محصور بين بحسرم مالح عريض وبحيرة واسعة الأرجاء مأوفا ملح أجاج ، وكانت وسائل الحياة في هذه المنطقة معدومة . غير أنها ماء للشرب والمكان الأمين الذي يطمئن فيه

الإنسان الأمن والراحة . هنا بدأ الحفر في هذا الشريط الرملى الضيق الذى غدا بعد عدة سنوات مدينة زاخرة بمصانعها والآلات وسكانها من مختلف الأجناس وجالياتها الأجنبية الكبيرة وارتقى عددها إلى ستة أوسعة الآف نفس.

«وسرعان ما حشرت القناة البحرية الصغيرة بأيدى الفلاحين عبر بحيرة اللبنة واتصلت المدينة الناشئة بداخل البرزخ ، وفى نفس الوقت انتشرت فرق أخرى من طلائع الموظفين القسوين على طول الخط المقرر لمسير القناة البحرية الكبرى وأقاموا حيامهم وأنشأوا المعسكرات « الخيام » . وكانت وسائل الحرمان أمامهم من كل نوع ، وقاسوا الأمرين من العمل ذاته ، كما كانت القبائل المصرية هناك قد حركتها أيدى أجنبية معادية ، قامت بأعمال عنائية ضد رجال هذه الفرق الذين كانوا يعملون والفأس فى يد والأصلحة النازية فى يد أخرى، وكثيرا ما اضطروا إلى الانتظار طويلا ريثما يوفى لهم بالحيز والماء ، إذ كانت وسائل المواصلات صعبة بطيئة غالية التكاليف ، وكان الماء الذى يتجرعونه أغلى ثمنًا من السوائل الأخرى »

تم تعرضت المذكورة بعد ذلك لحوادث التى نتابعت . عسرت أزمة أكتوبر ١٨٥٩ وعجز عنار بك إلى مصر لإيقاف عمليات تنعيم المشروع ، وتدخل امبراطور فرنسا لتأييد الشركة إلى أن قالت « حينئذ تشجع سعيد على أثر تدخل امبراطور فرنسا صاعد الشركة بنون محظ وأذن فى حصر ترعة الماء العذب » . (١)

ولم تخف ستة شهور على تقديم هذه المذكرة لمحنة السين حتى ألقى دى لابس محاضرة فى مدينة نانت فى ٨ ديسمبر ١٨٦٦ أيد فيها ما جاء فى المذكرة خاصة بأثر معارضة إنجلترا فى تأخير حفر ترعة الماء العذب ، وكان مما قاله فى هذا الصدد . « لقد عملت السياسة الإنجليزية فى القسطنطينية والقاهرة لتحويل دون للمشروع فى شق ترعة الماء العذب . تلك التمرة التى

(١) نص المذكرة منشور فى جريدة L'Estime de Suez العدد ٢١ الصادر فى أول يوليو ١٨٦٦ من ص ١٩٧ - ٢٠١ بمجموعة السنة الثانية عشرة

هي أساس كل عملياتها فيما يتصل بمشكلات النقل والتأمين والصحة وما إلى ذلك ، وكان علينا أن نترك جانبا حفر هذه الترع ، ونعملنا من جراء ذلك الآما مفضية ومتاعب جمة وتكلفتنا مصاريف باهظة ، واضطرتنا إلى أن نستخدم مالا يقل عن ألف جمل لنقل ماء الشرب إلى ساحات الحفر (١) .

يتضح مما سبق أن الشركة قد غلبت الناحية السياسية على الناحية الإنسانية ، ناهتست بالحرب من المعارضة الإنجليزية حينما ومحاولة التغلب عليها حينما آخر ، ولم تبد مثل هذا الاهتمام لتوفير ماء الشرب للعالم في الصحراء ، باعتبار أن هذه مسألة تتمثل بحياة الآف العالم المصريين الذين سحروا من أجلها . لقد تقامل مشروع ترعة الماء العذب في نظر الشركة حتى استقبلت به وسيلة أخرى هي جلب ماء الشرب من الإسكندرية ودمياط والمطرية ، والتماسه من بعض آثار متناثرة لا يتجاوز عددها أصابع اليد . ولا يمكن أن نعد هذه الوسيلة البدائية المتخلفة غير المأمونة مظهرا من مظاهر اهتمام الشركة بحياة العالم المصريين .

ولم ينفذ الموقف إلا تدخل الحكومة المصرية ساعدت الشركة بالمال وعمال السخرة ، كما مر بنا في الفصل السادس ، لحل مشكلة ماء الشرب حلا سريعا مؤقتا . وتم حفر ترعة الماء للعذب في خلال فترة أشهر من قرية القصاصين في مديرية الشرقية إلى بيشة بالقرب من بحيرة القصاص . وكانت التربة تمر بالمحممة ورسيس والحفر والسبع ببار . ولم تبلغ بيشة إلا في ٢٣ يناير ١٩٦٢ وبلغ طولها ٣٤,٨٣٥ مترا وبلغ عدد عمال السخرة السدين أرسلهم معبد للحفر ٥٥,٨٩٢ رجلا . وهكذا خرج مشروع ترعة الماء العذب في صورة مخنزلة في مستهل العام الرابع لبلده تنفيذ المشروع ، ونسعت إلى حد ما حدة أزمة ماء الشرب في ساحات الحفر .

**موقف الشركة بعد حفر ترعة الماء العذب :**

كان من المتوقع أن تنفض الشركة من كوارث موت العمال عطشا ومن

(١) بلغت هذه المأثرة في كتاب

الأهوال التي قاساها من قذرت لهم التجارة من تلك الحقبة ، فتكون تلك الكوارث والأهوال حافزا لشركة لأن تتخى مسرعة في حل مشكلة ماء الشرب وفق المنهج الذي قرره اللجنة العلمية الدولية. فتمد خط أنابيب تنساب فيه المياه العذبة في النصف الشمالي من البرزخ حتى مدينة بورسعيد (١). وكان إنشاء خط الأنابيب ضرورة ملحة ، لأن الشركة ركزت نشاطها عام ١٨٦٢ في النصف الشمالي من البرزخ ، وبلغت جليا منذ شهر فبراير من ذلك العام في شق مجرى لقناة البحرية الصغيرة وسط مرتفعات عبة الجسر ، وهي أكبر عبة طيعة تعرض قناة السويس ، ولوسل سعيد كل شهر عشرين ألف مصري إلى ساحات الحفر انتشروا كأسراب الخيل في مسافة طولها ٣٢ كيلومترا من القنطرة شمالا إلى الحسر جنوبا . وكان لابد من توفير ماء الشرب بطريقة آمنة مصنونة وبكميات تفي بحاجات العمال . ولكن الشركة كانت لا تقم وروثا لحياة العمال ، فاجلوا مصريين وكانت لا تزال محنة في خطتها وهي إيثار الناحية السياسية على الجالب الإنساني ، فركبت مؤلفا

(١) كان المفروض طبقا لهذه الاتفاقية المصادق عليها في ٥ يناير ١٨٥٦ أن تحضر الشركة ممثلا يصرح من توعية الماء الشرب مع بحيرة التماس ويتجه شمالا إلى بورسعيد على مدار المجرى الذي يتجه إلى السويس . ولكن المقترح لم يلب ذلك وموجبل ذلك في تقريرها المعروف باسم « للشروع الاستبدال شق برزخ السويس » بتاريخ ٢٠ مارس ١٨٥٥ إنشاء خط من أنابيب الماء يمتد من بحيرة التماس إلى دلول ( بورسعيد ) ويكون طوله ٨٠ كيلو مترا على أن تستبدل بذلك الخط بعد فترة من الزمن توعية الماء الشرب . أما الأنابيب المقترحة للانتفاخ بها ، بعد ردها ، في تلك في المدينة المقترح لإنشائها على ضفاف بحيرة التماس . ولما تكونت اللجنة العلمية الدولية أعلنت هذا الرأي ومصلحته في تقريرها .

وعلى ذلك لم يكن إنشاء خط أنابيب الماء فكرة طارئة جاءت وليدة التماس التي واجهتها الشركة من قبل في حفر لقناة البحرية الصغيرة كما قرر مجلس المؤرخين والكتاب . كذلك تبين في أقوال بعض الآخر بأن إنشاء خط أنابيب الماء كان نتيجة مباشرة لانهاء أسبيل حين حائل بين الشركة وبين استخدام عمال السخرة لتعبير على حفر القنطرة الحلوة واستبدلت بها خط أنابيب الماء ، لأن الشركة عجزت اتفاقا مع لاسرر ( Lasserre ) في ١١ يوليو ١٨٦٢ له خط الأنابيب ، وكان ذلك قبل أن يتولى أسبيل الحكم سنة ١٨٦٧ .

مشروع خط الأنابيب والصرفت بمجهودها ونشاطها إلى حفر القناة البحرية الصغيرة من بورسعيد إلى بحيرة التمساح كى تقيم الدليل المادى أمام المعارضة الإنجليزية إلى تنادى باستحالة حفر القناة . وكان هناك عامل مساعد للشركة فى مد خط الأنابيب هو حفر ترعة الماء العذب إلى نقيشة ووصول المياه الحلوة إلى مشايف مدينة التمساح (الإسكندرية لها بعد)

بلغت الشركة إلى أنصاف الحلول وأرباعها لتوفير ماء الشرب فى حية البحر اعتباراً من فبراير ١٨٦٢ . حُفرت مجرى مائياً ضيقاً عرضه نصف متر وطوله ٤٦٠٠ متر يبدأ من نقيشة ويسير حول بحيرة التمساح من ناحية الغرب ثم يصب فى خزان حفر فى الأرض ، ثم شيدت الشركة عدداً من الأحواض تتفاوت سعتها ووضعها فى جهات مختلفة من منطقة حية البحر (١) . وكانت الجداول تنقل الماء من الخزان إلى تلك الأحواض حيث تضرغ فيها . ويقف عند كل حوض جارس يتولى توزيع الماء على العمال . وكان العمال يتنافسون على الجمل حين يصل إلى الحوض ويترحمون حوله لإرواء عطشهم ثم ملأ قلاهم بعد ذلك (٢) .

وأحست الشركة أن هذه الوسيلة عبء مالى باهظ التكاليف (٣) . فعادت إلى الوضع الطبيعى وعقدت فى ١١ يوليو ١٨٦٢ اتفاقاً مع لاسرو Lasseron لمد خط الأنابيب من ملجئة التمساح إلى بورسعيد . وقصدت إنشاء الخط فى ١١ إبريل ١٨٦٤ وأقامت الشركة اجتماعات فنية إبتهاجا

(١) Hawksshaw J. : Rapport sur les Travaux du Canal de Suez. Paris 1863, p. 21. Voir aussi :

Volsin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 267

Berchère, ouvr. cit., p. 203.

(2) Berchère, ouvr. cit., p. 200.

(٣) تتناول الفكرة إنها ألفت ٦٠.٠٠٠ ترنك (سؤال أربعة وعشرين ألف جنيه) فى جلب ماء العرب إلى سوكمات حية البحر خلال ثمة أشهر اقتردها كره ونسبها مجلس إدارة الشركة بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٨٦٣ ومشورة فى .

De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 350-362.

(٤) تجسد ٤ نصوص الاتفاقيات مع مقدمة تفسيرية له فى الجزء السابع من لوائح بنك ص ص ١ - ١١ .

بوصول الماء العذب في أنابيب الماء (١). ثم ما لبثت الشركة أن رأت عدم كفاية هذا الخط لأن ساحات الحفر القائمة في حجة الحمر والقطرة كانت تستند الحفر الأكثر من كميات الماء ولا تكاد يكفيها فاحتفظت بالمكثفات الثلاث في بورسعيد لاستخدامها في أوقات الطوارئ (٢)، وقررت إنشاء خط أنابيب ثان يسير بمحاذاة الأول، وعقدت لهذا الغرض اتفاقين آخرين بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨٦٤ و ٢٨ مارس ١٨٦٥ مع نفس المهندس

• • •

### مشكلة ماء الشرب في النصف الجنوبي من البرزخ -

تعلمت الشركة أخيراً من التجارب المبررة التي مرت بها خلال السنوات الأربع الأولى في تعبد المشروع أن غلة الماء أو اعدامه كان السبب الأول الذي شل عمليات الحفر وأودى بحياة العمال المصريين فأدخلت تعديلاً جوهرياً على سياستها في الحفر : كانت الشركة تعفر في تلك الآونة مد القناة البحرية الصغيرة La rigole de service في النصف الجنوبي من البرزخ من بحيرة

#### (١) للفرع مخصوص خط الأنابيب

- (1) Guillemin ouvr. cit., pp. 237 et 284.  
Fontane Marius, ouvr. cit. p. 75.  
Ritt, ouvr. cit., pp. 278-279 et 398-399.  
Fitzgerald, ouvr. cit., t. I, p. 186.  
Dangkr, ouvr. cit., pp. 256-257  
Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI n. 281, 287, 277, 301 et 327, t. VII, pp. 1-24.

#### المجموعات

- المجموعة الأولى في أول يناير ١٨٦٢ من ٤ مجموعة السنة الثالثة  
المجموعة الثانية في أول مارس ١٨٦٢ من ٦٥ - ٦٧ مجموعة السنة الثالثة .  
المجموعة الثالثة في أول أبريل ١٨٦٢ من ١١٠ مجموعة السنة الثالثة  
المجموعة الرابعة في ٤ مارس ١٨٦٤ من ١١٧ مجموعة السنة الثالثة  
المجموعة الخامسة في ١٥ أبريل ١٨٦٤ من ٢٠٢ مجموعة السنة الثالثة  
المجموعة السادسة في أول مايو ١٨٦٤ من ٢٢٢ - ٢٢٤ مجموعة السنة الثالثة .

(2) Casimir, ouvr. cit., p. 122.

التصاح إلى السويس بعد أن نجحت في حفرها في نصفه الشمال من بورسعيد إلى بحيرة التصاح ولكنها رأت أن يكون حفر ترعة الماء العذب في هذه المنطقة سابقاً لحفر قناة السويس ذاتها حتى لا تتعثر عمليات الحفر ولكي تتكفل للمالك مورداً ثابتاً يستقون منه (١). وبذلك كانت سياستها في الحفر في النصف الجنوبي من البرزخ على نقيض سياستها التي سارت عليها في الحفر في نصفه الشمالي حين شرعت في حفر القناة البحرية للصغيرة من بورسعيد دون أن يسبق هذا العمل إجراء جدي لتوفير ماء الشرب للعمال في ساحات الحضر.

وتحمياً مع هذه السياسة كرست الشركة معظم جهودها منذ ديسمبر ١٨٦٢ لحفر ترعة الماء للعذب من فيشة إلى السويس (٢) والفرع منها في أمد وجيز وخاصة بعد أن تطور الموقف إبان حفرها لغير مصلحة الشركة (٣).

---

(١) خطاب دى سيس الذي ألقاه في الجمعية العمومية لمبنى الشركة بتاريخ ١٥ بريليه ١٨٦٢ وفيه ذكر في جريدة *L'Étisme de Suez* العدد ١٧٠ الصادر في ١٩ يوليو ١٨٦٢ من ص ٢٥٨ - ٢٩٢ مجموعة السنة الخامسة. ولعلنا أيضاً بخصوص هذه النقطة وأهداف الشركة من الإسراع في حفرها.

Ritt, *ouvr. cit.*, pp. 274-275.

Voinin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 348.

(٢) جريدة *L'Étisme de Suez*.

العدد ١٥٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ من مجموعة السنة الثانية.

العدد ١٥٩ الصادر في ١٥ ديسمبر ١٨٦٢ من ص ٣٧٧ - ٣٧٨ مجموعة السنة الثانية.

واللنا أيضاً كلاماً من :

Lavalley, *ouvr. cit.*, p. 7.

Guillemin, *ouvr. cit.*, p. 281.

(٣) كلام دى ماي ١٨٦٢ و ١٨٦٤ التنازع بين الحكومة المصرية على عهد أمباصل وبين الشركة حول إنشاء السخرة في حفر القناة وبعض مسائل أخرى. وتخرج مركز الشركة على إثر هجوم شديد قامت به الحكومة المصرية تمثل في حملات صحفية واستشارات قانونية دلت على أن الشركة امتثلت على نظام قائم بنقله القول المسموعة. وقد أختتمت الشركة بالتنازع من حفر ترعة الماء العذب قبل أن يقرر إنشاء السخرة كما أن كلام حفرها كان لا يدعم مركز الشركة في تلك الأزمات الطائفة التي كانت تعترضها وقتها.

ولذلك كانت تحمل عمال السخرة على مواصلة العمل في حفرها إلى ساعات متأخرة في المساء أثناء الليالي القسرية (١) . وكلما فرغ العمال من حفر جزء من الترعة انسابت المياه فيه . وكانت الجبال تحمل ماء الشرب للعمال الذين يتعبدون في قلب الصحراء عن جزء الترعة الذي يكون الماء مناسبا فيه (٢) . وكانت المسافة التي تقطعها الجبال إلى أولئك العمال قصيرة بطبيعة الحال .

وقد بلغت الترعة مدينة السويس في النصف الثاني من ديسمبر ١٨٦٣ بعد أن استغرق حفرها أقل من عام (٣) واستطاعت الشركة أن تحقق هدفا رئيسيا من أهدافها بفضل عمال السخرة . وعلى الرغم من أن عندهم في عام ١٨٦٣ كان أقل بكثير من الأعداد التي كانت تظهر بها الشركة في عام ١٨٦٢ على عهد سعيد فقد بلغ مجموع عدد عمال السخرة الذين اشتغلوا في حفر تلك الترعة من نقيشة إلى مدينة السويس مائة ألف عامل ، (٤) رصفوا في حفرها أنقاضا بلغ مقدارها ٣,٣٤٧,٠٠٠ متر مكعب ، وبلغ طول للترعة ٨٩,٧٣٠ مترا واتساعها ١٥ مترا وعمقها مترا ونصف متر (٥) . وقد أقامت الشركة حلا كبيرا في مدينة السويس بمناسبة إنجاز حفر الترعة الحلوة . ولم يحضر دي لسبس الحفل لأنه كان وقتئذ في باريس يناضل في سبيل احتفاظ الشركة بامتيازاتها التي أراد اسماعيل انزاعها منها . وقد

(1) Ritt, *ouvr. cit.*, p. ٢٧٧.

(2) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 300.

(٣) أوقف العمل في حفرها إعلان التصاريح في سبيل صيف ١٨٦٣ إذ حسب توقع العمال ماء الرب يجب انقضاء صوب الماء في مرة الواحدة واضطرت الشركة الى سحب أولئك العمال لحفر قناة السويس الصغيرة عند طوس جنوبي بحيرة التمام حيث كان يعمل تمويلهم بحال الرب . وكان ذلك إجراء مؤقتا . فلما حصل موسم الفيضان استؤنف العمل في حفرها في ديسمبر ١٨٦٣ انظر

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, pp. 301-302.

(4) Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 303.

(٥) انظر الخطباء التي ألقاها دي لسبس في اجتماع الجمعية المصرية لسبيلين بتاريخ أول مارس ١٨٦٤ وقد نشر في جريدة *L'Isthme de Suez* العدد ١٨٥ الصادر في ٩ مارس ١٨٦٤ مجموعته الستة عشرة .



وأُس ذلك الحفل رويس من Ruysenaers نائب رئيس الشركة وكان قد رُق إلى هذا المنصب - وشهد جيرلردا Gornaud الوكيل الأعلى للشركة في مصر والمفتش العام بها وكبير أطبائها ومن إليهم من كبار مستخدمى الشركة وقناصل الدول . وأقامت الشركة سدا على مقربة من مصب التربة الحلوة في البحر الأحمر وحجرت خطفه ماء النيل ، وأقامت منصة عالية على مقربة منه للمدعوين ثم قطع السد وانسابت المياه في البحر الأحمر . وألقى رويس من Ruysenaers خطابا جامعا استله بإهداء اسمه على نقيب دى ليس عن حضور الحفل ، ثم عرج على تاريخ الطريق بين الشرق والغرب وجهود الضابط الإنجليزي واجورن Wagborn في سبل تنظيمه في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ثم صعد الترابا إلى نعود على مصر والمعلم من حفر تلك التربة ، وأبدى شكره العميق للرجال الذين أسهموا في إنجاز هذا العمل الكبير (١) ، ثم أبقى إلى مقر الشركة في باريس يفتيها بأتمام حفر التربة (٢) .

أما دى ليس فلم يفته وهو في باريس أن يستغل إتمام حفر التربة الحلوة استغلالا واسع النطاق ، فأقام في ١١ فبراير ١٨٦٤ مأدبة شهدا ألف وسبائة منسوخ ورأىها الأمير جبروم نابليون الذي ألقى خطابا ضافيسا دار حول

(١) انظر وصف الحفل والخطاب الذي ألقى فيه منشورين في العدد ١٨٢ من جريدة L'Isthme de Suez الصادر في ١٥ يناير ١٨٦٤ من ص ٢٤ - ٢٦ مجموعة السنة الثامنة

(٢) هذا هو نص البرقية كما نشرته جريدة الشركة :

Suez, 20 décembre 1863.

Le canal d'eau douce vient d'être inauguré. Le Nil coule dans la mer Rouge. Au banquet, un toast a été porté au Vice-Roi actuel S. A. Ismail et à feu Mohamed-Saïd, auteur de la concession. La population de Suez est dans l'enthousiasme.

Signé

Ruysenaers

انظر جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٨١ الصادر في أول يناير ١٨٦٤ من مجموعة السنة الثامنة .

تجديد عمل الشركة والظعن في الشرقيين عامة من حيث عقليتهم وأسلوبهم  
في التفكير وتقضيم اليهود (١)

وعلفت جريدة L'Isthme de Suez على اتصال ترعة الماء للعلب إلى  
السويس بقولها : إنه في الوقت الذي ينكر بعض الصحفيين وجود الشركة  
من الناحية القانونية إذ بالشركة العالمية تثبت وجودها بتعبيد أحد الأحداث  
الكبرى في المصور الحديثة . (٢)

ولا شك أن وصول ماء الشرب في ترعة حاوية إلى مدينة السويس كان  
له أثر بعيد في تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها . إذ كانت السويس  
حتى ذلك الوقت لا تملأ أن تكون قرية كبيرة (٣) فكان عدد سكانها

---

(١) نشرت الشركة هذا الخطاب والخطاب الآخرين اللذين ألقاهما دي لير  
والنائب العام Dupin في كتاب باسم .

Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez , Banquet du  
Canal de Suez — 11 lévrier 1864 — Discours de S.A. le Prince Napoléon,  
de M. Dupin et M. de Lesseps, Paris 1864

(٢) العدد ١٨٠ الصادر في ١٥ - ١٧ ديسمبر ١٨٦٣ من ٢٦ مجموعة السنة الثالثة .

(٣) انكثت جمعية السويس بهذا أن تحول عنها طريق التجارة  
العالمية عن إثر استكشاف طريق رأس فرجاء المانع . وظلت قبل تلك الحوادث حتى  
نظمت الحكومة المصرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الطريق البحري  
The Overland Route وانتشرت قليلا ثم كان إنشاء الخط الحديدي عبر  
الصحراء بين القاهرة والسويس والمستندة في ١٨٥٨ فأقسم في بحر المدينة . وسمع  
ذلك يقول أحد الظلي راوومس في أغسطس ١٨٦٢ وهو Stocklin إلى سلفه ميالها  
مبدوءة من مجموعة أكواخ خشبية مقامة عند رأس الخليج ولا توجد صناعته بها قائمة  
وليس بها سوى مستشفى شركة P & O وجبهة من بحارة السفن وأحياناً العرب .  
ويقول صالح مرسي راوومس في نفس ذلك العام ( ١٨٦٢ ) إن أقدم باب السويس  
هو الفندق المسمى The Indian Hotel

الشر

Stocklin A Notice sur la construction du bassin de Radoub de  
Suez. Bordeaux 1867, pp. 5-8.

Berchère. nouv. éd. p. 206.

والنظر في بعض الكتاب وسفرا المدينة من ص ٢٢٧ - ٢٦٨ . ٢٥٦

يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف نسمة عام ١٨٦٤ (١) وكانت تجلب لها بعض الحركة بواسطة شركة P. & O. الإنجليزية وغيرها من شركات الملاحة البحرية (٢).

وكان في مقدمة الأسباب التي أعاقت نمو السويس عدم توفر ماء الشرب بها ، إذ كان الماء ينقل إليها على ظهور الجمال من حيوان موسى (٣) ، وهي آبار ارتوازية ذات تركيب عجيب وتقع على مسافة ١٦ كيلومترا من الجنوب الشرق للسويس (٤) . وكانت مكاتب شركات الملاحة البحرية في السويس والقنادق الأجنبية تعتمد في خدمة مستعمليها ونزلاتها على المكلفات لتحويل ماء البحر إلى ماء صالح شربه (٥) . ولما أنشئ الخط الحديدي الصحراوي

ووصفها لما يزال رسم الحج من ٢٧٨ - ٢٨٢ .

ووصفها لما في ليلال شهر رمضان من ٢٧٠ - ٢٧٦ .

وانظر أيضا وصفا لمدينة السويس قبل مغرور القنساء وبه نظمة المذروع

Edwin de Léon, ouvr. cit., pp. 42-43.

(1) Morellet, Breton et Cattin La vérité actuelle sur le Canal de Suez. Excursion dans l'Isthme. L'état des travaux. Leur achèvement. Paris 1868, p. 14. Voir aussi.

Borde Peul. L'Isthme de Suez. Paris 1870, p. 46.

(2) Ritt, ouvr. cit., p. 193.

(3) Bourdon, ouvr. cit., p. 331. Voir aussi

Bernard H. et Timot E. : Itinéraire pour l'Isthme de Suez. Paris 1869, pp. 69-101.

Manuel Juan : L'œuvre géographique de Linant de Bellefonds. Le Caire 1937, p. 282.

Danglar, ouvr. cit., p. 257.

(4) Linant de Bellefonds, ouvr. cit. p. 153.

(٥) عقر غلات قصر ماهدين : ديسمبر ١٩٠٤ من ٧ رقم ٢ في جريدة مصر ١٢٧٧

٥٠ (١٦ - يناير ١٨٦٦ م) ومن ٨ ديسمبر ٢ نفس التاريخ ومن ٩ رقم ٩

وانظر أيضاً : ديسمبر ١٩٥٥ من ٥٩ رقم ٢١٠ ورقم ٢٤١ ومن ٩٠ رقم ٢٨١

ونيسا يقول : وكيل القنصلية الفرنسية بالسويس استعصر من إنجلترا آلة لتحويل ماء البحر المالح لزوم الحوكافة ومقتضى تركيبها بين البحر وبين الحوكافة .

بين القاهرة والسويس وبدأ العمل عليه في ١٨٥٨ تولت الحكومة المصرية نقل الماء إليها من القاهرة في صهاريج (١) . وكانت الحكومة تباع الماء للأمايين في السويس سعر ٢,٥ من القروش القربة التي تسع ٤٥ ليرا (٢) . وكان هذا الثمن لا يغطي تكاليف نقل الماء في الطريق الحديدي . وقد بلغت قيمة ما كانت تتحمله الحكومة في السنة في سبيل نقل الماء من القاهرة إلى السويس مائة ألف فرنك أي مايقرب من أربعة آلاف جنيه (٣) . وكان يشتد الطلب على الماء اشتدادا عظيما في موسم الحج حين ترددهم المدينة بالحجيج وهم في طريقهم إلى مكة ، وكان يرتفع سعر القربة إلى ستة عشر قرشا وأحيانا يقر إلى عشرين قرشا . (٤) وكانت تقع معاهدات بين الحجاج بسبب قلة ماء الشرب . (٥) ولذلك كانت الحكومة لا تسمح للحجاج بالسفر إلى السويس وهم في طريقهم إلى الحجاز إلا إذا كان موعد وصول القوج إلى تلك المدينة يقارب موعد قلوب حفيظة تقلهم إلى الحجاز حتى لا تطول إقامة القوج في السويس ويصعب تزويد أفرادهم بماء الشرب . وقد رفضت الحكومة هذا الحظر بعد إتمام حفر التربة الحظوة (٦) .

(1) David C. E. : Souvenirs d'un voyage dans l'Isthme de Suez et au Caire. Paris 1866, p. 17.

Voir aussi

Fontane, ouvr. cit., 2ème partie, p. 136.

Fol. ouvr. cit. p. 16.

Lavalley, ouvr. cit., p. 6.

Hawshaw, ouvr. cit. p. 21.

Fitzgerald, ouvr. cit., t. I. p. 182.

(2) Bernard H. et Tissot E., ouvr. cit., pp. 99-101.

(٣) انظر مثالا جريدة *Moniteur Universel* أضافت جريدة *L'Isthme de Suez*

نشرت في عددها رقم ١٦٢ الصادر في أول أبريل ١٨٦٢ من ص ١٠٩ - ١١١ مجموعة لائحة

(4) Stoecklin, ouvr. cit., p. 14.

(5) Guillénis, ouvr. cit., p. 281.

(٦) تقرير كبير الأطباء لوكالة القنصل بتاريخ أول يوليو ١٨٦١ نشر في جريدة

*L'Isthme de Suez* العدد ١٩٥ الصادر في ٢ أغسطس ١٨٦٤ من ص ٢٢٨ - ٢٢٧

وكان من أبرز نتائج إصالح ترعة الماء الملب إلى السويس أن ازداد عدد سكانها زيادة كبيرة وسريعة . فبعد أن كان عددهم في عام ١٨٦٤ يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف نسمة كما مر بنا ، إذ به يقفز إلى أكثر من عشرين ألفاً في سنة ١٨٦٨ (١) ويصل في العام التالي ١٨٦٩ إلى خمسة وعشرين ألفاً (٢) .

---

مجموعة السنة الخامسة .

والنظر أيضاً

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 316.

(1) Morellet, Breton et Cattin, *ouvr. cit.*, p. 14.

(2) Hoskins, *ouvr. cit.*, pp. 367-368.

## الفصل الثاني عشر

### تفشي الأوبئة والأمراض بين العمال في ساحات الحفر

الشركة تفشىء إدارة صحية - أجهزتها - فشل خطتها - انتشار الأمراض  
فثكها بعمال النوبة - وبالعامل في الشلولة - تفشى الأوبئة - التفود  
ومسئولية الشركة - تكتم أنباء الوباء - مداخلات الشركة - وباء  
التيومس - كيف وفد إلى ساحات الحفر - وباء البلجيري - وباء  
الكوليرا - مزاعم الأوربيين عن الحجاج المسلمين - انتشار  
الكوليرا المروع في مصر وانتقال الوباء إلى ساحات الحفر  
- تلذير الشركة - تعاقب الموقف - انتشار الدمر - اختلاء  
ساحات الحفر - الشركة تفقد سيطرتها على الموقف  
- الشركة لا تجد رجالا لنقل الموتى - انتشار  
الدوسنتاريا - الحكومة تشترى الإدارة  
للصحة من الشركة .

التزمت الشركة في لائحة العمال بإنشاء مستشفى ومراكز إسعاف كما  
تعهدت بتوفير العلاج الطبي المجاني لعمال المرضى . ويقضينا واجب الإنصاف  
أن نذكر أن الشركة اعتمدت منذ السنة الأولى بالتنفيذ الجزئي الشكلي لهذا  
الالتزام . فأنشأت في ١٠ يناير ١٨٦٠ إدارة صحية وعينت أوبير روش  
Aubert Roche على رأس تلك الإدارة (١) . وكان هذا الطبيب قد  
شهد الحفل الذي أقامته للشركة في بورسميد في ٢٥ أبريل ١٨٥٩ إيماناً بالبدء  
في تنفيذ المشروع وعهدت إليه وقتئذ بدراسة تنظيم إدارة صحية . وقد ظل هذا  
الطبيب شاغلاً لمنصب كبير أطباء الشركة طوال ستي حصر القناة .

وكانت المهمة التي واجهتها الإدارة الصحية شاقة وعظيمة ، إذ لم يكن من الأمر الحسب المحافظة على الصحة العامة بين جموع العمال المختلفة في الصحراء . وزادت أعباء الإدارة الصحية كلما تقدم العمل في حمر القنات وأُنشئت ساحات حفر جلبلة وزيد عند العمال . وما زاد في خطورة أعباء تلك الإدارة أن البرزخ كان في منطقة صحراوية خالية من الماء العذب إلا من بعض آبار قليلة ، فلم يكن في الاستطاعة إقامة الحمامات العامة أو الفاسل وغير ذلك من وسائل المحافظة على الصحة العامة .

ولا ينبغي عن البال أن تضيق معظم المشروعات الكبرى في مصر في ذلك العصر . قد اُثرت بوقوع كوارث بين العمال المصريين . فعلى عهد محمد علي حضرت ترعة الحمودية ومات أثناء حفرها اثنا عشر ألف مصري من عمال السخرة (١) نتيجة الجوع والعطش والإرهاق في العمل ، إذ كان موظفو الحكومة وجندوها يمحونهم على العمل المصل من التجر حتى غيب الشمس ويضربونهم حالما يبدو منهم أدنى تقصير في العمل . ويقول الحبرقي في حوادث شهر شوال ١٢٣٤ ( أغسطس ١٨١٩ ) « سافر الباشا ( محمد علي ) إلى جهة الاسكندرية بسبب ترعة الأشرفية ( الحمودية ) وأمر حكام الجهات بالأرباب بجمع الفلاحين للعمل فأخطوا في جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال ..... ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح . » (٢) وفي سنة ١٨٢٥

(1) Mengin Félix Histoire de l'Egypte sous le Gouvernement de Mohamed Aly ou Récit des Evénements Politiques et Militaires qui ont eu lieu depuis le départ des Français jusqu'en 1823, 2 vols. Paris 1823, t. II, p. 334.

وانظر أيضا كلام

Mertens Paul . op. cit. p.

Dréuxer Louis L'Egypte de 1798 à 1900. Paris 1900.

والدكتور كلوت بك - لجنة علمية إلى مصر ترجمة محمد محمود بك الجزء الثاني من ص

٧٠٣ - ٧٠٢ .

(٢) حية الرحمن الجبوري : عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجزء الرابع ص

ص ٣٠٤ حوادث ٢٤ شوال ١٢٣٤ ( أغسطس ١٨١٩ ) .

انتشر الطاعون في مصر وفك مجموع العمال الذين كانوا يعملون في بناء  
القناطر الخيرية وتعرضت أعمالها لتعطيل الشام إذ هرب العمال إلى قراهم  
وفر لبنان بك إلى الأقصر حيث كان قد هرب إليها محمد علي وأفراد  
بطانته (١) -

وكانت الإدارة الصحية تفتش تباعا مراكز إسعاف في الجهات التي  
يتمد إليها نشاط الشركة، وكانت بور سعيد أولاها (٢) . ولما انتقلت عمليات  
الحفر جنوبا في اتجاه السويس تابعت الإدارة الصحية إنشاء مراكز الإسعاف،  
وبعض الأيام غدا لها مراكز إسعاف في بور سعيد والقنطرة وحجة الحمر  
والإسماعيلية وطوسن وجنيفة والشلوم والسويس . وبذلك أصبح نشاط الإدارة  
الصحية ممتدا في جهات متباعدة على طول خط القناة من البحر المتوسط  
إلى البحر الأحمر (٣) . وكان إذا قل نشاط الشركة في إحدى الجهات لم نجد  
الإدارة الصحية حرجا في إلغاء مركز الإسعاف أو نقله إلى جهة أخرى .

وكانت أهمية مركز الإسعاف تتوقف على عدد العمال الذين يعملون  
في دائرته (٤) أو على جنسية المقيمين هناك . وعلى ضوء تلك الأهمية كان  
يتحدد عدد الأطباء والصيدلة والسرور . ومن الموصف أن عناية الشركة بصحة  
مستحلميها وعمالها الأجانب كانت تفوق كثيرا عنايتها بصحة العمال المصريين.

---

(١) *Manuel Jean, ouvr. cit., pp. 8 et 172.*

(٢) تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ ٢٥ يونيو ١٨٦٠ نشر في جريدة  
*L'Isthme de Suez* العدد ٩٩ الصادر في أول أغسطس ١٨٦٠ من ص ٢٤١ - ٢٤٠  
مجوعة السنة الخامسة .

(٣) *L'Isthme de Suez* العدد ١٦٦ الصادر في ١٥ مايو ١٨٦٢ من ص ١٧٢  
مجوعة السنة الخامسة . وأقبل أيضا .

*Voinin Bey ouvr. cit., t. VJ, p. 281.*

(٤) تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٦٢ نشر الجزء الأول  
منه في جريدة *L'Isthme de Suez* العدد ١٦٦ الصادر في ١٥ مايو ١٨٦٢ من ص  
١٦٨ - ١٧٢ ونشر الجزء الثاني من التقرير في العدد ١٦٨ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٢  
من ص ٢٤٦ - ٢٣٩ مجوعة السنة الخامسة .



وليس أدل على ذلك من أن فرقة حية كانت في مسهل عمليات الحفر حرم  
بأبحاث ودراسات في منطقة طوسن جنوبي بحيرة القمناح . وكانت تلك  
الفرقة تتكون من عشرين أجنبيا ما بين مستخدم وعامل . فأشأت الشركة  
لهم خصيصا مركزا طبييا في طوسن أشرف عليه طبيب وصيدلي . وأقيم  
المركز في كشك خشبي استوردته الشركة من فرنسا ثم نقل على ظهور الجمال  
من بور سعيد إلى طوسن ، وقد نصبت فيه سبعة أسرة (١) .

وقد رسمت الإدارة الصحية لنفسها سياسة فشلت فيها فشلا ذريعا هي  
العمل على منع وقوع الأمراض واتخاذ الحيلة لمنع تسرب الأمراض والأوبئة  
إلى منطقة القناة (٢) ولكن انتشرت الأمراض بين العمال وتفشيت فيهم  
الأوبئة ، ومن ثم سارت على سياسة الطب العلاجي .

وتحميا مع السياسة العليا للشركة ، استوردت الإدارة الصحية من فرنسا  
كل الأدوية والأدوات الطبية (٣) ، وصارت على خطة المستشفيات العسكرية  
من حيث استيراد الأدوية التي يسهل المحافظة عليها مدة طويلة دون أن تنصرص  
للفساد أو يصعب تركيبها بالجلال (٤) . وكانت الإدارة الصحية تؤدي  
خدماتها الإنسانية للأفراد المقيمين في منطقة القناة ، ولكن أصدرت إليها إدارة  
الشركة أمرا في أواخر عام ١٨٦٦ بأن تقصر نشاطها على مستخدمي الشركة  
وعمالها . وقد أرسل محافظ القناة إلى اسماعيل يحظره بمضمون هذا الأمر (٥)

(١) المرقع عشر جلسة ١٢ يوليو ١٨٨٩ التي عقدتها اللجنة المتابعة من قبل  
مجلس إدارة الشركة في

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, pp. 80, 134 et 178.

(٢) تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ ١٨ أبريل ١٨٦١ . وقيل نشر في جريدة  
الشركة العدد ١١٧ الصادر في أول مايو ١٨٦١ من ص ١٢٢ - ١٢٧ مجموعته  
لجنة الصحة

(٣) *ibid.*, *ouvr. cit.*, p. 357.

(٤) تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ ١٨ أبريل ١٨٦١ - ص ١٣٤ .

(٥) محمولات قصر عابدين : عطفه رقم ٤٠ مئة وثلاثة عشر ٧٢ بتاريخ  
٢٤ رجب ١٢٨٢ ( ٢ ديسمبر ١٨٦٦ ) من اسماعيل حيدى بك محافظ القناة إلى حضرة  
صاحب السعادة بهادر الخشاب العالي .

وكانت أكثر الأمراض انتشاراً بين العمال المصريين في ساحات الحفر هي الفترلات الشعبية والأمراض الصلوية والرممية وحالات الإسهال الشديد والدوسنتاريا وأمراض للكبد (١).

وقد قرر بوجوا Bougouin الطبيب بالشركة أن انتشار الرمد ، وهو التهاب يصيب العينين ، كان يرجع إلى عدة أسباب منها : البرودة الشديدة ليلاً عقب الحرارة العنيفة نهاراً ، وكذلك شدة أشعة الشمس الحارقة وتأثيرها على شبكة العين ، كما كان من أسباب انتشار الرمد طبيعة عمليات الحفر إذ أن نقل الأنقاض بلاً يلمس بلوات الأتربة التي كان ينفخها الهواء إلى العين (٢).

وكانت الشركة تطلق لفظ السود والبرابرة Nègres et Barbarins على العمال اللذين يعملون من بلاد النوبة. وكانوا في الواقع أسوأ العمال حظاً ، إذ كانت الأمراض تجد في أجسامهم مرتعاً سهلاً ، وذلك لضعف بينهم من ناحية ، وللعناء الشديد الذي كانوا يلاقونه في سفرهم الطويل من بلادهم البعيدة من ناحية ثانية . وكان أطباء الشركة ورجالها يعملون بحالية أوائل تلك العمال جيشاً هاملة ، إذ كان للموت يطويهم بعد مرضهم بهان وأربعين ساعة (٣).

(١) ذكر صله الأمراض كبر أطباء الشركة في تقريره السنوي التي كان يرسلها إلى إدارة الشركة . وترجمه مجموعة من طه المقارير التي صدرت من ٢٥ يوليو ١٨٦٠ إلى ١٨٦٥ في مجلة محفوظ في مكتبة بلدية الإسكندرية تحت اسم

Dr. Aubert Roche Rapports sur l'état sanitaire et médical des travailleurs et des établissements du canal maritime de l'Isthme de Suez. Imprimerie Centrale de Napoléon. Paris 1865.

كأن جريدة الشركة كانت تحرس على نشر تلك التقارير في حينها (٢) انظر تقريراً خاصاً وضعه الدكتور Bougouin الذي أشرف على الحفنة الصحية بين عمال المسخرة الذين حلوا مرة المساء الذهب من قرية التماسين إلى أفيشة . ويشرح ذلك التقرير ، وترجمه ١٥ مارس ١٨٦٧ ، في أوبسة غيسبول طويلة وترجمته جريدة L'Isthme de Suez في العدد الصادر في ١٥ أبريل ١٨٦٢ من ص ١٧٢ - ١٧٨ مجموعة سنة الصحة .

(٣) انظر خصوصاً هذا الموضوع كلامي . تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٦٢ . نشرته جريدة الشركة ص ٢٠٠

وقد مرت عصر موجة برد شديدة قارصة في شتاء ١٨٦٣ - ١٨٦٤ واشتدت وطأة البرد في ساحات الحفر اشتدادا مروعا وتجدد لاه في الشلوة وضطت درجة الحرارة عند جبل مريم نفلت ثلاثة تحت الصفر ، وأمطرت السماء قطعا من الثلج في القنطرة ، وقد انقضت ساحات الحفر في منطقة الشلوة بأشد برد وأعتى . وكان يشغل فيها خلال خمسة أشهر ٤٧,٧٨٠ عاملا مصريا بينما لم يزد عدد الأجانب فيها عن ٩٤ ما بين مستخلم وعامل . وكانت الوسيلة الأولى لحماية أولئك المصريين هي مبهم في داخل ماشآت تقيم قسوة البرد . ولكن الشركة بررت مبهم في العراء تبريرا حريسا فقالت : إنه من الصعب إيواء وتفطخ جموع من العمال يتراوح عددهم كل شهر بين عشرة الآف وأحد عشر ألفا . وكان الإجراء الذي اتخذته الشركة - على قولها - لحماية العمال من موجة البرد العاتية آتيا وزعت عليهم كميات من الخشب يوقدون بها ليلالندخه . وتمنن الشركة على المصريين فزعم أن تقديم الخشب إلى العمال قد كبدها أربعين ألف فرنك ( ما يقرب من ألف ومائتي جنيه ) هي مجسوع ثمن الخشب ومصاريف نقله بالطريق الحديدي من القاهرة إلى السويس ثم على ظهور الجمال مسافة ١٢ كيلومترا ثلثا السويس إلى الشلوة . وقد أصيب العمال المصريون هناك بالدوسنتاريا والأمراض الصلوية ، وارتفعت نسبة الوفيات بينهم ، وكان من بين الضحايا طبيب مصري مستخلم في الشركة ، كان يشرف على الحالة الصحية بين

---

دفتين العدد ١٩٦ الصادر في ١٥ مايو ١٨٦٣ من ص ١٦٨ - ١٧٤ والعدد ١٦٨ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٦٣ من ص ٢٣٦ - ٢٣٩ مجموعة السنة السادسة وحاد كبير ألباء الشركة إل بحث هذا الموضوع في تقرير وضعه بتاريخ ٢٠ يونيو ١٨٦٥

ب تقرير كبير ألباء الشركة بتاريخ أول يوليو ١٨٦٧ نشر على دفتين - جريدة الشركة ، العدد ٢٦٤ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٧ من ص ٢٢٧ - ٢٣٢ والعدد ٢٧٢ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٧ من ص ١١١ - ١١٥ مجموعة السنة الثانية عشرة .

- جريدة الشركة العدد ٢٠٢ الصادر في ١٧ نوفمبر ١٨٦٤ من ص ١٥١ مجموعة السنة الثالثة .

٤ نوازان بك الجزء السادس ص ٢٨١ .

العمال في منطقة الشلقة . (١) وقد نشر كبير أطباء الشركة الإحصائية التالية عن عدد العمال المصريين وإصاباتهم ووفياتهم ، وذلك في تقريره بتاريخ أول يوليو ١٨٦٤ :

الشهر	عدد العمال	عدد المرضى	عدد الوفيات
يناير ١٨٦٤	١٠,٩٠٧	٤٠٧	٢٤
فبراير	١١,٤٢٠	٢٣٧	٤٥
مارس	١٠,٥٦٣	٣١٥	٤١
أبريل	٦,٠٢٢	٣٢١	٣٨
مايو	٨,٨٦٨	٢٠٠	٢٦
المجموع	٤٧,٧٨٠	١,٤٨٠	١٧٤

### انتشار مرضي يوس العمال في ساعات الحضر

تجمعت على العمال المصريين الكوارث من كل نوع وصوب . فلما جانب أهوال أزمة ماء الشرب ومجانبة العمل والإرهاق فيه والضرب بالكرباج والترحيل يوم في السجن جاءت الأوبئة فصفت بالعمال في غير مواد أو شفقة . وكان من بين هذه الأوبئة حسب ترتيب ظهورها . التيفوس والتيفوس والحمى والكوليرا والحمى الزلجمة . وكانت بمضى الأوبئة تخص لتعود مرة أخرى بعد سنة أو سنتين أكثر عتفا وأشد فتكا من المرة السابقة .

(١) انظر مخصص موجه لورد في ساعات الحضر كلامين :

أ - تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ أول يوليو ١٨٦٤ نشرته جريدة الشركة في العدد ١٩٥ الصادر في ٣ أغسطس ١٨٦٤ من ص ٣٢٨ - ٣٣٧ بمسودة السنة التاسعة .

ب - جريدة الشركة العدد ١٧٩ الصادر في ٣ ديسمبر ١٨٦٢ من ص ٤٧٤ بمجموعة السنة الثامنة .

ظهر التيفود في أبريل ١٨٦٢ في ماحة الحفر رقم ٦ منطقة عتية الحضر واتخذ مظهر الوباء بين العمال . وقد اختفت الآراء في أسباب ظهوره في ساحات الحفر وفي تحديد مسؤولية الشركة في تفشي ذلك الوباء. وقد ذكر كبير أطباء الشركة في تقريره الذي وضعه عن ذلك الوباء أن فوجاً من العمال بلغ عند أفرادهم ١٨٧٥ عملاً جاء من بعض قرى مديرية قنا وكانوا يحملون ذلك المرض . واستند إلى دليلين : أولهما أن عدداً من أفراد ذلك الفوج قد أصيب بالتيفود ، وأن عدداً آخر قد قضى نحبه ، والفوج لا يزال في طريقه من الصعيد لم يكن قد بلغ بعد منطقة القناة . وثانيهما أن التيفود كان قد ظهر في العام السابق أي في ١٨٦١ - في سبع قرى من نفس مديرية قنا . وكانت هي نفس القرى التي وفد بها عام ١٨٦٢ ذلك الفوج من العمال ، وهذا الدليل الثاني الذي يذكره كبير أطباء الشركة دليل عليه يدينه بالإهمال والتقصير لأنه كان يجدر به ، وقد علم أن التيفود انتشر في المسام السابق . أن يتخذ التدابير الوقائية لمنع تسرب المرض إلى ساحات الحضر

ويذكر البعض (٢) أن الشركة كانت ميباً غير مباشر في انتشار الوباء

(١) تحطت الشركة في تحديد ذلك الوباء فقد ذكر مدير جريدة الشركة أنه التيفوس ( الفصل ١٤٤ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٦٢ من ١٩١ مجموعة السنة السابقة ) كما قرر ذلك كبير أطباء الشركة في تقريره الأول الذي وضعه من ظهور الوباء والذي نشر في نفس المصنف . ولكن عدد كبير الأطباء لذلك في تقرير آخر وضعه في ١٥ أبريل ١٨٦٢ أنه التيفود إذ يقول فيه « وقد أسفر تفحص الطبيب الخال من تعرف الأطباء على أعراض التيفود . »

*Bientôt un examen attentif fait reconnaître aux médecins des symptômes typhoïques.*

وقد نشر الجهر الأول من هذا التقرير في المصنف ١٦٦ الصادر في ١٥ مايو ١٨٦٢ من ١٦٨ ، والمترجم لكامل في المصنف ١٦٨ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٦٢ من ٢٢٩ - ٢٢٩ مجموعة السنة الثالثة . وانظر أيضاً

Voisin Bey, *ouvr. cit.*, t. VI, p. 280.

(2) Sammarco Précis etc. *ouvr. cit.*, t. IV, pp. 148-149.

Sammarco . Histoire de etc. *ouvr. cit.*, t. III, p. 55.

إذ أن العمال المصريين لم يألفوا جو البرزخ . وأن الأحوال المحيطة في البرزخ كانت تختلف في ذلك الوقت اختلافاً بيناً عما ألفوه في بلادهم فأصيبوا بالتيفود وهم في ساحات الحفر ، ثم حملوا مكروب المرض معهم إلى قراهم وهناك أخذ صورة الوباء وقتلت بالأطباء .

ومن الصعب ترجيح أحد الرأيين ترجيحاً قاطعاً ، ومن المحتمل أن يكون الرأي الثاني هو الأرجح ، لأن وسائل النظافة العامة والشخصية في ساحات الحفر القائمة في الصحراء كانت معدومة حتى بعد حفر ترعة الماء العذب من القصاصين إلى نقيشة ، إذ كان الماء لا يزال يحمل على ظهور الحمال إلى ساحات الحفر ، ولم يكذبى بحاجات العمال الضرورية ، والعامل يشتر نفسه سجيلاً إذا ظفر بانتظام على ما يقيم أوده من ماء الشرب ، فلم تكن في ساحات الحفر حمامات عامة أو مناسل أو غيرها .

وقد كافحت الشركة الوباء في صمت وتكتم شديدتين ، فلم يذكر أحد من رجال الشركة على الإطلاق اسم ذلك المرض حتى لا تكون معرفة الناس بانتشاره مدعاة لانتشار الرعب والاضطراب في ساحات الحفر . وبلغ من تكتم الشركة أن المرضى أنفسهم كانوا يجهلون أنهم مصابون به (١) . وقد حاصر الأطباء الوباء بين أفراد القوج الذي ظهر فيهم ، وعزلوا المرضى في خيام وأكشاك حشوية ، كما خصصت للشركة لسائر أفراد ذلك القوج جهة نائية فسيحة يقيمون فيها . واهتمت بمسائل التهوية والنظافة بينهم . وشاغلت عدد الأطباء في ساحات عتة الحفر ، وأنشأت في كل ساحة من الساحات الست مركز إسعاف عينت فيه أطباء مصريين (٢)

ويذكر كبير الأطباء أن القسم الطبي استطاع أن يتعطب على الوباء في خلال شهر واحد ، وأن عدد الأصابات بلغ ٥١٢ عاملاً والوفيات ٢١ فقط .

(١) التقرير الأول الذي وضعه كبير الأطباء للشركة عن ظهور ذلك الوباء ونشر في جريدة الشركة العدد ١٤٤ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٩٢ من ص ١٩١ - ١٩٢ نسخة الست السابعة .  
(٢) المصدر السابق .

ولكن الثابت أن هذه الأرقام كانت دون الحقيقة بكثير ، لعدة أسباب ،  
 منها أن أحد الفرنسيين كتب عن ذلك الوفاء في ٢ يونيو ١٨٦٢ من الساحة رقم  
 ٦ في عتبة البحر ، وهي للساحة التي انتشر فيها الوفاء ، وتعرض فيها كتبه  
 لعدد الإصابات فقال : « أما عدد الضحايا فقد أذيع رسميا أنه عشرين . ولكني  
 أعتقد - وأقول هذا في الحفاء - أن العدد أكثر من ذلك بكثير » (١)  
 كما ذكر أن عمليات الحفر تعرضت للتعطيل بسبب الوفاء (٢) . والمباراة  
 الأخيرة قوية على جسارة عدد الضحايا ، لأنه لا يقل أن ٥٣٣ عاملا هم  
 مجموع عدد المرضى والوفيات ، ينشأ عن غيابهم تعطيل عمليات الحفر ، لأن  
 هذا العدد ضئيل بالنسبة لمجموع عدد العمال وكان لا يقل عن عشرين ألفا . كما  
 أن فرنسا معاصرا آخر هو فوزان مدير عام الأشغال في الشركة ، وكان  
 يشرف وقتئذ على عمليات الحفر في تلك المنطقة ، وصف ذلك الوفاء بأنه  
 « حادث خطير » (٣) ويذكر روش أن « عددا كبيرا جدا من أفراد ذلك  
 الفوج قد أصيب بسرعة وضجأة » (٤) . كما أصيب عدد من أطباء الشركة  
 المصريين والأجانب بذلك الوفاء ولقى بعضهم حتفه وهم يكافحون الوفاء . (٥)  
 وقد وجد معارضو المشروع في ظهور التفود بعد أن أحلته جريدة  
 الشركة على صفحاتها فرصة ساعة لمواجهة المشروع ، فأداع بعضهم أن المنطقة  
 التي تجازها القناة إقليم موبوء غير صحي ، واعتبر البعض الآخر انتشار الوفاء  
 دليلا على سوء الإدارة ولغرض العمل في الشركة (٦) .

وفي العام التالي ، أي في سنة ١٨٦٣ ، حل وباء التيفوس والتيفود مما

(١) Ritt, ouvr. cit., p. 245.

(٢) Ibid.

(٣) Voksin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 280.

(٤) تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٦٢ وقد سبقت الإشارة إليه

(٥) جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٤٤ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٢  
 من ص ١٩١ - ١٩٢ مجموعة قصة السابعة .

(٦) Voksin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 280.

في ساحات البحر . وكانت مصر قد ابتليت بهذين الوباءين قبل أن ينتقلا إلى منطقة البرزخ . وكان من المتعذر أن تظل تلك المنطقة بمنجاة منهما .

انتشر في مصر لمدة عامين الطاعون البقري بين الماشية . ومنق ما يقرب من ستائة ألف رأس . ولم نجد نفعا للتدابير التي اتخذتها الحكومة لمكافحة الوباء . فقد استوردت عددا كبيرا من الماشية من بلدان حوض البحر المتوسط على بواخر الشركة المصرية . (١) وأغت الحكومة تلك الواردات من الرسوم الجمركية ووزعتها على الفلاحين على أن يسلموها ثمنها على آجال طويلة ، (٢) ولكن مالمثل أن أصيبت الحيوانات المستوردة بالطاعون ونفقت . (٣) وكان لذلك الوءاء الحيواني نتائج بعيدة على الصحة العامة في مصر . كان الفلاحون يلقون بحيواناتهم النافقة في الترع والتبل بدلا من موارثها في حفر في الأرض . وسرعان ما كانت تظهر وتتفنن ويلدوها التيار آدماء ، وكان بعضها يحجز عند الكبارى ، والبيض الآخر يسططم عند المنحنيات فيقف عن السير في التيار . ومن المعروف أن الترع كانت هي المورد الذي يستق منه الفلاحون . فعدت المياه ملوثة ، وهكذا كانت تلك البلثيمت أمراض خطيرة ، فانتشر التيفوس والتيفود .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد تضافرت عدة عوامل زادت من شدة وطأة الوباء ، كان من بينها سوء التغذية بسبب ارتفاع أسعار الحوم ارتعاضا فاحشا (٤) وزيادة أثمان المحاصيل الزراعية ، قفلت التغذية وضعت القدرة على مقاومة الأمراض . يضاف إلى ذلك نقص المساحات المزروعة

---

(١) Subri M. , L'Empire etc. , ouvr. cit., p. 116. Voir aussi .

Dervieu, ouvr. cit., p. 15.

(٢) Sammarco Histoire etc. ouvr. cit., t. III, p. 106.

(٣) محترقات قصر عابدين . حفلة ٣٦ مصرية تركي وثيقة رقم ١٩٢ ق ٢٤ لبنان

. ١٣٨٧

(٤) Douin : Histoire du Règne etc. ouvr. cit., t. I, pp. 234-235.



تمعا وفرة (١) بسبب التوسع في زراعة القطن نتيجة الإقبال على شرائه بسبب قيام الحرب الأهلية الأمريكية . ثم جاء فيضان ١٨٦٣ وكان خطيرا عاتيا ، (٢) أغرق حقول اللوز ونقص المحصول نقصانا كبيرا وارتفعت أسعاره إلى الضعف ، وقامت شبه مجاعة في البلاد فلجأت الحكومة باستيراد مقادير كبيرة من القمح من الخارج . وكانت نتيجة تلك العوامل مجتمعة لشدة وطأة الوباء والقيوم في مصر .

وقد وفد الوياحان إلى منطقة البرزخ بثلاث طرق :

أولا : كان النيل يقذف في البحر المتوسط الآفا من جث الحيوانات . وكان التيار الساحلي يدفعها شرقا في اتجاه بورصعيد . فكان يصل كل يوم تجاه المدينة عدد من جث الحيوانات المأكلة المتضعة . وكانت الأمواج تلقىها على الشاطئ . وبذلك نأت القرصة أمام ميكروب المرض لكي ينسرب إلى المدينة بطريقة أو أخرى .

ثانياً . كانت جث الحيوانات النافقة تلقى في القرع الموجودة في شرق فرح دباط والتي تتصل بقرعة الماء المسلب التي حفرتها الشركة من القصاصين إلى بفيشة ، وبذلك كانت تصل مياه الشرب ملوثة إلى منطقة البرزخ من ناحية الغرب . وقد اهتم رجال الشركة في تفتيش الوادي - وكان من ممتلكات الشركة وقتئذ - بتلك المسألة وحاولوا معالجتها علاجا جزئيا ، فكانوا يمشون من قرعة الوادي مئات من جث الحيوانات النافقة ويعملون على دحها في أسكنة أحدها لهذا المرض (٣) .

(١) انظر تقرير كبير أطباء الشركة بتاريخ ٢٠ يونيو ١٨٦٥ وقد نشرته جريدة الشركة في المجلد ٢١٨ الصادر في ١٨ يونيو ١٨٦٥ من ص ٢٠٥ - ٢٢١ مجموعة السنة الخامسة .

(٢) بلغ من شدة الفيضان أنه أحدث في ليلة ٢٥ سبتمبر ١٨٦٣ تنفلا في حفر فرح دباط بلغ طوله ستة أميال شمال كفر الزيات وبلغت المياه طمحا والفتطت المواصلات بين القاهرة والإسكندرية ولم تحافظ إلا في ٩ نوفمبر . وحديث قطع آخر كبير في حفر فرح دباط عند طمسا ونقل الزوال إلى هسك الإشراف على أعمال الإنقاذ .

ثالثاً : جاء الوباء مع أفواج العمال المصريين الذين كانوا يفلون من مناطق موبوءة في الأصل . وقد وجد الوباء مرعى شخصياً وسط الجموع المختلفة من العمال . وكان سوء التغذية بينهم عاملاً قوياً ساعد على اتساع مآله ، فقد كان الحصول على الأطعمة في منطقة البرزخ صعباً للغاية ، (١) على الرغم من أن الشركة قد عملت ، بعد انزعاج أزمة ماء الشرب ، على ترغيب التجار والباعة في الزواج إلى مناطق الحفر يقيمون المتاجر . وقد ارتفعت أثمان الحاجيات في منطقة القناة ارتفاعاً طاحشاً ، وكثيراً ما انعدم وجود الأغذية في الأسواق .

وكانت منطقة الشلوة أكثر المناطق تضرراً للإصابة بالتيفوس ، (٢) وبلغ عدد الإصابات - كما جاء في بيانات للشركة - ٢٢٥ والوفيات ٣٧ ، وهذه الأرقام دون الحقيقة بكثير .

• • •

ونسرب وباء الجدري إلى ساحات الحفر في عام ١٨٦٤ في أعقاب التيفوس والتيمود . وكما ولدت الأوبئة السابقة أو غاليئها من خارج منطقة القناة فقد حل الجدري كذلك بساحات الحفر عربياً حلياً . وهذا يؤكد تقصير القسم الطبي بالشركة في اتخاذ التدابير الوقائية لمنع نسرب الأمراض والأوبئة إلى منطقة القناة .

وصل إلى السويس من جنه في أوائل ١٨٦٤ أفواج من العبيد السود قدم بهم تجار الرقيق . وكان عدد كبير منهم مصاباً بالجدري (٣) . وسبق أولئك الرقيق مرأ إلى القاهرة فحملوا إليها ميكروب المرض ، وهناك

(١) *ibid.*

(٢) يقول كبير أطباء شركة في تقريره بتسليم أول يوليو ١٨٦٤ : إن التيفوس أصاب عدداً كبيراً من عائلنا . . . . . لثرت بريقة الشركة هذا التقرير في العدد ١٩٥ الصادر في ٢ أغسطس ١٨٦٤ من ص ٢٢٨ - ٢٢٧ مجموعة السنة الخامسة .

(٣) Vojdin Bey, *ouvr. cit.*, L VI, p. 318.

النشر بين الأهلين ، وانتقل من القاهرة إلى جهات مختلفة في مصر . وكانت القاهرة والسويس أكثر المناطق إصابة بالجدري . وانتقل الوباء إلى ساحات الحفر حيث وقع كثير من الضحايا بين العمال المصريين واليونانيين .

وظهر الجدري مرة أخرى في منطقة البرزخ في أواخر عام ١٨٦٦ ، إذ كانت تجلوة الرقيق لا تزال تجدد بعض الرواج في مصر على الرغم من جهود الحكومة المصرية في الضرب على أيدي المشتغلين بها . وكان فريق من تجاره يرسلون شحنتات آدمية تبحر من سواحل أفريقيا ومن جده إلى السويس ، وكانت تلك السفن لا تخضع للرقابة الصحية التي تفرض على السفن الأخرى . وكانت البلاد التي وفد منها الرقيق تعتبر موطن الجدري . وبذلك تسرب إلى السويس ومنها إلى سائر الأقاليم في مصر . ولم يلبث أن انتقل الوباء إلى منطقة القناة حيث كان انتشاره عنيفا في سرايوم والإسمايلية (١) .

وكان وباء الكوليرا الذي اجتاحت ساحات الحفر في مستهل صيف عام ١٨٦٥ أسطر وأشد وباء شهدته منطقة القناة . وتقع الشركة وجريدها وبعض المصادر في خطأ إذ قررت أن ذلك الوباء قد بدأ في الأراضي الحجازية بين الحجاج المسلمين الذين أدوا فريضة الحج في أبريل - مايو ١٨٦٥ ( دي الحجة ١٢٨١ ) فنقله الحجاج المصريون معهم إلى مصر (٢) حيث انتشر في

(١) تقرير كبير أطباء الشركة جاريغ أول يوليو ١٨٦٧ ويشر في -ريضة الشركة مل دمجي : المصد ٢٦٤ الصادر في ١٥ يوليو ١٨٦٧ من ص ٢٧٧ - ٢٢٢ والمصد ٢٧٢ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٧ من ص ٤١١ - ٤١٥ مجموعة السنة الثانية عشرة .

(٢) L'Isthme de Suez المصد ٢٢٠ الصادر في أول سبتمبر ١٨٦٥ من ص ٢٧١ مجموعة السنة العاشرة . وقد بلغ من قوة هذا الرأي المتأخر الذي صاد لوردوسا وتخذ أن وزيرى الخارجية والتجارة في فرنسا فتمسك إلى الإمبراطور نابليون الثالث تفديرا من وباء الكوليرا ووسائل مكافحته . وقد اقترعا عند مؤتمر دول يسم الدول الأوروبية لاتخاذ تدابير ضاللة بالاتفاق مع الحكومة التركية لحماية أوروبا من الكوليرا التي تبدأ مبرحة - في دمهم - من مكة المكرمة . انتشر خبر التفريق في جسرقة الشركة المصد ٢٢١ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦٥ من ص ٣٤٦ - ٣١٨ مجموعة السنة العاشرة .

ربوع البلاد وقتك بساكنها لتكنا عتفا . ولكن الواقع أن ذلك الوباء يطلق عليه في التاريخ الطبي *Quadrans Pandemic* (١٨٦٣ - ١٨٧٦) (١) ظهر أولا عام ١٨٦٣ في البنغال بالهند بين الحجاج الهندوس الذين نقلوه إلى اقآباد ثم آجرا ، وهما من المدن المقتصة عند الهندوس ، ثم بلغ الوباء بمباي . وفي سنة ١٨٦٥ انتشر على ساحل ملبار إلى كرتشي وبلوخستان . فلما حل موسم الحج الإسلامي في بداية صيف ذلك العام ورحل الحجاج الهندوس المسمومون إلى الحجاز حمل بعض منهم ميكروب المرض إلى مكة (٢) حيث وجد مرتعا خصبا وسط الحشود المائلة من الحجيج . وبلغ تعدادهم في ذلك العام مائة وخمسين ألفا (٣) ، توفي منهم بالكوليرا تسعة آلاف . فلما عاد حجاج مصر وشمال أفريقيا إلى السويس وفد الوباء معهم إلى ذلك الثغر ، ومن ثم انتشر في مصر انتشارا مزعجا . وانتقل الوباء إلى أوروبا وأمريكا الشمالية ، ولم يعرف الوباء في شدته وهجومه واتساع مناه حلولا أو فواصل ، وظل أربعة أهوام ينتقل من قارة إلى أخرى يمتاز البحار ويمبر المحيطات .

وصلت الباخرة الإنجليزية سلكى *Stdney* ميناء السويس في ١٩ مايو ١٨٦٥ نقل القوج الأول من الحجاج . وكان بعض ركابها مصابا بالكوليرا ، ومات عدد منهم والسعينة تمحر عباب البحر الأحمر إلى السويس ، (٤) فألفت مجتث موانها في قاع البحر . (٥) وعلى الرغم من ذلك فقد أعطى ربانها إلى السلطات المصرية في الميناء بيانات مرورة عن خلو السفينة من

(١) *Nouveau Traité de Médecine*. Publié sous la direction de MM les Professeurs: Roger — Vidal — Tisserand. Paris 1927, t. III, Maladies Infectieuses, p. 366.

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر تقرير كبير أجليه لشركة ستوان سير الكوليرا .

*Marche du Choléra*

(٤) Dr Herman Legrand : Contribution à l'étude du problème de la défense de l'Egypte contre le Choléra. Alexandrie 1903, p. 6.

(٥) Guillemin, *ouvr. cit.*, p. 328.

الأمراض المعدية أو الوبائية . فأذنت تلك السلطات للحجاج في النزول إلى البر . ولم يمر يومان حتى ظهرت الكوليرا في السويس ، وكان من بين ضحاياها ربات تلك السفينة الإنجليزية ، وصرعان مالتى حظه هو وزوجته (١) .

وعن طريق هذا القوج تمددت الإصابات بالكوليرا وانتشرت في الوجه البحرى والصعيد انتشارا رهيبا . وترك اسماعيل مصر إلى القسطنطينية ليكون منجاة من الوباء (٢) وكان عدد الوفيات في القاهرة وحدها يتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ شخص في اليوم . (٣) أما عدد موتى ذلك الوباء في مصر كلها فقد ارتفع خلال ثلاثة شهور إلى أكثر من واحد وستين ألف مصرى وكان عدد سكان مصر وقتئذ ٤,٨٤١,٦٧٧ (٤) .

ولم يكن ظهور الكوليرا في ساحات الحرم ماخذا لشركة ، إذ كانت الأناء قد بلغت مصر بانتشار الكوليرا بين الحجاج . وأنان كبير أطباء الشركة لدى لبس قبل سفر الأخير إلى فرنسا في ٢٩ مايو ١٨٦٥ أن منطقة القناة مهددة بالوباء . واتخذ القسم الطبي التدابير الممكنة، صجرت مراكز الأساف بالأدوية والأدوات الطبية ، وزيد عدد الأسرة (٥) ، وخففت ساعات العمل (٦) ، وفرضت رقابة على الأغذية ، وازداد الاهتمام بالنظافة

(1) Dr Herman Legrand, *ouvr. cit.*, p. 7.

(2) Khedives and Pashas. Sketches of Contemporary Egyptian Rulers and Statesmen. By one who knows them well, London 1884, p. 3.  
ويقول المؤلف في هذا السند :

*Although Ismail had not distinguished himself during the cholera of 1865, when he placed himself in safety by a precipitate flight, yet, he was generally regarded as a man in advance of his age.*

(3) Szarmaroon. Histoire de l'Egypte etc., *ouvr. cit.*, t. III, p. 104.

(4) Down, Histoire du Règne etc., *ouvr. cit.*, t. I, p. 239.

(٥) تقرير كبير أطباء شركة قناة السويس الكوليرا في بزرع السويس . نشر في السند ٢٢١ السند في ١٥ سبتمبر ١٨٦٥ من س. ٢٨٤ - ٢٩١ جريدة السند الثائرة .

العامة : والعمل على زيادة التعدادات حتى : يقضى على كل وكر من أوكار العدوى ، وأشار القسم الطبي بأن يتعاون كل طبيب مع كبير مهندسي القمم الذي يعمل في دائرته لاتخاذ التدابير الوقائية ، على أن يكون تنفيذ تلك التدابير في تكتم شديد دون أن يذكر اسم المرس منعا لإشاعة الملح في النفوس ، لأن الدرع عامل كبير يساعد على انتشار الوباء .

واهتم الأطباء بالإصابات المعوية التي كانت تقع بكثرة في فصل الصيف خشية أن تكون تلك الإصابات أعراضا للكوليرا .

وبينا كان الوباء على أشده في الإسكندرية وغيرها ظلت ساحات الحفر قرابة خمسة عشر يوما تنأى عن الكوليرا ، حتى إذا كان يوم ١٦ يونيو ١٨٦٥ ظهرت أعراض الكوليرا على عامل مصري كان يشتغل عند الكيلو ٤٧ شمال السويس (١) . فكان ذلك بدء ظهوره في ساحات الحفر . وكانت الوحدة الصحية القائمة في طوسون هي أول وحدة بدأ بها الوباء زحفه نحو ساحات الحفر . وانتقل الوباء من طوسون إلى سرايوم في ١٨ يونيو ١٨٦٥ ، وكان يعمل هناك طبيباً أحدهما مصري هو الدكتور الشباسي ، والآخر أوربي هو Zaidi وقد جابها الموقف بشجاعة ، إلا أن الطبيب الأوربي قد انتقلت إليه العدوى وتوفي (٢) ، وكانت وفاته سببا في انتشار النحر بين العمال فتركوا المنطقة ، وترتب على ذلك أن غلت تماما ساحات الحفر في سرايوم من العمال .

وفي نفس الأسبوع ظهر الوباء في الإسماعيلية (٣) ، وقد وفد إليها من ناحيتين : الجنوب حيث كان قد ظهر في طوسون وسرايوم ، والغرب إذ كان الوباء قد امتدحله خطره في تلك الآونة في القازيق (٤) . وفرت جموع

(١) Voina Bey, over cit., t. VI, p. 390.

(٢) Guillemin, over cit., p. 327.

(٣) محفلات قصر مايدن : محطة رقم ٣٦ حية تركي وثيقة رقم ١٩٢ بتاريخ ٢١ شبان ١٢٨٢ . ويلاحظ أن الكوليرا ظهرت في الإسماعيلية في ٢٥ يونيو ١٨٦٥ .

(٤) محفلات قصر مايدن : محطة رقم ٢٣ حية تركي وثيقة رقم ١٧٥ بتاريخ

غضيرة من سكانها ، وعلى الأخص اليونانيين والإبطلين ، إلى الإسماعيلية  
وعصت هم للتناقض واكتظ بهم الحى اليونانى وحى التجار ، كما اجتاز  
الإسماعيلية فريق آخر منهم فى طريقه إلى بورسعيد حيث أثر مغادرة مصر .  
وكان مجيء هؤلاء وأولئك إلى الإسماعيلية سببا فى انتشار الذعر بين  
السكان (١).

ولم تكد تظهر الكوليرا فى الإسماعيلية حتى انتشرت انتشارا مروعا لم  
تشهد مثله سائر جهات منطقة القناة ، فأصيب بها المرضى من نزلاء المستشفئ  
ومالوا متأثرين بها ، وشكت بسكان الحى العربى واجتاحت حى التجار والحى  
اليونانى وحى العمال ، ونجم عن ذلك أن يسيطر الرعب على سكان المدينة (٢) .  
وخرج الأجاب هائمين على وجوههم صوب بورسعيد يقطعون المسافة سيرا  
على الأقدام ويحملون معهم أثقالا من المتاع .. ولما ازداد عدد الموتى زيادة  
مروعة اعتقد الجميع أن السبلة الوحيدة النجاة من اللوإء هى مغادرة المدينة  
بأسرع ما يمكن (٣) . ويقول ريت : لم تكن هناك قوة بشرية تستطيع أن  
تكبح جماح تلك الحركة (٤)

وبلغ الموقف غايته من الخطورة حين عجزت الإدارة الصحية عن  
الحصول على رجال ينقلون المرضى إلى مراكز الإسعاف أو يرفعون جثث  
الموتى (٥) . وانتقل الموقف بعض الشيء لمدير عام أشغال حفر القناة ، إذ  
أغار إقسم الطبي بعض المستخدمين من قسم الحسابات للمعاونة فى ذلك  
الوقت المصعب .

(١) Ritt, ouvr. cit., p. 320.

(٢) Fontene Marais, ouvr. cit., p. 82.

(٣) Chatrian Erckmann: Souvenirs d'un ancien chef de chantier à l'Isthme de Suez. 5ème édition. Paris, p. 59.

(٤) Ritt, ouvr. cit. p. 320.

(٥) تقرير كبير أطباء الشركة مشغولى العهد ٢٢٩١ م  
المصدر لـ ١٥ سبتمبر ١٨٦٥ م ص ٢٨٤ - ٢٩١ م جريدة النصارى ٢ .

وعلى الرغم من أن الوحدة الصحية في الإسماعيلية كانت تضم مستشفى العمال المصريين وآخر للعمال الأجانب ومركز إسعاف، فإن تلك المنشآت لم تكن كافية لمواجهة الوباء . إذ كان عدد المصابين في ازدياد مطرد ، فوضعت الشركة يدها على منزل كانت قد أعلنته لزول مخافه القضاء في زيارته للإسماعيلية ولم يكن قد شغله بعد ، وحولته إلى مستشفى يعزل فيه المصابون بالكوليرا والنوستوليا وحالات الإسهال الشديد ، إذ كان المصابون بالمصرين الأعزبين أكثر الناس تعرضا للإصابة بالكوليرا ، ولا يتقاضى عليهم وقت طويل حتى يطيروهم الموت . وقد وضع في ذلك المنزل مستون سريرا شغلت في الحال (١) .

وشمر رئيس الوحدة الصحية في الإسماعيلية أن زمام الموقف عند أملت من يده أو كاد . فأرسل في ٢٨ يونيو ١٨٦٥ تقريراً رسمياً إلى كبير أطباء الشركة أهدى فيه مخاوفه من تفاقم الموقف إذا استمر الوباء مثل ذلك العنف . وأحرب عن سيرته في أمر توفير الأماكن للمصابين بالكوليرا (٢) . واستجابت الشركة فأرسلت أوبعين سريرا وزعت متاعصفة بين العمال المصريين والعمال الأجانب فوضعت أسرة العمال الأجانب في مستشاهم ، وأما سرور العمال المصريين فنصبت في كشك خشبي مقام في الفراغ الواقع بين مستشفى العمال المصريين ومستشفى العمال الأجانب .

ولم تكن تجدي الإسماعيلات السريعة ولا العناية الطبية، فقد كان المريض في معظم الحالات يطيروه الموت بعد ساعات معدودة من إصابته بالوباء . كما لوحظ أن العدوى كانت تنقل بسرعة إلى أصباءه الخوف. إذا اشتركوا

(١) جريدة L'Isthme de Suez العدد ٢١٨ الصادر في ١٨ يوليو ١٨٦٥ من ص ١٩١ - ١٩٥ مجموعة السنة العاشرة .

(٢) Rapport sur le Choléra à Ismailië par le docteur Louis Compagnon Chef du service de santé de la circonscription.

وتسد نشر هذا التقرير في جريدة الشركة في العدد ٢٢١ الصادر في ١٥ سبتمبر ١٨٦٥ من ص ٢٩٦ - ٢٩٧ مجموعة السنة العاشرة .



في تشييع جنازته . وكان الأطباء خلال فترة الوباء يصفون الاجتماعات في الإسماعيلية لبحث الموقف الذي كان يرداد تفاقيا يوما بعد يوم : وكان يشهد تلك الاجتماعات محافظا السويس والقناة ومدير عام الأشغال في شركة القناة (١) .

ومن الإسماعيلية انتقل الوباء إلى عتبة الحسر وهي على مسافة ٦ كيلومترات شمالها ، وكانت زاحرة بالعمال ، وقد وقعت الإصابة الأولى في ٢٦ يونيو ١٨٦٥ على أحد العمال المصريين ، ثم توالى وقوع الإصابات واتخذ المرض مظهر الوباء ابتداء من ٣ يوليو ، وكان عدد المصابين المصريين يربو على عدد المصابين الأجانب (٢) .

ولم ينتشر الوباء في القنطرة على الرغم من أنه مرت بها جموع كثيرة من اللاجئين في طريقهم إلى بورسعيد ، ولم يقل عددهم عن ألفين وقد تركوا في القنطرة اثني عشر شخصا أصبحوا بالكوليرا ومات بعضهم . أما بورسعيد فكان الموقف فيها ينذر بحالة خطيرة للغاية ، فقد وفد إليها سبل جارف من الثرقايز والإسماعيلية وعتبة الحسر . وفي ٢٨ يونيو ١٨٦٥ قدم بورسعيد عامل يوناني من الإسماعيلية واصطحب معه الكوليرا ، وازدادت الوفيات منذ اليوم الثالث من شهر يوليو كلما ازداد عدد القادمين . ولم يحاول أحد من رجال الشركة وقف ذلك السبل من اللاجئين إلى المدينة خشية وقوع تصادم . ولكن على الرغم من كثرة الوفيات بالكوليرا في بورسعيد ، فإن الوباء لم يكن يمثل العنف الذي عرف به في الإسماعيلية .

وتقرر الشركة أن الشلوفة والسويس طلتا بمقاومة من الوباء (٣) ، ولكن

(١) محظوظات قصر عابدين : دفتر رقم ٢ البرقيات الصادرة من عابدين . برقية رقم ٣٩١ في غزة ذي القعدة ١٢٨٢ من رياض باشا إلى محافظ السويس وإلى محافظ القناة . و برقية رقم ٤٠١ في ٢ ذي القعدة ١٢٨٢ إلى كلوجي بك وليس على المسة بالإسكندرية .

(٢) تقرير كبير الأطباء لشركة الماسي مهتة الإشراف إلى بستان : سير الكوليرا *Marche du Choléra*

(٣) الظفر تقريرين وفيهما كبير الأطباء لشركة الأول بستان سير الكوليرا

البرقيات التي تلقاها وكنتل قصر عابدين في القاهرة تبيت بجلاء أسبعا تعرضا للوباء وكان له ضحايا فيهما (١) ، بل إن هتف الوباء في الشلوة حمل مجس الصحة في الإسكندرية على إصدار قرار بضرورة وقف العمليات الجارية في الشلوة . وأرسلت نظارة الخارجية المصرية صورة من ذلك القرار إلى محافظ القناة وإدارة شركة القناة لتنفيذه بكل دقة (٢) :

وقد استمر الوباء في منطقة القناة من ١٦ يونيو ١٨٦٥ إلى ٣١ يوليو ١٨٦٥ ، وبلغ منتهى شدته في الفترة الواقعة بين أول يوليو و ٨ يوليو . وقد منحت الحكومة الفرنسية وسام الشرف من طبقة فارس للدكتور أوبير روش كبير أطباء الشركة تقديرا منها للجهود التي بذلها في مكافحة الوباء في ساحات الحفر (٣) . وصدر الأمر الإمبراطوري بهذا الانعام في ١٩ يناير ١٨٦٧ .

ومن بواحث الأسف أن يظل عدد الإصابات بالكوليرا بين العمال المصريين في ساحات الحفر أمراً غامضاً لم نشر إليه تقارير الإدارة الصحية

---

Morcha du Cholera وقد سبقت الإشارة إليه . وذلك بتروان نهاية وباء الكوليرا في البرزخ .

#### Fin de l'épidémie du Choléra dans l'Isthme.

وقد نشرت جريدة الشركة للتقرير الثاني في العدد ٢٢٠ الصادر في ١٨ أغسطس ١٨٦٥ ص ٢٤٧ مجموعة ستة الفاشرة .

(١) محفوظات قصر عابدين : ملف رقم ١ البرقيات الواردة إلى قصر عابدين . برقية رقم ٧٤٦ بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٨٢ . ودفتر رقم ١ البرقيات الصادرة من قصر عابدين برقية رقم ٥٢٢ بتاريخ ٢١ جمادى آخر ١٢٨٢ الساعة ٢٥٢٠ صباحا و برقية رقم ٥٢١ بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٢٨٢ الساعة ٢٤٠٠ صباحا

(٢) محفوظات قصر عابدين : دفتر رقم ٢ البرقيات الصادرة من صابدين برقية رقم ٥٨٥ بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٨٢ من رياض باشا إلى اسماعيل بك محافظ القسلة أنظر كذلك برقية أخرى رقم ٥٨٦ في نفس الملف بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٨٢ من رياض باشا إلى مدير القسلة .

(٣) جريدة L'Isthme de Suez العدد ٢٥٤ الصادر في أول فبراير ١٨٦٧ ص ٢٤ مجموعة الست الفاشرة مشرة .

في شركة القناة إلا لاما ، وقصرت الشركة إحصائياتها على العمال الأجانب . وقد ذكر كبير أطباء الشركة في تقريره عن « سير الكوليرا » وكذلك مدير عام الأشغال (١) وبعض القرويين (٢) أنه كان من الصعب للغاية الوقوف على عدد الوفيات والإصابات بين العمال المصريين . ولا يمكن أن يعتبر هذا تبريرا لإغفال ذكر الإحصائيات الخاصة بهم . لقد عمدت الشركة في جميع مراحل حفر القناة إلى ذكر الحالة الصحية بين جموع العمال - مصريين وأجانب - ونشرت العديد الإحصائيات عن الأمراض والوفيات بين الفريقين ، ولكنها خرجت على هذا التقليد في تلك المرة التي كان ذكر الإحصائيات الخاصة بالعمال المصريين أهم وأوجب . فهنا الإغفال يعتبر أمرا مفسودا أريد به التستر على حالة غير مرضية - إن لم تكن مزعجة - سادت بين العمال المصريين أثناء فترة الوباء ، كما أريد به إخفاء نسبة وفيات عالية يسهل لا ينجى فيها تروير الأرقام .

وفي شتاء ١٨٦٨ - ١٨٦٩ انتشر بين العمال المصريين في منطقة الشلوفة مرض الدوسنتاريا واتخذ مظهر الوباء بينهم . وختلف هذا الوباء عن سائر الأوبئة التي اجتاحت البرزخ من قبل في أنه نشأ في ساحات الحفر فلم يحمله إليها أحد من طرغ البرزخ ، وعلى ذلك يمكن اعتباره وباء محليا ، كما اقتصر انتشاره على العمال المصريين دون العمال الأجانب . ويمكن رد هاتين الظاهرتين إلى عدة اعتبارات : أولا شتاء فوارس البرد تعرضت له بوجه خاص عضبة الشلوفة في ذلك العام ، وكان العمال المصريون يعيشون في العراء .

(1) Voina Bay, ouvr. cit., t. VI, p. 482.

(2) Guillemin, ouvr. cit., p. 829.

وبخصوص وباء الكوليرا في البرزخ وعلاجه في شركة لقائوسه في ماسات الحفر ومير ذلك انظر عطايا لومله دي لاس من يورمييه بتاريخ ٦ يوليو ١٨٦٨ إلى الدكتور البرغر في باريس في

De Lesseps F., Lettres, Journal et Documents etc. ouvr. cit., t. V, pp. 168-169.

وانظر أيضا

Ritt, ouvr. cit., pp. 319-327.

وكان سوء التغذية عاملا هاما ساعد على انتشار المرض بين العمال المصريين . كما أن ملائمتهم لم نعيمهم من قسوة البرد . أما العمال الأجانب الذين اشتغلوا وقتئذ في تلك المنطقة جبا إلى جنب مع العمال المصريين فكانوا ينفقون بسخاء على مأكلهم وملابسهم ، وكانوا يبتون في أكشاك خشبية ، ولذلك ظلوا بمنجاة من الدوسنتاريا . والحلول الآتي (١) يبين نسبة الوفيات بين الفريقين في منطقة الشلوة خلال الشهور الثلاثة التي انتشرت فيها الدوسنتاريا في شتاء ١٨٦٨ - ١٨٦٩ :-

جنسية العمال	عدد العمال	عدد الوفيات	نسبة الوفيات
المصريون	٦,٥٩٦	٤٤٩	٦,٨١ %
الأجانب	٦,١٢٨	٤٤	٧١ %

على أن هناك عاملا له أهميته في ذلك الموضوع وهو القدرة الطبيعية التي يتمتع بها العمال الأجانب على تحمل البرد الشديد بعكس العمال المصريين الذين لا يحطون بمثل تلك المناعة ضد أمراض الشتاء ، ومن ثم كان بروز تلك الظاهرة الواضحة في ساحات الحصر، وهي أن العمال المصريين كانت تسوء صحتهم إبان فصل الشتاء، وخاصة إذا كان قارس البرد، فتمتق بينهم إصابات بالدوسنتاريا والإسهال الشديد والزلات الشبيهة التي كانت تغلب في معظم الحالات إلى التهاب رئوي حاد يؤدي بمجانبهم أما العمال الأجانب فكان شتاء البرزخ يعد عنهم بمثابة الربيع (٢) . وفي الصيف تغلب الأوضاع إذ تنتشر الأمراض بكثرة بين العمال الأجانب قليلا لا تحمّلوه حرارة الصيف اللانحة في الوقت الذي تكون فيه الحالة الصحية بين العمال المصريين مرضية نسبيا .

. . .

وقد ظلت الإدارة الصحية في الشركة تؤدي رسالتها في نطاق محدود

(1) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, pp. 432-433.

(2) ibid.

حتى مستهل عام ١٨٦٩ . فلما تلوّبت عمليات الحفر الإنهاء اتفقت الشركة مع الحكومة المصرية على ضم الإدارة للصحة بمنشأتها ومستشفياتها إلى الحكومة ، على أن تلغى إلى الشركة تكاليف إقامة المنشآت الطبية وآمان ما تضمنه تلك المنشآت من أجهزة وأدوات وأدوية وغيرها . وسجل ذلك في الاتفاق الأول الذى أبرم في ٢٣ ابريل ١٨٦٩ بين الحكومة المصرية والشركة (١) .

والسبب الذى حمل الشركة على هذا الإجراء هو أنها كانت وقتئذ فى حاجة ملحة إلى المال ، لتحصين وتدعيم مركزها المالى (٢) ، إذ رادت بفقات تفيد المشروع إلى أكثر من ضعف المبلغ الذى قدرته اللجنة الطبية الدولية ، فارتفعت التكاليف من مائتى مليون فرنك إلى ٤٣٢,٨٠٧,٨٨٢ فرنكا (٣) . وقد بلغت ميزانية الإدارة للصحة فى ذلك العام ( ١٨٦٨ - ١٨٦٩ ) نصف مليون فرنك (٤) . وكانت الشركة قد انجبت إلى بيع كثير من أملاكها والتنازل عن امتيازاتها تباعا إلى الحكومة المصرية لقاء تعويضات ضخمة كلما أحست بوطأة الضائقة المالية . فباعت للحكومة فى فبراير ١٨٦٦ تفهيش الوادى ، والمعدات التى أنشأتها فى معاجر المكس (٥) ، وكذلك المائى

(١) انظر الفهدة المايمة من الاتفاق وهو مشهور فى .

Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez . Recueil chronologique etc., ouvr. cit., pp. 48-50.

(2) Voino Bey, ouvr. cit., t. I, p. 274.

وقد كتب قصص فرنسا فى مصر بتاريخ ٧ فبراير ١٨٦٩ إلى حكومتها يقول إن الرأى السائد هو أن الشركة فى حاجة شديدة إلى المال . وقد أمر له بهذا القرار كذلك أشخاص يشغلون مناصب مالية جسيمة فى إدارة الشركة وعلى لهم تسامح بحقيقة انوقف . انظر

Sanmarco - Histoire de etc., ouvr. cit., t. III, p. 86.

(3) Hallberg, ouvr. cit., p. 137, Footnote No. 1

(١) خطاب من ليسى إلى ألفرد فى اجتماع الجمعية العمومية لجمعية الشركة والذى عيّن فى ٢٤ أغسطس ١٨٦٩ .

(٥) محفوظات قصر عابدين . محظوظة ٤٥ . نسخة تركى وثيقة رقم ١٠٥ وثيقة رقم ١١٩ ، ٣٦ ، بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٢٨٦ برقية واحدة من شريف بلش . وانظر أيضا رقم ٢٠ من ٢٧ من ١٠٥ وثيقة رقم ٩٨ .

التي كانت قد اشترتها في ديباط (١) وبولاي بالقاهرة (٢) ، وتنازلت عن حق الإعفاء الجسدي الذي تحول إليها عقد الامتياز الثاني الصادر في ٥ يناير ١٨٥٦ (٣) . وكان تنازلاً عن الإدارة الصحية إحدى حلقات هذه السياسة التي صارت عليها في السنوات الأخيرة لمر القناه .

وكان اسماعيل قد أبدى تقديره لرجال الإدارة الصحية فنج روش Roche كبير الأطباء النيشان الميدي من الرتبة الثالثة (٤) . ووافق على نقله مع سائر أطباء الإدارة الصحية إلى خدمة الحكومة المصرية (٥) .

---

(١) مخطوطات قصر عابدين : مخططة ٤٥ سيرة تركي وثيقة رقم ٢٠٦ ، من شريف بلدا إلى الخانب العالي .

(٢) مخطوطات قصر عابدين : مخططة ٤٥ سيرة تركي نفس الوثيقة السابقة . وكذلك مخطوطات رقم ١٩٣٠ من ٦٥ وثيقة رقم ٨٧ .

(٣) المادة الأولى من الاتفاق الأول التي أبرم بين الحكومة المصرية وشركة القناه بتاريخ ٢٢ أبريل ١٨٦٩ والتي هيقت الإشارة اليه .

(٤) مخطوطات قصر عابدين . هـ أمر كرم هـ ليد فطارة الملاحجة بتاريخ ٢٦ من ١٢٨٦ وثيقة رقم ١٠ مخطوطات رقم ٧٢ هـ ٢٢٨ .

انظر أيضا الوثائق الرسمية عدد ٢٨٢ الصادر في ١٦ من الحجة ١٢٨٥ ( ٢٩ مارس ١٨٦٩ ) تنظرا من تقويم القيل لأمير ماني باشا الخلد العالي من الجمة - الثالث من ٨٠٠

## التفصيل الثالث عشر

### أجور عمال السخرة

مزاعم دى لىسبس حول أجور عمال السخرة - إخلال الشركة بالتزاماتها - تحديد الأجور على أساس الإنتاج - تفسير هذه الخلدعة - الشركة تتجاهل لائحة العمال - ومحدد من تلقاء نفسها أجورا نافذة - العمال يسهمون في نفقات طعام الحراس ودواهم - مدير عام أشغال الحصر يشرف بصفاته الأجور - تفاهة الأجور من أسباب حرب العمال - مظالم الشركة في توزيع عمليات الحفر على العمال - الشركة لا تدفع الأجور للعمال مباشرة - مساوية هذه الطريقة - صورة مشينة لتلاعب الشركة بأجور العمال - الشركة تعطي العمال صكوكا تصرف من نظارة المالية - الشركة تصدر عملة خاصة بها للتداول في منطقة القناة - الشركة تتوقف عن دفع الأجور - ١,٥ مليون فرنك الأجور المتأخرة في تقدير لجنة التحكيم - الشركة تهرب - خصم الأجور المتأخرة من تعويض إلغاء السخرة في حفر القناة .

• • •

تصاريث الآراء حول أجور عمال السخرة في حفر القناة ، وانقسم حيالها المؤرخون والكتاب ومن إليهم فريقين : فريق أنكرا أنكلارا بأننا أن الشركة كانت تدفع أجورا لعمال السخرة (١) ، وفريق ثور المكس وعلى رأسه دى لىسبس وغيره من رجال الشركة وأنصارها ، ورتبوا على ما ذهبوا إليه

---

(1) Percy Badger, *ouvr. cit.*, p. 68.

Edward Dickey *ouvr. cit.*, p. 36.

André Kostolany, *ouvr. cit.*, pp. 114-115.

نتائج تثير المخربة ، فرغم دى لبس في خطابه الذى ألقاه في اجتماع الجمعية العامة لمسمى الشركة في ١٥ مايو ١٨٦١ أنه « لا يوجد الآن عمل في مصر يظفر بمحة بين الجماهير أكثر من هذا العمل الذى يتعد في بورخ السويس » (١) . كما زعم في اجتماع مسمى الشركة بتاريخ أول مارس ١٨٦٤ أنه « العامل يعود إلى قرينته حاملا معه مبلغا من المال ، وهذا أمر لم تشهده القرية المصرية من قبل » (٢) . وذكرت جريدة الشركة في مناسبات مابقة أن رجوع الفلاحين إلى قراهم يحصلون أجورهم أمر جديد لم يألّفه أهل البلاد (٣) .

ويعتمد هذا الفريق في تأكيد دعواه على أن لائحة استخدام العمال المصريين في حفر القناة لم تنص على ضرورة دفع الأجور للعمال فحسب ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك . فحددت فئات الأجور حتى لا يكون هناك مجال للتظلم ، فجعلتها للعمال بحيث تتراوح بين قرشين ونصف قرش وبين ثلاثة قروش في اليوم ، عدا الحزب المقلد « الحراية » وقلد ثمنها بقرش . أصاب الأطفال الذين تستخدمهم الشركة ونقل أعمارهم عن اثني عشرة سنة فحددت أجورهم بقرش واحد ، فضلا عن البحراية التى تصرف لهم كاملة على الرغم من حداثة منهم .

وتحديد الأجور في اللائحة أمر صحيح لا ميل إلى التشكك فيه ، ولكن وضع التراتيب شيء ، وتنفيذها شيء آخر . وليس من العسير أن نقيم الأدلة المادية التى تقطع بأن الشركة أخطلت بالتزاماتها التى نصت عليها اللائحة مما يمتنع بأجور العمال . وقد اتخذ هذا الإخلال مظهرين :

(١) نشر خطابه في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١١٨ الصادر في ١٨ مايو ١٨٦١ مجموعة السنة الخامسة

(٢) نشر ذلك الخطاب في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٨٥ الصادر في ٤ مارس ١٨٦٤ مجموعة السنة الخامسة .

(٣) L'Isthme de Suez العدد ١٥٥ الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ من ص ٢٦٨ - ٢٧١ مجموعة السنة الخامسة . والعدد ١٦٨ الصادر في ١٥ يونيو ١٨٦٣ ص ٢٢٥ مجموعة السنة الثالثة .



أولاً . ألفت الشركة لمصلحتها المادية نظام دفع الأجور على أساس حشد الأيام التي يقضيها العامل في الحفر والتي نصت عليه اللائحة واستبدلت به نظاماً مجازاً آخر .

ثانياً لم تدفع الشركة بانتظام الأجور للعامل السخرة وتأخر عليها نتيجة للظك بمبالغ جسيمة فقررنا لجنة التحكيم الفرنسية بأربعة ملايين ونصف مليون فرنك أي ما يوازي ١٧٣,٢٥٠ جنيتها، وهو مبلغ كبير للغاية بالنسبة لتفاهة الأجور المقررة للعامل من ناحية، وبالنسبة للقيمة النفد في ذلك الوقت من ناحية ثانية .

أما فيما يخص بالمظهر الأول من مظاهر إخلال الشركة بالزاماتها فإنها وصحت نظاماً يقوم على تحديد أجر العامل على أساس إنتاجه في العمل، وهو النظام المعروف باسم « المقطوعة » *La Tranche à la Tache* ، ويقضى بإعطاء العامل أجزاء من الأرض التي ستحفر فيها القناة ، يطلق على كل جزء منها « ثمرة » ، تنطق عليها لوحة تكتب عليها باللغة القرية مقدار الأقساض التي يتعين استخراجها منها وكلما الأجر الذي يدفع عن حفرها . وكانت تلك « الثمرة » تخطط على شكل مستطيل ، ويبين حد كل قطعة بحجر حمرة صغيرة عند نهايتها ، فيقوم العامل بحفر تلك الأجزاء بإحدا ، وكان حفر القطعة الواحدة يستغرق عادة حصة أيام ، وكلما فرغ من حفر قطعة أعطى قطعة أخرى وهكذا حتى ينقضي الشهر المقرر لإقامته في ساحات الحفر .

ويبدو من أول وهلة أن هذا نظام اقتصادي سليم عادل ، فلا يشاوي في الأجر العامل المجدد مع العامل غير المجدد ، ولكن هذه الحالة لم يكن لها وجود بالنسبة للعامل السخرة في حفر القناة ، لأن الرقابة الشديدة الصارمة التي مرصها اسماعيل حمدي بك عليهم لم تسمح لعامل بالتهاون في العمل أو التراخي فيه . وكانت الشركة من ناحية أخرى ، وكما مر بنا ، لا تقبل عند فرز عمال السخرة في مدينة الرقازيق سوى الشباب الأشداء الذين يقوون على عمليات الحفر المضنية وتستبعد العمال هزيلي الأجسام ضعاف البنية

السلطات المصرية أجورا منخفضة جدا وجعلتها على فئات تختلف باختلاف نوع التربة التي تحفر فيها القناة البحرية أو تربة الماء الطيب على النحو الآتي (١) أولا : أرض تربة الماء الطيب وكان يسهل حفرها .

الأجر عن المتر المكعب من الأنقاض التي تتخلف عن عملية الحفر	الإنتاج الشهري	الأجر الشهري باعتبار الشهر ٣٠ يوما
بالستيم ٣٠ بالمليم ١١,٥٤	٥٠ مترا	٥٧٧ مليا

ثانياً . أرض قناة السويس وجعلتها الشركة على ست فئات :  
(١) أرض يسهل حفرها وترفع منها الأنقاض إلى حوض عالية

الأجر عن المتر المكعب من الأنقاض	الإنتاج الشهري	الأجر الشهري
بالستيم ٣٥ بالمليم ١٣,٥٤	٤٥ مترا	٦٠٩ مليات

(٢) أرض تبلى تربتها بمحض الصعوبة في حفرها .

الأجر عن المتر المكعب	الإنتاج الشهري	الأجر الشهري
بالستيم ٤٠ بالمليم ١٥,٤٠	٤٠ مترا	٦١٦ مليا

(٣) أرض تبلى تربتها صخرة أكثر من سابقتها في حفرها .

الأجر عن المتر المكعب	الإنتاج الشهري	الأجر الشهري
بالستيم ٤٥ بالمليم ١٧,٣١	٣٥ مترا	٦٠٩ مليات

(٤) أرض تتكون تربتها من دمال متحجرة .

الأجر عن المتر المكعب	الإنتاج الشهري	الأجر الشهري
بالستيم ٤٥ بالمليم ١٧,٣١	٢٥ مترا	٤٣٢ مليا

(١) Ismail Hamdy Bey . Note explicative, op. cit

وقد أخذنا ، في تحويل العملة الفرنسية إلى عملة مصرية ، على ما قرره مازان بك من أن الفرنك المصري كان يساوي وقت سعر الفنتا ٢٦ سنتا . وأن الفرنك كان يساوي ٢,٢٨٨ فرنكا .

(٥) أرض تربتها حجرية ويصعب حفرها وترفع أنقاضها إلى جسر عالية.

الأجر من المتر المكعب	الإنتاج الشهري	الأجر الشهري
من ٥٠ سنتيا إلى ٥٥ سنتيا أو من ١٩,٢٣ ملجم إلى ٢١,١٥ ملجم	٢٥ مترا	من ٤٨٦ مليا إلى ٥٢٩ مليا

(٦) أرض تربتها صخرية يصعب حفرها وترفع أنقاضها إلى جسر عالية

الأجر من المتر المكعب	الإنتاج الشهري	الأجر الشهري
من ٦٤ سنتيا إلى ٦٥ سنتيا أو من ٢٣,٠٨ ملجم إلى ٢٥ ملجم	٢٥ مترا	من ٥٧٧ مليا إلى ٦٢٥ مليا

وعلى أساس تلك القنات كان متوسط الأجر الذي يتناوله للفلاح عن عمله سبعة وخمسين قرشا ونصف قرش إذا اشغل شهرا كاملا في حفر ترعة الماء العذب . أما إذا عمل في حفر القناة البحرية طوال شهر كامل فإن أجره يصل في المتوسط إلى خمسين قرشا . أيضا حددت لائحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ الأجر اليومي للعامل بأربعة كروش بما فيها ثمن الحراثة ويزيد في لداحة الظلم أنه لم يكن على العامل أن يدبر من ذلك الأجر طعامه فقط بل يدفع أيضا نصيبه في نفقات طعام ملوحي الحكومة المصرية والحرامس وغيرهم وكذلك أكل دواجم (١). وإذا علمنا أن حوجة العمال من ساحات الحفر إلى قراهم كانت على نفقتهم -فما عدا استعمال المسكن الحديدي، وكانت شبكتها متواضعة جدا في ذلك الوقت - وكان عليهم أن يدبروا أمر طعامهم أثناء سفرهم الطويل في أربهم إلى دواجم ، لم يكن يتبقى في أيديهم شيء من كسبهم ، وكانوا يعترفون أجورهم الطامعة قبل أن تبدأ أقدامهم أرض يوتهم . وهكذا تنهاى مزاحم دي لسبس إلى أشرنا إلى طرف منها في مسئل هذا القمل وتصير إلى هباء .

(1) Avec ce salaire, l'ouvrier égyptien doit pouvoir à sa nourriture, qui est évaluée de 40 à 50 centimes par jour, et de plus supporter sa quote part des frais de nourriture des agents du gouvernement, gardiens et autres préposés, ainsi que leurs montures.

وقد اعترف فواز أن بك مدير عام أشغال حفر القناة بضالة أجور عمال السخرة، وأنها لم تف بصفات طلعهم، كما قرر أن ضلالة تلك الأجور كانت السبب الرئيسي الذي حمل الفلاحين على الفرار من ساحات الحفر (١).

ولكنه يبرر مركز الشركة فيقول إنه كان في مقدور الفلاح لو كانت لديه الخبرة والمران الكافيان أن يزيد إنتاجه فيحضر في اليوم أجزاء من الأرض أكبر من الأجزاء التي كان يحفرها الأمر الذي يؤدي إلى زيادة أجره.

وهذا القول دفاع هزيل عن الشركة من جانب مدير عام الأشغال فيها. فالعلاج المصري كان يملك جهدا لا يستطيع أن يزيه فيه غيره من العمال الأجانب. وكان إنتاجه في العمل يفوق إنتاج أي فرد آخر. وقد أجمع كل من شاهد المصريين وهم يحفرون القناة على نشاطهم وحميتهم وصبرهم على تحمل المتاعب (٢). يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يعملون في جو قارى عتيق (٣). وقد قرر أحد الزوار الفرنسيين عقوب عودته من ساحات الحفر أن المصريين كانوا يحفرون القناة من شروق الشمس إلى غروبها، وكثيرا ما كانوا يواصلون العمل إلى وقت متأخر من الليل في الليالي القمرية (٤). فلا يمكن مطالبة الفلاحين بأن يعملوا فوق الطاقة البشرية وقد تجاوزوها فضلا وسقط كثير منهم مصرعي من الإعياء.

(١) Voisin Bey, ouvr. cit. t. VI, p. 232.

(٢) انظر على سبيل المثال.

Ritt Olivier, ouvr. cit., pp. 228 et 255.

Fontane Marius, ouvr. cit., pp. 51, 59 et 62.

Paul Borde : L'Isthme de Suez. Paris 1870, p. 99.

وكذلك L'Isthme de Suez المجلد ٩٧ الصادر في أول يوليو ١٨٦٠ ص ٢١٠ مجموعة ستة الخامسة والمجلد ١١٢ الصادر في ١٥ فبراير ١٨٦١ ص ٥١ - ٥٢ مجموعة ستة السادسة.

(٣) انظر ملاحظتي الحالة الجارية المرفقة بتقارير الدكتور لويج روش Anbert Roche كبير أطباء شركة القناة وهي تقارير سنوية كان يضعها عن الحالة الصحية. ومجموعة مكتبة بلدية اسكندرية.

(٤) مشاهدات مائج لفرنسي منشورة في جريدة L'Isthme de Suez المجلد الصادر في أول ديسمبر ١٨٦٢ ص ٣٧١ مجموعة ستة السابعة.

وقد أظهر المصريون منذ أقدم الأزمنة براعة كبيرة في القيام بالمشروعات العامة دون الاستعانة بالوسائل الآلية، وبرزت تلك البراعة بوجه خاص في حفر الترع وشق القنوات (١) وفي التاريخ المصري في عصوره المتعاقبة شواهد كثيرة على ذلك . وقد ذكر مدير تحرير جريدة الشركة عن العمال المصريين في حفر القناة في ذلك الوقت بالذات أنه « ليس هناك شيء يدعو إلى الإعجاب أكثر من الأعمال التي قام بها العمال المصريون خلال عام ١٨٦٢ » (٢) .

وعلى ذلك فلم تكن قلة الأجور ناجمة عن كسل أو نهب أو العمل ، وإنما نتجت عن فساد الأسس التي قام عليها نظام العمل ، ولانعدام رغبة الشركة في دفع أجور تتناسب مع المجهود المبذوف في حفر القناة ومع الأخطار التي كانت تحيط بالعمال بسبب نقص ماء الشرب ومع متاعب سفر طويل شاق وبعد عن عائلاتهم . ويقول فارمان فتصل الولايات المتحدة الأمريكية في مصر إنه كان من الحائر أن تكون تلك الأجور مناسبة لو كان حصر القناة قد تم في أرض زراعية وعلى مقربة من قرى الفلاحين . ولكن في مثل الأحوال التي كانت سائدة كانت الأجور طفيفا للغاية (٣) .

ولم تكن الشركة تحرص على توزيع العمل توزيعا يكفل أسباب المساواة والعدالة بين العمال، فبينما كان يتوفر عامل بأرض صلبة إذ يقع من نصيب عامل آخر أرض رخوة . وكانت هذه التفرقة مثارا للتوتر بين العمال . وقد عدلت الشركة أخيرا عن ذلك النظام ورأت توزيع الأجزاء التي يطلب من كل فلاح حفرها، فكان يعطى العامل أجزاء من الأرض الصلبة ولجأه من الأرض الرخوة بحيث تكون الأجور التي يتقاضاها في النهاية بعد حفر جميع

(١) Siegfried, Suez and Panama, Oxford, 1940, p. 38.

وانظر أيضا

De Lesseps F. Percement de L'Isthme de Suez. Exposé.

(٢) L'Isthme de Suez المجلد ١٢ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦٢ من ص ٣٢٩ -

٣٣٠ مجموعة الوثائق السابقة .

الأجزاء متساوية قدر الإمكان مع أجور زملائه ، وبذلك اخضعت الشكوى الى كانت تبحث بسبب تلك الفقرة في الأجور (١) .

وقد احترض اساميل حملى بك - وهو المعروف بصراعه مع العمال المصريين المسخرين في حمر القناة - على ضاآة أجورهم ، وقلم إلى الشركة مطلبين هما رفع ثقات الأجور واحساب الأجور على أساس عدد الأيام التي يقضيها العامل في الحضر بدلا من نظام المقطوعة (٢) . ولكن للشركة رفضت المطلبين ، واقرى فرازان بك على العمال المصريين كدبا حين قرر أن الشركة استجابت لمطلب الأول فرغت أجور عمال السخرة الذين وصلوا في شهر أكتوبر ونصنف الأول من نوفمبر ١٨٦٢ إلى ٥٦٠ من القرنك أى قرابة قرشين من كل متر مكعب من الأنقاض كما جانب ذلك الفرنسي الحقيقة حين زعم أن ذلك الأجر المرتفع قد عوض الآم الفلاحين وجعلهم يعودون إلى دويم قانعين راضين (٣) . لأن تلك الزيادة لم تكن نتيجة رفع أجور العمال ، ولكن الشركة هي التي حملتهم حملا على أن يمحوا في عمليات الحضر إلى ساعات متأخرة من الليل على ضوء المشاعل في تلك الفترة حتى تستطيع الشركة الاحتمال بوصول مياه البحر المتوسط إلى بحيرة التماسح في الموعد الذي حددته لذلك الحفل ، ومن ثم زاد الوقت الذي أكرهوا فيه على الحضر وازداد إحتاجهم وأدى ذلك إلى زيادة الأجر الذي استحق لهم

وقد دار نقاش حول طريقة دفع الأجور . فقد ذكرت الحكومة الإنجليزية في مذكرة رسمية قدمتها للحكومة الفرنسية أن شركة القناة قد كتبت منذ شهر يوليو ١٨٦١ عن نظام الدفع المباشر للعمال ، وأنها أدخلت بنظام جاور مؤداه أن تدفع الشركة الأجور التي يستحقها عمال الفرقة جملة واحدة إلى رئيسها والنشيط الذي يقوم بدوره بتوزيعها على أفراد الفرقة ، ولكنه يستأثر

(١) Vossin Bay, *ouvr. cit.*, t VI, pp. 232-233.

(٢) الجزء السادس من المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق .

بتهيب الأسد من تلك الأجور (١). وقد نفت الشركة هذا الاتهام في مذكرة بتاريخ ٨ مايو ١٨٦٢ رفعت إلى وزارة الخارجية الفرنسية (٢) ، فأثار وكيل وزارة الخارجية البريطانية هذا الموضوع في مجلس العموم بجلسة ١٦ مايو ١٨٦٢ وأعلن أن العمال لا يقاضون أجوراً، وأن المشايخ - أي الرؤساء - يتناولون جزءاً من أجور العمال (٣) . فعاد دى لمبس - في خطاب ضاف منقح وجهه إلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية - يؤكد أن العمال يتناولون أجورهم بدايداً، وأن المشايخ لا يصحبونهم إلا للحفاظ على النظام، وأن أولئك المشايخ يتناولون أجورهم كذلك حسب أهمية الفترة التي يشرفون عليها وعدد أفرادها (٤) .

إلا أن هذا التكتلب العلى الذى أداعه دى لمبس لم يكن إلا افتراء على الحق وإنكاراً لحالة تحدث فعلاً . فقد ظلت الشركة تدفع الأجور إلى العمال بطريق غير مباشر وعلى نحو من الأنحاء ويستدل على ذلك من وصف كتبه من عتبة الجسر ريت Riet أحد المعاصرين المعمر والمتأخرين لشركة القناة ، وكان ذلك في ٢٠ يونيو ١٨٦٢ في الوقت الذى بلغ فيه النشاط في الحصر ذروته .

(١) محصور هذا الموضع انظر مذكرة بتاريخ ٨ مايو ١٨٦٢ عنها :

Memorandum sur le mode d'armement et de payement des ouvriers égyptiens employés au creusement du Canal Maritime de Suez.

■

De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 215-222.

وقد نشرت هذه المذكرة الجهور بمذ ذلك التاريخ بأكثر من سنين في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٩٧ الصادر في أول مجسم ١٨٦٤ من ص ٣٨٠ - ٣٨٢ مجموعة ستة ألسنة .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Hansard's Parliamentary Debates, vol. 166, pp. 1827-1828.

(٤) L'Isthme de Suez العدد ١١٢ الصادر في أول يونيو ١٨٦٢ من ص

١٧٥ - ١٧٩ مجموعة ستة ألسنة

يجلس العمال القرفصاء على الأرض ، كل عشرة منهم سوية ، ثم يمر بهم أحد التراجمة ويطلب منهم أن يختاروا واحدا منهم يتسلم أجور العمال . ولا يلبث أن يحضر الصراف ومعه اثنان من مستخدمى الشركة بصفة ملاحظين أو شهود ومعه أيضا رجل يحمل كيس النقود واثنان من القوافة ( رجال البوليس ) وأحد التراجمة . فيتسلم مندوب العمال المختار أجره وأجر زملائه .. ..... (١) وقد أيد تلك الواقعة معاصران آخران لعمليات حفر القناة (٢) . ولا ريب أن الأخذ بذلك النظام في صرف الأجور كان يتيح لكثير من رؤساء العمال أوالا من الفرس يقتطعون فيها جزءا من أجور العمال سواء رضوا أو لم يرضوا ، إذ كان لأولئك المشايخ سلطة واسعة على العمال في ساحات الحفر وفي قراهم بعد عودتهم إليها (٣) .

، ، ،

ول صور شق ، بعضها مشين ، تلاعبت الشركة بأجور العمال . كانت تقدم في بعض الأوقات الأجور للعمال في صورة صكوك قابلة للذمم وقت الطلب في خزانة نظارة المالية في القاهرة . وكان الفلاحون يضطرون إلى السفر إلى القاهرة لمحاولة صرفها فلا يستطيعون إلا من كانت له صلة بشخص فى نفوذ ، أما غالبية العمال فكانت تصرف لهم صكوك أخرى لتجديدها لمدة ثلاثة شهور ، وفي تلك الحال لا يمدون وسيلة للتخلص من تلك الوريقات سوى بيعها للمرايين من اليهود ومن إليهم مقابل مبالغ زهيدة تقل عن قيمتها الاسمية . وقد كشف عن هذه الوسيلة في دفع الأجور سكوت Scott أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى ، وقد زار مصر سنة ١٨٦٢ ، ثم أثار هذه

(1) Ritt Olivier, *ouvr. cit.*, pp. 246-247.

(2) Fol M., *ouvr. cit.*, p. 8.

Marina, *ouvr. cit.*, p.

(٣) انظر بعض حواشي من مجلة القيل والهرج

Percy Badger, *ouvr. cit.*,



المسألة في مجلس العموم بجلسة ١٦ مايو ١٨٦٢ (١). وكان هدف الشركة من اتباع هذا الأسلوب المتقوى في دفع الأجور هو أن الحكومة المصرية كانت مدينة لشركة القناة بمبالغ ضخمة هي ثمن ١٧٧٦٤٢ شهرا التي أغرى ديسلبس صيدا على قبولها في صيف ١٨٦٠ بفضل الحساب المقترح من ناحية ولإقناذ الشركة من انهيار محقق من ناحية ثانية . وقد رأى ديسلبس أن يستغل الموقف لصالح الشركة بتحويل أجور عمال المسخرة على خزانة نظارة المالية تدفعها عن الشركة خصما من الرصيد المدين للشركة .

وانخضت الشركة من الأجور وسيلة لإكراه الملاحين على البقاء في ساحات الحفر المدة المقررة أو المدة التي ترونها ، فامتنعت كلية عن دفع أى مبلغ من الأجر الذى يستحقه العامل إلا بعد أن يفرغ كلية من حفر الأجزاء التي تخصص له ، فإذا هرب العامل أو ترك عمله قبل إنجازها فإنه يحرم من جميع الأجور التي يستحقها مهما بلغ مقدار تلك الأجور (٢) . وكان هذا الإجراء التصرفي يخالف لأئحة استخدام العمال المصريين .

وقد ابتدعت الشركة عملة خاصة بها أصدرتها من ورق الكرتون بألوان تختلف باختلاف قيمتها وكان بعض هذه الأوراق من فئة عشرين بارة والي بعض الآخر من فئة عشرين بارات (٣) . وكانت تلك العملة تسرى في منطقة القناة : في مكاتب الشركة القائمة في ساحات الحفر وفي محاسن البيع وفي مخازن المناول العام . وبرر أنصار الشركة تصرفها بحجة واهية هي

(١) انظر الفصل العاشر.

(2) Voisin Bey, ouvr. cit., t. VI, p. 282.

وانظر ما كتبه ديسلبس بخصوص حشر عمال الشركة من ساحات الحفر والإجراءات المالية الإدارية التي كالت تعجها الشركة حوالهم :

De Lesseps F · Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, p. 280.

أنه كان يصعب عليها توفير كميات كبيرة من النقود المصرية ذات الفئات الصغيرة تكفى للدفع أجور عشرين ألف عامل كل على حدة (١) وهذا عذر واه. لأن الشركة لم تكن تدفع أجر كل عامل على حدة وإنما كانت تدفع لهم - حين تدفع - جماعات. والواقع كان تصرف الشركة بإصدار عملة خاصة بها كى تتداول في منطقة مصرية يعد افتتاحا منها على حقوق مصر، لأن إصدار العملة هو عمل من أعمال السيادة تفرد به الحكومة، ولا تزاله أية شركة مهما كانت المبررات أو الملاحظات.

وفي أحيان كثيرة كانت الشركة تمتنع عمدا عن دفع أجور نقدية للعامل وتكس بضدبم الخبز المقدد (الجرابة) وتوزيع ماء الشرب عليهم (٢). تخرج مما سبق بحقيقة لامراء فيها وهي أن الشركة لم تكن تدفع دائما الأجور للعامل المصريين. وسواء كان هذا التوقف عن الدفع ناجما عن امتناع صريح منها أو ناتجا عن تحايل منها بطريقة أو أخرى فقد نراكت عليها ديون كبيرة لم بلغت أربعة ملايين وخمسة آلاف فرنك أى ما يوازى مائة وثلاثة وسبعين ألف ومائتين وخمسين جنيا مصرى (٣)، وقد حاولت الشركة التهرب من دفع هذا المبلغ ولم تسدده إلا بحكم ملزم لما لم يكن قابلا للاستئناف وكان تسديدها للمبلغ بطريق غير مباشر وهو الخصم من قيمة الترخيص الذى فرضه الإمبراطور نابليون الثالث على مصر فى مقابل إلغاء السخرة فى حفر القناة.

(١) انظر بخصوص هذا الموضوع مثلا جريدة Spectateur Egyptien عدد ١٨ يونيو ١٨٦٢. وقد أميد نشر فى جريدة L'Estime de Suez عدد ١٤٧ الصادر فى أول أغسطس ١٨٦٢ من ص ٢٤٢ - ٢٤٣ بمجموعة ستة أساهية. وانظر أيضا

Ritt ouvr. cit., p. 247

(٢) Kostolany, ouvr. cit., pp. 114-115

(٣) جبريل القزقكات إلى جهات حسرية أحسنا سحر الفرنك بمبلغ ٢,٨ من القروش كما قرره نوازىان بك عند كلامه على لائحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦. وكان نوازىان بك سائرا تلك الأحداث انظر لمجموعة رقم ٢ من ١٠٠ فى الجزء الأول من مؤلفه.

ولتضليل ذلك نقول إنه لما قام النزاع في سنة ١٨٩٣ بين الحكومة المصرية وبين شركة القناة حول إلغاء الصحرة في حفر القناة واسترداد الأراضي الممنوحة للشركة تطور النزاع تطوراً أدى إلى تدخل الإمبراطور نابليون الثالث ، فأصدر في ٣ مارس ١٨٦٤ قراراً بتشكيل لجنة للدراسة المسائل المتعلقة بين الحكومة المصرية وشركة القناة وتقديم تقريراً تراه يعرض على الإمبراطور فيصدر حكمه في تلك المسائل على ضوء ما يكشف عنه تقرير اللجنة . وضمت اللجنة خمسة أعضاء يمثلون العناصر السياسية والقانونية والمالية ، ولكنها كانت مرتبة لحما ودعماً وحملت رأسها لمضو بمجلس الشيوخ هو ثوبل Thouvenet كان قبل أن يظفر بعضوية المجلس سفيراً لفرنسا في القسطنطينية وبدل مع دى ليسب جهوداً جبارة لاستصدار موافقة السلطان على عقد الامتياز .

عقدت اللجنة عدة جلسات استعنت فيها لطرفي الخصومة ، وحضر عن الحكومة المصرية نوبار باشا ولبنان دى بللون بك واستعان نوبار بثلاثة من أقطاب القانون في فرنسا ، كما حضر عن الشركة دى ليسب وموزان وقد دفع نوبار أمام اللجنة دعماً فرعياً قال فيه إنه بدلاً من أن تطالب شركة القناة بتعويض من الحكومة المصرية في مقابل إلغاء الصحرة في حفر القناة فإن الحكومة المصرية تطالب الشركة بدفع أجور عمال الصحرة الذين سيقوا إلى ساحات الحفر وكنوا وعادوا أحراجهم صفر الأبدى لم يتناولوا كثيراً ولا قليلاً وأوضح في مرامته أن العمال لم يتسلموا دائماً الأجر الذى نصت عليه لأتمه ٣٠ يوليو ١٨٨٦ .

وقد دفعت الشركة بمعلم اختصاص اللجنة بالنظر في هذا الدفع الفرعى . كما أن هذه المسألة ليست واردة في جدول أعمال اللجنة . وليس لوالى مصر صفة محوثة المطالبة بدفع تلك الأجر : لأنها ليست مستحقة له ولكنها مستحقة العمال ، وإذا كان لدى العمال أية مطالب في هذا الصدد فليطعن وحدهم أن يطالبوا الشركة بها . فرد نوبار على هذا الدافع بقوله إن والى مصر يعتبر الموكيل عن رعاياه الذين يوجد من بينهم أولئك العمال ، فهم لم

بذهبوا إلى ساحات الخمر في صحراء البرزخ إلا تنفيذاً لأوامر الوالي ، ولم  
يكن لهم حرية في رفض العمل في حفر القناة . فله الحق في أن يطالب نيابة  
عنهم بالأجر الذي يستحقونه نظير قيامهم بعمل أجبرهم هو عليه .

وقد أخلت اللجنة بوجهة نظر بوبار باشا وقالت في تقريرها إنه  
لا يسمها أن ترفض النظر في هذا الدفع وبعد أن عثت وقائع وأرقامه  
رأت أنه بتطبيق الأجر المحدد في لائحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ تكون أجور العمال  
المستحقة على الشركة هي ٤,٥٠٠,٠٠٠ فرنك قررت أن تخصمها من مبلغ  
٤٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك وهو قيمة التكميض الذي اقترحت فرضه على الحكومة  
المصرية لشركة القناة مقابل إلغاء السخرة في حفر قناة السويس (١) .

وقد وافق الإمبراطور على ما أرائته اللجنة ، وأصدر حكمه في ٦  
يوليو ١٨٦٤ على ضوء ما جاء في تقريرها .

ونحن لا نذهب كما ذهب المؤرخون والكتاب وغيرهم الذين قرروا  
أن الإمبراطور نابليون الثالث قد قرر ٣٨ مليون فرنك تعويضاً لشركة  
في مقابل إلغاء السخرة في حفر القناة . ووجه الخطأ واضح ، لأن التكميض  
الذي قرره الإمبراطور للشركة في مقابل ذلك الإلغاء كان ١٢,٥٠٠,٠٠٠  
فرنك وخصم منه مبلغ ٤,٥٠٠,٠٠٠ فرنك قيمة الأجور المتأخرة على الشركة ،  
فأصبح المبلغ المتعين دفعة هو ٣٨ مليون فرنك . وقد استعمل رجال القانون  
الفرنسيون البراعة صياغة الحكم لإخفاء حقيقة المبلغ الذي تقرر تعويضاً عن  
إلغاء السخرة ، فهو يبدو للقارئ العادي أو الباحث المتسرع أنه ٣٨ مليون  
فرنك .

وقد حالف التوفيق بوبار باشا في هذا الموقف لأنه استطاع أن ينزع

---

(١) انظر تفاصيل هذا الدفع الفرعي في تقرير اللجنة في

هذه الحقيقة - وهي عدم قيام الشركة دائماً برفع أجور العمال المصريين - من لجنة فرنسية لحيا ودما لا يمكن أن تهم بأنها حابت مهر على حساب شركة القناة - وإن مبالغ التعويضات التي اقترحتها اللجنة وأعطتها الإمبراطور وقد بلغت ٨٤ مليون فرنك ( ٣,٣٦٠,٠٠٠ جنيه ) ( ١ ) قد أحدثت استياء عميقاً في الأوساط المصرية الرسمية والشعبية امتد إلى المحافظات الأوربية .

ومجمل القول إن الشركة حين كانت تدفع أجوراً للعمال المصريين كانت تعطهم أجوراً ضئيلة للغاية لا تتكافأ مع المجهود الشاق الذي بذله الملاحون في البحر ، ولا مع متاعب السفر إلى ساحات البحر في صحراء البروح ، ولا مع الأخطار التي كانت تحلق بهم بسبب ندرة ماء الشرب وتأخر وصوله إليهم ، ولا مع تعرضهم للأوبئة التي فتكت بهم . وكان دفع تلك الأجور يتم بطريقة غير سليمة تنطوي على مساوئ . كما أنها امتنعت ردحا من الزمن عن دفع الأجور للعمال . ولما أكرهت على سداد الأجور المتأخرة لم تدفع تلك الأجور إلى جيوب الفلاحين ولا إلى حراة الحكومة المصرية ، وإنما كان السداد عن طريق الخصم من مبلغ تعويض ظفرت به الشركة نتيجة حكم إمبراطوري بجائز هو مثل مي . لعلالة الفرنسية .

---

( ١ ) نشر النص الأصلي لحكم الإمبراطوري في عدة مراجع لكنني منها الآن بالكتاب

## انقضاء الرابع عشر

### جناية سعيد وشركة القناة على الاقتصاد المصري

شركة القناة تسجل أن حشد المصريين لحفر القناة يصيب مصر بأضرار  
جسيمة -- وتعد باستخدام الآت -- إنطلاقاً بوعدها -- فداحة الأعباء على  
الفلاحين على عهد سعيد -- أسبابها -- سعيد يقسو على الفلاحين ويسلب على  
طوائف أخرى -- سعيد يفرض السخرة لتلمذة شركة فرنسية أخرى -- نقص  
العمال الزراعيين في مصر -- التصكير في استخدام صينيين وهنود وإيطاليين  
لاستغلال أراضي مصر -- سعيد يعترف بقلة العمال الزراعيين -- إنجلترا تود  
بعثة اقتصادية إلى مصر لإغراء سعيد بالتوسع في زراعة القطن -- ونعرص  
عروضاً خيالية -- سعيد يعرض عنها ويضع حفر القناة فوق أي اعتبار آخر  
-- ازدهار المجتمع المصري بعد وفاة سعيد وإنقاص عدد عمال السخرة ثم  
إنهاء ذلك النظام الرئيل .

. . .

سجلت شركة القناة على نفسها في وثيقة رسمية رقمها بتاريخ ١٤ يوليو  
١٨٥٩ إلى وزير الخارجية الفرنسية وإلى السفارة الفرنسية في القسطنطينية ،  
أنه تقديراً منها لأحوال مصر الزراعية قد قررت حفر القناة بالوسائل  
الميكانيكية ، ولذلك فهي في صدد استخدام الآت حفر قوية تغنيها إلى حد  
كبير عن استخدام العمال المصريين في عمليات حفر القناة . وقد جاء في هذه  
المذكرة : وأجراً كان من بين الاعتراضات الأخرى التي قُبِلت عند  
المشروع اعتراض ظهر أنه جدير بالاهتمام ، ذلك هو الاعتراض الخاص بحشد  
الفلاحين الذين تتطلبهم أعمال حفر القناة ، والذين ستعوزهم نتيجة لذلك  
شئون الزراعة ، الأمر الذي يعصيب البلاد بخسارة جسيمة .

والشركة وهي تقدر وبجادة هذا الاعتراض قد قررت تنفيذ أعمال  
الحفر بوسائل ميكانيكية ، وأمرت بعمل مجارب لآلات تستخدم في حفر

الأرض وبيع الثمرة ونقلها ..... (١) .

كما أعلنت أن حاجتها إلى العمال المصريين ، يعقل تلك الوسائل الميكانيكية الضخمة ، وفي أكثر أوقات العمل نشاطا ، لن تتجاوز أربعة آلاف أو خمسة آلاف عامل على الأكثر (٢) . وأكدت هذا الوعد جريدة الشركة إذ قالت : « ونحن نصرح لجريدة مورنينج بوست Morning Post أن حفر البرزخ لن يتطلب سوى عدد قليل من العمال لا يؤثر على انتظام الأعمال الزراعية . وسيتم هذا العمل ( حفر القناة ) بوسائل ميكانيكية دون الاعتماد على الأيدي العاملة . وقد لجريت تجارب على الآت قوية ستحل في معظم الأوليات عمل العمال ، وإن مهمتى الشركة لعل تحق من أن أعمال القناة لا تتطلب مطلقاً سوى إسهام عدد من العمال ينزلح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف عامل . » (٣)

وقد افصح أن ذلك الوحيد لم يكن إلا ذراً لرماد في الأعلى . وأن بها كانت مبيتة من أول الأمر على تسخير الشعب المصري في حفر قناة السويس وكل ما حدث هو أنها أكرهت على إرجائه مطالبة الحكومة المصرية بمحذ العمال لما طبقاً للاتفاقية ٢٠ يوليو ١٨٥٦ حتى يتلهم مركز الشركة بعد الأزمات السياسية التي أثارها انجلترا حين دخل المشروع في مرحلة التنفيذ في ٢٥ أبريل ١٨٥٩ .

كان استخدام الكراكات وما إليها من الآت الحفر يكد الشركة نفقات باهظة . قسلاً عن تمها الأساسى ، كانت هناك مصاريف لا يستهان بها تنفق في شحنها إلى بورسعيد ، ثم في نقلها إلى ساحات الحفر في صحراء البرزخ ، وإعادة تركيب أجزائها ونفقات تشغيلها وصيانتها وما إلى ذلك . وواضح أن اعتماد الشركة على نظام السحرة في حفر القناة كان يضيق من تلك النفقات .

(١) De Lempia F - Lettres, Journal et Documents etc. ouvr. cit., t. III pp. 185-188.

(٢) Santamucco - Histoire de l'Égypte etc., ouvr. cit., t. III, p. 58.

(٣) L'Estimate des Soix L'Estimate des Soix = ١٨٦٠ في أول مسجل

يضاف إلى ذلك أنه لم يكن من المتوقع أن تكون لدى الشركة وثيقة هامة استصدرتها من سعيد، وهي لائحة العمال، ثم تركها جبرا على ورق. كان هذان السيان في مقفلة البواعت التي حطت الشركة تنصرف عن استخدام الوسائل الآلية في حفر القناة . وللدليل على ذلك أنها لم تبد أى اهتمام جدلى باستخدام الآت حفر على الجفاف إلا في منهل عام ١٨٦٤ حين أيقنت أنه لا مناص من إلغاء السخرة في حفر القناة لتتجه لقيام النزاع السافر العنيف بين الحكومة المصرية وبينها حول مشكلتي السخرة واسترداد الأراضي الممنوحة لها . فقدت في ٢٦ مارس ١٨٦٤ اتفاقا مع شركة بوريل ولافاللي Borel et Lavalley لحفر قناة السويس في النصف الجنوبي من البربخ ابتداء من الحافة الجنوبية لمرتفعات عتبة الحمر إلى البحر الأحمر (١) . واستخدمت تلك الشركة الآت ضخمة كانت تسمى الواحدة منها «الحفار على الجفاف» excavateur à soc فاستخدام السخرة في حفر القناة عاد على الشركة بأجل الفوائد المادية ، ولكنه من ناحية أخرى أصاب الاقتصاد القومي بأضرار بالغة . فإن حشد عشرين ألف عامل كل شهر طوال السنة ، بدون أدنى مراعاة للمواسم الزراعية ، كان يتطلب غياب مئتين ألف غلاف في وقت واحد عن أعمالهم الزراعية ، أى عميل ٧٢٠ ألف رجل في السنة . وتبدو فسادة الصبء الذي وقع على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بسبب ذلك النظام الجائر إذا وضعنا أمام أعيننا الحقائق الآتية :

٢٦ - ٢٨ : مجموعة ستة الخسائر نجد مقالا ضابطا بعنوان مزاعم جبرية المروءع بورت  
 Les variantes du Morning Post  
 (١) كانت الشركة قد عقدت في أكتوبر ١٨٦٢ عدة اتفاقات مع بعض الشركات والمقاولين لإنشاء حادى أمواج في بورسعيد وتمييز وتوسيع القناة البحرية المصيرة إلى حفرها على السخرة من بورسعيد إلى بحيرة البحار . وهذه الأعمال تحطت من عمليات الحفر على الجفاف وكان لابد من استخدام الآلات في إنجازها .

(٢) Lavalley A. - Extrait du compte rendu des travaux de la société des ingénieurs civils. Travaux d'exécution du canal maritime de l'Ischne de Suez. Imprimerie Bourdier. Paris. 1866. pp. 11-26 et 27-48.



أولاً : إن عدد سكان مصر في سنة ١٨٩٢ بلغ ١٨٣٣,٠٠٠ (١) .

ثانياً . إن عمال السخرة كانوا يؤخذون من المزارعين وهم مصعب الحياة الاقتصادية التي كانت تمثل في ذلك الوقت في الزراعة .

ثالثاً : إن عدة طوائف من السكان كانت تتمتع بالإعفاء من السخرة مثل الشيوخ والنساء والأطفال وسكان المدن وأصحاب الحرف والتجار وقبائل البلو ورجال الدين وقد أمر سعيد أن يمتد الإعفاء إلى الأشخاص المنقطعين لخدمة المساجد والأوقاف والأضرحة والمقامات والتكايا ونحو ذلك من الأماكن المحترمة رحمة من لدنا واحتراما للشعائر الإسلامية . (٢) كما رأي أن يشمل الإعفاء أهالي بلاد الأرز - أي التي تزرع أرزا - ونظراً لانعدام الكفاية في خدمة زراعة الأرز . (٣)

فلذا قلنا أن تعداد هذه الطوائف يبلغ ثلاثة أخماس عدد السكان - وهو تقدير معتدل لأن النساء وحلن يوتن نصف الأمة على الأقل - كان معنى ذلك أن الجيوش الحاربة من الفلاحين المسخرة في حمر القناة كانت تؤخذ من الخمسين الباقيين أي من ١,٩٣٣,٢٠٠ وهذه سنة عالية رهيبة .

ويصور جانباً من هذه الحقيقة ريت Ritz أحد مستخلصي شركة القناة فيقول : نحن نعرف أن الزراعة تعرضت لضرر يبلغ من استمرار حلجة الشركة إلى العمال . حقيقة إنه كانت تحشد غالباً في مصر أنواع من العمال يعوق عددها ما تأخذ الشركة ، وكانت تحشد في بعض الأماكن بسجوع يصل عددها إلى مائة ألف رجل . إلا أن هذا الحشد كان يتم لفترة قصيرة نسبياً وفي مواسم خاصة في السنة لا تكون الحلجة فيها مخصصة إلى سواجد الفلاحين .

(١) De Makartie, *ouv. cit.*, p. 144.

(٢) محظوظات قصر ماين : دفتر مجموع نظام زراعة . أمر رقم ٣٠ صادر إلى مدير الشرطة في ٢٣ ربيع الأول ١٢٧٣ ( ٣ ديسمبر ١٨٥٥ ) بقوله بوجه ١٠٠ من ٢٠٢ .

(٣) محظوظات قصر ماين : دفتر مجموع نظام زراعة . أمر رقم ١٢ من ٣٢ صادر إلى مدير الشرطة في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٧١ ( ١١ فبراير ١٨٥٥ ) .

بينما - منذ سنتين خلنا وقصرة أخرى في المستقبل - تحتاج الشركة إلى خمسة وعشرين ألف عامل . هكذا موقف شاذ غير عادي . (١)

وقد ضرب هذا المؤلف مثلا واقعا ليرز أهمية المساعدة التي تقدمها الحكومة المصرية إلى شركة القناة . قال إن عدد سكان مصر يبلغ خمسة ملايين نسمة تقريبا ، أى ثمن  $\frac{1}{8}$  عدد سكان فرنسا ، والخمسة وعشرون ألف فلاح الذين يعملون في حفر القناة يقابلون ٢٠٠ ألف عامل في فرنسا ، وقال إن تغير هذا العدد المائل من العمال كل شهر هو عبء آخر يزيد من أعباء حكومة مصر . (٢)

رابعا : لم يكن الفلاحون مطالبين بأن يقضى كل منهم شهرا أو أكثر في خدمة شركة القناة فحسب ، بل كانت عليهم أعباء نحو الحكومة أدوها وفق نظام السخرة ، وهي ما سحبا الضرائب التي تؤدي عمالا . وتمثلت تلك الأعمال في تقوية جدران التل وتطهير الترع مثل ترعة المحمودية ، وقد سخر سعيد في تطهيرها ١١٥ ألف رجل لمدة شهر (٣) ، وكان تطهيرها بمثابة إعادة صهرها من جديد : وترعة الخطاطبة وقد أعيد تطهيرها عدة مرات على عهد سعيد . (٤) تضاف إلى ذلك كله المشروعات العامة والأعمال الخاصة التي نفعها سعيد مستعينا بنظام السخرة . وكان في مقدمة هذه وتلك استكمال الخط الحديدي الذي يربط العاصمة ، فاستكله من كفر الزيات إلى القاهرة . ولمدة غير الصحراء إلى السويس ، وذلك عدا الخطوط الفرعية . كما استحدث سعيد السخرة في إنشاء القلعة السعيدية بالقناطر

(1) Ritt, *op. cit.*, pp. 286-287.

(2) *ibid.*

(3) Merroux : *L'Egypte contemporaine etc.*, *ouvr. cit.*, pp. 121-122.

(٤) محفوظات قصر عابدين : دفتر ١٩٢ وثيقة رقم ٧٦٧ ودفتر ٥١١ وثيقة رقم ١٧٤ ودفتر ٥١٤ وثائق رقم ٢٥٢ ، ٦٧٦ ، ٧٥١ ، ودفتر ٥١٩ وثائق رقم

الحيرية (١) وفي بناء قصره في مريوط (٢) .

ولم يقف الأمر بسعيد باشا عند هذا الحد ، وهو الذي نعت البعض حكمه خطأ أو بهتاناً بأنه المصير النهائي للفلاح ، فقد سخر الفلاحين في خدمة شركة فرنسية أخرى ، هي إخوان ديسو Dumas ، فأبرم معها اتفاقاً في ١١ أبريل ١٨٦٢ لإنشاء حوض لإصلاح السفن في ميناء السويس . وبصت المادة ١٨ من ذلك الاتفاق على أن يقدم سعيد ، علداً كافياً من عمال السخرة . (٣)

خامساً . كانت مصر تعاني نقصاً في الأيدي العاملة الزراعية على الرغم من الزيادة التي طرأت على عدد السكان فيها منذ عاشر القرن التاسع عشر (٤) . وكان هذا النقص يعوق التقدم المنشود في حياة البلاد الاقتصادية . وكانت قلة الأيدي العاملة الزراعية ترجع إلى عدة أسباب منها . الزراعات الصيفية واتساع مساحتها نتيجة لإدخال نظام الري الدائم في الوجه البحري . كما أن عمليات تطهير الترع كانت تتطلب بنورها استخدام أعداد هائلة من الفلاحين فترهم سعيد باشا بثلاثمائة ألف علاج كل سنة (٥) . ثم الأوبئة التي اجتاحت مصر ، وكان إجماع الطاعون في سنوات ١٨١٣ ، ١٨١٩ ، ١٨٣٥ والכולيرا في سنوات ١٨٣١ ، ١٨٤٨ ، ١٨٥٠ ، ١٨٥٥ نصاب إلى ذلك

(١) محفوظات قصر هابدين : دفتر رقم ٤٩٧ مئة ستة تركي صابر وثيقة رقم ٧٥٨١٥١٧ .

(٢) محفوظات قصر هابدين : دفتر رقم ٤٩٨ مئة ستة تركي صابر وثيقة رقم ١٥٩٩ .

(3) Stoecklin A. - Notice sur la construction du bassin de Radouph de Suez. Bordeaux. 1867 pp. 12-13.

(4) Crouchley A. E. The Economic Development of Modern Egypt. London 1938. p. 126. Voir aussi Edmond About. Le Fallah. Souvenirs d'Égypte. Paris 1869. pp. 208-209.

(٥) محفوظات قصر هابدين : دفتر رقم ١٩ صابر هابدين وثيقة رقم ٢١٢ خطاب من الختاب العالي إلى السيد العالي بتاريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٢٧٧ ( ٢ يناير ١٨٦١ ) .

الحروب التي خاضتها أو اشتركت فيها القوات المسلحة المصرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في آسيا وأوروبا وإفريقيا وجاء تسخير الفلاحين في حفر قناة السويس على نطاق واسع منذ منتصف عام ١٨٦١ وموت الكثيرين منهم في ساحات الحفر فزاد الموقف تفاقمًا . ويؤكد ديسي أنه لو استمر نظام السخرة في حفر القناة قائمًا على الأسلوب الذي سار عليه سعيد باشا لنقص عدد السكان في مصر نقصًا خطيرًا (١) .

وقد ظلت مشكلة نقص الأيدي العاملة الزراعية قائمة متعاقبة طسوال حكم سعيد وفي أوائل حكم اسماعيل . وقد بلغ من حدة تلك الأزمة أن انجذبت النية إلى استقدام عمال أجانب من الصينيين والهنود والإيطاليين والألمان يقيمون في الأراضي القابلة للزراعة ويثولون استغلالًا (٢) . ولكن رفض اسماعيل الأخذ بهذه الفكرة ورأى أنه يمكن الاكتفاء بالأيدي العاملة المصرية إذا أحسن استغلالها . فعالج المشكلة بوسيلتين هما إلغاء السخرة في حفر القناة ، واستيراد الآت رافعة وغيرها من الآلات الزراعية (٣) .

(1) Dacey, *ouvr. cit.*, p. 36.

(2) Crouchley A. E. *ouvr. cit.*, pp. 125-126.

وكذلك

Mc Conn, *Egypt as it is*. London 1877 pp. 162-189.

وفي التقرير الذي دله كيف Stephen Cave في مارس ١٨٧٦ إلى الحكومة الإنجليزية عن حالة في مصر ترمز لذكر المشرحات التي كانت قد عرفت على اسماعيل لإيجاد ساديين حصة إلى قصر يتولون تنظيم هجرة أنواع من السكك الحديدية إلى مصر لاستغلالهم في الأعمال الزراعية . انظر

Parliamentary Papers, Egypt (1876) No. 7, Report by Mr. Cave on the Financial Condition of Egypt, pp. 1-18.

(٣) تنفذت عمل مصر خلال العامين الأولين من حكم اسماعيل الآت زراعية من كل نوع وخمسة المصنعات البتيرية . ولم يبق أن شاعت مصر مثل هذه الكليات من الآلات . وقد استوردتها شركات اغوال سكافني ، وابنهيم .

Oppenheim neuveu et Cie: Dervieu et Cie وغيرها وكانت الحكاية تبيع الآلات الزراعية الفلاحين في كل مكان ، وأخذ مديرو المديرية يدعون إلى عقد اجتماعات يضر فيها مشايخ القروى والفلاحون لمناقشة الآلات الزراعية وطريقة

صاحبا . وقد ترميت على الحقيقة السابقة . وهي قلة عدد العمال الزراعيين في مصر - حقيقة أخرى هي وجود مساحات واسعة من الأراضي الزراعية بدون استغلال . ونستقي هذه الحقيقة من مصلحين : أولها سعيد باشا نفسه ، فقد أرسل مذكرة رسمية إلى الباب العالي بتاريخ ٢١ ربيع الآخر ١٢٧٨ ( ٢٦ أكتوبر ١٨٦١ ) وصف فيها للنساء والقمص اللواتي . وقد جاء فيها : « أن أكثر جهات الأقاليم القبلية والحرية يوجد بحوار الأراضي المزروعة كثير من الأراضي التي تصلح للزراعة ولكنها بقيت غير ذات زرع بسبب قلة عدد الأهالي ، ويرغب بعض الأوروبيين من رعايا دول أجنبية أخرى تارحة من شركة قناة السويس في شراء تلك الأراضي بالمال على وجه التملك . ولذلك بادرت إلى تقديم هذه العريضة إلى سامي مقامكم الأصفي الأخصي متمنا التفضل ببحث هذا الموضوع ... ١٨٠٠ (١) »

ولو كان سعيد باشا على حظ موهوب من الملكاء والعلم وسعة الأفق المضي كما يصوره المؤرخون الفرنسيون لما سطر هذه المذكرة التي تكشف عقله على حقيقتها لقد كان ملوكا تمام الإدراك حاجة البلاد للمحة إلى استبقاء عمالها الزراعيين في استغلال تلك الأراضي وزراعتها قطنا بعد أن ارتفعت أسعارها ، واشتد الإقبال عليه بسبب الحاجة القطنية التي اجتاحت إنجلترا وفرنسا وغيرهما ، وقد قلرت مساحة هذه الأرض الطيبة التي لا تزرع بسبب قلة عدد العمال الزراعيين . يملأ في (٢) - . ويزيد في مسؤوليته أنه أرسل هذه المذكرة بعد أن أوعدت إليه الحكومة الإنجليزية في يوليو ١٨٦١ مئة اقتصادية تقدم له عروضاً مغرية لتوسع في زراعة القطن ، وتبدي استعداده لشراء جميع الأقطان التي تزرعها مصر بأسعار مجزية للغاية .

Lucovich Antoine La Société Agricole et Industrielle. Paris. 1885  
pp. 31-32.

(١) محمولات قصر عابدين سجل رقم ١٩ صادر عابدين كتاب رقم ٢٢١ .

(2) Note consultative pour S.A. Larnail Pacha Vice-Roi d'Égypte  
délibérée par Mmes. Odéon Barrot, Dufrane et Jules Favre en date du 30  
novembre 1863.

Cotton Supply Association قد قررت في عام ١٨٦١ - لإزاء النقص المطرد في كميات القطن الوارد إلى إنجلترا - إبعاد G. B. Haywood سكرتير الجمعية إلى الهند لدراسة وسائل الإكثار من زراعة القطن في تلك البلاد . ورأت الحكومة الإنجليزية الاشتراك في هذه البعثة ، فأوعدت منلويا من قبلها هو Dr. Forbes انضم إلى منلوب جمعية مانشستر .

وقد عهدت الحكومة الإنجليزية إلى عضوى البعثة بمفاوضة سعيد باشا أثناء مرورهما بمصرهما في طريقهما إلى الهند ، في شأن زيادة المساحات التي تزرع قطناً في مصر . ومن أجل ذلك زود الورد John Russell وزير خارجية بريطانيا عضوى البعثة بخطاب توصية إلى Coiquaboun كنصل إنجلترا العام في مصر ، أبان فيه المفروض من زيارة البعثة لمصر والأهمية التي تعلقها الحكومة الإنجليزية على نجاح مهمتها (١) .

وقد وصل عضوا البعثة إلى الإسكندرية في ٢٦ يوليو ١٨٦١ وقابلا سعيداً في قصره بمريوط ، وشهد المقابلة فنصل إنجلترا للعام الذي تولى تقديمهما إلى الأولى . وقدم سكرتير جمعية مانشستر التماساً إلى « حضرة صاحب السمو محمد سعيد باشا وإلى مصر وملحقائها » جاء فيه أن مقصدي هذا الالتباس من كبار غزالي القطن في بريطانيا العظمى وأيرلندا ، واعترف الالتباس بأن صناعة القطن في بريطانيا وتجارة البلاد على وشك التعرض لخسائر جسيمة بسبب نقص إنتاج القطن كنتيجة للحرب الأهلية الأمريكية . ثم انتقل الالتباس إلى الجهود التي بذلتها مصر الحديثة لتشجيع إنتاج القطن فيها ، وما كان لتلك الجهود من نتائج باهرة . وأبان الالتباس أن الفرصة أصبحت مواتية لمصر لتوسع في زراعتها .

(١) انظر مقالاً بجريدة المانشستر جاردريان Manchester Guardian أعادت نشره مترجم لله الفرنسية بجريدة الشركة في العدد ١٧٤ الصادر في ١٥ أغسطس ١٨٦١ من ص ٢٦٤ - ٢٦٥ . وانظر أيضاً العدد ١٢٥ الصادر في أول مجبر ١٨٦١ من ص ٢٧٩ - ٢٨٠ مجموعة ستة للخدمة .

وكان من أهم ما انطوى عليه هذا الاتهام مسألتان هما: عرض مصر لشراء القطن المصري، وبذلك معونة فنية للإكثار من زراعتها. أما المسألة الأولى فقد أوضح الاتهام أنه في الاستطاعة أن تجود زراعة القطن في الثلثا في مساحة لا تقل عن ثلاثة مليون فدان إذا كفل لها رى منتظم وطرق استغلال حديثة، وفي تلك الحالة يكون إنتاج القطن أربعة قناطير، تشتريها إنجلترا بسعر يتراوح بين الثلاثين جنيا وخمسة وثلاثين جنيا استراليا على أفضل تقدير. وأكد الاتهام أن إنجلترا مستعدة لأن تشتري بأسعار مجزية للغاية جميع كميات القطن التي تزرعها مصر، وهو أمر يؤدي إلى نشر الرخاء بين المصريين.

أما المسألة الثانية فقد أثبتت جمعية مانشر استعدادها للتم لمثل كل محاولة فنية تحقق الغاية المرجوة. فهي تقدم إلى الرائي أو إلى أية هيئة منتظمة في مصر مكونة من تجار أو زراعي كافة المطومات الخاصة بطرق زراعة القطن ووسائل الإكثار منه والحصول على أحسن الآلات الزراعية. وعرضت للجمعية أن تقدم بدون مقابل بعضا من تلك الآلات المصنوعة في إنجلترا باعتبار أنها نماذج، وأن تقوم فيما بعد بإرسال مقادير كبيرة من تلك الآلات بالسعر الجاهز (١).

هذا هو موجز الاتهام، وقد يعتقد البعض أن للمرض الحق منه كان إغراء الرائي على الاحتفاظ بالفلحين في الحقول بللا من لهم من لإصلاح إلى مساحات بحر القناة. ولكن الأزمة القبطية في إنجلترا كانت حقيقة ماثلة لا سبيل إلى تجاهلها. وكان هذا المرض يتشعب مع مصلحة مصر الاقتصادية. وفي الحديث الذي دار بين الرائي وعضوى البشة لاحظ مكرثير جمعية مانشر أن صيدوا يشاء تجنب أن يتعرض لمشكلة العمال في زراعة

(١) نشرت الجمعية الفرنسية لهذا الاتهام في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٢٤ الصادر في ١٤ أغسطس ١٨٦١ من ص ٢٦٤ - ٢٦٥ مجموعة السنة السادسة

وقد أذن سعيد باشا لعضو البعثة في الطواف ببعض المناطق الزراعية في الوجه البحري . وصرح سكرتير الجمعية في ٩ أغسطس ١٨٦١ تقريراً ضامياً إلى الوالي ضمنه ملاحظاته ومشاهداته أثناء رحلته . وقد جاء فيه أنه لاحظ في كل جهة من الجهات التي زارها وجود مساحات كبيرة من الأراضي دون أي استغلال (٢) . وقد أبدى سكرتير الجمعية تخوفه من أن عمليات الحفر في قناة السويس قد استغلت نشاط الفلاحين . وذكر أنه طبقاً للمعلومات التي استقفاها من مصادر موثوقة بها كان يوجد في ذلك الوقت عدد يتراوح بين خمسة وستة آلاف فلاح يشتغلون في عمليات حفر قناة السويس ، وهي أعمال وصفها بأنها لا تزال في مراحلها الأولى (٣) . كما ذكر أن الوالي قد مرّح عدداً كبيراً من جنود الجيش المصري من أجل السخرة في حفر القناة .

ولم يستجيب سعيد باشا لحرص الحكومة الإنجليزية ، ولم يستغل الفرصة الذهبية التي أتت للاقتصاد المصري كما ينبغي ، بل عالج الموقف على وجه معكوس . فكان المقروض أن يملك يده ، ولو قليلاً ، عن الشركة ويستبقى جانباً من عمال السخرة في الحفول ، ولكن التلحق الأذى على مساحات الحفر بدأ بعد وصول البعثة البريطانية في يوليو ١٨٦١ ، ثم استمر هذا التلحق

(١) وصف سكرتير جمعية مانشستر الحفوت التي تدار مع الوالي في خطابات بشرت جريدة Times التاييز وأعادتها لشرق . سرّحا إلى السنة القومية جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٢٨ الصادر في ١٥ أكتوبر ١٨٦١ من ٢٢٨ مجموعة السنة السادسة . انظر أيضا العدد ١٢٥ الصادر في أول سبتمبر ١٨٦١ من ٢٨٠

(2) Il a été parfaitement évident pour moi que dans chacun de ces districts, d'immenses étendues de terrain restent entièrement improductifs.

انظر القومية القومية لقرير منشورة في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٢٨ الصادر في ١٥ أكتوبر ١٨٦١ من ٢٢٧ - ٢٢٩ مجموعة السنة السادسة .

(٣) L'Isthme de Suez العدد ١٢٥ الصادر في أول سبتمبر ١٨٦١ من ٢٨٠ والعدد ١٢٨ الصادر في ١٥ أكتوبر ١٨٦١ من ٢٢٨ مجموعة السنة السادسة .



يشهد في الشهور الأخيرة من عام ١٨٦١ حتى بلغ الذروة في ديسمبر . أما في العام التالي - ١٨٦٢ - فيمكن أن نذكر أنه شاهد أكبر حشد آدمي في تاريخ الشركة على الإطلاق ، إذ كان عدد عمال السخرة يتراوح كل شهر بين ٢٠ ألفا و ٢٢ ألفا .

وقد يفرض البعض بأن سعيها استجاب لمرضى الحكومة الإنجليزية ، لأن إنتاج القطن قد زاد في عام ١٨٦٢ عن العام السابق . ولكن تلك الزيادة كانت طفيفة جدا بالنسبة للفترات المالية التي وثبتها رعاة القطن في مصر في سنوات ١٨٦٣ ، ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ منذ أن توارث شخصية محمد سعيد عن حكم مصر . وتوضح تلك الزيادة من الجدول الآتي (١) :-

السنة	١ كميات القطن التي أرسلتها مصر إلى الخارج مقفلة بالقناطر
١٨٦١	٥٩٦,٢٠٠
١٨٦٢	٨٢٠,٠٠٠
١٨٦٣	١,٢٨٧,٠٠٠
١٨٦٤	١,٧٤٠,٠٠٠
١٨٦٥	٢,٥٠٧,٠٠٠

كما أن الزيادة التي حدثت عام ١٨٦٢ لم تكن نتيجة تدخل أو توجيه حكومي كما حدث في حكم اسماعيل ، بل كانت الزيادة طبيعية وتلقائية من ناحية المزارعين الذين لمسوا ارتفاع أسعاره والإقبال الشديد على شراءه ، فاستقبلوا زراعة القطن برعاية القمح والبردة وغيرها من المحاصيل الزراعية ، وتنافسوا في إنتاجه حتى طفت زراعتهم على سائر المزروعات الأخرى في مصر ، وأصبحت كميات القمح التي تنتجها البلاد لا تفي بحاجات سكانها ، واضطرت حكومة سعيد خلال بضعة شهور أن تعمل على استيراد القمح من إيطاليا وأدعا في روسيا لسد حاجات التوطين ، وأصدر سعيد في أواخر حكمه أمرا يلزم المزارعين بزراعة القمح وسائر الحبوب في أراضيهم بنسبة

معينة (١) . ومن المؤكد أنه كان في استطاعة محمد سعيد أن يزيد من إنتاج القطن أصحلا مضاعفة وأن يفسر الرخاء في مصر لوجه جيوش المال الذين سخرهم في حفر القناة إلى استغلال الأراضي للقائلة للزراعة . وقد مر بنا أن عدد عمال السخرة الذين حضروا القناة البحرية الصغيرة في منطقة واحدة هي عجة البحر قد بلغ ١٧٦٧٨٠ عاملا في غضون تسعة أشهر ونصف شهر (فبراير - منتصف نوفمبر ١٨٦٢) .

ونعتقد أن النتيجة لا تقع على شركة القناة بقدر ما تقع على سعيد باشا ، لأنها شركة تنشأ للربح ، وتلتصق بتضييع هبات الإنشاء قدر استطاع ، سواء تم ذلك بالتضييع بطرق مشروعة أو غير مشروعة ، ونظام السخرة يكفل لها تحقيق الغرض الأخير . ولذلك لم يكن عجبا أن تنطق الشركة بهذا النظام الذي يتيح لها الحصول على آلاف العمال بناء على أمر بسيط يثبت المقاول العام لشركة أو مدير أعمال الحفر بها إلى مديري المديرات . وكان في مقدور سعيد أن يتمسك بما نصت عليه لائحة للعمال من وجوب رعاية مصالح المزارعين والملاك من ناحية، وضرورة مراعاة المواسم الزراعية من ناحية ثانية . ولكن سعيدا لم يتأسر هذين التبعين فنصب بل فرض نظاما تسميا باعيا لمصلحة الشركة بفضي بتسليم ٢٠ ألف عامل أو أكثر كل شهر .

وقد كتب بادجر السائح الإنجليزي الذي زار ماسحات الحفر في ديسمبر ١٨٦١ يقول : « وأنه لمن دواهي الألم للمضي أن يسمح للسخرة التي تنطوي على العمل بالإكراه أن تسود هذه الولاية (مصر) ، وهو أمر يصيب رخاء البلاد وسكانها قليل العدد بالكثير الأضرار . إن هذا الأسلوب يمكن أن يطلق عليه بحق أنه صورة أخرى من رفق للأرض » ، (٢) فأعباء السخرة في حفر القناة

(1) *Sacré Amédée et Louis Outrebon : L'Égypte et Ismaïl Pacha. Paris. 1865, pp. 146-147.*

(2) *Percy Badger : ouvr. cit. p. 68.*

This much is certain that the fellahs now being despatched in large number to the works are placed under the control of

قد أضافت إلى حد كبير إنتاج القطن أثناء حكم سعيد ، كما أنها حثت  
 وقطعت عن البلاد نعمة ارتفاع أسعار القطن . وقد قلر بوبلر ماخسرته مصر  
 سويلا بسبب عدم التوسع في زراعة القطن نتيجة الافتقار إلى الأيدي العاملة  
 التي تنحدر إلى حفر القناة بأربعين مليون فربك (١) ، أى مايقرب من مليون  
 وخمسة وخمسين ألف حيه . وقالت جريدة التايمز Times في هذا الصدد إن  
 رخاء مصر قد أصابه نزع الفلاحين قهرا من حقولهم ونقلهم إلى البروخ  
 بطريقة ظالمة غير قانونية (٢) .

• • •

نبرز هذه الصورة القائمة على حقيقتها وتبين إذا فونتت بالصورة  
 الوضيفة التي صار إليها المجتمع المصرى والاقتصاد المصرى في سنة ١٨٦٣ وما  
 تلاها حتى انتهت الحرب الأهلية الأمريكية في أبريل ١٨٦٥ . ولما عجل  
 حكم مصر كما ذكرنا في ١٨ يناير ١٨٦٣ ، وأبدى اهتماما عميقا بالتوسع  
 في زراعة القطن (٣) ، ومن ثم أقصص ناعا طوال عام ١٨٦٣ عند عمال

government agents; and that the scheme is assuming more and more  
 the character of a public measure sanctioned by the Vice-Roy and pro-  
 moted by his direct influence and authority

It is deeply to be regretted that this system of forced labour so per-  
 nicious to the general welfare of the country and its scanty population, a  
 system which may fairly be styled "a modification of agrarian slavery"  
 should be allowed to prevail, under any circumstances, in this Vice-Royalty.

Down , Histoire du Règne etc., ouvr. cit. , t. I, pp. 74-75.

رقد كتب هذا الإنجليزي كتابه في فندق شبرد بالقاهرة في يناير ١٨٦٢ عقب موافقه من  
 ساجات الحفر بمطلة القتار .

(١) مذكره قديمها موبار في نوفمبر ١٨٦٣ إلى دبير دي لويس ودير خارجيه  
 فرنسا . انظر

Down ' Histoire du Règne etc. ouvr. cit., t. I, pp. 74-75

(٢) نشرت L'Estime de Suez خلا لحرية التيسر ثم تولت شركة طليه  
 انظر للسند ١٢١ الصادر في أوله يوليو ١٨٦١ ص ٢٢٢ مجموعته للـ  
 السادة

(٣) أصدر اماعيل أنامر بجمع مفتق الرواعة ومطارعا في تغليش المية -

السخرة الذين يرسلون لحفر القناة ، وجاءت الشركة بالشكوى ولكنه لم يلق بالآ ، وأمر النراج عن إيقاف إرسال عمال السخرة إلى ساحات حفر القناة اعتباراً من أول يونيو ١٨٦٤ (١) . فأتاحت الفرصة لاستبقاء الفلاحين في الحقول يعملون في زراعة القطن من ناحية ، ولتوجيه بعضهم إلى الأراضي القابلة للزراعة والتي ظلت إلى ذلك الوقت دون استغلال بسبب نقص الأيدي العاملة الزراعية من ناحية أخرى . وانصرف هؤلاء وأولئك بحماس ونشاط إلى زراعة القطن ، وشجعهم على ذلك ارتفاع أسعار القطن ارتفاعاً جترياً جعل كل مالك أرض في مصر تزرع قطناً يصيب كسباً لم يحلم به من قبل . فبعد أن كان سعر القطن في سنة ١٨٦٢ قد بلغ ١٣ ريالاً إذا به يرتفع إلى ٢٣ ريالاً في سنة ١٨٦٣ ثم يقفز إلى ٣٦ ½ في السنة التالية ثم إلى ٤٥ ريالاً في سنة ١٨٦٥ (٢) . وانهاكت الطلبات على مصر من الخارج لشراء القطن ، وكانت المصلحة العامة تقضي بتلبية معظم هذه الطلبات إن لم يكن جميعها . وساد الاعتقاد في ذلك الوقت أن الحرب الأهلية في أمريكا سيطول أمدها إلى فترة غير محدودة (٣) ، وأنها ستنتهي بالتقضاء على زراعة القطن في أمريكا (٤) ، وأنطخت الفوائد الاقتصادية نرد أن وادي النيل هو الذي كتب له أن يروود منازل لانكشير في إنجلترا بالمادة الأولية لصناعتها (٥) .

والخلاف وغير مسا مكائآت مالية مهمة ، إذا دعوا زراعة قطن وكان المحصول جيداً إن شاء الله ، وكانت المكافأة مائة جنيه لنظر الزراعة و ٢٠٠ جنيه لمأور الزراعة وألف جنيه لمفتش الزراعة النظر عطلات قصر عابدين بمصر ٢٧٧ سنة سنة لمأور تركية من مصر ٤٦ - ٥٧ نسمة لمأور مستندة إلى تقاضيش الزراعة في ترجمه البحري وفي القيصوم وير مزاد وملوى بمادوخ ١١ ربيع الأول ١٢٨١ (١٤ أغسطس ١٨٦٤) .

(١) عطلات قصر عابدين دفتر رقم ٢١ صادر عابدين وثيقة رقم ١٧٣ برقية من اساحيل إلى مديرية الخارجية التركية في ٣ محرم ١٢٨١ (٨ يونيو ١٨٦٤)

(2) Crouchley . *over cit.* p. 135.

(3) Farman : *over cit.* p. 286.

(4) Dizey . *over cit.*, pp. 53-54.

(5) *ibid.*

لقد أصبحت زراعة القطن في مصر في ذلك الوقت أشبه شيء بالموادة الثامنة . وأصيب المجتمع المصري بما يمكن أن يسمى حتى قطنية (١) . مع كل مكان لا يرى غير القطن . ولا يتكلم أحد عن شيء سوى القطن (٢) . ونجحت عن التوسع العظيم في زراعته ظاهرة كانت تسرع في انتباه المسافرين . وهي وجود كميات هائلة من القطن ترحم بها محطات السكك الحديدية في ططا وسها والزقاريق وغيرها . وكانت في انتظار شحنها إلى الإسكندرية لتصديرها إلى الخارج . وقد شغ أحد الأجانب بالآلات القطن وهي مكسمة مبراسة في محطات السكك الحديدية بالأهرامات (٣) .

وكان من نتائج إغفاف إرمال عمال السفرة لخطر القساة والتوسع الكبير في زراعة القطن والارتفاع الهائل في أسعاره أن زادت الثروة في مصر (٤) . وبلغ المصريون خلال تلك السنوات ( ١٨٦٣ - ١٨٦٥ ) حالة مدهشة من الرخاء (٥) ، إذ أخذ الذهب يتدفق على البلاد من لاكتشير وأوروبا الصناعية (٦) . وجرى الورق غريرا ولبرا في أيدي الفلاحين ، وغلبوا بتفوق الأموال بدون اكتراث . وكثر ترددهم على الأسواق ، واندفعوا يتناحون الجوارى والمصبات والمجوهرات والأثاث الخشب (٧) . وأخذ المصريون عامة بمظاهر الحضارة الأوروبية إلى حد بعيد . وطرأت تغييرات على المجتمع المصري وصلت إلى أعماق الريف في ذلك الوقت (٨)

(1) Casimir le conte . ouvr. cit., p. 32.

(2) Guillemin : ouvr. cit., p. 113.

(3) Casimir le conte . ouvr. cit., p. 32.

(4) Snobry M<sup>re</sup> La Genèse de l'Esprit National Egyptien. 1863-1862. 1924 p. 104

(5) Van Bem Valen. L'Egypte et l'Europe par un ancien juge néerlandais. 2. I., p. 99.

(6) Rifaat M. The Awakening of Modern Egypt.

First edition. Bustol. 1947. pp. 100-102.

(7) Charles Roux F . Le coton en Egypte, 1908. p. 89.

(٨) وصف الأستاذ محمد رستم تلك التغيرات وصفا شاملا غريبا في كتابه السابق الإشارة إليه . من ص ١٠٠ - ١٠٢ .

ولا يخفى أنه كان لتلك الوثبة التي قفزها المجتمع في مصر جامها للسيء ، فلما أدها الله الزرق على المصريين رعدا لرداد إقبال الكثيرين منهم على تعبد الزوجات ، وزاد الطين بلة أن معظمهم كانوا يفضلون التركيات على أبراهيم المصريين .

ويقول أحد المؤرخين إنه سرعان ما ظهرت نتائج إلقاء السخرة في مصر القناة فقد اتسع نطاق الزراعة في جميع المناطق التي كانت تخرج منها جيوش عمال السخرة ، وحدث هذا الاتساع في الزراعة أرباحا وفيرة (١) . وهناك أجدى عاصر تلك الفترة وقال في إحدى رسائله عن مصر : لقد تجاوزت حالة الرخاء في مصر كل حد . (٢)

تلك هي الصورة الوضيئة بعد أن اجتاحت عن الشعب المصري تلك القعة .  
ومعنى بهامشكلة السخرة في حفر القناة .

---

(1) Mc Conn : *over. cit.*, pp. 89-90.

(2) Danglars Eugène . *Lettres sur l'Égypte Contemporaine* Paris. 1876. p. 218.

## الفصل الخامس عشر

### الشركة مدينة محفر القناة لنظام السخرة

دى لانس يطالب بأربعين ألف عامل - تصريح سعيد للخير الإنجليزى  
هوكتشو - زيارة السير البريطانى فى القسطنطينية لاسحات الحفر - رأيه  
فى السخرة فى حفر القناة - أمثاليته مع سعيد - سعيد يعدله بالكف عن إرسال  
العمال - وفاة سعيد كارتة على الشركة - أفضال مصر على الشركة فى عهد  
سعيد - لشركة تناصل للإبقاء على السخرة - اعتراضها بأهمية السخرة فى تعميد  
المشروع - تمسكها بجميع واهية - أسانيد مصر لإلزام السخرة فى حفر  
القناة - الحكومة المصرية تنقص عند العمال ناهيا وتنظم حملة صحفية ضد  
السخرة - بعض المسبيين يرفعون قضايا على الشركة - الشركة تقلل إلغاء  
السخرة وتطالب بتعويض حجم - الأمير نابليون يتوعد - ويقدم مسائل  
دينه فى السخرة - لجنة التحكيم تأخذ بلطاع الشركة - وتقدر ٤٢,٥ مليون  
فرنك تعويضاً عن إلغاء السخرة - اللجنة تبرر ضخامة التعويضات تبريراً  
غريباً -- وقع الحكم - أفضال السخرة على الشركة - الشركة تطالب بالعودة  
إلى السخرة بعد إلغائها وتحرص الحكومة المصرية على فضليل رأى العام .  
-- تأميم شركة القناة تعويض جزئى عن تصحيات الشعب المصرى فى حفر القناة

لم تكمل تفرع الشركة من سفلى ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ ، الذى أقامته أبنهاجا  
بإيجاز حفر القناة الحرة الصغيرة من البحر المتوسط إلى بحيرة النباس ،  
حتى وجهت عمال السخرة لمد ترعه الماء للطلب من نبيته إلى السويس  
وكان دى لانس شديد الرغبة فى أن تظهر ملاحات الحفر بزيارة سعيد لاه مرة  
أخرى حتى يكون من نتائج هذه الزيارة زيادة جديلة فى عدد العمال على

غراو ما حدث في أعقاب زيارته لساحات حلبة البحر في ديسمبر ١٨٦١. فكتب ديسبس في ٥ ديسمبر ١٨٦٢ إلى اللوق البوقرا في باريس خطابا جاء فيه « إنني أنتظر حضور الوالي إلى البرزخ للاتفاق معه على زيارة عند العال ، وهو موضوع لم يعب عن ذمتي لحظة واحدة . وهذه الزيارة المرتقبة إلى التماسح - والتي سبقها إرسال الوالي لأثاث فاخر من قصره ليوضع في « اسرachte » (١) - أخرها بعض الوقت لإجراء جراحة له . وقد مجحت تلك الجراحة وهو في طريقه إلى الشفاء . وقد أخبرني أنه سيحضر إلى التماسح في حلال الإنثي عشر يوما القادمة بعد الاحتماء بعيد ميلاده في ١٦ ديسمبر والذي سيقام في القطار . وهو احتفال يجب على أن أشهده » (٢) .

غير أن المرحس كان قد اشتدت وطأته على سعيد فقام به عن تلك الزيارة المرتقبة . ولم يكف ديسبس عن مطالبة الوالي وهو يصارع الموت بزيارة عدد عمال للصحرة ، فكان آخر خطاب يرسله إلى صديقه سعيد باشا قبل وفاته بيوم واحد حاصيا بذلك المشكلة . وقد أدركه الوفاة قبل أن يدركه الخطاب .

طلب ديسبس في هذا الخطاب أن يرسل إليه الوالي أربعين ألف عامل كل شهر . واستند في طلبه إلى النشاط الذي لا تمتأ الشركة تبذله لتنفيذ المشروع وإلى النتائج الاقتصادية المبهمة الأثر التي تترتب على إنجاز المشروع ، كما حاول استخدام أسلوبه الأول ، فصور لسعيد تلك الفكرة البراقة بأن

(١) كانت الشركة - تنقلا لرغبة سعيد أثناء زيارته لساحات البحر في ديسمبر ١٨٦١ - قد شيدت له استراحة فاخرة حصاره من كتك خشبي (شاليه) (chalet) على ربوة عالية تترب على غيرة التماسح . وقامت بتصميم الاستراحة جهاز تلفازي سي يستطيع الوال تصريف شؤون ولايته أثناء إقامته في البرزخ وكانت الشركة قد أنشأت خطا لتلغرافيا بين التماسح والقرقاظ حتى طول استمداد ترعة الماء للمبني ومن القرقاظين كلا الخط يتصل بالهيكلة التلغرافية . النظر جريدة الشركة العدد ١٥٤ الصادر في ١٥ نوفمبر ١٨٦٢ من ٢٤٨ مجموعة البت العاليه

(2) De Lessepe F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 248-256.



عظمته واسمه مرتبطان بإنجاز المشروع ، وقال : إن الماء العذب ينتظره الناس في السويس بفارغ الصبر ، وهم يجاهدون على ماء الشرب الذي يجلب إلى المدينة في عربات السكك الحديدية . ولكن عقاير غير كافية . ويصادف ريانة السفن الإنجليزية والفرنسية كثيرا من الماء في ترويض سبعم عا محتاج اليه من الماء للمدب . ولا يكف السكان الذين يزايد عليهم عن الشكوى من ارتفاع ثمن الماء ومن الصعاب التي يلاقونها في سبيل حصولهم على حاجتهم منه . وباستحمام عشرين ألف رجل في حفر ترعة الماء العذب أستطيع - وقد استشرت المفتين - أن أصل بهذه التبعة إلى السويس في أواخر أبريل ١٨٦٣ . وإذا استمر العشرون ألف رجل الذين يرسلون إلينا يقومون في نفس الوقت بحفر القناة البحرية الصغيرة لإلا نصر سبوكم سيكون قريبا وكاملا . وأية عظمة أسمى وأجل من هذه (١) .

ولكن الموت كان قد طواه في ١٨ يناير ١٨٦٣ وأراحه من الضغط المتصل الذي تعرض له سنوات طويلة من إنجلترا وتركيا وفرنسا بسبب مشروع القناة حتى أرقص منته وأسرع به إلى القبر . والأرجح أن طلب دى ليس كان سببى نفس المصير الذى لقيه طلباته السابقة برفع عدد العمال إلى أربعين ألفا . ونسند في هذا الترجيح إلى حادث وقع قبيل وفاة سعيد بأيام فلاتل ، إذ صرح فواران مدير عام الأشغال في الشركة للحير الإنجليزي هوكشو Hawkeshaw (٢) بأن في استطاعة الشركة أن تحفر

(١) المصدر السابق ، الجزء الرابع من ص ٢٧١ - ٢٧٥ . خطاب دى ليس من جهة البحر طويح ١٧ يناير ١٨٦٣

(٢) التبر سعيد فرصة زيارته لإنجلترا في يوليو ١٨٦٢ عندما هوكشوروس جمعية المهتمين بالمدين في إنجلترا الحضور إلى مصر ودائمة مشروع القناة على الطبيعة ، م إبدأ رأيه في تقرير سبب من إمكان حفر القناة أو استالة شقها . ويرعد سعيد بأن يورده مكااة الملوينات التي يرى الفرقه عليها . وكان سعيد يدين بالرأى الأول ، ولكنه أراد تسفيد التكوؤ التي كانت تثار بعض الميتمات في إنجلترا ، اعتقادا منها أن المشروع يصعب تنفيذه نظرا لصعاب طبيعه وقته لا يمكن الطلب عليها . وقام الحفر إلى مصر في نوفمبر ١٨٦٢ ، وأمر سعيد بأن يسحب في جواره

من حجر قنطرة السويس في غضون ثلاث سنوات باستخدام ثلاثين ألف عامل .

في معجزة القضاء أرميه من الهندس المصريين من مخطى الحكومة وهم مظهر بك وسلامة المسمى واسماعيل افسى وأبو الخدي اعلى وكان كويج بك سكرتير الوالى قد أسطر دي ليس مفسوم - أخير وطلب إلى تسجل مهمه . وقته سافر الحبير ووقفه بر قنطرة إلى السويس حيث بدلوا طوافهم متجهين شمالا حصل طسود الخط المقترح قضاء خير بومسود . ودار الحبير ساحات الخبير واطلع على الوثائق التي طلبت من متسوى الشركة - كما استعد من دي ليس وتجه من بعض الملاحظات التي كانت تم له إتمام طوافه . وقد استمرت وحطته في منطقة القنطرة فبسرى وظهر وديسمبر ١٨٦٢ ، ثم عاد إلى إنجلترا حيث عكس على وضع تقرير صاف ولم يفرغ منه إلا في ٣ فبراير ١٨٦٢ بعد مدة سجد بحوال أسبوعين . وفي هذا التقرير أهدى موكثو امتقده في مبلغ المشروع . ولم تكن تطلع الشركة عليه من سارعت إلى ترجمته إلى اللغة الفرنسية وطمحه في كتاب على ففتها باسم

Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez Rapport de M. John Hawkshaw, Président de la Société des Ingénieurs Civils de Londres, adressé au Gouvernement Égyptien sur les Travaux du Canal de Suez, Paris, 1863.

وأرسلت الشركة بتقرير الحبير الإعلاني ودأ لهذا الزمان Vongui على بعض النقط التي وردت في تقرير موكثو واعتلج اسمه مثأها . ويوجد هذا التقرير أيضا في أول مجلد التت الخامسة من حريفة L'Isthme du Suez من المجلدات المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم Tr. Publ. 225 والتقرير ردد دواران عليه بقماد في أسلى وحطرين صفحة من حجم ورق الجريدة

وما يذكر في هذا العقد أن الحكومة المصرية هي التي دفعت أثمان الحبير

ونكلفت بجميع نفقاته .

ومعه وقع في خطأ ولين Wilson حين تعرض لهذا الموضوع في كتابه (ص ٢٢) إذ قلنا له إنه بهذا كان اسماعيل باشا ( ويذكر عمل تاريخ حياته ) يزور إنجلترا في يوليو ١٨٦٢ دعاه موكثو لزيارة مصر لدراسة مشروع القنطرة وإيداء رأيه به . وظاهر من هذه العبارة الخطأ الذي وقع فيه فاسماعيل لم يتسوك الحكم إلا في ١٨ يناير ١٨٦٢ . وكذا في الفترة من أبريل ١٨٦٢ إلى أكتوبر ١٨٦٢ تألما من عم سيد باشا في حكم مصر إذ كان سيد غائبا عن مصر في رحلة التي قام بها لأوروبا . وبخصوص استخدام هذا الحبير والمهمة التي بطت به ، انظر كلا من : محفوظات

فلما تقل هو كشو هذا الرأى إلى سعيد باشا ذكر الأخير أنه لا يستطيع أن  
يكة الشركة بأكثر من عشرين ألف عامل سواء أكانوا من الفلاحين أم من  
سواهم (١) . ولعله الإجابة دلالتها وهي أن سعيداً كان يرى الوقوف عند  
الرقم الذى وعد به من قبل وهو عشرون ألفاً وكانت هذه سياسته التى  
لم يحد عنها طوال سنة ١٨٦٢ حتى نهاية حكمه .

• • •

ويحذر بما أن نشير إلى حادث آخر يتصل بموضوع السخرة في حضر  
القناة ، وقد وقع قبيل وفاة سعيد باشا . ففي شهر نوفمبر ١٨٦٢ زار مصر  
السير هنرى بلور Sir Henry Bulwer سفير إنجلترا في القسطنطينية (٢) ،  
وزعم أنه قدم إليها تديلاً للهواء وانتجاعاً للصحة (٣) ، ولكنه جاء بإيعاز من  
وزارة الخارجية البريطانية ليقيم السفير بنفسه على سير الأعمال في حضر القناة ،  
وليتحقق من الشائعات التى كانت تلوكها الألسنة وتكذب من أن تحصينات

مصر ما بين دفتى رقم ٥٢٠ مئة تركى . وثيقة رقم ٢ من ٢٥ وهي إضافة إلى  
مر المسمى بمندوب السويس بتاريخ ٢١ جبانى الأول ١٢٧٩ ( ١١ نولمبر ١٨٦٢ )  
تضمّن أنه لئلا تنسب أن حساب المرسوم هو كشو الذى صار عليه من إنجلترا لأجل إجراء  
بعض استكشافات بخصوص أنشغال قناة السويس سيحضر السويس فترجمه إلى بركة  
التملح بأنه يتنص المساعدة بتدارك الخلل الذى ظمّر لتفعل لتضمّن مع الخيما التى  
سترد من دوران الشهادة بموائهم ، وأيضاً تدارك الماكولات والأدوات ومعدلاته  
فى لتزويهم حسب تعريض ظهور بك وشهوة أمانها ونصها على حساب الخيرة .

والظر أيضاً خطاب لى ليسى و اجتياح الحمية المصرية ليسى الشركة العلمى عقد فى  
١٥ يوليوس ١٨٦٢ وظهر فى جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٧٠ الصادر فى  
١٩ يوليوس ١٨٦٣ من ٢٧٥ مجموعة ثلثة الثالثة . والظر أيضاً : أعفند تلك الجريدة  
رقم ١٦٣ من ٩٩ والعدد ١٦٩ من ٢٤٧ - ٢٥١ والعدد ١٧١ والعدد ١٧٢  
من ٢٤٤ .

(1) Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez, Rapport de  
M. John Hawkshaw sur les Travaux du Canal de Suez. Paris 1863.p. 36.

(2) Charles Roux J., ouvr. cit., t. I. p. 332.

(3) Lemaire, F. (de): L'Estime, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t.

عسكرية تشيد في منطقة القناة ، كما جاء للسفير ليتمثل بالوالي شخصيا ويستشف ميوله نحو الاستقلال بولايته (١)

وعلى الرغم من أن بلور قدم مصر في ٥ نوفمبر ١٨٦٢ ، وكان في مقدوره أن يحصر حمل ١٨ نوفمبر الذي أفهم بمناسبة إيواء مياه البحر المتوسط إلى بحيرة التمساح ، فقد تفادى السعي حضوره ، وقام برحلة في ذلك الوقت إلى الوجه القبلي . فلما عاد إلى القاهرة أبدى رغبته في زيارة ساحات الحفر (٢) ، وأعد سعيد باشا قطارا خاصا له (٣) ، أقامه في ١٧ ديسمبر ١٨٦٢ من القاهرة إلى الزقازيق (٤) ، ومنها تابع سفره إلى بحيرة التمساح على طول نرعة الماء العذب ، ثم من التمساح إلى بورسعيد على طول القناة البحرية الصغيرة ، وأخيرا اتجه إلى دمياط فالإسكندرية ، واستغرقت تلك الرحلة خمسة أيام (٥) .

وقد أرسل السفير تقريراً من الإسكندرية إلى اللورد جون رسل John Russell وزير الخارجية البريطانية ، عقب عودته من البرزخ ، أبدى فيه رأيه

---

(١) Hallberg · ouvr. cit., p. 189.

Hussein Husni : ouvr. cit., p. 289.

(2) Lesseps, F · Lettres, Journal et Documents, ouvr. cit., t. IV, pp. 257-258.

(٢) كما مرر معسكر القطار الخامس من محطة القاهرة للساعة الثالثة صباحا . وتبكم جريدة الشركة فنزل إن الحفلة على المواضع من آفاق السلوك ، ولكن السبر هو بلور لم يأت كثيرا ، فقام قطار في الساعة الخامسة صباحا انظر العدد ١٥٨ الصادر في ١٥ يناير ١٨٦٣ من مجموعة سنة الثالثة

(٤) سافر مع السفير البريطاني كل من د. لوس وبيرو Merriau الكندي العام لشركة القناة ولائح Lange سويسرا و إنجلترا وبني أعضاء مجلس إدارة الشركة وكذلك Saunders قائم بأعمال القنصلية البريطانية في مصر و West قنصل إنجلترا في السويس و Schriener قنصل أيضا قائم وعميد أعضاء تلك القنصل في مصر ، وقامه السفينة الحربية البريطانية Trident التي أتت السفير إلى مصر ، كما وافقه سكرتير إن خصاله .

(٥) انظر تسيلات الرقعة في جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٥٨ الصادر في

في المشروع من الناحيتين السياسية والتجارية وموقف الشركة المالي ، كما ضمته كثيرا من الملاحظات التي عنت له أثناء زيارته ساحات الحفر بخصوص تسخير المصريين في حفر القناة . ورأى أن الكتاب الذين تناولوا موضوع القناة من وجهة النظر الإنجليزية قد غفلوا من شأن الأعمال التي تمت ، وغالوا في انصاف التي لا تزال أمام الشركة . (١) كما ذكر أن بورسعيد والقناطر والسويس ستغلق صريحا ملنا فرنسية ، وأن العمال المصريين سيصبحون تحت السيطرة الفرنسية ، وأن الأراضي الممنوحة للشركة ستصبح أرضا فرنسية ، ومن ثم سيطر النفوذ الفرنسي على مصر بأسرها ، وتكون الحكومتان التركية والمصرية سرايا . ثم انتقل الصغير إلى موضوع السخرة في حفر القناة ، فقال : إن الحطة التي تنطوي على انتزاع عشرين ألف رجل كل شهر من السكان المصريين لن يكون من نتائجها سيطر النفوذ الفرنسي واسم فرنسا في الجهات الواقعة على ضفاف قناة السويس وترع الماء العذب فحسب ، بل سيعتاد المصريون على بكرة أبيهم العمل تدريجيا تحت إدارة الفرنسيين ، وستؤدي هذه الحال إلى موقف خطير كل الخطورة ، وخاصة إذا أدخلنا في حسابنا القوة البحرية التي تنظمها فرنسا في الآونة الحاضرة في البحر الأحمر . ثم خرج على عدد العمال الذين يسخرون في حفر القناة ، فقال إن عدد الفلاحين الذين ينفون عن حقولهم في وقت واحد لا يقف عند عشرين ألف عامل ، بل يصل إلى مئتين ألفا (٢) . وأشار إلى مسألة الأجور التي تدفعها الشركة إلى العمال ، وأوضح أنها تقل عن الأجور التي يتقاضاها للعمال المصريون في مناطق أخرى ، وخاصة أن عمال الشركة يمدون إلى قراهم على نفقهم الخاصة ، فضلا عن الأضرار التي تلحق بهم بسبب تركهم لأعمالهم (٣) .

(١) Haliberg, *ouv. cit.*, p. 190.

(٢) يبيّن يكون عثرون ألفا فاقين بالمثل في ساحات الحفر يكون مثل هذا العدد من العمال في طريقهم من بلادهم إلى أراضي هيريز ومكرونا ألفا آخرون في طريق مودتهم إلى قراهم من ساحات حفر القناة .

(٣) Douin, *ouv. cit.*, t. I, pp. 28-30.

وفى أثناء إقامته في مصر اتصل السفير البريطاني بسعيد باشا الوالى ، كما اتصل بإسماعيل باشا ولى العهد . وفى حديث مع الأول نجد أن سعيدا ينقلب على الفرنسيين والسياسة الفرنسية رأسا على عقب . وكان تردده وعدم ثباته على رأى ملة طويلة من إحدى ميات ذلك الوالى . فذكر سعيد أن الفرنسيين لم يعملوا له شيئا ، وأنه قد أخطأ فى تعصيد مشروع القناة ، وأنه يسره جدا أن يتخلص من هذا المشروع ، ولكنه لا يعرف مخرجا . فأشار عليه السفير البريطاني بأن يترك له الموضوع يتولاه بنفسه على شرط ألا يقدم سعيد عمالا إلى الشركة وألا يرتبط معها باتفاقات مالية أخرى بخصوص الأهم إلى اتباعها . وإذا وافق الوالى على العمل بهذين الشرطين فالسفير يخرجهم من تلك الارتباكات دون أية مسئولية أو مساس بالشرف . وقد أعطى سعيد الوعد بشقيه : المكف عن تقديم عمال سخرة للشركة وعدم عقد اتفاقات مالية معها (١) .

وقد مات سعيد بعد تلك المحادثات بأسبوعين ، فلم يمش لرى هل كان إخلاصه لمشروع القناة ولصديقه دى لبس سيدفمه إلى نقض الوعد الذى قطعه للسفير البريطانى ، أو أنه كان سيمر بوعده فيعمل على تعطيل لائحة العمال وإداحة الشعب المصرى من هذه الجزية التى فرضها عليه وتعى بها السخرة فى حفر القناة ؟ للثابت أن الليل المنطق من عمال السخرة لم يقطع عن ساحات الحفر طوال الأسبوعين اللذين عاشهما بعد الموعدة التى وعدها إياه .

ولا شك أن موت سعيد كان كارثة كبرى سلطت بشركة القناة ، إذ فقدت فيه نصيرا مخلصا يملك لها ألوانا شتى من المساعدات : فى تمويل

(1) Hallberg, *op. cit.*, pp. 182-183.

لقضاء من وزارة الخارجية البريطانية .

FO 78/1786 No. 3 Bolwer to Russel. Alex. Jan. 4, 1863 confidential.

ولما اتصل السفير البريطانى بإسماعيل ولى العهد قامت بينهما أحاديث طويلة تفرقت أثناءها السفير إلى تعيين الأعرار التى تلتق بالزراعة المصرية بسبب تسخير المصريين فى حفر القناة . وقد وجهه السفير فى إسماعيل أنفا حافية شظم وجهيات نظر المارسة الإنجليزية لنظام السخرة فى حفر القناة حتى اختلط السفير وأدرك أنه نجح فى غم ولى العهد إلى جلالته .

الدراسات الخاصة بتنفيذ المشروع ، ووضع ترميمات الحكومة في القاهرة والإسكندرية تحت تصرف الشركة، وشراء الأدوات والمهمات لها (١) . والإنفاق على العناية للمشروع في أوروبا ، والاكتتاب الضخم في أسهم الشركة، وتقديم السدد للمهاطل من الجبال لنقل ماء الشرب إلى ساحات الحفر (٢)، وتنفيذ مشروع نرعة الماء للطلب إلى نفيسة ، وإعارة بعض موقوفى الحكومة الثمين للشركة (٣) إلى غير ذلك ، ولكن لم تكن هناك وقتئذ مساعدة أعظم ولجل من تلك المساعدة الآتية التي قدمها سعيد للشركة ونعى بها السخرة . فقد كانت بحق تجنيدا إجباريا يتم في جميع فصول السنة واستغلالا للشعب المصرى من أجل شركة القناة . ولم تكن السخرة نظاما طارئا على المجتمع المصرى في عهد الوالى سعيد ، فهي نظام قديم يرجع إلى عهود سحيقة في التاريخ ، وكانت الحكومات تعتمد عليه في تنفيذ المشروعات العامة بل والخاصة في بعض الأحيان . ولكن لم يحدث أن توسعت الحكومة في فرض السخرة على الشعب مثل هذا لتشمول والنفذ والقوة وعدم الاكتراث بمصالح البلاد الاقتصادية والاجتماعية كما حدث بالنسبة لشركة القناة وقد ربط سعيد موضوع عظمت الشخصية وتخليد ذكره في التاريخ بإنجاز المشروع .

(1) Volkm Bey ouvr., cit., t. VII, p. 182.

انظر أيضا

مخطوطات قصر حابدين : دفتر رقم ١٩٠١ وثيقة رقم ١٢٣ من ٤٩ ودفتر رقم ١٩٠٤ وثيقة رقم ٢ من ١٣ ودفتر ١٨٩٩ وثيقة رقم ١٧٨ من ٨٠ ودفتر رقم ١٩٤٧ وثيقة رقم ٤٧ من ٨٩ وثيقة رقم ٢٦ من ٥٠ في نفس الدفتر . ودفتر رقم ١٨٩٨ وثيقة رقم ٨ من ٣٥ وثيقة رقم ٧١ من ١٧٨ ودفتر رقم ١٨٩٣ وثيقة رقم ١٩ من ١١٧ . وهذه الوثائق على مهبيل المثال لا الحصر

(٢) مخطوطات قصر حابدين : دفتر رقم ١٨٩٩ وثيقة رقم ٣٢ من ١٥ ووثيقة رقم ٨٨ من ٢٩ وانظر أيضا .

De Lesseps F . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 169-171

وهو مخصوص بتقديم ٨٠٠ جليل من مائتين الفتيمة والتلويسية بأمر سعيد باشا (٣) مخطوطات قصر حابدين : دفتر رقم ١٨٩٤ من ١٩٠ ودفتر رقم ١٩٠١ وثيقة رقم ١٠ من ٢٢ وثيقة رقم ١٣ من ٢٥ وثيقة رقم ٥٤

فكان انتفاعه في محطته التصفية انسيافاً لهذه الرغبة الدفينة في نفسه . وحق لدى لبس أن يقول وهو يؤمن سعيد باشا في اجتياح البصية العمومية لمسمى الشركة في ١٥ يوليو ١٨٦٣ : إذا لم يخرج محمد سعيد إلى الحياة ، وإذا لم يقتله حكم مصر ، لما نفذ مشروع قناة السويس على الإطلاق . (١)

ولكن كأن هذا الإصراف في تسخير الشعب المصري في حفر القناة مثار تنمر عميق من طبقات المجتمع المصري . ولما توفى سعيد كان السخط في أكبر صوره قد امتد في طول البلاد وعرضها (٢) ، ومرعان ما واجه خلفه اسماعيل هذا التلمر في مستهل حكمه . وكان سعيد قد أرسل قبل وفاته بأيام قلائل فرقة من القوات المسلحة المصرية للاقتحام مع الجيش الفرنسي في حرب المكسيك بأمر بكا . وكان إرسال هذه الفرقة إلى بلاد نائية واشتراكها في حرب ليست لمصر مصلحة فيها دليلاً على تغافل النفوذ الفرنسي في مصر في عهد سعيد ، واعتقد المصريون وقتئذ أن إرسال تلك الحملة كان نتيجة لتدخل دي لبس . ولذلك كان المصريون يشعرون بكرهية لفرنسا ولشركة القناة ، واعتقدوا أن وفاة سعيد باشا ستضع حداً للامتيازات التي كان ذلك الوالي يتلقاها على الأجانب عامة والفرنسيين خاصة . ومن ثم ظهر في الأيام الأولى من حكم اسماعيل علماء صافر من الجاهلين للأجانب ، ووقعت حوادث اعتداء من الأهليين عليهم (٣) . وقد صرح اسماعيل بخطورة الموقف لكرستيان شيفر Christian Schiffer السكرتير الشرقي للإمبراطور نابليون الثالث ، وكان قد قدم مصر في مايو ١٨٦٣ - بعد أن ولي اسماعيل حكم مصر

(١) جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٧٠ الصادر في ١٥ يوليو

١٨٦٣ من مجموعة السنة الثالثة

(٢) De Malortie : *ouvr. cit.*, p. 71.

(٣) استعرضنا طرفاً من هذه الحوادث كما شرحنا كيف استغنياً لتصل فرنسا لاحتلال مصر اسماعيل كي يواصل سياسته في إرسال رجال البحرية بحفر القناة وتقسيم التوصل في سياسة القنصل على اسماعيل إلى حد إزالته أنظر .

دكتور عبد الحميد عبد الشاوي : *الفترة في حفر قناة السويس عصر اسماعيل*

من ٩١ - ٩٩ .



بأربعة أشهر تقريباً - في حاشية الأمير جيروم نابليون. Jérôme Napoléon ابن عم امبراطور فرنسا ، وكان لما قاله اسماعيل « إن أعمال القنّاة وحلّها تقتضى تجريد ٦٠,٠٠٠ رجل شهرياً - والامتناع اليوم جدّى ، وقد يشتر القلق غداً . لأن جميع الأسلحة التي كانت مودعة في ترسانات الحكومة وعمازنها وباحها معيد باشا قد ظلت في البلاد . وإنّي أحلم أن عندها كبيراً من الفلاحين قد شروا بضمن بحس عندها يصل إلى ثلاث بتلفيات لكل فرد ، كى يستطيع أن يحتفظ بواحدة منها يوم يحرّس السلاح (١) »

١ ١ ١

ولذلك لم يكن أمراً عجباً أن ناصلت الشركة فضلاً عنهما في سبيل الإبقاء على نظام السخرة في حفر القنّاة ، وذلك عندما احتدم النزاع بينهما وبين الحكومة المصرية على عهد اسماعيل الذي طلب أول الأمر في ١٨ أغسطس ١٨٦٣ (٢) ، ١٢ أكتوبر ١٨٦٣ (٣) تخفيض عدد العمال إلى ستة الألف . وكانت الحكومة التركية قد أرسلت إليه مذكرة بتاريخ ١٣ شوال ١٢٧٩ ( ٣ أبريل ١٨٦٣ ) طلبت فيها إلغاء نظام السخرة كلية في حفر القنّاة ، وقالت في مذكرتها « لا يستطيع الباب العالي ولا الدول التي نهّم اهتماماً جدياً

(١) Douin. Histoire du... etc., ouvr. cit., t. I, p. 53.

(2) De Testa : ouvr. cit., t. II, p. 109, No. XXVI : Lettre du Pacha d'Egypte (Ismaël) à M. de Camille, en daté du Caire, le 18 août 1863. (3 rabi-el-awal 1280).

كما نشر هذا الخطاب في المذكرة الاستشارية التي قدمت لإسماعيل بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٨٦٣

Odilon Barrot, Dulaure et Jules Favre : Note Consultative etc., op. cit.

(3) De Lesseps F. : Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 350-351.

والنظر أيضاً

جريدة L'Isthme de Suez العدد ١٧٧ الصادر في أول نوفمبر ١٨٦٣ ص ١٢٦  
مجلة السنة الخامسة ،

بتقدم الحفاوة في الشرق أن تسمح بأن ينفذ هذا المشروع الكبير بالأسلوب القامى الذى لفتته كافة الدول المحضرة ، وهو أسلوب من إحدى نتائجه الحجة للكوارث انتزاع ستين ألف فلاح من الزراعة والصناعة والتجارة (١) .

وقد وصف دى لىسسى مطالبة الحكومة التركية بإلغاء السخرة في حفر القناة بأنها إجراء يودى إلى انتزاع الوسيلة الرئيسية في تنفيذ المشروع من يد الشركة (٢) . وذهب إلى أن إلغاء السخرة هو سلب لحقوق اكتسبتها الشركة ، وهى حقوق تدافع عنها علنا حكومات قوية . (٣)

واستلقت الشركة في تمسكها بنظام السخرة إلى حرج واهية ، فقالت إنها بنت تقديراتها لنفقات حفر القناة على أساس ما جاء في لائحة استخدام العمال المصريين في حفر القناة ، والتى صدرت في ٢٠ من يوليو ١٨٥٦ ، وإن طبقاً لتلك التقديرات تكونت الشركة برأس مال قدره ٢٠٠ مليون فرنك ، وإن إلغاء اللائحة يرضع من نفقات تنفيذ المشروع ، وهو أمر يعصيب الشركة بأضرار بليغة (٤) . كما قررت أن اللائحة كانت أحد المستندات التى دعت

(١) معلومات نشرها دى لىسسى ، القلم الفرنسى ، سورالوثائق الفرنسية

AM. Etr. Contr. Polit. Turquie 858L 68-70. Lettre vizirielle adressée à Son Altesse Ismaïl Pacha en date du 13 cheval 1279.

وقد أرسل مال بلشا وزير خارجية تركيا مذكرة بتاريخ ٦ أبريل ١٨٦٣ إلى كل من إنجلترا وفرنسا عن قرار مذكرة ٣ أبريل ١٨٦٣ . انظر :

دكتور حيد القزير محمد الشاوى السخرة في سفر رئاسة الدويس - مصر لمعايير ص ١٤٩ - ١٥٥ .

(٢) انظر الخطاب الذى ألقاه دى لىسسى في اجتماع الجمعية العمومية لىسسى لشركة بتاريخ ١٥ يوليو ١٨٦٣ . وقد نشر في جريدة L'Estime de Senz العدد ١٧ الصادر في ١٩ يوليو ١٨٦٣ ص ٤٥٨ - ٢٩٣ مجموعة ثلثة لثانية .

(٣) انظر مذكرة وضعها دى لىسسى بتاريخ أول سبتمبر ١٨٦٣ وقدمها إلى لىسسى :

De Lesseps P. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 319-336.

(٤) انظر مذكرة وضعها مجلس إدارة الشركة بتاريخ ١٥ مارس ١٨٦١ بمصر .

Note à consulter, délibérée et votée par le Conseil d'Administration= ٣٢٨

على أساسها الجاهز إلى الاكتتاب في أسهم الشركة . وأدعت أن لائحة الحال ليست لائحة وإما هي عقد يحوى التزامات متادلة بين الحكومة المصرية والشركة . وكلال لاجاه الشركة في إعفاء صفة العقد على اللائحة أهمية بالغة ، وأثار جدلا قانونيا عيفا حاضت فيه الحكومة المصرية والشركة ، لأن إعفاء اللائحة لا يترتب عليه دفع تعويض للشركة ، بعكس العقد فإن فسخه يوجب دفع تعويض لها . ولهذا أصرت الشركة على أن نصف اللائحة بأنها عقد واجب التنفيذ *un contrat exécutoire* وأنها عقد متعدد *un contrat exécuté* (١) ، بينما رأت الحكومة المصرية ، ومن ورائها ثلاثة من أشهر مشرعى فرنسا في ذلك الوقت (٢) أنها لائحة حكومية *règlement gouvernemental* مستندة في ذلك إلى أن لفظ اللائحة تشمله من المصادق الذى أعتمد لها والذى سطر في أعلاما . وأن الوالى الذى أصدرها كان يستطيع أن يلغيا وفق رغبته ، وأنه مخطئ - اسماعيل - يستطيع وليسب أقوى تعديلها وفق ما يتشوق مع حسن سير العمل في الدوائر الحكومية . كما أكدت الحكومة أنها لا نجد في تلك اللائحة الخصائص التى يتميز بها العقد . وفي مقدمة هذه الخصائص تبادل الالتزامات بين طرفين متعاقدين ، فإذا

---

— de la Compagnie Universelle du Canal de Suez dans sa séance du 15 mars 1864, pour Messieurs les Membres de la Commission nommée par l'Empereur, à l'effet de donner un avis à Sa Majesté sur les questions pendantes entre le Gouvernement Egyptien et la Compagnie du Canal de Suez. Voir Dr. Lecomte F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 447-471.

(١) مذكرة دى ليرى إلى اسماعيل جلوبوع أول مجسر ١٨٦٢ مالملة كذكر

(٢) Odilon Barrot, Dufaure et Jules Favre. هم

وتد وصعهم الأولى ، وهو من أعتمد الكتاب الفرنسيين مناصرة لى ليرى ، بأنهم إسلام القانون في فرنسا ومن أشهر مشرعى . أما المستشار كرايين ويغول هم إنه لم يكن في فرنسا في ذلك الوقت أحد يملك لولئك المشرعى عملوا له كتابتهم . أنظر

Alkoury, ouvr. cit., p. 71.

Crabites : Spoliation etc., ouvr. cit., p. 76.

كانت الشركة قد ارتبطت ببعض الالتزامات كقطع الأحمور أو النطية أو النقل أو العناية الطبية ، فإن هذه الالتزامات هي نتيجة وليست سببا للقرار الذي اتخذته الوالي بتقديم عمال للشركة .

وقد ضيقت الحكومة المصرية على الشركة فأقصت ، منذ النصف الثاني من عام ١٨٩٣ ، عدد عمال السخرة الذين كانوا يرسلون إلى ساحات الحفر وجارت الشركة بالشكوى من هذا الإنقاص وأرسل دي ليسبس إلى اسماعيل بتاريخ أول سبتمبر ١٨٩٣ صورة من تقرير تلقاه من فوزان مدير عام الأشغال في الشركة يشكو فيه من نقص عدد العمال . وقبل هذا النقص ثلاثة آلاف عامل كل شهر (١) وطلب دي ليسبس إلى اسماعيل تدارك

(١) كان ما جاء في تقرير مدير حمام أمثال الحفر ما يلي :

Depuis l'avènement de S.A. Le Prince Ismaïl, les moudirs ont successivement diminué les chiffres de leurs envois. On peut évaluer cette diminution à 3000 hommes par mois au moins. Les deux derniers mois, les contingents ont à peine atteint le chiffre de 15.000 hommes. Il est vrai que des causes particulières ont fait suspendre l'envoi des contingents de la province de Kenah Emah, mais ce contingent n'était que de 1.500 hommes.

Pour réparer les mécomptes que nous a occasionnés cette réduction, tout à fait inattendue, dans le nombre de nos ouvriers indigènes, nombre qui ne peut descendre au dessous de 20.000 hommes sans causer le plus grand préjudice à la bonne marche de travaux et aux plus sérieux intérêts de la Compagnie, il serait vivement à désirer que M. le Président pût obtenir qu'on restituât, pendant les trois mois qui vont suivre, les manquants des derniers mois, autrement notre campagne serait loin d'être aussi fructueuse que nous avions été en droit de l'annoncer, comptant sur la promesse formelle de la permanence du contingent mensuel de 20.000 hommes.

والإشارة التي وردت في التقرير خاصة بعبد عمال ثنا وإسبا ، ربما إلى انتشار الجفوس وقتل قه هاتين المهتمين . ويلاحظ أن التقرير بدون تاريخ ولكن أرفقه دي ليسبس بخطاب تاريخه أول سبتمبر ١٨٩٣ إلى اسماعيل انظر

De Lessepa F Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit. t. IV,

هذا النص في عدد الجبال ، ولكن الحكومة لم تلق بالاً وواصلت سياسة الضغط حتى هبط عليهم في ديسمبر ١٨٦٣ إلى ١٣,٠٠٠ رجل (١) .

وقد نظمت الحكومة المصرية حملة صحفية واسعة حثيئة على الشركة في صحافة باريس ، نعت عليها التلاعب إلى نظام السخرة ووصفت بأنه وسيلة متبريرة ، وقالت إن شركة ترعّم أنها تحمل الحضارة الفرنسية إلى ربوع الشرق يجب عليها أن تتخلى سريعاً عن إجراء منزع بالرفائل . وفسرت تلك الحملة الصحفية أن شركة القناة قد أصبحت موضع نزاع المصريين وكراهيتهم ، وإذا كانت الشركة تلتزم رعاية الحكومة الفرنسية أفلا يجدر بها أن تفكر قليلاً في ألا تخاطر بتعريض سمعة هذه الحكومة للخطر إذا قاسمتها هذه المستولية ؟ (٢) .

وامتدعت الحملة الصحفية حفية طويلة أوقعت الارتباك في دوائر الشركة ، وانخفضت أسعار الأسهم في بورصة باريس ، ونشبت الاضطراب بين المساهمين . وكان من مظاهر الاضطراب قضيتان أفلهما فريق من المساهمين على دى لسبر . وقد طلبوا في القضية الأولى الحكم عليه بإلزامه بدعوة الجمعية العمومية لمساهمي الشركة بصفة مستجيبة لاجتماع غير عادي لبحث الموقف الناشئ عن حالة النزاع بين الحكومة المصرية والشركة (٣) .

(١) Doum : Histoire du... etc. ouvr. cit., t I p. 128.

(٢) استعرضت مقالات الصحف الفرنسية التي انتقدت سياسة الحكومة المصرية لتقييم حملة حل نظام السخرة في حيز القناة ، كما امتدعت أقوال الصحف الموالية لشركة . أنظر الفصل الثامن بعنوان : سلة بومبو الصحفية . دكتور عبد العزيز عبد الفتاح : السخرة في حرفة القصب - مصر إيهابيل من ص ٢٢٣ - ٢٦٦

(٣) رفضت هذه القضية أمام محكمة تجارة البحارة Tribunal de Commerce de Seine ضد دى لسبر بصفته رئيساً لمجلس إدارة الشركة . وقسمت قالت بريسيد : L'Isthme de Suez ( العدد ١٨١ الصادر في أول يناير ١٨٦٤ من ٩ مجموعة الحكم الخامس ) إن مجلس إدارة الشركة قد قرر من تلقاء نفسه وقبل أن يعطى دى لسبر بعريضة التصوي عنده المحيطة العمومية لمساهمي في اجتماع غير عادي في أول مارس ١٨٦٤ ولكن مجلس الدفاع الذي تبرعت به الجمعية من تلقاء نفسها وانتقد لاتخاذ مثل هذه الخطوات أمام القضاء دفاع معين عنها

أما القضية الثانية فكانت لعزل أعضاء مجلس إدارة الشركة وتعيين عيبرهم ، لأنه تربطهم بالرئيس دى لىسبس صلة صداقة وثيقة ، وهم يحكم هذه الصداقة لا يعارضون دى لىسبس ، وهو أمر شاذ يتطوّر على أخطار جسيمة تحيق بمصالح المساهمين (١).

وكانت تلك الحملة الصحفية شديدة الوطأة على الشركة حتى أن دى لىسبس وصفها بأنها حرب صليبية نامية الإنسانية (٢) . ورأت الشركة أنه لا مناص

أسام الأرقام إلى تكتم عن حقائق ثابتة . فقد قدمت القضية إلى المحكمة التجارية في ٢٣ ديسمبر ١٨٦٣ ثم أجلت إلى ٢٨ ديسمبر ثم أجلت مرة أخرى بطلب ١٣ يناير ١٨٦٤ . فإذا رجعا إلى الإمبراطور الذي أضاف الشركة من عقد الحماية السامية للمسيح محمد أنه قد صدر موقفا عليه من بول مورر Paul Mercur Paul Mercur عام الشركة وقضية ويجعل تاريخ ٢٤ ديسمبر ١٨٦٢ أي بعد أن اتخذت القضية طريقها إلى المحكمة . وفي هذا الاطّاع يقول الكرتونج المسام إن مجلس إدارة الشركة قد اتخذ هذا القرار في ٢٢ ديسمبر ١٨٦٣ .

وقد دفع على الشركة أسام المحكمة بمضمون حواش نظر المدعى استنادا إلى المادة ٧٥ من قانون الشركة الأساسي ، والتي تمنع مجلس الشركة من مقاضاتها قبل أن يبرسروا ولا قبل الإنهاء إلى القضاء - موضوع الخلاف من مجلس إدارة الشركة ، وهذا ما لم يتم به المرسوم . ولكن المحكمة برئاسة ديمير Deméro رفضت هذا الدفع وقد قضت - موافقة على الخصومة - بطلب الدعوى

الظر حريصة L'Isthme de Suez المصد ١٨٢ الصادر في ١٥ يناير سنة ١٨٦١ من مجموعة السنة الثالثة .

(١) نظرت هذه القضية أمام محكمة السير التجارية ويصد مباح . رافعة طوى المجموعة تحت مجلة ١ فبراير ١٨٦٤ برفض الدعوى وإلزام الدعيها بالمصاريف . انظر الملحق الذي ظهر في ٢٦ فبراير ١٨٦٤ المصد ١٨٤ الصادر في ١٥ فبراير ١٨٦٤ من حريصة L'Isthme de Suez من ص ١٢٢ - ١٢٤ مجموع السنة الثالثة

(٢) مهاجرة قصة ألقاها دى لىسبس في ٢١ مارس ١٨٦٤ ونشرت في حريصة L'Isthme de Suez المصد ١٨٧ الصادر في أول أبريل ١٨٦٤ من ص ١٩١ - ١٩٨ مجموعة السنة الثالثة . وما هو جدير بالذكر أن اسم الحزب الصليبي أطلقته قبل دى لىسبس جريدة مرسية هي Mémorial de la Loire في مقال ظهر في عذمتها الصادر في ٨ ديسمبر ١٨٦٣ . جاء فيه : تقوم الآن حرب صليبية مظلمة ضد مشروع قناة السويس . وقد أعلنت جريدة L'Isthme de Suez نشر هذا القسبال في المصد ١٨٠ الصادر في ١٥ ١٧ ديسمبر ١٨٦٣ مجموعة السنة الثالثة .

من التخلي عن السخرة ، قبلت مبدأ الإلغاء ، ولكنها طالبت بتعويض  
جسيم للغاية بلغ ٥٧ مليون فرنك ، أي أكثر من ربع رأس مال الشركة .  
ووضعت مذكرة ضافية حاولت أن تثبت فيها خطأ مطلبها واحتياطها في  
تقدير التعويض ، وأبرزت الحقائق القاطعة التي تفزل بها نتيجة لإلغاء السخرة  
في حفر القناة (١) .

ولقد لقيت الشركة في موقفها تأييدا عاليا من بعض الشخصيات  
في فرنسا ، وكان من بينها الأمير الخليج جيروم نابليون Jérôme Napoléon  
راعي المشروع وابن عم الإمبراطور نابليون الثالث . وقد ألقى خطابا حماسيا  
ضافيا في مادبة أقامتها الشركة في ١١ فبراير ١٨٦٤ وحضرها قرابة ١٦٠٠  
ممنوع بمناسبة فراغ الشركة من إيصال ترعة الماء العذب إلى السويس . وكانت  
تلك المادبة أشبه مظاهرة سياسية . وقد حرص الأمير جيروم نابليون الشركة  
على التمسك برأيها القائل بصروية تعويضها من إلغاء السخرة في حفر القناة .  
فقال إذا قبل أعضاء مجلس إدارة الشركة إلغاء السخرة بدون تعويض مالي  
تدفعه الحكومة المصرية لاستحقاق أن يرسلوا إلى مستشفى الأمراض العقلية أو  
يحاكوا جنائيا . ثم اشط في تعزيز موقف الشركة إلى حد أنه قال : « إذا كانت  
مصر تشهد تخفيف ويلات الإنسانية عن شعبها يجب عليها ألا تصعب عليه  
هذا العمل على عاتق الشركة . فنحن المواطنون الفرنسيون نلجأ نحن عظمتنا ،  
ولكن إذا دلفنا نحن نحن عظمتنا المسلمين والتخفيف عنهم وتقديم الخير لهم  
فلن يكون ذلك إلا حماقة ومجنونا . » (٢)

(١) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit. t. IV.  
pp. 447-471.

(٢) ملحت شركة قناة هذه الخلية في كتابه باسم :

Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez - Banquet du Canal  
de Suez - 11 février 1864. Discours de S.A. le Prince Napoléon, de M.  
Dupin et M. de Lesseps, Paris, 1864.

وكان المروض أن تلغى الحكومة المصرية السخرة في حفر القناة اعتباراً من أول فبراير ١٨٦٤ ، وهو نهاية مهلة الستة أشهر التي حددتها الباب العالي في مذكرته لإسماعيل بتاريخ أول أغسطس ١٨٦٣ لتسوية النزاع بين مصر والشركة ، وقرر فيها أنه إذا انتهت تلك المهلة دون الوصول إلى تسوية الخلاف فإن إسماعيل يوقف لإرسال عمال السخرة (١) . ولكن حدث أن أبرق ديون دى لويس Drouyon de Lhuys وزير خارجية فرنسا في ١٦ يناير ١٨٦٤ ، بناء على أمر الإمبراطور ، إلى تاسنى Tastu قنصل فرنسا في مصر كي يطلب إلى إسماعيل مد المهلة شهرين بتيان في ٣١ مارس ١٨٦٤ (٢) . فوافق إسماعيل (٣) . ثم حدث أن اتصلت وزارة الخارجية الفرنسية ، بناء على التماس شركة القناة (٤) ، بالحكومة التركية وإسماعيل لإطالة المهلة شهرين آخرين بتيان في ٣١ مايو ١٨٦٤ ، فوافقت الحكومة التركية أولاً ثم نصحها الحكومة المصرية (٥) .

De Lesseps F . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 337-411.

وجريدة L'Estime de Suex العدد ١٨٤ الصادر في ١٥ فبراير ١٨٦٤ ص ١٠٠-١٠٨ بحومة القناة الثانية .

(١) Copie d'une lettre visirielle, communiquée à l'Ambassade de France à Constantinople, et qui devait être envoyée au Vice-Roi d'Egypte par Fouad Pacha, à la date du 1er août 1863. dans .

De Lesseps F. . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 318-318.

(2) Douin . Histoire du... etc., ouvr., t. I. p. 68.

(3) ibid.

(٤) انظر خطابه أرسله دى لويس بتاريخ ١٦ مارس ١٨٦٤ إلى وزير خارجية فرنسا

De Lesseps F. . Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit., t. IV, pp. 445-446.

(٥) مخطوطات قصر عابدين : دفتر ٢١ ص ١١٠ في ١٤ شوال ١٢٨٠ (٢٣ مارس ١٨٦٤) ووثيقة رقم ٣٦١ نفس التاريخ وانظر أيضاً ووثيقة رقم ٣٦٠ في نفس المجلد وهي لمصرى ص ١٠٠ من المجلد الثاني إلى



ولكن الحكومة المصرية هبطت بطلد عمال السخرة هبوطا ملموسا في تحليل تلك المدة . فيجد أن كان عندهم في شهر ديسمبر ١٨٦٣ قد وصل إلى ١٣ ٠٠٠ . نجد أنه انخفض في مارس ١٨٦٤ إلى عشرة آلاف ، وفي أبريل إلى ثمانية آلاف ، وفي مايو إلى ستة آلاف (١) .

وكانت الحوادث قد تطورت تطورا أدى إلى أن طلب اسماعيل ، بكل سداجة (٢) ، تحكيم الإمبراطور نابليون الثالث في النزاع القائم بين مصر وشركة القناة . وتكونت لجنة تحكيم كى تدرس المسائل المتنازع عليها ثم تقدم بعد ذلك تقريراً إلى الإمبراطور مشفوعاً برأيها . وكانت هذه اللجنة فرنسية لحا ودما (٣) ، وقد أخذت بنظرية الشركة بأدلائها المعال حتى عقد ، وأن ضخته وفق رغبة الحكومة المصرية ، وهي أحد الطرفين المتنازعين ، يستوجب دفع تمويض للطرف الآخر وهو شركة القناة . وقدرت هذا التويض بمبلغ ٤٢,٥ مليون فرنك . وعصمت من هذا التويض مبلغ ٤,٥ مليون فرنك قيمة أجور متأخرة على الشركة العمال (٤) .

ولم تستطع اللجنة في تقريرها تجاهل مساوئ نظام السخرة في حفر القناة ، ولكنها ألقت اللبنة على مسجد باشا ، وهو الولي التنس الذى اتى

---

التيوكسندا في نفس المساريف ، ووثيقة رقم ٢٩٢ ومى أمر مى صبرى من المنساب أعمال إلى بولار في باريس في ١٤ شوال ١٢٨٠ ، ووثيقة رقم ٣٩٥ ومى أمر مى صبرى صدر من المنساب الملك إلى بولار باشا في باريس في ١٨ شوال ١٢٨٠ .

رائظر أيضا للملحقين رقم ٤ ورقم ٥ في هذا الكتاب

(1) Dotin : Histoire du... etc., over. cit., t. I, p. 129.

(٢) لرحنا كيف أن اسماعيل قد جابه التوفيق بأخصال الإمبراطور حكما .  
أنظر : دكتور عبد البرر محمد الشنوى : السخرة في حفر قناة السويس - مصر اسماعيل من ص ٢٧٠ - ٢٧٧ .

(٣) أروعها الشبهات إلى أحاطت بتكوين اللجنة وللتأكد على أصالتها ومجانها تصرفات لرحنا كانت تملكه يقدم المصادقة . أنظر للمصدر السابق ص ٣١٨ - ٣٢٠ .

(٤) سجد أن عرضنا هذه المسألة في الفصل الثالث عشر .

بنفسه في أحضان الفرنسيين ليكتسب عظمة خيالية فلعنوه - بعد وفاته - بقسوته على الشعب المصري . فقالت اللجنة إنه إذا كان هناك لوم يوجه إلى نظام السخرة : فإن اللوم ينصب على الأسلوب الذي يتبع في جمع العمال ، وهو الأسلوب الذي سار عليه محمد سعيد إزاء الشركة في تنفيذ لائحة ٢٠ يوليو ١٨٥٦ فهذا عمل يتناقض مع طابعنا ويثير استياء الرأي العام في الشعوب المتحضرة ، وقالت اللجنة إن الباب العالي الحق ، بل إن هذا واجب ، في أن يوضح هذا لهذا النظام .

وقد بلغ مجموع مبالغ التعويضات التي اقترحت اللجنة فرضها على مصر في مقابل إلغاء السخرة في حفر القناة واسترداد جزء من الأراضي الممنوحة للشركة وإلغاء بعض امتيازاتها أربعة وعشرين مليون فريك ، أي ما يوازي ٣,٣٦٠,٠٠٠ جنيه (١) .

وأرشد رئيس لجنة التحكيم بظريته مذكرة صغيرة طواها على تطبيقات شخصية له تبريرا للضمانات التعويضات التي اقترحتها اللجنة ، وطلب إلى وزير خارجية فرنسا أن يردها إلى الإمبراطور . وكان مما جاء في هذه المذكرة : إن المعلومات التي أتاحتها لي إقامة خمس سنوات في القسطنطينية تسمح لي بأن أظن أنه مادامت المسائل التي تخص الباب العالي شخصيا قد أبعدت عن نطاق المناقشة ، فإنه لن يفرض اعتراضا قويا على التعويضات التي لا يلتزم بدفعها . وإلى أميل إلى الاعتقاد بأن الباب العالي وهو يتظاهر بأن يرى الأعباء الملقاة على عاتق والي مصر باحفظ جدا ، فإنه لن يكون في مراوة نفسه متأسفا حين يرى تاسه ( اساهيل ) يعاقب بطريقة ما على الثقة التي وضعها القوالى في شركة أجنبية ، على الرغم من الأوامر التي كان الباب العالي يصدرها تباعا . وإلى أضيف إلى ذلك أن باشوات مصر يتفقون في كل عام على مسراتهم وعلى أمور غير مجدية أموالا أكثر من المبالغ التي يتعين

(١) النص الكامل لتقرير لجنة التحكيم و

على اسماعيل دهبها في خزنة شركة يمتلك ١٧٧٦٤٢ سهمها من أهمها البالغ  
عدها أربعمائة ألف ، (١)

وقد أخذ الإمبراطور بقرار اللجنة جملة وتفصيلا وعهد إلى رئيسها  
بوضع صيغة الحكم ، ووقعه الإمبراطور في ٦ يوليو ١٨٦٤ . وقد بنى الحكم  
على أساس ما جاء في تقرير اللجنة ، فهما لا يحتفظان إلا في الناحية الشكلية ،  
فالحكم يعلب عليه الإيجاز بالنسبة لتقرير اللجنة من ناحية والمطابق القانوني  
من ناحية أخرى (٢) .

وكان لهذا الحكم وقع سيء للغاية في الشعب المصري والأوساط  
المصرية الرسمية ، ورأت الجماهير أنه إضرار بمصر من أجل رعاية المصالح  
الفرنسية في الشرق (٣) . وذكر Rothstein أن هذا الحكم لم يكن غير مرفقة  
من سرفات عمدة أذعن فيها مصر لأوروبا المستنيرة الفاضلة (٤) . وقرر  
ليثان ملك أن دوائر باريس كانت تعتقد في ذلك الوقت أنه في الاستطاعة  
تسوية كافة المشكلات بين مصر وشركة القناة لقاء ثلاثين مليون فرنك ،  
وتكون الشركة في تلك الحال مضطربة جدا بمحصولها على هذا المبلغ . ولكن  
الحكم حايى قدر الإمكان شركة القناة على حساب الحكومة المصرية التي  
اعتبرها منجما لا ينصب معنه (٥) . ولا ريب أن لجنة التحكيم قد وضعت

(١) دكتور عبد البر محمد الشناوى السيرة في خير نفاة لقريش - مصر  
اسماعيل . ص ٣٩١ - ٣٩٢

(٢) نص الرسمى للحكم الإمبراطورى محضوط و قصر عابدين عمتشة رقم ٢٢  
سيرة تركر وشيخة رقم ٩ بتاريخ ٦ يوليو ١٨٦٤ - مرة صفر ١٢٨١ هـ . وحده  
الرئيسة باللغة الفرنسية وطبعة في باريس

[3] Sammarco Histoire etc., ouvr. cit., t. III p. 78.

نظرا عن المخطوطات المصرية في فرنسا خطاب مرسىل من الإسكندرية بتاريخ أول  
أغسطس ١٨٩١ إلى وزارة الخلويسية المصرية .

(4) Rothstein : Egypt's Ruin.

وترجمة الأستاذين عبد الحيد البياضى ومحمد بدوان الطبعة الثانية القاهرة

١٩٢٦ . ص ١٤

نصب عينا الروة العزيرة التي كانت تنلفق على مصر في تلك الآونة بسبب الطاعة القبطية ، فاشتعلت اللجة في تقديراتها وسابرها الإمبراطور في هذا الإنجاء. وقد صرح نوبار لممثل النمسا السياسي في القسطنطينية أنه من بين الأربعة والعشرين مليون فرنك التي حكم بها الإمبراطور يوجد ستون مليون فرنك على الأقل تقبل المراجعة والمناقشة فيها (١). أما غارمان فنصّل الولايات المتحدة الأمريكية في مصر على عهد اسماعيل والذي عين قاضيا في المحاكم المختلطة في مصر بعد ذلك ، فيقول إنه هذا الحكم قد أدهش جميع رجال القانون في أوروبا ، ولولا سمة الجلد التي اتسم بها لعدّه الناس تحفة من تحف القضاء (٢) .

بيد أن الحكم قد سجل على الشركة أنها كانت أول الطرفين المتعاقدين إختلالا بالتزاماتها ، فأثبت أن الشركة لم تكن تدفع لصريق كبير من العمال أجورهم المحددة في لائحة العمال ومن المناقصات في موقف الشركة أنها تطالب بتعويض في مقابل إلغاء اللائحة ، أي في مقابل تحلل الحكومة المصرية من الالتزامات التي فرضتها عليها اللائحة ، فهي تطالب بتعويض عن إخلال من جانب الحكومة المصرية في تنفيذ اللائحة بحلت بعد وقوع إخلال من جانب الشركة بزم من طويل . ومن أولى المبادئ المقررة في القانون أنه في حالة قيام التزامات متبادلة بين طرفين متعاقدين يلزم كل طرف بالتزاماته ، فإذا أنحل أحد الطرفين بالتزامات المفروضة عليه كان للطرف الآخر أن يتحلل كذلك من التزاماته .

وبما يذكر أن الحكومة المصرية لم تنتظر صدور حكم الإمبراطور بإلغاء الصخرة في حجر القناة ، فأوقفت إرسال عمال الصخرة إلى ساحات الحفر اعتبارا من أول يونيو ١٨٦٤ (٣) . وكانت الشركة قد أخطرت وزير خارجية فرنسا في ١٦ مارس ١٨٦٤ بمواقفها على مبدأ الإلغاء في مقابل

(1) Sammarco : Précis etc., ouvr. cit. t. IV p. 167  
نقلا عن الوثائق المنشورة في فرنسا .

(2) Farman : ouvr. cit., pp. 205-206.

(٣) أنظر للمحرور رقم ٥

توحيض قدرته بمبلغ ٥٧ مليون فرنك . وطلبت إلى وزير الخارجية إخطار لجنة التحكم بذلك التحول في موقعها (١) .

سنستخلص من الفصول التي مرت بنا في هذا البحث حقيقة لامرأة فيها ، هي أن الشركة ندية عمر القناة لنظام السخرة . فقد تعرضت عمليات الحفر أول الأمر للتعطيل طوال المدة التي أوقف فيها سعيد ناشاً تنميد لأمنحة العمال نتيجة المعارضة الإنجليزية . وطالت تلك الفترة إلى سنتين ( من ٢٥ أبريل ١٨٥٩ إلى ١٨ أبريل ١٨٦١ ) ، وغداً مركز الشركة خلالها حرجياً وديقاً للغاية ، وتعرضت لغد شديد من أنصارها وتجريح عنيف من خصومها .

فلما شرع سعيد في تنميد لأمنحة العمال في ١٩ أبريل ١٨٦١ في نطاق صيق لول الأمر . وسبق عمال السخرة إلى ساحات الحفر زمراً بدأت الحياة تدب في أوصال منطقة القناة ، إذ استطاعت الشركة بفضلهم أن تحفر تروحة الماء السلب من قرية القصاصين في مديرية الشرقية إلى بيشة على مقربة من بحيرة التماسح وفرضت من حرها في ٢٣ يناير ١٨٦٢ . وجلبت تلك التروحة الحياة والحركة إلى منطقة صحراوية جرداء ، وانضجت إلى حد ما مشكلة ماء الشرب في ساحات الحفر ، كما اخضت رويدا رويدا المشكلات المستعصية الأخرى كالنقل والقرير . وقد بلغ عدد العمال الذين سحروا في حقول تلك التروحة ٥٥٨٩٣ رجلاً .

ولما توسع سعيد في تنفيذ لأمنحة العمال ، وطلب نظام السخرة تطبيقاً صارماً عيفاً ، وشجبت عمليات جمع العمال لحفر القناة مديريات مصر بأسرها حتى امتدت إلى الشلال الأول ، استطاعت الشركة بفضل عمال السخرة أن تحفر القناة البحرية من بورسعيد إلى بحيرة التماسح .

واستغلت الشركة عمال السخرة استغلالاً شاملاً بعيداً عن الرحمة والشفقة في متطلبات عتبة الجسر ، فقرضت عليهم أقصى صبه يمكن أن يسكب به

(١) De Lesseps F. Lettres, Journal et Documents etc., ouvr. cit. t. IV.

إنسان متحضر هو نقل جبل يرتفع ١٩ متراً عن سطح البحر ويمتد مسافة ١٤ كيلومتراً ثم شق مجرى للقناة البحرية مكانه ١١ ولم تفكر الشركة في استخدام الآت ميكانيكية تكون حونا لأوتكس الهال التامس ، ولكنها اعتمدت على كثرتهم المحلية الهائلة ، والنفوس ، وهي وسيلة بدائية هزيلة ، ثم القفص يضعون فيها الأتقاض ، ثم للسيط تولى على ظهورهم ، وإتقالهم في سجن عتة البحر إلى غير ذلك من سرورب الصف والجور . وقد امتدح العمل في مرتفعات عتة البحر وحدها قرابة عشرة أشهر سخر فيه ١٧٦٧٨ عاملاً . هذا علماً بالآف الهال الذين سخرؤا في شقها من بور سعيد إلى فردان حيث تبدأ مرتفعات عتة البحر من ناحية الشمال .

ولما بلغت الشركة هذا الحد في حفر القناة البحرية بإصطالها إلى بحيرة التماسح ، وجهت عمال السخرة لحفر ترعة الماء العذب من عيشة إلى السويس ، لحشوها في أقل من عام ، وفرعوا منها في النصف الثاني من ديسمبر ١٨٦٣ ، وبلغ عدد الهال الذين سخرؤا في حفرها مائة ألف عامل . ثم شرعوا يشقون مجرى لقناة البحرية في النصف الجنوبي من البرزخ من بحيرة التماسح إلى السويس ، وكان ذلك خلال الشهور الخمسة الأولى من عام ١٨٦٤ حتى ٣١ مايو ١٨٦٤ ، حين أوقعت الحكومة إرسال عمال السخرة إلى ساحات الحفر . وقد بلغ عددهم خلال تلك السنة خمسين ألفاً ، وبذلوا جهوداً مضنية في مرتفعات سرايوم .

نضاف إلى تلك العمليات المتعلقة أعمال أخرى لها أهميتها القصوى ، فقد وجهت الشركة ألفاً أخرى من عمال السخرة لتعمير منطقة القناة : من بناء المدن الجديدة وتوسيع رقعتها كبور سعيد والتماسح ( الإسماعيلية فيما بعد ) ، ومن إنشاء مراكز هامة تقع على تدار منها عمليات الحفر ، مثل الفردان والبحر وطوس وسرايوم وغيرها ، ومن إقامة المنشآت والمباني المختلفة لأجهزة الشركة الإدارية والعنسية والصحية وغيرها . ويمضى الجولال الآتي فكرة عن تقدم حركة التعمير التي كانت قد شملت جهات منطقة القناة في نهاية ٣٤٠

عام ١٨٦٣ وقبل إلغاء السخرة في حفر القناة (١).

اسم الجهة	متارل السكنى بالمتر المربع	أكواخ وعتابر للمال	ورش و مستودعات	مجموع المساحة	الحى العرقى
بورسعيد	١٥٩٦٢	٧٣٢٦	١٣٢٣٨	٣٦٥٢٦	٤٧١٥
رأس المش	١٤١٩	٩٦٠	٤٨٠	٢٨٥٩	-
القطرة	١٤٦٩	٧١٤١	٧٧٣	٩٣٨٣	٣٨٠٠
القرحان	٥٧٢	٩١	-	٦٦٣	-
البحر	٧٩٦٧	٧٠٣	٢٨١٥	١١٤٨٥	٥٣٧
الإسماعيلية	١٩٧١٢	٦٧٧٢	٢٧١٣	٢٩١٩٧	-
طومن	٢٥٩٦	١٢١	١٤٠	٢٨٥٧	-
جنيته	٦٩٠	-	-	٦٩٠	-
شلوب الطرابية	١١٦٩	-	٧٤٤	١٩١٣	-
السويس	١٣٧	٣٦	-	١٧٣	-
المهسة	٦٥٤	٧٢	-	٧٢٦	-
مصكرات إضامية	٦٧٨	٢٢٣	-	٩٠١	-
المجموع بالمتر المربع	٥٣٦٩٤	٢٣٥٧٢	٢١٢١٣	٩٨٤٧٩	٩٠٥٢

فعال السخرة كانوا هم الرواد الذين جعلوا من منطقة القناة الصحراوية جهات عامرة آمنة ظلها وارف تجوى إليها أفئدة الناس . وهكذا كان فضل محال السخرة على الشركة عظيما .

واستمر هذا الفضل قائما حتى بعد إلغاء السخرة في حفر القناة في سنة ١٨٦٤ ، لأن الشركة وقتئذ وجهت نهاء إلى كبار المقاولين وكبيرات

(١) Vaisin Bay . oevr., cit., t. VI, p. 305.

وانظر أيضاً إحصائيتين أخريين عن حالة الممرات في مارس ١٨٦٢ وأبريل ١٨٦٣ على مدى هذه الإحصائية وقد وردتا في تقرير دي لسن على إلغاء و اجتماع الجمعية السورية لجمعية الشركة بتاريخ ١٥ يوليو ١٨٦٣ ونشرته حصرية L'Esthime de Suez في العدد ١٧٠ الصادر في ١٩ يوليو ١٨٦٣ من ص ٢٥٨ - ٢٦٢ بحجوة السنة الثامنة .

الشركات الهندسية في أوروبا تطلب إليهم التقدم بعطاماتهم لتعميق أو توسيع أو حفر الأجزاء المتبقية من القناة البحرية . ووضعت كتاباً صغيراً تضمن الأعمال المطلوبة والشروط التي تراها ، وأودعت نسخاً من هذا الكتاب مكاتب الشركة في باريس وسائر المدن الأوروبية ومصر (١) . واستجاب عدد من كبار المقاولين لتناء الشركة ، وحضروا إلى مصر لمعاينة منطقة القناة وقدموا بعطاماتهم إلى الشركة فقبلت ما راقها منها (٢) . وكان من حسن حظ الشركة أنها وهدت إلى عقد اتفاقات معهم في ذلك الوقت ، وأن أولئك المقاولين استطاعوا إرسال الكراكات وغيرها من الآلات الحفر الضخمة القوية إلى منطقة القناة في فترة وجيزة . إذ كان طليين العاملين مجتمعين أكبر الأثر في التحفيف من الأثر السيء الذي ساد دوائر باريس عقب إلغاء السخرة في حفر القناة (٣) .

وهنا يبرز فضل آخر لعمال السخرة على للشركة . فلولا العمل الجبار الذي سبق أن أكرهوا على القيام به لما وصلت الشركة إلى تلك النتيجة من قبول كبار المقاولين والشركات التعاقد معها لإنجاز الأجزاء الباقية من القناة بالأسعار التي حددت ، لأن المقاولين أدخلوا في حسابهم التطور الممراني الذي طرأ على منطقة القناة في خلال السنوات الخمس منذ أن شرعت الشركة في تنفيذ المشروع في ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ، فلابسات العمل في منطقة القناة في سنة ١٨٦٤ كانت تختلف اختلافاً كبيراً عما كانت عليه في سنة ١٨٥٩ ، حين كان البرزخ منطقة صحراوية خالية من مقومات الحياة ، ولم تكن الشركة قد أقامت بعد مساكن يأوي إليها العمال وغيرهم ، ولم تكن وسائل المواصلات بين البروج وبين الدلتا السية بنهراتها قد أُنشئت ، ولم يكن في البرزخ مورد مائي ثابت يطمئن إليه العمال والمهندسون ومن إليهم وهم في

(١) بحسب وثيقة الشركة العدد ١٧٨ الصادر في ١٥ نوفمبر ١٨٦٢ من ص ٤٥٥ - ٤٥٦

مجموعة السخرة الثانية .

(2) - Voisin Bey : ouvr. cit., t. VII, pp. 68-69.

(3) Kitt. : ouvr. cit., p. 282.



الصعواء يؤدون أعمالهم المفضية ، فكان شح الموت عطشا يلوح لهم بين كل حين وأن . أما في عام ١٨٦٤ فقد غدا البرزخ منطقة منظمة إلى حد بعيد امتدت إليه يد العمران . ولما غادر عمال السخرة ساحات الحفر في ٣١ مايو ١٨٦٤ تركوا وراءهم شبكة مواصلات مائة على درجة كبيرة من الأهمية ، وبفضل هذه الشبكة المالية أصبح التزويج المالي والتسلي والأي هينا يسورا . فلما قلم المقاولون ومديرو الشركات الهندسية الأوربية إلى منطقة القناة سنة ١٨٦٤ وجدوا المنشآت والمواصلات واطمأنوا إلى حياة مستقرة آمنة يحياها رجالهم الفنيون وعملهم .

ومن أفعال نظام السخرة على الشركة أيضا أن إلغاه اقترن بنقص تموين مالي جسم لها كفل لها موردا ضخما بالإضافة إلى مبالغ التوصيات الأخرى التي قرر لها نفس الحكم الإمبراطوري . وكانت هذه المبالغ مجتمعة تقرب من نصف رأس مال الشركة ، فاستطاعت أن تحصى قلما في إكمال المشروع بالوسائل الميكانيكية .

• • •

غير أن الشركة لم تقنع بالمرابا التي أتاحها لها نظام السخرة سواء وث قيام هذا النظام أو عقب إلغائه ، فلم يمس عام ونصف عام على صدور حكم الإمبراطور بإلغاء السخرة حتى عاودها الطمع في تسخير الشعب المصري وتطلعت إلى هذا النظام للويل . وقد لمس نوبار باشا هذه الرغبة أثناء وجوده في باريس في يناير ١٨٦٦ ، وعلم أنه مما يلقى الشركة في تلك الآونة هو صعوبة حفر القناة في بعض الجهات الجنوبية من منطقة القناة ، وأن منشأ الصعوبة هو الحاجة الماسة إلى عمال حفر بكثرة عديدة كبيرة . واعتقدت الشركة أن مصر متعجز عن أن تدفع في المواعيد المحددة أقساط التوصيات التي فرضها عليها الحكم الإمبراطوري ، فاقترحت أن تمدها مصر بعمال سخرة في مقابل ٤٠ ألف مارك تدفعها الشركة أو تخفيض الأقساط ومد آجالها بحيث تدفع التوصيات كاهلة في فترة أطول من الفترة المقررة

## في الحكم الإمبراطوري (١).

وابتدعت صفاة الشركة حيلة للحكومة المصرية لتقديم عمسال  
السخرة ، وهي حيلة تنطوي على خبث أصيل وعلى تخويف الحكومة على  
تضليل الرأي العام الأجنبي خاصة . كان هناك عشرون ألف عامل يعملون  
وقد في مد الخط الحديدي من منطقة الإسماعيلية إلى السويس . وهذا الخط  
يسير موازيا لقناة البحيرة وعلى مسافة قريبة منها . فعرضت الشركة حل  
الحكومة أن تكتفي باستخدام عشرة آلاف عامل في مد الخط الحديدي ، وأن  
توجه البشرة الآف عامل الآخرين لحفر القناة البحرية . وقالت الشركة إنه  
لن يتجه أحد إلى تسخير الفلاحين في قناة السويس لقرب المسافة بينها  
وبين الخط الحديدي . وقد رفضت مصر هذا الطلب على أساس أن السخرة  
قد تقرر إلّاؤها في حفر القناة في مقابل تعويض صخم دفعت الحكومة  
الأخصايط المستحقة منه (٢). وهكذا كانت مطامع للشركة لا تقف عند حد .  
فهي تقبل إلغاء السخرة ويقرر لها تعويض يبلغ ٤٢,٥ مليون فرنك ، ثم تحاول  
أن تعيد نظام السخرة تدريجيا لقاء ٤٠٠ ألف فرنك ، ثم تعتبر ذلك سابقة  
تشيء عليها حقوقا جديدة لنفسها .

فلما رفضت الحكومة هذا الطلب طالبتها الشركة بتطهير نرعة الماء الملبد  
من الإسماعيلية إلى مدينة السويس ، وعلقت أهمية كبيرة حل هذا العمل ، لأنها  
رغبت في استخدامهما طريقا مائيا للمواصلات تنقل فيه الكراكات وسائر  
أدوات الحفر الضخمة اللازمة لإنشاء القناة البحرية في الجزء المنجوتى من

(١) مملوولات قصر جاينز : الوثائق الفرنسية طبعة رقم ١٩ ( ٢ ) عطايب  
أرسلة نوفمبر من باريس في ١٠ يونيو ١٨٦٦ إل إدام بك لرفضه إل إسماعيل .

(٢) مملوولات قصر جاينز : الوثائق الفرنسية . طبعة رقم ١٩ ( ٢ ) عطايب  
أرسلة نوفمبر من باريس في ٨ يونيو ١٨٦٦ إل إدام بك لرفضه إل إسماعيل انظر  
الملاحق رقم ٧ .

(٣) انظر بخصوص موضوع نرعة الماء الملبد من الإسماعيلية إل السويس

التاريخ . وقد وافقت الحكومة على هذا الطلب وعهدت إلى علي مبارك ( بك ) بالإشراف على هذه العملية ، وكان يطلب مزيدا من العمال لإنجاز تطهيرها ( ١ ) . وأمدت الحكومة بذلك حزمة جليلة للشركة إذ استطاعت أن تركز جهودها في حفر قناة السويس .

• • •

إن السخرة في حفر قناة السويس كانت قصة مدنية عرضت على الشعب المصري لخدمة الشركة . وسيظل الأملوب الذي اتبع في حفر القناة وصحة في تاريخ الشركة ، ومثلا صارخا لظلم حكام مصر من أسرة محمد علي ، ورمزا يشير إلى استغلال أوروبا المثين لشعوب الشرقية . وإذ القانون رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦ الذي أصدره الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم شركة القناة هو تعويض جزئي عن العرق والدور والدماء التي بلها الشعب المصري في حفر القناة

---

( ١ ) انظر محروس تطهير ترعة المساء الطمى من الإسمايلية إلى السويس محفوظات قصر عابدين ، دفتر رقم ٤ العريقات الواردة إلى القصر ، وقبضة رقم ٥٦ هـ ٥ جمادى الأولى ١٢٨٣ ( ١٥ سبتمبر ١٨٦٦ ) من علي مبارك بالسويس إلى رياض باشا

وبرقية رقم ٦١ هـ ٥ جمادى الأولى ١٢٨٣ ( ١٥ سبتمبر ١٨٦٦ ) من محافظ السويس إلى رياض باشا .

وبرقية رقم ١٨١ هـ ١٤ جمادى الأولى ١٢٨٣ ( ٢٤ سبتمبر ١٨٦٦ ) من محافظ السويس إلى الحية البتية .

وبرقية رقم ٢٠٥ هـ ١٦ جمادى الأولى ١٢٨٣ ( ٢٦ سبتمبر ١٨٦٦ ) من علي مبارك إلى رياض باشا

وبرقية رقم ٣١٠ هـ ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٣ ( ٣ أكتوبر ١٨٦٦ ) من علي مبارك إلى رياض باشا .

وبرقية رقم ٣٢٢ هـ ١٩ جمادى الآخرة ١٢٨٣ ( ٢٦ أكتوبر ١٨٦٦ ) من محافظ السويس إلى رياض باشا .

# ملاحق البحث

ملحق رقم ١

## لائحة

### استخدام العمال المصريين في أشغال قناة السويس (١)

نحن محمد سعيد باشا والى مصر

رغبة منا في صيانة تعميد الأعمال الخاصة بقناة السويس البحرية .

ولضمان حسن معاملة العمال المصريين الذين سيستعملون هناك .

وفي نفس الوقت لمراعاة مصالح المزارعين والملاك والمقاولين الوطنيين .

مقرر . موافقة الميستر فرديناند دي لسبس بصفته رئيسا مؤمسا للشركة العالمية لنقل القناة . ما يأتي : -

المادة الأولى . تقدم الحكومة المصرية العمال الذين سيمثلون في أعمال الشركة بما اطلبت كبر مهندسي الشركة وطبقا لاحتياجات العمل .

المادة الثانية : تقرر أجور العمال بمثل متوسط الأجور التي تدفع في أعمال الغير ، أي بـ ١٠ جنيهات يراوح بين قرش ونصف قرش وبين ثلاثة قروش

---

(1) Actes Constitutifs de la Compagnie Universelle du Canal de Suez. Paris, Imprimerie de l'Empereur 1866, - pp. 58-62. Voir aussi

Charles Roux J. ouvr. cit., t. I, p. 469 et suiv.

De Testa : ouvr. cit., t. II, p. 104 et suiv

Philippe Gélal Bey ouvr. cit., t. I, p. 450 et suiv

Voslin Bey : ouvr. cit., t. I, p. 100 et suiv

Parliamentary Papers, Egypt No. 6 (1876). Concessions, Conventions, Statutes and Resolutions of the Suez Canal Company with the Sultan's Firman. Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty. London 1876. No. 5. pp. 16-17

والمصدر الأخير محفوظ في مكتبة بلدية الإسكندرية في القسم الأوروبي تحت رقم . 194 R.

اليوم ، بخلاف الجراية التي تصرف له من قبل الشركة ويقدر ثمنها بقرش صاغ واحد .

العمال الذين يقل عمر كل منهم عن اثني عشر عاما تكون أجورهم قرشا صاغا واحدا للفرد ، ولكن تصرف لكل منهم جراية كاملة

تصرف الجراية يوميا أو كل يومين أو ثلاثة أيام مقدما ، وإذا طلب العمال أن تصرف لهم قيمة الجراية نقدا فإن الشركة تدفع لهم قيمة الجراية إذا تأكدت أنه في استطاعتهم تغيير عملاتهم بأنفسهم .

تصرف أجور العمال نقداً في نهاية كل أسبوع . ومع ذلك فالشركة لا تصرف خلال الشهر الأول إلا نصف الأجر حتى يتجمع لكل عامل مبلغ احتياطي قلوه أجر خمسة عشر يوما .

ويبقى هذا الاحتياطي غزاة الشركة كضمان لعدم ترك العمل . وبعد ذلك تصرف الأجور كاملة للعمال .

وعلى الشركة أن تقدم للعمال المياه الصالحة للشراب مكيات والمرة لإكالة استعمالهم .

المادة الثالثة لا تريد المقطوعة المقروضة على العامل في الحفر من المقطوعة المبددة له . بمصلحة الطرق والكبارى بمصر والتي سبق تطبيقها في تنفيذ مشروعات الري الكبرى في السنوات الأخيرة .

المادة الرابعة : أعمال البوليس في ساحات الحفر يقوم بها ضباط الحكومة وربانها تحت أوامر وطقاً لتعليمات رؤساء المهندسين بالشرطة وطبقاً للأنظمة الخاصة بتمريض عمالنا لاحتضانها .

المادة الخامسة كل عامل لا يقوم بإعجاز نصيبه بنحصر جزء من أجره ، على ألا يتجاوز النحصر ثلث أجره اليومي . ويكون النحصر مناسباً للأجر ، الناقص من عمله .

كل عامل يترك يفقد لهذا السبب وحده أجر الخمسة عشر يوماً المحفوظ له لدى الشركة ، وتدفع المبالغ المتجمدة لدى الشركة لهذا السبب

لحساب المستشفى الذي سحكلم عنه في المادة التالية . كل عامل يحل بالنظام في ساحة الحفر يحصم منه كذلك أجر الخدمة عشر يوما . كما يجوز فضلا عن ذلك الحكم عليه بغرامة تضاف لحساب المستشفى أيضا .

المادة السادسة : تلتزم الشركة بإسكان العمال سواء تحت حيام أو في عتابر أو في بيوت ملائمة . ويجب عليها إنشاء مستشفى ومراكز إسعاف للعمال وتزود بالموظفين والأدوية اللازمة لعلاج المرضى على حساب الشركة

المادة السابعة : مصاريف انتقال العمال وعائلاتهم من مكان سكنهم حتى وصولهم إلى ساحات العمل تكون على حساب الشركة .

ويبلغ لكل عامل مريض سواء كان بالمستشفى أو في مراكز الإسعاف أجر قدره قرش ونصف قرش طوال المدة التي يكون فيها غير قادر على العمل وذلك فصلا عن العناية الطبية التي تتطلبها حالته

المادة الثامنة : الصناع الفنيون مثل النامين والتجارين ونحائي الأحجار والحفادين ومن إليهم تحدد أجورهم على أساس الأجر الذي تدفعه لهم الحكومة عادة عن مثل هذه الأعمال في أشتائها وذلك بخلاف البحراية أو غيرها .

المادة التاسعة : إذا استخدم السكريون الذين في الخدمة في تنفيذ الأعمال تنفع لهم الشركة بكافأة ممتازة . مرنا عاديا مصافا إليه بدل إقامة مساو لأجر العمال المعتنين .

المادة العاشرة : على الحكومة أن تقبل للشركة بسعر التكلفة جميع المقاطع اللازمة لنقل الأثمة والأدوات . وكذا التارود اللازم لعمل الألتام لاستغلال المهاجر . ويشترط أن يقدم الطلب قبل الموعد بثلاثة أشهر على الأقل .

المادة الحادية عشرة : يقوم مهندسانا لبنان بك وموجل بك اللذان بصعهما تحت تصرف الشركة لإدارة وتنفيذ الأعمال بالمراقبة العليا على العمال .

ويجوز أن مع مدير الشركة المتدرب لتليل الصحويات التي قد تظهر أثناء  
تفقيه ما جاء بهذا المرسوم .

حرر بالإسكندرية بتاريخ  
١٧ من ذي القعدة ١٢٧٢  
٢٠ من يوليو ١٨٥٦

ختم الخواص

محمد سعيد

السكرتير المكلف بالمحافظة على الأوامر الصادرة من

صمو الخواص

: كوينج

Koenig

إمضاء

## إعلان وزعته الشركة على المصريين للعمل في حفر القناة (١)

شركة قناة السويس

### مقالة الأشغال العامة

المادة الأولى : شيدت قرى جديدة بمصر للمصريين على طول ساحات الحفر

المادة الثانية : أعلنت هذه القرى بحيث يستطيع العمال المصريون اصطحاب عائلاتهم معهم .

المادة الثالثة : شيدت في كل قرية مسجد .

المادة الرابعة : حدرت قناة نجاب ماء النيل إلى جميع القرى طوال مدة الحفر .

المادة الخامسة : يشغل العمال المصريون على أساس المقطوعية . وبهذه الطريقة يستطيع العامل العادي أن يكتب في اليوم الواحد أجرا يتراوح بين ستة قروش وثمانية قروش ، ويستطيع أن يكتب أكثر من هذا إذا كان مجتهدا وذكيا .

المادة السادسة : تدفع الأجور نقداً طالما تنهى المقطوعية وعندها تكون للعامل الحرية في أن يترك العمل أو يأخذ مقطوعية أخرى جديدة .

المادة السابعة : تترك الحرية التامة للعمال المصريين في شئون الطعام ، فيستطيعون دائما شراء المأكولات إما من محلات المقاول بالائتمان المقررة في الصحيرة . وإما من قباضة الذين ينفذون إلى ساحات الحفر . وبالاختصار فإن لهم مطلق الحرية في تسير طعامهم بالطريقة التي تروقهم .

إن أقرب المدن إلى ساحات الحفر هي بلبيس والزقازيق والمنصورة ودمياط .  
المادة الثامنة : ممنوع منعا باتا على أي أوروبي أن يكون منصبه أو درجته أن يسمى « معاملة العمال المصريين » .

القاهرة في فبراير ١٨٦١



إحدى عرائض عمال السفرة يتنون فيها على شركة القناة (١)

نحن الموقعين على هذا أدناه أعيان ومشايخ العمال الذين يعملون في  
الاشغال القائمة في برزخ السويس نقر ونشهد على هذه المريضة التي ذيلناها  
بأخطارنا أن .

أولاً . نحن والعمال الذين تحت أوامرنا نعمل في أماكن حصر قناة السويس  
برحمتنا الثامة ولكني نكسب مايقم أودنا .

ثانياً : يجب علينا الماء بوفرة ويريد على الحاجة .

ثالثاً . توزع الأغذية في الحال على العمال كلما طلبوا ذلك ويغضم نحن  
هذه المأكولات من قيمة الأجور التي سبق تحديدها في الاتفاق .

رابعاً : يقوم العمل على أساس المقطوعية ووافق على ذلك العمال وتنفع  
لجميع الأجور بانتظام .

خامساً : يؤدي للعمل بالاختيار ويوزع على العمال بحسب دورنا . ولم ندر  
مطلقاً مناقشات ولم تحدث مشاكل من جانب موظفي الشركة أو من جانب  
العمال .

سادساً : لا يوجد إلى هذا اليوم أى عامل مريض ولم ينوف أحد منهم  
ونحن والعمال الذين تحت إشرافنا نقى على هذا المراكز الذي وصفت فيه .  
وعن هذا قد خضنا على هذه الشهادة .

أول نوفمبر ١٨٦٩ .

على ذلك أساء ٣٥ شيخاً من رؤساء العمال من مديريات القهيلية والقليوبية  
وروضة السحرين ( العربية والمنوية وكفر الشيخ حالياً ) .

(١) جريدة L'Éthiopia de Suez العدد ١٢٩ الصادر في ١٠ نوفمبر ١٨٦٩ ص ٢٢٩

مجوعة السنة السادسة .

مد موعدا إنهاء السفرة في حفر القناة شهرين للمرة الثانية

أمر سري من اسماجيل إلى القويكتخدا ( أرسل بطريق اليق ) . (١)

جاءني جناب قنصل فرنسا كما انأت عطواكم بريقيا وبالسفرة فأبلغني أنه مأمور بأمر خاص صادر إليه من لئذ حضرة الإمبراطور بأن يخلصي رغبة جلالة في مد أجل للعمال العاملين في القنال شهرين آخرين . فقلت له في معسفر إلى رجع ذلك إلى الباب العالي ، فأباني أن حضرة الإمبراطور المشار إليه قد أبلغ الأمثلة هذا للشأن ، وأن تقديمهم بلاغا إلينا مباشرة إنما كان أدبا وظرفا فرعدته بالترخيص في مد ميعاد العمال المطلوبة مدة شهرين آخرين إذا رأيت أن الأمر الصادر بهذا المعنى كان أمر حضرة الإمبراطور نفسه وأنه تفصل بتحرير مثله إلى الباب العالي . وقد سبق أن مدت المدة التي تمس مدحا من الآستانة . فعمل الباب العالي يوافق على طلبه هذا أيضا إلا أنه قد سبق ذلك أن مد أجل الأعمال شهرين ، ومد هذه المرة أيضا شهرين أي مد أربعة أشهر من حيث المجموع ، فقد كتبنا إلى نوبار باشا كتابا خاصا مؤكدا أن اعلم وقهم الجهة المختصة أنهم إذا تمسوا مد الأجل مرة أخرى بعد هذه المرة فلن يجد القاسم موافقة من هنا ، بل إنه يسرح العمال عند انقضاء الميعاد الأخير ويعادون إلى بلادهم .

(١) محفوظات قصر عايدى - دفتر ٢١ صادر عايدى ص ١١٠ أمر كريم إلى القويكتخدا ( وكيل الوال في القسطنطينية ) صدر في ١٤ شوال ١٢٨٠ ( ٢٣ مارس ١٨٦٤ ) .

الحكومة المصرية تكلف عن تقديم محال السخرة لحفر القناة<sup>(١)</sup>

من اسماعيل والى مصر الى مظارة الخارجية الحلية بالتسليمية

سبق أن أخبرنا المنيو ديليس برقا أن الشركة وافقت على عدم توزيع أعمال قناة السويس وعلى عدم تكليفها للناس بالعمل طبق قواعد السخرة كما أبلغناكم ذلك برقا لإجابة على برقية مساعدكم التي ذكرتم فيها أن مهلة الشهرين الأخيرة التي حدثت من أجل قناة السويس ستقفى في أول شهر يونيو الأفريقي وأنكم مرتقبون رأى مخلصكم في هذا الشأن . إلا أن هذه المسألة لا كانت مسألة عظيمة اكتسبت صبغة رسمية لدى الدولة لم تنق بمجرد بلاغ المثار إليه، فأبرقنا إلى نوبار باشا نستوضح حقيقة الأمر، كما قامت مأمورية خارجية مصر بتحقيق رسمي لدى القنصل فرنسا العام في مصر، فبين لنا من إفادة القنصل المولمأ إليه وبلاغ الباشا أن لجنة التحكيم وافقت على إلغاء السخرة، وأن حضرة امبراطور فرنسا يوافق على هذا الرأى، فصرحنا للمال في ذلك الحين وأعدناهم إلى بلادهم، ولم نعد بعد ذلك نعطي الشركة محالا .

(١) محفوظات قصر مايلين - دفتر رقم ٢١ صادر مايلين - من ١١٥ مذكورة عن

صورة من المحضر الرسمي للجلسة لمجلس الموم البريطاني

تاريخ ١٦ مايو ١٨٦٧ (١)

بيان الوزارة الإنجليزية عن البؤس الذى نشأ بين  
المصريين بسبب تسخيرهم فى حفر قناة السويس

Mr. Layard. With reference to the way in which the persons to whom the questions referred were employed, the matter stood thus. By the concession granted by the Vice-Roy of Egypt, he spoke of the original agreement of January 1856, with the Company at the head of which was M. Lesseps — it was stipulated that, in order to prevent the great influx of foreigners into Egypt, the persons employed to labour on the canal should never consist of more than one fifth of Europeans, the other four fifths being natives. The Company considered that in consequence of this stipulation they had a right to call on the Vice-Roy to furnish them with labour, if they themselves were unable to procure it in Europe. Accordingly, in July, 1856, the Vice-Roy issued a decree by which he agreed to furnish labourers to the Company. In that decree it was stipulated that the labourers so furnished should be duly cared for by those who employed them; that they should be housed, provisioned, and their welfare properly attended to. For some time these labourers were regularly paid by the Company. It appeared, indeed, from what he had heard, that the payments were even made in advance; still, those who were set to work worked very unwillingly, and large numbers, having got their money, ran away. To avoid such a state of things, the Company came to a resolution not to pay the labourers in advance, but at the end of their labour. That went on for some time, when it was asserted that payment on the part of the contractors had ceased altogether. That he must say in justice to M. Lesseps, was denied by him, however, the Government had received reports that last year the contractors no longer paid the men themselves, that the payments which ought to have been made directly to them were partly made to the sheikhs of the villages, and that a large amount

(1) Hansard's Parliamentary Debates. Third Series. Vol. CLXVI. Second volume of the Session, London 1862. pp. 1827-1828.

of that labour being furnished by the Vice-Roy himself, as stated by the noble Lord who had given them so much information in so modest a manner, it was passed to the account of the Pasba, who, as they knew, was very largely interested in the works as a shareholder. That statement was confidently made on the one hand, and as confidently denied on the other. But it was admitted, that the contractors had entered into agreements with Greek firms at Cairo and other places, who contracted to furnish labourers, receiving a certain allowance per head. This was a matter of things which led to great misery. There was no doubt that the labourers worked against their will, that they were torn away from their villages and families, and underwent great hardships and suffering.

The noble Lord had stated that many of these men had to walk 100 miles to receive their miserable pay. Now, when it was considered that they did not work more than a month or twenty eight days, that when discharged they received no more than 6 d. a day, if they were received that small sum, and that they had to walk 100 miles to get 14 s. for their month's work, it might easily be conceived that that state of things produced great misery and discontent.

But he regretted to say that many of these men came from even a greater distance than 100 miles. So high up as the First Cataract they were found by Mr. Colquhoun in boat-loads on their passage down to the Suez Canal.

As these forced levies were made at all times of the year, in seed time and in the harvest time, great hardship and suffering were inflicted, not only on the men themselves, but on their wives and children.

It was stated by the noble Lord that the Company admitted they were employing 26,000 of these labourers; they denied they were employing 40,000, but, in fact, if they were employing 26,000, 52,000 peasants would be constantly abstracted from the population, because the men were replaced monthly, and time must be allowed for the change of gangs. All he could say was, that such a state of things must bring about very great suffering and misery to the country.

الشركة متطلعة إلى نظام المسخرة بعد إنشائه  
وتعرض الحكومة المصرية على تفصيل الرأي العام

Paris, le 8 Juin 1886.

Monsieur le Roy.

Je vous avais écrit par le dernier courrier au sujet de la Compagnie du Canal. Je vous avais expliqué leur plan. Maintenant j'ai appris que M. de Sala avait été envoyé à Constantinople par M. de Lesseps pour complimenter Son Altesse, mais le but vrai est d'obtenir de Son Altesse du recevoir le Canal d'eau douce tel qu'il est et de le faire nettoyer et mettre en état lui-même. Mettre en état le Canal d'eau douce est une question d'hommes plutôt que d'argent. Ils consentiraient à défalquer 400 à 500 mille francs pourvu que nous fassions ce travail. Cela aurait pour eux l'avantage d'avoir leurs communications bien ouvertes entre Port-Saïd et Suez, faire du Flan flan en Europe, et faire travailler tous les ouvriers dont ils peuvent disposer au Canal Maritime. "Ce n'est rien pour Son Altesse, me disait un des Administrateurs, personne n'en saura rien; pendant que les fellahs font le chemin de fer et sous prétexte du chemin de fer, ils creusent le canal, le mettent en état et puis qui jamais s'apercevra qu'ils travaillent au canal maritime; sous prétexte du chemin de fer, on rassemble 20 mille hommes, 10 mille font la chaussée, 10 mille creusent le canal maritime, c'est si près l'un de l'autre, que personne ne s'en apercevra. Pour moi je lui ai exprimé mon opinion, qu'après avoir racheté la courée, nous ne pouvions pas la rétablir pour épargner 4 ou 5 millions de francs tout au plus, nous ne pouvions pas pour cette somme perdre tout notre prestige."

Maintenant que Son Altesse sache que tout leur plan tendra à avoir des hommes; Borel et Lavalley qui ont déjà fait une bonne fortune, car ils avaient 10% sur les prix du matériel, cherchant quelqu'un pour se décharger du poids de faire travailler les machines. C'est la personne même à laquelle ils ont fait des propositions qui me l'a dit.

Naber.

نفس موضوع الوثيقة السابقة

Paris, le 10 Juin 1866

Monsieur le Bey,

Je vous avais écrit au sujet de la Compagnie de Suez. Je vous avais dit son plan, c'est des hommes dont elle a besoin et c'est des hommes qu'elle veut nous approcher. Comme ils croient que nous ne serons pas en mesure de leur payer nos échéances, ils veulent non pas proposer directement, mais faire comme si la chose venait d'elle-même et tout naturellement que nous soyons amenés à leur offrir de nouveaux moyens d'une réduction dans nos activités. Ce qui les embarrasse le plus, c'est une certaine partie entre Timah et Suez, c'est 5 ou 6 millions de mètres cubes à enlever, personne n'en saura rien, me disait un des administrateurs, vous aurez par exemple une vingtaine de mille hommes pour faire la digue du chemin de fer, cette digue est tout près du canal maritime, qui s'apercevra de quelque chose si la moitié travaillent au canal maritime. S'ils n'obtiennent pas cela, leur but actuel est le barrage par nous, aussi que la mise en bon état du canal d'eau douce.

Nubar.

(١) معلومات نصر طابدين - الوثائق الفرنسية. طبة رقم ١٩ ملف رقم ٤ - خطاب

# المصادر

أولاً : وثائق قصر عابدين

١ - دفتر مصادر المية

الرقم الكتاب		رقم الكتاب
من	إلى	
١٨ في الحجة سنة ١٢٧٠	٢٥ في الحجة سنة ١٢٧١	١٩٢
١٨ في الحجة سنة ١٢٧٠	٢٤ في الحجة سنة ١٢٧١	١٩٢
١٨ في الحجة سنة ١٢٧٠	٢٥ في الحجة سنة ١٢٧١	١٩١
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٣ في محرم سنة ١٢٧٣	١٩٨
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٠ في محرم سنة ١٢٧٤	٥٠٤
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	١٧ في محرم سنة ١٢٧٤	٥٠٥
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٠ في محرم سنة ١٢٧٤	٥٠٨
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	١١ في محرم سنة ١٢٧٤	٥٠٩
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	١١ في محرم سنة ١٢٧٤	٥١٠
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٧ في محرم سنة ١٢٧٦	٥١٢
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	١٢ في محرم سنة ١٢٧٨	٥١٨
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	١٢ في محرم سنة ١٢٧٨	٥١٩
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢ في ربيع الأول سنة ١٢٧٨	٥٢٠
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢١ في جمادى الآخرة سنة ١٢٧٨	٥٢٢
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢ في جمادى الأولى سنة ١٢٨٠	٥٢٥
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في جمادى الأولى سنة ١٢٨٠	٥٢٦
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢ في جمادى الأولى سنة ١٢٨١	٥٢٩
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٣٠
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٣٦
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٣٧
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٣٨
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٣٩
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٤٠
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٤٧
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٥٨
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٧٢
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٨٢
٢٩ في الحجة سنة ١٢٧١	٢٦ في ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٨٢



تابع ١: دفاتر مصادر المصبة

ملاحظات	التمويل		رقم دفتر
	من	إلى	
صادر حراوين	٢٩ جمادى الآخرة ١٢٧٤	١٦ شعبان ١٢٧٤	١٦٢٧
واقائق رجبالس			
صادر حراوين واقالم	١٥ شعبان ١٢٧٤	٢٩ محرم ١٢٧٥	١٦٢٨
• • •	١٧ ذى القعدة ١٢٧٤	١٢ صفر ١٢٧٥	١٦٢٩
ومطريات			
صادر حراوين رجبالس	١٧ صفر ١٢٧٥	١٢ صفر ١٢٧٦	١٦١٢
ومحافظات			
صادر حراوين واقالم	١٣ صفر ١٢٧٦	١٧ ذى القعدة ١٢٧٦	١٦٤٥
• • •	١٤ ذى القعدة ١٢٧٦	٢١ صفر ١٢٧٧	١٦٤٦
• • •	١٩ محرم ١٢٧٧	٢٣ صفر ١٢٧٧	١٦٤٧
• • •	١٢ محرم ١٢٧٧	١١ صفر ١٢٧٧	١٦٥٢
قلم حرسى حالات	١٢ صفر ١٢٧٧	١١ رجب ١٢٧٧	١٦٥٤
صادر حراوين			
ومحافظات			
صادر حراوين	١١ رجب ١٢٧٧	٢ محرم ١٢٧٨	١٦٥٥
• • •	٢٨ ذى الحجة ١٢٧٧	٤ ربيع الأول ١٢٧٨	١٦٥٦
• • •	آخر صفر ١٢٧٧	١٢ رجب ١٢٧٧	١٦٥٧ ج
• • •	١٢ رجب ١٢٧٧	١ ربيع الأول ١٢٧٨	١٦٥٨ ج
• • •	٢٥ صفر ١٢٧٨	٤ ربيع الأول ١٢٧٨	١٦٥٩ ج
• • •	٤ ربيع الأول ١٢٧٧	٢٢ ربيع الآخر ١٢٧٧	١٦٦٦
صادر حراوين	• ربيع الأول ١٢٧٨	١٧ شوال ١٢٧٨	١٦٧٢
• • •	٢ شوال ١٢٧٨	٨ صيف ١٢٧٩	١٦٧٢
واقائق رجبالس والمحافظات	١٥ محرم ١٢٧٩	١٦ صفر ١٢٧٩	١٦٧٤
صادر حراوين	٧ صفر ١٢٧٩	١٣ ربيع الأول ١٢٧٩	١٦٧٥
• • •	• ربيع الأول ١٢٧٨	٢٩ ذى القعدة ١٢٧٨	١٦٧٦
• • •	١٢ ذى القعدة ١٢٧٨	١٢ ربيع الأول ١٢٧٩	١٦٧٧

تابع ا : دفاتر صادر العمية

تاريخ		رقم دفتر
إلى	من	
٢٦ قى الحية سنة ١٢٧١	١٢ رمضان سنة ١٢٧١	١٨٨٢
١٩ جمادى الأول سنة ١٢٧٢	٢ محرم سنة ١٢٧٢	١٨٨٣
١٨ قى القعدة سنة ١٢٧٢	١٦ جمادى الأول سنة ١٢٧٢	١٨٨٤
١٦ محرم سنة ١٢٧٤	٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٧٢	١٨٨٦
٢٢ محرم سنة ١٢٧٥	٧١ محرم سنة ١٢٧٤	١٨٨٩
١٤ محرم سنة ١٢٧٥	٦ قى القعدة سنة ١٢٧٤	١٨٩٠
٧ صفر سنة ١٢٧٦	٤ صفر سنة ١٢٧٥	١٨٩١
١٤ صفر سنة ١٢٧٦	١٣ صفر سنة ١٢٧٦	١٨٩٣
٢٧ محرم سنة ١٢٧٨	٢١ صفر سنة ١٢٧٧	١٨٩٤
١٥ صفر سنة ١٢٧٨	١٢ محرم سنة ١٢٧٨	١٨٩٥
٢ شعبان سنة ١٢٧٨	١٨ ربيع الأول سنة ١٢٧٨	١٨٩٨
٢٩ صفر سنة ١٢٧٩	٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٨	١٨٩٩
٩ رجب سنة ١٢٧٩	٢١ ربيع الأول سنة ١٢٧٩	١٩٠١
٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٨١	٢ شعبان سنة ١٢٧٩	١٩٠٤
٩ قى القعدة سنة ١٢٨٢	١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢	١٩١٥
٢٧ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢	٩ قى القعدة سنة ١٢٨٢	١٩١٦
٢٨ محرم سنة ١٢٨٢	٢٥ جمادى الأول سنة ١٢٨٢	١٩١٧
٢ صفر سنة ١٢٨٤	٧ جمادى الأول سنة ١٢٨٢	١٩١٩
١٦ صفر سنة ١٢٨٤	١ صفر سنة ١٢٨٤	١٩٢٠
٩ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢	١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢	١٩٢١
٢٧ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢	٩ ربيع الآخر سنة ١٢٨٢	١٩٢٧
٢٦ صفر سنة ١٢٨٤	٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٢	١٩٢٣
٩ صفر سنة ١٢٨٥	٢٢ جمادى الأول سنة ١٢٨٤	١٩٢٤
٤ صفر سنة ١٢٨٥	٩ جمادى الأول سنة ١٢٨٤	١٩٢٥
١٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧	١٢ جمادى الأول سنة ١٢٨٦	١٩٣٠

ب :- طائر ولرد للمية

تاريخ		رقم القتر
إلى	من	
٢٦ قس الحبة سنة ١٢٧١	٥ شهبان سنة ١٢٧١	٥٠١
١٤ قس الحبة سنة ١٢٧٢	٢٩ قس الحبة سنة ١٢٧١	٥٠٢
٧ محرم سنة ١٢٧٤	٢٢ رجب سنة ١٢٧٢	٥٠٧
٢٥ محرم سنة ١٢٧٥	٢١ محرم سنة ١٢٧٤	٥١٤
٢٣ محرم سنة ١٢٧٧	٣ صفر سنة ١٢٧٥	٥١٦
٨ صفر سنة ١٢٧٨	غاية صفر سنة ١٢٧٧	٥٢٣
٢٥ محرم سنة ١٢٨٠	١٨ ربيع الأول سنة ١٢٧٩	٥٢٤
٢١ صفر سنة ١٢٨١	٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٠	٥٢٢

### ج - دفتر صادر عابدين

رقم الدفتر	من	إلى
١٩	من محرم سنة ١٢٧٢	ذو الحجة سنة ١٢٧٩
٢٠		
٢١	من محرم سنة ١٢٨٠	ذو الحجة سنة ١٢٨١
٢٥	من محرم سنة ١٢٨٨	ذو الحجة سنة ١٢٩٣
١١		

### هـ - دفتر وارد محافظة دمياط

رقم الدفتر	من	إلى
سنة ١٢٧٥ هـ (سنة ١٨٥٩ م)	٥ صفر سنة ١٢٧٥	٢٩ محرم سنة ١٢٧٦

### هـ - دفتر صادر محافظة السويس

رقم الدفتر	من	إلى
سنة ١٢٧٥ هـ (سنة ١٨٥٩ م)	٨ محرم سنة ١٢٨٠	١٥ محرم سنة ١٢٨١

## و - محافظ المية

المسارح		رقم الحفلة
إلى	من	
١٩ ربيع الأول ١٢٧١	غرة ربيع الأول ١٢٧١	٥
٤ صفر ١٢٧٢	غرة محرم ١٢٧٢	٨
آخر ذي القعدة ١٢٧٢	٩ صفر ١٢٧١	١٢
٢١ رجب ١٢٧٣	٢٥ محرم ١٢٧٣	١٣
٢٠ جمادى الأول ١٢٧٦	غرة محرم ١٢٧٦	٢٤
١٢٧٧ نهاية رجب	٢ محرم ١٢٧٧	٢٦
٤ ذي الحجة ١٢٧٩	غرة محرم ١٢٧٨	٢٨
٣ ذي الحجة ١٢٨١	٩ محرم ١٢٨١	٣٧
٢٦ صفر ١٢٨٢	غرة محرم ١٢٨٢	٣٣
غرة جمادى الأول ١٢٨٢	غرة ربيع الأول ١٢٨٢	٣١
١٦ جمادى الآخرة ١٢٨٢	غرة جمادى الأول ١٢٨٢	٣٥
٢٠ رمضان ١٢٨٢	غرة رجب ١٢٨٢	٣٦
٧ جمادى الآخرة ١٢٨٢	غرة ربيع الآخر ١٢٨٢	٣٩
نهاية ذي الحجة ١٢٨٢	غرة رجب ١٢٨٢	٤٠
٢٩ رمضان ١٢٨١	غرة جمادى الآخرة ١٢٨٤	٣٢
نهاية ربيع الآخر ١٢٨٥	٢ شوال ١٢٨٤	٤٢
نهاية ذي الحجة ١٢٨٥	٥ جمادى الأول ١٢٨٥	٤٤
نهاية ربيع الآخر ١٢٨٦	٣ محرم ١٢٨٦	٤٥
نهاية ذي الحجة ١٢٨٦	غرة جمادى الأول ١٢٨٦	٤٦
نهاية ذي الحجة ١٢٨٧	غرة محرم ١٢٨٧	٤٧
نهاية ذي الحجة ١٢٨٩	غرة محرم ١٢٨٩	٤٩

### ز - برقيات ولادة لقصر عابدين

رقم البقرة	مجموع رقيات	من	إلى
١	٢٦٢٥	١٩ ربيع آخر ١٢٨٢	١١ رمضان ١٢٨٢
٢	١٢٩٥	١١ رمضان ١٢٨٢	٩ ربيع آخر ١٢٨٢
٣	١٥٥	٩ ربيع آخر ١٢٨٢	٢٨ ربيع آخر ١٢٨٢
٤	١٣٩١	٢٩ ربيع آخر ١٢٨٢	١٥ شوال ١٢٨٢
٥	١٢٤٤	١٥ شوال ١٢٨٢	٢٩ ربيع آخر ١٢٨٤
٦	١٧١٦	١٦ جماد أول ١٢٨٤	غرة ذي الحجة ١٢٨٤
٧	٦٠٩	٧ ذي الحجة ١٢٨٤	٢٧ جماد الأول ١٢٨٥
٨	١٥٤٢	٢٨ جماد أول ١٢٨٥	٢٠ ذي القعدة ١٢٨٥
٩	١٨١١	٢٠ ذي القعدة ١٢٨٥	٤ جماد آخر ١٢٨٦
١٠	١٨٠١	٤ جماد آخر ١٢٨٦	٢٨ شوال ١٢٨٦

### ح - برقيات صادرة من قصر عابدين

رقم البقرة	مجموع رقيات	من	إلى
١	٩١٩	١٩ ربيع آخر ١٢٨٢	٢٥ شعبان ١٢٨٢
٢	١٣٠١	٢٥ شعبان ١٢٨٢	٢٨ ربيع آخر ١٢٨٣
٣	١٤٤٤	غرة جماد أول ١٢٨٣	٨ ذي القعدة ١٢٨٣
٤	٥٠٥	٨ ذي القعدة ١٢٨٣	١١ جماد أول ١٢٨٤
٥	١٢٥٢	١٢ جماد أول ١٢٨٤	١٢ ربيع آخر ١٢٨٥
٦	٣٢	٢٩ جماد أول ١٢٨٥	١٥ محرم ١٢٨٦
٧	٣٦٤	١٥ محرم ١٢٨٦	٣ جماد آخر ١٢٨٦
٨	١٥٨٦	٤ جماد آخر ١٢٨٦	٢٧ محرم ١٢٨٧

## ط

صور مكاتبات القنصلية العامة للولايات المتحدة الأمريكية في مصر إلى  
وزارة الخارجية الأمريكية بواشنطن باللغة الإنجليزية من سنة ١٨٥٤ إلى  
سنة ١٨٧٩ .

## ي

صور مكاتبات القنصلية العامة لفرنسا في مصر ومن السفير الفرنسي في  
القسطنطينية إلى وزارة الخارجية الفرنسية في باريس من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩ .

## ز

تقارير فرنسية أرسلها نوبار باشا من باريس في سنوات ١٨٦٣ ، ١٨٦٤ ،  
١٨٦٦ إلى لإرام بك لرفضها إلى اسماعيل .

## ثانيا - كتب المراجع

1. — Bibliothèque Nationale du Caire, Catalogue de la Section Européenne.  
L'Egypte Moderne.
2. — Dany J. Sommaire des Archives Turques du Caire. Le Caire 1930.
3. — Maunier Bibliographie économique, juridique et sociale de l'Egypte  
moderne 1798 - 1916.

## ثانيا . المراجع العربية مرتبة أبجديا

- (1) About Edmond : Le Fellah. Souvenirs d'Egypte. Paris 1860.
- (2) Alhoury L. Comment s'est fait le Canal de Suez. Pages d'histoire contemporaine recueillies sur les documents de M. de Lesseps. Paris 1882.
- (3) André Kostolany : Suez, Le Roman d'une entreprise. Paris. 1839.
- (4) Borchère N. Le Désert de Suez, Cinq mois dans l'Isthme. Paris. 1883.
- (5) Bernald H. et Tissot H. : Itinéraire pour l'Isthme de Suez. Paris 1869.
- (6) Bertrand Alphonse et Ferrier Emile : Ferdinand de Lesseps. Sa vie. Son oeuvre. Paris 1887
- (7) Bertrand Emile : Nubar Pacha. 1825-1899. Notes et Impressions. Nancy 1904.
- (8) Blanchard Jerrold : Egypt under Ismail Pasha, being some chapters of contemporary History. London 1879.
- (9) Burde Paul : L'Isthme de Suez. Paris. 1870.
- (10) Bourdon : Le Miracle de l'eau. Histoire de l'eau douce dans l'Isthme de Suez.
- (11) Bressier Louis : L'Egypte de 1798 à 1900. Paris. 1901.
- (12) Cosmide Le Comte . Promenade dans l'Isthme de Suez. Paris. 1894
- (13) Charles Lamb Kennedy . The Gates of the East. Ten Chapters on the Isthmus of Suez Canal, London 1857.
- (14) Charles-Roux P. : Le coton en Egypte. Le Caire. 1908.
- (15) Charles-Roux P. : Histoire de la Nation Egyptienne, 8 vols. Paris. 1881, publié par Hanoutian Gabriel I. VI L'Egypte de 1801 à 1862, Mohamed Aly et sa Dynastie jusqu'à l'occupation anglaise.
- (16) Charles-Roux J. : L'Isthme et le Canal de Suez. Historique. Etat actuel 2 vols. Paris 1901.
- (17) Evelyn Auckland Sir : The Making of Modern Egypt. London. 1906.
- (18) Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez : Actes Constitutifs de la Compagnie Universelle du Canal de Suez. Paris. Imprimerie de l'Empereur 1866
- (19) — : Rapport du Canal de Suez. 11 février 1864, Discours du S.A. le Prince Napoléon, de M. Dupin et M. de Lesseps. Paris. 1864
- (20) — : Notice et Renseignements Généraux Paris. 1926.
- (21) — : Rapport de la Commission Scientifique Internationale. Paris. 1856.



- (22) ————— : Recueil chronologique et annoté des Actes Constitutifs de la Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez et des conventions conclues avec le Gouvernement Egyptien. Le Caire. Imprimerie Nationale. 1830.
- (23) Courbon Alfred. Observations Topographiques et Médicales recueillies dans un voyage à l'Isthme de Suez, sur le littoral de la Mer Rouge et en Abyssinie. Paris 1861.
- (24) Crabitte Pierre. Ismail The Malignant Khedive. London 1933.
- (25) ————— The Spoilation of Suez. Plymouth, 1940.
- (26) Crouchley A. E. The Economic Development of Modern Egypt. London. 1938.
- (27) David C. E. Souvenirs d'un voyage dans l'Isthme de Suez et au Caire. Paris. 1865.
- (28) De Lemps F. Association Polytechnique. Séance du 1er juin 1882. Conférence sur les Travaux du Canal de Suez et le sort des ouvriers en Egypte. Paris. 1882.
- (29) —————. Conférence à Nantes sur le Canal Maritime de Suez. (Cercle des Beaux Arts, le 8 décembre 1886) Paris 1887.
- (30) ————— Inquiry into the Opinions of the Commercial Classes of Great Britain on the Suez Canal. 1857.
- (31) ————— Lettres, Journal et Documents pour servir à l'histoire du Canal de Suez. 5 vols. Paris. (1876-1881).
- t. I (1854-1855-1856), Paris. 1875.
- t. II (1857-1858). Paris 1875.
- t. III (1859-1860). Paris 1877.
- t. IV (1861-1862-1863), Paris. 1879.
- t. V (1864-1865-1866-1867-1868-1869). Paris 1881.
- (32) ————— Origines du Canal de Suez. Paris. 1890.
- (33) ————— Percement de l'Isthme de Suez. Rapports et Documents Officiels. Paris 1855.
- (34) —————. Question sur le Canal de Suez. Paris. 1860.
- (35) ————— Souvenirs de 40 ans dédiés à mes enfants, 2 vols. Paris. 1887.
- (36) De Mokette Baron. Egypt, Native Rulers and Foreign Interference. 1862.
- (37) Dervieu Edouard. Ce que coûte à l'Egypte le Canal de Suez. Alexandria. 1871.
- (38) Desplaces Ernest. Le Canal de Suez. Episode de l'histoire du 19ème siècle. Deuxième édition. Paris. 1858.
- (39) De Testa. Recueil des traités de la Porte Ottomane avec les Puissances Etrangères. 10 vols. Paris. 1901.

- (40) Dicoy Edward : The Story of the Khedivate. London. 1892.
- (41) Douin George : Histoire du Règne du Khédive Ismaïl. 5 vols. t. I Les Premières Années du Règne. 1863-1867. Rome. 1933.
- (42) Edwin de Léon : The Khédive's Egypt. London. 1877.
- (43) Elgood : Egypt. London.
- (44) Erickson Chatrian : Souvenirs d'un ancien chef de chantier à l'Isthme de Suez. 5ème édition. Paris.
- (45) Eugene Gellion Dougler : Lettres sur l'Égypte Contemporaine. Paris. 1878.
- (46) Farman R. Elbert : Egypt and its Betrayal. An account of the country during the periods of Ismail and Tewfik. Past and how England acquired a new empire. New York. 1908.
- (47) Fitzgerald Percy : The Great Canal at Suez. Its Political, Engineering and Financial History. 2 vols. London. 1878.
- (48) Flachet : Société des Ingénieurs Civils. Procès-verbal de la séance du 7 octobre 1884. Présidence de M. Petiet. Communication faite par M. Flachet. Paris. 1884.
- (49) Fol M. W. : Notice sur l'état actuel des travaux de l'Isthme de Suez, lus à la classe dans la séance du 1er décembre 1882. Bulletin No. 79 de la classe d'industries et de commerce de la Société des Arts de Genève; avril 1883.
- (50) Fontane Marins : Le Canal Maritime de Suez. Dessiné. Paris. 1889. Première Partie : Histoire du Canal et des Travaux. Deuxième Partie : Itinéraire Pittoresque. Texte et dessins par Riou.
- (51) Gêlat Philippe Bey : Répertoire Général de la Législation et de l'Administration Egyptiennes (1840-1910) Alexandrie 1908-1911. 6 vols avec une table alphabétique analytique.
- (52) Guillemin A. : L'Égypte Actuelle. Son Agriculture et le personnel de l'Isthme de Suez. Paris. 1887.
- (53) Hallberg Charles : The Suez Canal, Its History and Diplomatic Importance. New-York. 1931.
- (54) Hamerton Hansworth : Universal History of the World. 18 vols., t. VII.
- (55) Hanotaux Gabriel : Histoire de la Nation Française. t. VIII. Histoire militaire et navale. 2ème volume. Du Directoire à la Guerre de 1914. par le Maréchal Franchet d'Espèrey. Paris. 1937.

- (56) Hervey Lagrand Dr. : Contribution à l'étude du problème de la défense de l'Egypte contre le Choléra. Alexandrie. 1909.
- (57) Hoskins Halford Lancaster British Routes to India. New York. 1928
- (58) Huascin Huzai : Le Canal de Suez et la Politique Egyptienne. Montpellier. 1923.
- (59) Ibrahim Nasser Seif-el-Doust : England's Opposition to the Suez Canal Project. Liverpool. 1934.
- (60) Jean d'Elbén Un Conquistador de Génie, Ferdinand de Lesseps. Paris. 1938.
- (61) Lavalley Alexandre : Extrait du compte rendu des Travaux de la Société des Ingénieurs Civils. Séances des 7 et 21 septembre 1866. Communication faite par M. Alexandre Lavalley (Entreprise Borel-Lavalley et Cie.) sur les travaux d'entretien du Canal Maritime de l'Isthme de Suez Paris. 1866.
- (62) Lebon Gustave : La Civilisation des Arabes. Paris. 1882.
- (63) Linant de Bellefonds Bey . Mémoires sur les principaux travaux d'utilité publique exécutés en Egypte depuis la plus haute antiquité jusqu'à nos jours. Paris. 1872-1873.
- (64) Lucovich Antoine : La Société Agricole et Industrielle. Paris 1885.
- (65) Martens Amédée : Le Canal de Suez. Sa Construction. Son Exploitation. Paris. 1868.
- (66) Massey Jean : L'œuvre géographique de Linant de Bellefonds, Le Caire. 1907.
- (67) Mc Conn : Egypt as it is. London 1877.
- (68) Mengin Felix : Histoire de l'Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Aly ou Récit des Evénements Politiques et Militaires qui ont eu lieu depuis le départ des Français jusqu'en 1823. 2 vols. Paris. 1823.
- (69) Mervau Paul : L'Egypte Contemporaine de Méhémet-Ali à Seld Pach. Nouvelle édition augmentée d'une étude sur l'Isthme de Suez par Ferdinand de Lesseps. Paris. Librairie Académique. 1904.
- (70) Micard Etienne : Le Canal de Suez et le Génie Français. Paris. Editions Pierre Roger.
- (71) Miller William : The Ottoman Empire and its Successors (1801-1927) . Cambridge. 1927.
- (72) Morellet, Breton et Cattin . La vérité Actuelle sur le Canal de Suez. Excursion dans l'Isthme. L'Etat des Travaux. Leur Achèvement. Paris. 1868.
- (73) Percy Hadger : A Visit to the Isthmus of Suez Canal Works. London 1892.

- (74) Poinjoulat Baptistin . *La Vérité sur la Syrie et l'Expédition Française*. Paris 1861
- (75) Rasseignal L. M. . *Le Canal de Suez. Etude Historique, Juridique et Politique*. Paris. 1898.
- (76) Rifaat M. . *The Awakening of Modern Egypt* First Edition. Bristol 1947.
- (77) Ritt Olivier . *Histoire de l'Isthme de Suez*. Paris. 1869
- (78) Roger - Widal - Teissier Drs. . *Nouveau Traité de Médecine*. Paris. 1927. t. III. *Maladies Infectieuses*.
- (79) Sabry M. . *La Genèse de l'Esprit National Egyptien 1863-1882*.
- (80) ————— ; *L'Empire Egyptien sous Ismaïl et L'Ingérence Anglo-Française. (1863-1879)* Paris. 1933
- (81) Sacré Amédée et Louis Oustrébon ; *L'Egypte et Ismaïl Pacha*. Paris. 1868.
- (82) Sammarco Angelo . *Histoire de l'Egypte Moderne depuis Mohamed Ali jusqu'à l'Occupation Britannique (1801-1882)*. La Caire 1937 t. III. *Le Règne du Khédive Ismaïl de 1863 à 1875*.
- (83) ————— . *La Verità sulla Questione del Canale di Suez*. Roma. 1939.
- (84) ————— : *Précis de l'histoire d'Egypte par divers historiens et archéologues*. t. IV *Les Règnes de Abbas, de Saïd et d'Ismaïl (1848. 1878)* avec un aperçu de l'histoire du Canal de Suez. Rome. 1935.
- (85) Siegfried André . *Suez and Panama*. Translated from the French by H. H. Munro and Doris Hemming. Oxford. 1940.
- (86) Silvestre Henri . *L'Isthme de Suez. (1854-1869)* avec une carte et pièces justificatives. Paris. 1869.
- (87) Stoecklin A. ; *Notice sur la construction du Bassin de Radoub du Suez*. Bordeaux. 1867
- (88) Van Bem Vulen . *L'Egypte et l'Europe par un ancien juge trinité. Juge Hollandais aux Tribunaux Mixtes de 1875 - 1880*. 2 vols. Londer. 1884 .
- (89) Vonin Bey . *Le Canal de Suez*.  
t. I Paris. 1902. *Historique, Administratif et Actes Constitutifs de la Compagnie*. —  
*Période des Etudes et de la Construction 1854-1869*.  
t. II Paris. 1902. *Période de l'Exploitation de 1870 à 1882*.  
t. III Paris. 1902. *Période de l'Exploitation de 1883 à 1902*.  
t. IV. Paris. 1904. *Projets, Dispositions adoptées en exécution*,  
t. V. Paris. 1904. *Exécution des Travaux*.  
t. VI. Paris. 1906. *Description des Travaux de Premier Etablissement*.  
t. VII. Paris. 1908. *Exécution des Travaux*
- (90) Wiener L. . *L'Egypte et ses chemins de fer*. Bruxelles. 1932.
- (91) Wilson Arnold . *The Suez Canal. Its Past, Present and Future*. First Edition. London 1938.

## رأيا : تقارير

- (1) Rapports aux Assemblées Générales de la Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez.

وهي التقارير التي ألفها دى ليسياس باسم مجلس إدارة شركة القناة في اجتماعات الجمعية العمومية لحملة الأسهم بتاريخ ١٥ مايو ١٨٦٠ و ١٥ مايو ١٨٦١ وأول مايو ١٨٦٢ و ١٥ يوليو ١٨٦٣ وأول مارس ١٨٦٤ و ٦ أغسطس ١٨٦٤ و ١٥ أكتوبر ١٨٦٥ وأول أغسطس ١٨٦٦ .

- (2) Roche Aubert Dr. Rapports sur l'Etat Sanitaire et Médical des Travailleurs et des Etablissements du Canal Maritime de l'Isthme de Suez.

وهي التقارير التي كان يضعها روش كبير أطباء شركة القناة عن الحالة الصحية بين العمال في ساحات الحفر طوال سبب سنة السويس. وأول تقرير وضعه كان بتاريخ ٢٥ يونيو ١٨٦٠ ثم وضع تقريراً ثانياً في ١٠ نوفمبر ١٨٦٠ وتقريراً ثالثاً في ١٨ أبريل ١٨٦١ . ثم استنتت الشركة تقليداً جديداً هو وضع تقرير سنوي واحد .

ولكن كبير أطباء الشركة كان يضع تقريراً خاصاً أو تقريرين خاصين أو أكثر في الحالات التي انتشرت فيها الأوبئة بين العمال في ساحات الحفر وذلك بالإضافة إلى التقارير السنوية العادية . وقد صلت تلك التقارير الخاصة في حالات التيفوس والكوليرا وغيرها .

(٣) تقرير الطبيب بوجوا Bougonis بتاريخ ١٥ مارس ١٨٦٢ موجه إلى كبير أطباء شركة القناة . ويقع هذا التقرير في أربعة فصول ضافية . وقد أشرف هذا الطبيب على الحالة الصحية بين ٥٥,٠٤٣ رجلاً من عمال البحيرة حفروا ترعة الماء المذب من قرية القصاصين في مديرية الشرقية إلى نقيشة على مقربة من بحيرة التماسيح . وذلك في المدة من ١٩ أبريل ١٨٦١ إلى ٢٣ يناير ١٨٦٢ .

- (4) Rapport adressé, le 2 février 1863, au Gouvernement Egyptien sur les Travaux du Canal de Suez par John Hawkshaw, Président de la Société des Ingénieurs Civils de Londres.

وقد تعرض واضح التقرير لحياة عمال السخرة في ساحات الحفر والوسائل البدائية في ترويضهم بجاء الشرب إلى غير ذلك من المشكلات .

- (5) Report on the Financial Condition of Egypt, 23 March, 1878, by Cave.

وقد تناول هذا التقرير مشكلة نقص الأيدي العاملة الزراعية في مصر في مستهل حكم اسماعيل وكيف اتجهت النية وقتئذ إلى إيفاد مندوبين عن مصر إلى الصين بتولون تنظيم هجرة أفواج من العمال الصينيين إلى مصر لاستخدامهم في الأغراض الزراعية .

### خامساً: مذكرات

- (1) Note Explicative sur le travail et le salaire des ouvriers égyptiens requis pour la Compagnie du Canal de Suez.

Renseignements transmis par Ismaïl Hamdi Bey, proposé par le Gouvernement Egyptien à la direction des ouvriers indigènes dans l'Italie, Septembre 1869

- (2) Note Consultative pour Son Altesse Ismaïl Pacha Vice-Roi d'Egypte, délibérée par Mmes. Odilon Barrot, Dulaure et Jules Favre, en date du 30 novembre 1863.

- (3) Note à consulter, délibérée et votée par le Conseil d'Administration de la Compagnie Universelle du Canal de Suez, dans sa séance du 14 mars 1864 pour Messieurs les Membres de la Commission nommée par l'Empereur à l'effet de donner un avis à Sa Majesté sur les Questions Pendantes entre le Gouvernement Egyptien et la Compagnie du Canal de Suez.

- (4) Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez - Mémoire à consulter sur la Consultation de Mmes. Odilon Barrot, Dulaure et Jules Favre, en date du 30 novembre 1863.

### سادساً - وثائق رسمية مطبوعة

1. Affaires Etrangères, Documents Diplomatiques, 1864, Imprimerie Nationale, Paris 1865.

وقد نشر في هذا المجلد حكم الإمبراطور نابليون الثالث الصادر بتاريخ ٦ يوليو ١٨٦١ بإلغاء السخرة في حفر القناة . ص ١٢١ - ١٢٨ .

2. *Affaires Étrangères. Documents Diplomatiques. 1867. Imprimerie Nationale, Paris. 1867.*

وقد نشر في هذا المجلد اتفاق ٢٢ فبراير ١٨٦٦ بين الحكومة المصرية وشركة القناة بشأن إلغاء السخرة في حفر القناة ومسائل أخرى ص ٢٣٦ - ٢٤٥

3. *Affaires Étrangères. Documents Diplomatiques. 1860. Imprimerie Nationale. Paris. 1861.*

وقد نشرت في هذا المجلد خطابات تبدأ بتاريخ ٥ يوليو ١٨٦٠ إلى ١٨ يناير ١٨٦١ خاصة بالمنابع الدينية بين اللوز والموارنة في لبنان ص ١٩٣ - ٢١٩ ( انظر مقالة الفصل الخامس في هذا البحث ) .

والمراجع الثلاثة السابقة محفوظة في مكتبة ودولة الخارجية المصرية بالقاهرة

4. *Parliamentary Papers Presented to both Houses of Parliament by Command of Her Majesty. London 1878. Egypt No. 6 (1878) pp. 1-47.*

وفي هذا الجزء صورة رسمية لتفكيك الامتياز الأول والثاني وقانون الشركة الأساسي ولائحة المال والاتفاق المالي الأول تاريخ أغسطس ١٨٦٠ والاتفاقات المبرمة بين الحكومة المصرية وشركة القناة في ١٨ و ٢٠ مارس ١٨٦٣ و ٣٠ يناير ١٨٦٦ و ٢٢ فبراير ١٨٦٦ واتصال ٢٣ أبريل ١٨٦٩ .

وتوجد المجموعة الكاملة لهذه الأوراق الرسمية في مكتبة بلدية الاسكندرية تحت رقم B. 194

5. *State Papers vol. 55. pp. 970-1004. vol. 56. pp. 274-293.*

وهي محفوظة في القسم الأوربي بمكتبة بلدية الاسكندرية .

مابما : ملف من قناة السويس

يوجد ملف خاص بقناة السويس ومحفوظ بملف الكتب المصرية بالقاهرة

تحت رقم ٦٥٩ Tr. Publ. باسم

Dossier contenant une collection de brochures, d'articles, de revues et journaux sur l'Isthme et le Canal de Suez.

وهذا الملف يحوى الآتى :

- (١) مقالين في عدد من جريدة Le Siècle عن تاريخ القناة
- (2) Histoire du Canal de Suez par Ferdinand de Lesseps.
- (3) Extrait de l'Echo des lectures et conférences. Paris. 1870.
- (4) Histoire de l'Isthme de Suez par Félix Darège.
- (5) Histoire de l'Isthme de Suez (suite) par Félix Darège.
- (6) L'Isthme de Suez par Nouet.
- (٧) كاتالوج من معروضات الشركة في معرض باريس العالمى سنة ١٨٦٧.
- (8) Le Percement de l'Isthme de Suez. Exposé. -- M. de Lesseps. Résumé Historique. Paris. 1869.
- (9) Lectures et Conférences de la Société des Gens de Lettres. (Séance du 10 avril 1870).

### ثامنا : المحاضر الرسمية

جلسات مجلس العموم البريطانى  
والى أثر فيها موضوع تسخير للشعب المصرى فى حمر القنساء

Hansard's Parliamentary Debates .

- (١) جلسة ٢١ يونيو ١٨٦١ الجزء ١٦٣ ص ١٤٥٨ - ١٤٥٩
- (٢) جلسة ٢٥ يونيو ١٨٦١ الجزء ١٦٣ ص ١٥٦٢
- (٣) جلسة ٢٣ يوليو ١٨٦١ الجزء ١٦٤ ص ١٣٧٨
- (٤) جلسة أول أغسطس ١٨٦١ الجزء ١٦٤ ص من ١٨٢٢ - ١٨٢٣
- (٥) جلسة ١٦ مايو ١٨٦٢ الجزء ١٦٦ ص من ١٨٢١ - ١٨٢٥
- ١٨٢٧ - ١٨٣٧ :
- (٦) جلسة ٢٢ مايو ١٨٦٢ الجزء ١٦٦ ص ٢٠٢٢
- (٧) جلسة أول أغسطس ١٨٦٢ الجزء ١٦٨ ص من ١١٤٧ - ١١٤٩
- (٨) جلسة ١٥ مايو ١٨٦٣ الجزء ١٧٠ ص ١٧٧٠



- (٩) جلسة ١٢ يونيو ١٨٦٣ الجزء ١٧١ من ٨٠٤  
 (١٠) جلسة ٢٨ يوليو ١٨٦٣ الجزء ١٧٢ من ١٤٩٨  
 (١١) جلسة ١٨ مارس ١٨٦٤ الجزء ١٧٤ من ٣٠٢  
 (١٢) جلسة ١٢ أبريل ١٨٦٤ الجزء ١٧٤ من ٨٧٠  
 (١٣) جلسة ٣ مارس ١٨٦٥ الجزء ١٧٧ من ١٠٤٤  
 (١٤) جلسة ١٦ مارس ١٨٦٥ الجزء ١٧٧ من ١٧٥٩ - ١٧٦٠  
 (١٥) جلسة ١٣ مارس ١٨٦٦ الجزء ١٨٢ من ١٣٥

### تاسماً : دوريات

أولاً : جريدة شركة القناة

صدر العدد الأول منها في يوم الأربعاء ٢٥ يونيو ١٨٥٦ وكانت أول الأمر نصف أسبوعية ثم أصبحت تصدر ثلاث مرات في الشهر وقد ظهرت تحت أسماء مختلفة .

(١) من سنة ١٨٥٦ إلى سنة ١٨٦٩ كان اسمها

L'Isthme de Suez. Journal de l'Union des Deux Mers.

(٢) من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٧١ كان اسمها

Le Canal de Suez. Journal Maritime et Commercial.

(٣) من سنة ١٨٧٢ إلى سنة ١٨٩٣ كان اسمها

Le Canal de Suez. Bulletin de la Compagnie Universelle du Canal Maritime de Suez.

La Revue des Deux Mondes.

Tome XVI. Paris. 1876.

ثانياً :

ثالثاً : مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية . ( باللغة الفرنسية ) .

العدد رقم ٧ شهر فبراير ١٨٨٠

العدد رقم ٨ شهر مايو ١٨٨٠

العدد رقم ٩ شهر أغسطس ١٨٨٠

العدد رقم ١٠ شهر نوفمبر ١٨٨٠

رابعاً : مجلة سكك الحديد الحكومة المصرية ( باللغة الإنجليزية ) .

## عاشرا : الصادر المصرية

- ١ - المسألة المصرية : وضع هذا الكتاب باللغة الإنجليزية تيودور روثستين Rothstein نحت اسم Egypt's Ruin «حرب مصر» وترجمة الأستاذان عبد الحميد العبادي ومحمد بلران وقد آثرا أن يقبل هذا العنوان عنوانا آخر أخف على السمع وأقرب للمنى فاختارا : المسألة المصرية .  
الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٣٦
- ٢ - اسماحيل سرهك : حقائق الأخبار عن دول البحار جزءان . المطبعة الأميرية بالقاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣١٤ هـ
- ٣ - أمين سامى : تقويم النيل . الجزء الثالث . المجلد الأول .
- ٤ - دكتور عبد العزيز محمد الشاوى : السخرة فى مصر قناة السويس  
حبر اسماحيل . ١٩٥٢ .
- ٥ - على مبارك : تخطيط لتوفيقية الجزء الثامن عشر .
- ٦ - منسى القمصى الشماس : تاريخ الكنيسة القبطية . القاهرة ١٩٢٤

## حادى عشر : تقويم

- لواء محمد غنار : التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ المجرية بالسنين  
الإفرنجية والقبطية . المطبعة الأميرية . بالقاهرة ١٣١١ هـ .

## صدر في هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ، د. محمد الشليم ومستان، ط ١، ١٩٨٧، ٢٤٠، ١٩٩٤.
- ٢ - علي عاشر، رشيد مسعود جاب الله، ١٩٨٧.
- ٣ - ثورة يراير والطبعة العامة، سيد سلام سيد الطيم حاس، ١٩٨٧.
- ٤ - الأفكار الفكرية في مصر المعاصرة، د. محمد جمال جلال، ١٩٨٧.
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية إلى العصور القديمة، د. حليم سيد السبع للجزيون، ١٩٨٧.
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر جدا، اسمي سامي، ١٩٨٧.
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي، د. سيد السبع ملحد، ١٩٨٧.
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية، د. حليم بركات، ١٩٨٧.
- ٩ - صفحات ملوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل، د. محمد أمين، ١٩٨٧.
- ١٠ - توافيق ديانة طحمة الصحافة الحربية، محمد فوزي، ١٩٨٧.
- ١١ - مجلة شخصية مصرية وشخصية، ذكرى القاصي، ١٩٨٧.
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير، د. نبيل راضى، ١٩٨٨.
- ١٣ - أكتوية الاستعمار المصري للسودان، رؤية تاريخية، د. محمد سليم ومستان، ط ١، ١٩٨٨، ٢٤٠، ١٩٩٤.
- ١٤ - مصر في عصر الولاة، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الفولانية، د. محمد يسلمى كلف، ١٩٨٨.
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامى، د. حليم حليم، ١٩٨٨.
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر: دراسة من سيد الهمزة الفورية (١٨٩٢-١٩٥٩)، د. حليم سيد قاسم، ١٩٨٨.
- ١٧ - القضاء التركي في مصر في العصر العثماني، د. محمد نور أرملت، ١٩٨٨.
- ١٨ - للجواري في مجمع القاهرة المملوكية، د. حليم السيد مسعود، ١٩٨٨.
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين، د. أحمد مسعود سايون، ١٩٨٨.
- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩: الدراسات المصرية بين سيد زطون وهادي حسن فهمي، د. محمد أمين، ط ٢، ١٩٨٨.
- ٢١ - للتصوف في مصر إبان العصر العثماني، د. فؤاد طويح، ١٩٨٨.

٢٢ - نظرات في تاريخ مصر

جمال بدوي، ١٩٨٨

٢٣ - التصوف في عصر إمام العصر العثماني

جاءه ، إمام التصوف في عصر: القسرازي،

د. توفيق الطويل، ١٩٨٨

٢٤ - الصحافة الوطنية والخصايا الوطنية

(١٩١٥-١٩٣٦)،

د. نجوى كامل، ١٩٨٩

٢٥ - المجتمع الإسلامي والغرب،

تأليف: هاديون جاب وهارود برون،

ر. ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى،

١٩٨٩

٢٦ - تاريخ الفكر القروي في عصر الدولة،

د. محمد إسماعيل علي، ١٩٨٩

٢٧ - فتح العرب لمصر جـ ١،

تأليف: ألفريد ج. بتر، ترجمة: محمد فريد

أبر حنيد، ١٩٨٩

٢٨ - فتح العرب لمصر جـ ٢،

تأليف: ألفريد ج. بتر، ترجمة: محمد فريد

أبر حنيد، ١٩٨٩

٢٩ - مصر في عهد الإخشيديين،

د. سيدة إسماعيل كاتيف، ١٩٨٩

٣٠ - التوفيق في مصر في عهد محمد علي،

د. علي أحمد علي، ١٩٨٠

٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية،

شكري التلسي، ١٩٨٩

٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ ١،

عيسى شليبي، ١٩٨٩

٣٣ - مصر وخصايا الجنوب الأفريقي: نظرة على

الأوضاع الراهلة ودولية مستقبلية،

د. خالد محمود الكومي، ١٩٨٦

٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ

مطلع العصر الدولة حتى عام ١٩١٢،

د. يونس لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠

٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،

عبدالمعطي توفيق ربي، ١٩٩٠

٣٦ - المجتمع الإسلامي والغرب، جـ ٢،

تأليف: هاديون برون، ترجمة: د. أحمد

عبد الرحيم مصطفى، ١٩٩٠

٣٧ - الكونغ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ

الحركة الوطنية في ربع قرن،

تأليف: د. شوقي صالح، ١٩٩٠

٣٨ - قصور من تاريخ مصر الاقتصادي

والاجتماعي في العصر العثماني،

د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠

٣٩ - قصة إسماعيل محمد علي المنولان

(١٨٢٧-١٨٧٤)،

د. جميل حيد، ١٩٩٠

٤٠ - السلطة الفسدة وديورا في حرب فلسطين

١٩٤٨

د. عبدالمعطي شوقي الجبلي، ١٩٩٠

٤١ - محمد فريد: (الموقف) وأساسه: رؤية

عصرية،

د. رفعت السيد، ١٩٩١

٤٢ - تكوين مصر عبر المصور،

محمد فخري خريال، ١٩٩٠، ٧٤

٤٣ - خطة في عقل مصرية،

إبراهيم حداد، ١٩٩٠

٤٤ - الأوقات والحياة الاقتصادية في مصر، في

العصر العثماني،

د. محمد عطية، ١٩٩١

٤٥ - الحرب الصليبية جـ ١،

تأليف: ولدم كسروي، ترجمة وتقديم: د. نصر

جيشي، ١٩٩١

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية

(١٩٣٩-١٩٥٧)،

ترجمة: د. عبد الرزاق أحمد محمود،

١٩٩١

- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث،  
د. لحيلة محمد سالم، ١٩٩١.
- ٤٨ - الإصلاح المصري بين العصر الملكي  
والعصر الإسلامي،  
د. زينة صفا، ١٩٩١.
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية  
(١٩٤٨-١٩٧٤)،  
د. عبد الستار رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية  
(١٩٩٩-١٩٥٤)،  
د. سوبر إسكندر، ١٩٩٣.
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،  
(البحوث القديمة التي أقامتها لجنة التاريخ والأثر  
بالمجلس الأعلى للثقافة، في أبريل ١٩٩١)،  
أحمدًا للقرى، د. عبد الستار رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والمفكرين  
الفرانجهيين في القرن الثامن عشر،  
د. إلهام محمد علي ذهني، ١٩٩٢.
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة  
المانوك (البراقصة)،  
د. محمد كمال الدين حزقيا، ١٩٩٢.
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر النسطوري،  
د. محمد حفيظ، ١٩٩٢.
- ٥٥ - العرب المصيرية - ٧،  
تأليف: وإيم السورى عرجة وتعليق: د.  
حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي،  
دراسة عن إقليم المنيا،  
د. حسي أحمد شفي، ١٩٩٢.
- ٥٧ - عصر الإسلام وأهل الذمة،  
د. مودة إسماعيل كفاف، ١٩٩٢.
- ٥٨ - أحمد طهين سجين الحرية والصحافة،  
د. إبراهيم عبد الله السلي، ١٩٩٣.
- ٥٩ - الرأسمالية للصلاحيات في مصر، من  
التصوير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،  
د. عبد السلام عبد السلام حاتم، ١٩٩٣.
- ٦٠ - المصارعون من رواد الموسيقى العربية،  
عبد القدير لطفى ركن، ١٩٩٣.
- ٦١ - تاريخ الاستكشافية في العصر الحديث،  
د. عبد الستار رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر - ٢،  
فنى السليم، ١٩٩٣.
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ  
مصر الإعلامية،  
تأليف: د. مودة إسماعيل كفاف، جمال الدين  
مروى، وسعيد عبد الفتاح طاهر، أحمدًا للقرى،  
د. عبد الستار رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٤ - مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة  
والافتراء: دراسة وثائقية،  
د. محمد سامي جلال، ١٩٩٢.
- ٦٥ - مواقف الصحافة المصرية من الصهيونية  
(١٨٩٧-١٩١٧)،  
د. سهام لاسر، ١٩٩٣.
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي،  
د. فريمن عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.
- ٦٧ - مصاهي الإسلام العربية الإسلامية:  
الأصول التاريخية،  
(البحوث القديمة التي أقامتها لجنة التاريخ والأثر  
بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشراف: مع قسم  
التاريخ بكلية الدراسات، جلسة حين شعور، في  
أبريل ١٩٩٣)، أحمدًا للقرى، د. عبد الستار  
رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٨ - العرب المصيرية - ٣،  
تأليف: وإيم السورى  
لجنة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٣.
- ٦٩ - لثوية موسى وأثرها في الحياة المصرية  
(١٨٩٩-١٩٥١)،  
د. محمد نور الإسلام، ١٩٩٤.

٨٢ - مصر في فجر الإسلام، من الطبع العربي إلى قيام الدولة المملوكية،

د. ميعة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ج ١،

أحمد شوقي باشا، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ - القسم الأول،

أحمد شوقي باشا، ط ٢، ١٩٩٥.

٨٥ - تاريخ الإنقاذ المصرية: دراسة تاريخية (١٩٢١ - ١٩٥٢)،

د. حسني أحمد شافعي، ١٩٩٥.

٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤١ - ١٩١٤)،

د. أحمد الخديوي، ١٩٩٥.

٨٧ - مذكرات الثورة الكبرى، ج ٢، (١٩٢١ - ١٩٤٦)،

إعداد: توفيق إيمان، ترجمة مصطفى ز. د. عبدالرفيع أحمد حمرو، ١٩٩٥.

٨٨ - التدقيق الموسمي وتاريخ المومم في المصرية،

عبدالمسيح توفيق زكي، ١٩٩٥.

٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني،

د. جيلسميد حامد سليمان، ١٩٩٥.

٩٠ - مساهمة فخر المسلمين في الدولة الإسلامية،

د. فريدان جيلكرم أحمد، ١٩٩٦.

٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،

تأليف: بيتر ماكفوك، ترجمة: جيلسميد غومي الجبال، ١٩٩٦.

٩٢ - الصحافة الوطنية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)،

ج ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ - أهل الأمة في الإسلام،

تأليف: أ. س. توفيق

نوجمة وتوفيق، د. حسن حنفي، ط ٢، ١٩٩٤.

٩٤ - مذكرات الثورة الكبرى (١٩٣٤ - ١٩٤٤)،

إعداد: توفيق إيمان، ترجمة: د. عبد توفيق أحمد حمرو، ١٩٩٤.

٩٥ - رؤية الرحلة المسلمين للحال المالية والاقتصادية في العصر الفاطمي (١٠٦٧ - ١٠٩٨)،

د. أمية أحمد إمام، ١٩٩٤.

٩٦ - تاريخ جامعة القاهرة،

د. توفيق عباس حماد، ١٩٩٤.

٩٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج ١، في عصر الفراعنة،

د. م. م. حنفي الجبل، ١٩٩٤.

٩٨ - أهل الأمة في مصر، في العصر الفاطمي الأول،

د. م. م. حنفي الجبل، ١٩٩٥.

٩٩ - دور التعليم المصري في الفضل الوطني (من الاحتلال البريطاني)،

د. سيد إسماعيل حنفي، ١٩٩٥.

١٠٠ - الحروب المملوكية، ج ١،

تأليف: توفيق المصري، ترجمة وتوفيق د. حسن حنفي، ١٩٩٤.

١٠١ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩)،

صفت أحمد صمان، ١٩٩٥.

١٠٢ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر، في القرن التاسع عشر،

تأليف: فريد دي بروج، ترجمة: محمد محمود لومي الجبال، ١٩٩٥.

١٠٣ - كتاب السجوس والتفليس الاستعماري الأولي (١٨٨٧ - ١٩٠٤)،

د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.

١٠٤ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من أزمة يونيو إلى نصر أكتوبر،

د. - وحزى ميخائيل، ١٩٩٥.

٩٢ - قضايا عربية في البرلمان المصري  
(١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،  
د. توفيق يوسف عبده ، ١٩٩٦ .

٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية  
(١٩١٦ - ١٩٥٤) ،  
د. سمير إسكندر ، ١٩٩٦ .

٩٥ - مصر والوثائق الجذور التاريخية لشكالات  
الأفريقية المعاصرة (أعمال لدراسة لجنة للتاريخ  
والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة والاعتراف مع  
مجمع البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة  
القاهرة) ،

إعداد: د. عبد العظيم رمضان  
٩٦ - عهد الناصر والحرب المصرية الباردة  
(١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،  
تأليف: الدكتور كين فرجة د. عبد الغزوف أحمد  
حمرو .

٩٧ - المصريين وغيرهم في المجتمع المصري  
في النصف الأول من القرن التاسع عشر  
د. إيمان محمد عبد المنعم حمرو .  
٩٨ - فوكل والميافة الأسبوعية ،  
د. مسعود محمد .

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية  
(العصر اليوناني - الروماني) ج ١ ،  
د. سمير يحيى جمال .

١٠٠ - عويدة تاريخ مصر عبر العصور  
تاريخ مصر من العصور القديمة  
أ. د. عبد العزيز صالح ، د. جمال مصطفى  
أ. د. محمد إبراهيم وكى أ. د. إبراهيم تسمي  
أ. د. طارق القمامي ، أ. د. أحمد  
عبد العظيم رمضان

١٠١ - ثورة ياقوت والحكومة الخافية ،  
الواد/ مصطفى عبدالمجيد منصور ، الواد/  
عبدالمجيد كنانى ،  
الواد/ د. عبدالمجيد كنانى ، الواد/ جمال منصور

١٠٢ - النظم الجديدة الاحتلال البريطاني في  
مصر ١٨٨٩ - ١٩٢٢

د. فريد أبو حرجة  
١٠٣ - رؤية الجوراني لبعض قضايا عصره  
د. علي بكسات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر  
(١٩١٤ - ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الجواد  
١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية  
الدوموقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧ .  
د. أحمد النور عبد المنعم

١٠٦ - الفوضى على يوسف وجريدة المؤيد  
(تاريخ الحركة الوطنية في ربيع القرن) .  
د. فليسان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية  
تأليف: فليسان جزيرة فرجما ، عبدالمجيد موسى  
المنيل .

١٠٨ - مصر للمصريين ج ١  
مليم لفتنيل

١٠٩ - مصر للمصريين ج ٢  
مليم لفتنيل

١١٠ - مصالحة الأملاك في الدولة الإسلامية  
(عصر سلاطين المماليك) ج ١ ،  
د. البيرس إسحاق الشرايبي .

١١١ - مصالحة الأملاك في الدولة الإسلامية  
(عصر سلاطين المماليك) ج ٢ ،  
د. البيرس إسحاق الشرايبي .

١١٢ - إسحاق باشا صتيلى  
د. محمد محمد البرلاوى .

١١٣ - الوزير باشا ونوره في السودان (في  
عصر النظم المصري)  
د. حر الدين إسحاق .

١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي  
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ - مذاقاني في نصف قرن ج ٣ .

أحمد شوقي باشا ،

١١٦ - أدب إسحق (عاشق الحرة)

علاء الدين وسيد

١١٧ - تاريخ القضاء في مصر القديمة

(١٥٩٧ - ١٧٩٨)

عبد الرزاق إبراهيم عيسى

١١٨ - النظم المالية في مصر وقكام

د. البهزي سمعان كثريل

١١٩ - النقابات في مصر التاريخية

جعني محمد أحمد يوسف

١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري القديم

أليس جرجس

١٢١ - الجلاء يوسف وأدى النيل (١٩٥٥ - ١٩٥٥)

د. محمد عبد السيد العنوي

١٢٢ - مصر للمصريين ج١

سليم حليم كفتش

١٢٣ - السيد أحمد الندي

د. سيد عبد الفتاح حاشور

١٢٤ - الملائكة المصرية الباكستانية في

نصف قرن

د. محمد حسن جلال

١٢٥ - مصر للمصريين ج٢

سليم حليم كفتش

١٢٦ - مصر للمصريين ج٣

سليم حليم كفتش

١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٥٣ -

١٩٥٨)

يوزيف محمد محمد إبراهيم

١٢٨ - مزارع صفوة

يوسف جمال بدوي

١٢٩ - الدين الحام وأثره في تطور الدين المصري

(١٨٧٩ - ١٩٥٣)

د. وهبي محمد محمود

١٣٠ - تاريخ القضاة في مصر

(١٩٩٧ - ١٩٩٧)

ميدو فريد

١٣١ - الولايات المتحدة والولايات المتحدة

ترجمة / د. عبد الحليم أحمد عيسى

١٣٢ - تاريخ الطب في مصر ج١

د. ماجدة محمد حمود

١٣٣ - تاريخ الطب في مصر ج٢

د. ماجدة محمد حمود

١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط

عبد الحليم كفتش

يوسف جمال بدوي

ترجمة / جمال محمد عبد الحليم

١٣٥ - اليهود في مصر المملوكة

أبي جود وافي الجيرة

(١٩٥٨ - ١٩٦٣ / ١٩٥٨ - ١٩٦٣) د. مصطفى

محمد فريد

١٣٦ - أوراق يوسف صديق

تقديم / د. عبد الحليم رمضان

١٣٧ - تاريخ السيل في مصر في العصر المملوكي

د. محمد عبد الحليم الأشر

١٣٨ - الإخوان المسلمون رجس المظفر الدين

والإمام في مصر

السيد يوسف

١٣٩ - موسوعة أبناء المصري في القرن العشرين

يوسف محمد فريد

١٤٠ - حياة مصر في البحر الأحمر في نصف القرن

من القرن التاسع عشر ١٩٢٩ - ١٩٦٥

١٨١١ - ١٨٤٨ م

طارق عبد الحليم خديم يوسف

١٤١ - وسائل الترفيه في عصر ملاحية المراكب

أحمد أحمد توفيق

١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ج٢

أحمد شوقي باشا ١٩٩٩ - ١٩٩٩



- ١١٣ - دبلوماسيّة الخِلافة في القرنين الثاني والأول ق م  
د. حناوة محمد الهيمشري
- ١١٤ - كشوف مصر الأثرية في عهد الخديوي  
إسماعيل  
د. عبدالمطلب خلاف
- ١١٥ - التّقام الأمازيغي واقتصاده في مصر في عهد  
فؤاد الثاني (١٨٨١ - ١٩٠٥ م)  
د. مفرقة محمد الهيمشري
- ١١٦ - أثره في مصر للملكية  
د. أحمد عبدقارن
- ١١٧ - حسن الباشا .. كيف .. ولماذا؟  
د. رفعت السيد
- ١١٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة  
الاسكندرية  
تأليف / د. مغير فوزي  
ترجمة / نسيم حجازي
- ١١٩ - العلاقات المصرية الأجنبية  
في القرنين الثامن عشر  
حسام محمد عبدالمطلب
- ١٢٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصواتها وتطورها)  
د. مغير يحيى الجبال
- ١٢١ - جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة  
السيد يوسف
- ١٢٢ - الممالك المصرية في الكثرة المملوكية  
(١٢٤٨ - ١٢٧٣ هـ / ١٧٥٠ - ١٥١٧ م)  
د. ماضي محمد الوتاد
- ١٢٣ - تطوّر العملية التّلفعات السياسية  
د. حلة عبدالمصوح الجندري
- ١٢٤ - هجمات الزعم البحرية على شواطئ مصر  
الإسلامية في العهد العثماني  
د. حلة عبدالمصوح الجندري
- ١٢٥ - عصر محمد علي وأبعده مصر في القرن التاسع  
عشر  
(١٨٠٥ - ١٨٨٣ م)  
د. عبدالمصود البازي

- ١٢٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث
- ١٢٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع
- ١٢٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس
- ١٢٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس
- ١٣٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع
- ١٣١ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثامن
- ١٣٢ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح التاسع
- ١٣٣ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح العاشر
- ١٣٤ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الحادي عشر
- ١٣٥ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثاني عشر
- ١٣٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث عشر
- ١٣٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع عشر
- ١٣٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس عشر
- ١٣٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس عشر
- ١٤٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع عشر
- ١٤١ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثامن عشر
- ١٤٢ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح التاسع عشر
- ١٤٣ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح العشرون
- ١٤٤ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الحادي والعشرون
- ١٤٥ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثاني والعشرون
- ١٤٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث والعشرون
- ١٤٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع والعشرون
- ١٤٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس والعشرون
- ١٤٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس والعشرون
- ١٥٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع والعشرون
- ١٥١ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثامن والعشرون
- ١٥٢ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح التاسع والعشرون
- ١٥٣ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح العشرون
- ١٥٤ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الحادي والعشرون
- ١٥٥ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثاني والعشرون
- ١٥٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث والعشرون
- ١٥٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع والعشرون
- ١٥٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس والعشرون
- ١٥٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس والعشرون
- ١٦٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع والعشرون
- ١٦١ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثامن والعشرون
- ١٦٢ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح التاسع والعشرون
- ١٦٣ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح العشرون
- ١٦٤ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الحادي والعشرون
- ١٦٥ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثاني والعشرون
- ١٦٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث والعشرون
- ١٦٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع والعشرون
- ١٦٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس والعشرون
- ١٦٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس والعشرون
- ١٧٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع والعشرون
- ١٧١ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثامن والعشرون
- ١٧٢ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح التاسع والعشرون
- ١٧٣ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح العشرون
- ١٧٤ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الحادي والعشرون
- ١٧٥ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثاني والعشرون
- ١٧٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث والعشرون
- ١٧٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع والعشرون
- ١٧٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس والعشرون
- ١٧٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس والعشرون
- ١٨٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع والعشرون
- ١٨١ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثامن والعشرون
- ١٨٢ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح التاسع والعشرون
- ١٨٣ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح العشرون
- ١٨٤ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الحادي والعشرون
- ١٨٥ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثاني والعشرون
- ١٨٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث والعشرون
- ١٨٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع والعشرون
- ١٨٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس والعشرون
- ١٨٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس والعشرون
- ١٩٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع والعشرون
- ١٩١ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثامن والعشرون
- ١٩٢ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح التاسع والعشرون
- ١٩٣ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح العشرون
- ١٩٤ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الحادي والعشرون
- ١٩٥ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثاني والعشرون
- ١٩٦ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الثالث والعشرون
- ١٩٧ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الرابع والعشرون
- ١٩٨ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح الخامس والعشرون
- ١٩٩ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السادس والعشرون
- ٢٠٠ - تاريخ الطب والصحة المصرية  
للجرح السابع والعشرون

مصر

السيد يوسف

١٢٧ - الحركة العلمية والأدبية في القضاة منذ فتح  
الغزى إلى نهاية الدولة العثمانية

د. مصطفى على محمد عبد الله

١٢٨ - لوزنونة مصريون من عصر الفريجات

بشرى عبد الله

١٢٩ - منذ مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى

نهاية عصر الفاطميين ٢١١ - ٥٩٧ هـ / ١٢٤٢ -

١١٤١ و

د. مصطفى على محمد عبد الله

١٣٠ - القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك

(١٢٣٣ - ١٢٥١ / ١٥١٧ - ١٥١٨ م)

مجدى عبد الرشيد بحر

١٣١ - تاريخ الحياة الأزلية في مصر

القرن التاسع عشر

تأليف / محمد وحيات

١٣٢ - تاريخ أهل الامة في مصر الإسلامية

(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)

الجزء الأول

تأليف / فاطمة مصطفى حفر

١٣٣ - تاريخ أهل الامة في مصر الإسلامية

(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)

الجزء الثاني

تأليف / فاطمة مصطفى حفر

١٣٤ - مصر ولبنان فيما بين القرن السابع والقرن الرابع

في

د. أحمد عبد الحليم عزز

١٣٥ - محمد توفيق سليم باشا وقوى في الحياة

السياسية

عائل يوراهيم الطويل

١٣٦ - الملاحة النيلية في مصر العثمانية

١٥١٧ - ١٧٩٨ م

د. محمد عبد حامد سليمان

١٣٧ - سياسة مصر العسكرية

أول حروب الشرق الأوسط

لواء تكور / صلاح سالم

١٣٨ - العلاقات التجارية بين مصر ولواء الشام الك و

في القرن الثامن عشر

د. محمد على حنفي

١٣٩ - دور الحياة التجارية في تاريخ مصر

(١٥٦٤ - ١٦٠٩ م)

د. هلال محمد السيد

١٤٠ - الحقيقة التاريخية حول ثورة تأميم شركة قناة

السويس

بقلم / د. عبدالمعظم رمضان

١٤١ - الحرب العالمية الثالثة لصالح الدين الإسلامي

ج ٢

ترجمة وتعليق وتعليق / آ. د. حسن حنفي

١٤٢ - الحرب العالمية الثالثة لصالح الدين الإسلامي

ج ١

ترجمة وتعليق وتعليق / آ. د. حسن حنفي

١٤٣ - شاهد على مصر

مذكرات محمد علي جنة

١٤٤ - لثوبية في القرن الثاني عشر

ياسر عبد السلام مطبق

١٤٥ - التاريخ مدونة لفظية تحت الحكم المصري

١٨٢٠ - ١٨٨٥ م

د. أحمد أحمد عبد أحمد

١٤٦ - العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإقبال

والانحصر

د. أحمد مصطفى منصور

١٨٧ . ثوابة حلب فى عصر

سلاطين المماليك (١٢٨٠

١٥١٧م / ٦١٨ - ٩٢٣

ج٩

د. عادل عبدالمعطي حمزة

١٨٨ . نهاية حلب فى عصر سلاطين

المماليك (١٢٨٠ -

١٥١٧م / ٦١٨ - ٩٢٣—

ج٩

د. عادل عبدالمعطي حمزة .

١٨٩ . اليهود مصر منذ عصر

الفراعة حتى هام ٢٠٠٠م

عرفه عبد على

١٩٠ . العلاقات السياسية بين

مصر والعراق (١٩٥١ -

١٩٩٣م)

د. عبدالمعطي عبدالجبار أحمد

ثاني

١٩١ . اليهود فى مصر العثمانية

حتى أوائل القرن التاسع

عشر ج٩

د. محسن على شومان

١٩٢ . اليهود فى مصر العثمانية

حتى أوائل القرن التاسع

عشر ج٩

د. محسن على شومان .

١٩٣ . الامام محمد عبده بين

المنهج الدنى الاجتماعى

د. عبدالله شقطة

١٩٤ . تاريخ الآلات الموسيقية

الشعبية المصرية

د. فتحي السنوارى

١٩٥ . مجتمع أفريقيا فى عصر

البرالة

د. نوريان عبدالكريم أحمد

١٩٦ . تاريخ تطور الرى فى

مصر (١٨٨٢ - ١٩٦١م)

عبدالمعطي محمد سعوى

١٩٧ . اللدس الخالدة

د. عبدالمعطي زائد

١٩٨ . العلاقات السياسية بين

الدولة الأوروبية

والامبراطورية الرومانية

المقدسة زمن الحروب

الصليبية

د. عادل عبدالمعطي حمزة

١٩٩ . المعبد فى الدولة الحديثة

فى مصر الفرعونية

(تنظيمه الإدارى ونوره

السياسى)

د. بهاء الدين ابراهيم محمود

٢٠٠ . تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر

المصر (أعمال الندوة التى

أقامتها لجنة التاريخ

والآثار بالمجلس الأعلى

للثقافة بالاشتراك مع كلية

الآداب جامعة الإسكندرية

فى يومى ٢٢ ، ٢٣ أبريل

١٩٩٨م) .

اعتاد/ د. عبدالمعطي ومستان

- ٢١٠ - قهرس والحروب الصليبية  
د. سعيد عبدالفتاح حاشور
- ٢١١ - إمارة اثرها الصليبية  
د. عليا عبدالصوم الجندري
- ٢١٢ - العاعة في مصر في  
العصر الأروبي ١٩٧ - ١٩٨٨ هـ / ١٩٧١ - ١٩٨٠ م  
شابي ابراهيم الجندري
- ٢١٣ - الأزمات الاقتصادية في  
مصر في العصر المملوكي  
وأثرها السياسي  
والاقتصادي والاجتماعي  
١٩٤٨ هـ - ١٩٢٣ هـ / ١٩٥١ -  
١٩٥٧ م  
عشاق علي محمد عطا
- ٢١٤ - المشغور البرية الإسلامية على  
حدود الدولة البيزنطية في  
العصور الوسطى  
د. عليا جندري
- ٢١٥ - الفتح الإسلامي لمدينة كابول  
(١٣١١ هـ / ١٩٩١ م)  
د. إسحاق عبدالحميد ربحان
- ٢١٦ - الترأسمانية الأجنبية في مصر  
الجزء الأول  
(١٩٣٧ - ١٩٥٧)  
د. ورغلي يس هريدي
- ٢١٧ - العهد في الذات الملكية  
(١٨٨٧ - ١٩٥٢)  
د. سيد عثمانوي

- ٢٠١ - إمارة الحج في مصر  
العثمانية (٩٢٣ - ١٢١٣ هـ  
/ ١٥٩٧ - ١٧٩٨ م)  
سميرة فهمي على عمر
- ٢٠٢ - المندوبون الماسويون في  
مصر  
د. حادثة محمد حمود
- ٢٠٣ - الصراع الدولي على عدن  
والدور المصري  
فهمي نور مطالب
- ٢٠٤ - العلاقات الاقتصادية بين  
مصر وبريطانيا (١٩٣٥ -  
١٩٤٥ م)  
عزت محمد غالي
- ٢٠٥ - تاريخ الفروية وأعمالها  
في العصر الاسلامي (٢١ -  
١٩٦٧ هـ / ١٩٢٦ - ١١٧١ م)  
سيد محمد أحمد عطا
- ٢٠٦ - مصر للمصريين ج١  
مهم خليل الشافعي
- ٢٠٧ - القاهرة ببيروت  
د. سيد عبدالفتاح عطود
- ٢٠٨ - الدور المصري والعربي  
في حرب تحرير الكويت  
ج١  
لؤلؤ / د. كمال أحمد علي
- ٢٠٩ - الدور المصري والعربي  
في حرب تحرير الكويت  
ج٢  
لؤلؤ / د. كمال أحمد علي

٢١٨ - إقليم القديرة من عصر

الأيوبيه والمماليك

د. أحمد محمد أحمد علي

٧١٩ - ثورة ١٩١٩ قسسى شعو

مذكرات محمد زغلول

د. عبدالعليم رمضان

٢٢٠ - التقريرات السياسية لثورة

يوليو

(١٩٥٣-١٩٦٢)

حماد مصطفى أحمد محمد

٢٢١ - حبيب النهار

تأليف: رستون نكرشل

ترجمة: عز الدين محمود

٢٢٣ - مصر الخالدة ج٢

مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية

مؤلف: أحمد محمد علي عام ٢٢٢

ق٣٠

د. عبدالحميد زايد

٢٢٤ - الثورة الوطنية للكنيسة

المصرية عبر العصور

أعمال الثورة التي أقامتها لجنة

التاريخ والأثار بالجمعية الأعلى

للثقافة .

إعداد وتقديم: د. عبدالعليم رمضان

٢٢٥ - مصر وهول حوض النيل

د. محمد محمد موسى محمد

٢٢٦ - المسيرة في طرقات السويس

د. عبدالعزيز محمد الشاذلي

٢٢٢ - مصر الخالدة ج١

مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية

مؤلف: أحمد محمد علي عام ٢٢٢

ق٣

د. عبدالحميد زايد

مطابع الهيئة السورية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٢٩١ / ٢٠٠٢

---

ISBN . 977 - 01 - 8181 - 1



هذا الكتاب المهم عن السخرة في حضرة قنافة  
السويس ، الذي كتبه مؤرخ كبير هو المرحوم  
الدكتور عبد العزيز الشناوى . وكان الدكتور  
الشناوى قد كتب هذا الكتاب كرسالة أعدها  
للحصول على الماجستير من كلية الآداب جامعة  
فؤاد الأول عام ١٩٤٨ تحت إشراف أستاذ قدير  
هو المرحوم الأستاذ شفيق غريال . وقد أصبحت  
منذ ذلك الحين أشهر عمل علمى أعده عن  
السخرة في حضرة قنافة السويس .

Bibliotheca Alexandrina



0553501